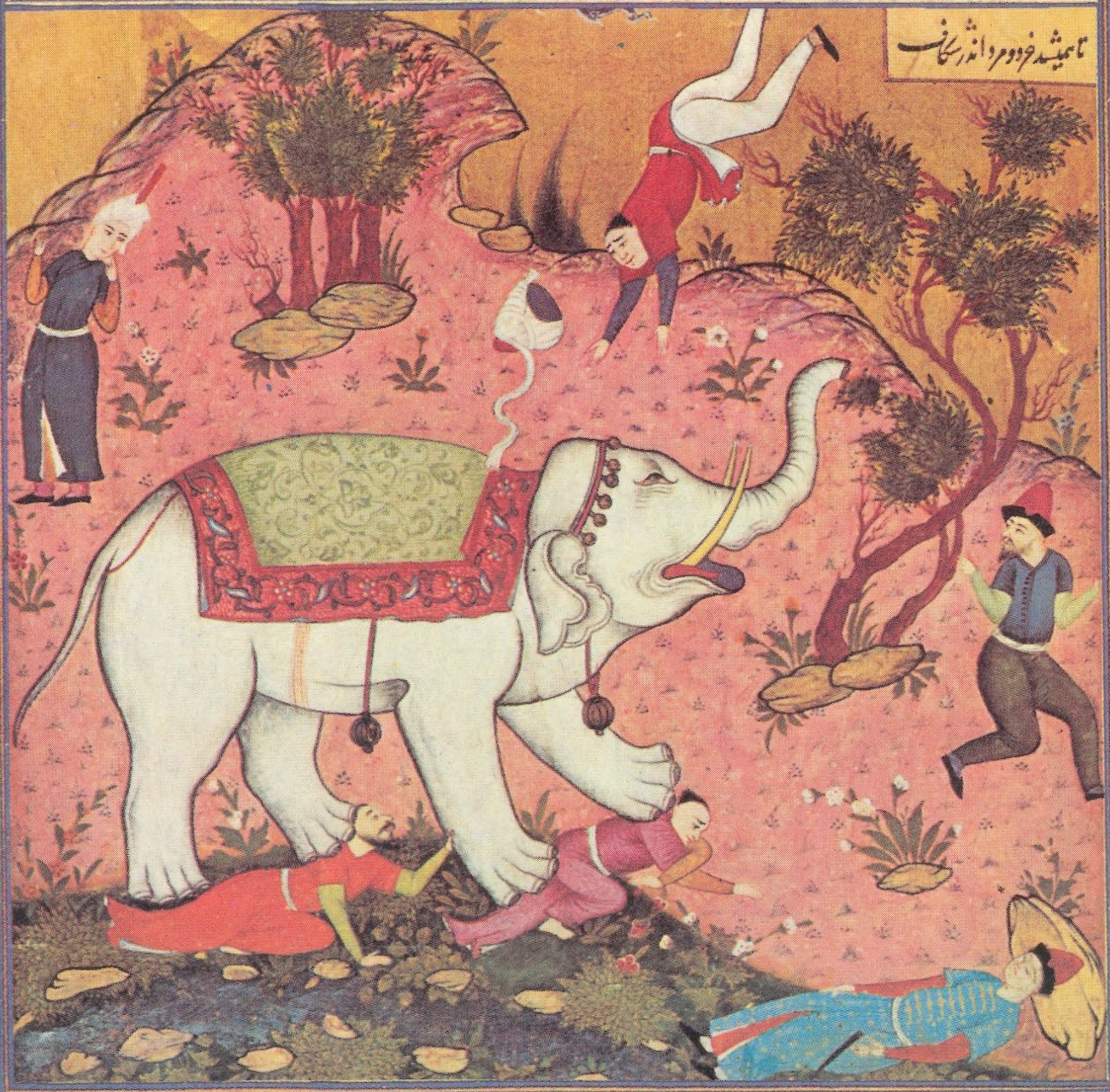
المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

مثنوي

مولانا جلال الدين الرومي

ترجمه وشرحه وقدم له: د. ابراهيم الدسوقي شتا



الكتاب الرابع

25

المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومى للترجمة

مثنوى

مولانا جلال الدين الرومى

الكتاب الرابع

ترجمه وشرحه وقدم له

دكتور / إبراهيم الدسوقى شتا

المجلس الأعلى للثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الإنسان ذلك العالم الكبير

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوي العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر

(بيتان منسوبان إلي الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

١ - يعتبر الإنسان بمعناه « الأشمل الأعم » ثم بما اصطلح علي تسميته « بالإنسان الكامل » القاسم المشترك الأعظم في كل أعمال المتصوفة المسلمين ، فهو في تساميه وضعفه ، وعلوه وسقوطه ، وانصرافه إلي الملأ الأعلي وانصرافه عنه ، وطهره ودنسه الميدان الرحب الواسع الذي تدور حوله التجربة الصوفية ، يكون في بعض الأحيان الأكثر حضورا ، فالمعبود دائم ، لكن تجلي العبادة لا يكون إلا بوجود العابد ، وتبدو العلاقة في بعض الأحيان علاقة ذات خصوصية بحيث يكاد يحس الإنسان أنه مخلوق الهي أو شبة الهي ، ويفني عن ذاته تماما فينطق كما نطق أبواليزيد البسطامى « سبحاني ما أعظم شاني » وينطق « ما في الجبة إلا الله[1] » .

---

(١) انظر تفسير مولانا لهذه الشطحيات في الأبيات ٢١٠٢ - ٢١٤٥ من الكتاب الذي بين أيدينا .

والواقع أن هذا الحضور الدائم لله في الإنسان هو ا لذي يعطي الجدلية الصوفية في بعض الأحيان بعض الغرابة والذي أوقعها كما سنري – في تناقضات عديدة مع كثير من المشارب والنحل الإسلامية الأخري ، وجعلها تجربة شديدة الخصوصية بمصطلحاتها ومادتها .

ولعلنا نغفل كثيرا من جوانب الفكر الصوفي إذا قلنا أن هذا الفكر ينشغل فحسب بهذه العلاقة بين الإنسان والله أو المخلوق والخالق بشكل انتزاعي وأنه لا يأبه بحياة الإنسان في جحيم الأرض ويشغله بقضية فوق طاقته تستنزف منه الجهد والطاقة وتصرفه عن تنمية نفسه « وبلده » وتلقي به في أمور غريبة لا تفضي إلي نتيجة ولا تؤدي إلي ثمرة ، والذي ينظر هذه النظرة إنما ينظر إلي الفكر الصوفي أو بمعني أصح إلي التصوف في عصور ضعفة وانحطاطه « وقد أصابه ما أصاب الإسلام ككل من سوء فهم وانحدار فكري وتحميل لفهم الآخرين أو لتفهيم الآخرين لنا أصولنا الثقافية » ، فإن أساس التربية الصوفية ، وتشكيل الشخصية وتنميتها وصقلها وتقويتها علي أسس سليمة قائمة علي جعل هذا الإنسان الغارق في الطين ، المخلوق من الحمأ المسنون ، إنسانا أعلي كاملا جديرا بالنفخة الإلهية التي نفخت في أدم وورثها هو وأصبح مسئولا عنها .. كل التربية الصوفية والأخلاق الصوفية تجعل جل همها محو أثار هذا الطين وتجلية الروح « النفخة الإلهية » ورد الإنسان إلي أصله « مخلوقا إلهيا » لا هو بالمتدني ولا بالوضيع ولا بالجبان ولا بالهلوع ولا جاعلا الطين منتهي همه ومبلغ علمه مع ما يمكن أن يصل إليه هذا الأهتمام « بالطين » وإعطاء الظهر تماما للنفخة الإلهية من أن يتحول « الإنسان » ذلك المخلوق الالهي إلي دابة هملاء أو سبع ضار [1] . وما يؤدي إليه هذا

الاهتمام المتزايد بتربية « الطين » وجمع « القمامة » أي تحويل هذا العالم الذي نعيش فيه إلي غابة بكل ما في الغابة من مساوئ ، بل وأسوأ ، لأن التكاثر هنا والتطاحن موجه بعقل جزئي لايري أبعد من مواطئ القدم ، فلا يكون هناك سوي « الجسد » ومطالبه فإذا شبع انطلق إلي الشذوذ في الفكر والمسلك وجر المجتمع من بعده إلي حمأة من الرذيله لا نهاية لها (٢) .

ليس ميدان الفكر الصوفي إذن كما يقال هوالغيبيات – فهكذا أفهمنا – فإن المخلوق الذي فيه نفخة من الإله ، وكان مقره الجنة ، ثم نزل إلي الأرض منفاه وغربته ، لابد وأن يعمل من أجل أن يكون جديرا بالعودة إلي أصله .. ومن ثم فالفكر الصوفي – وبخاصة في تجليه عند جلال الدين – هو فكر سيادة الإنسان الذي لابد وأن يرتفع عن التناقض الشديد الذي يعذبه ويبسط ظلا من الحيرة والصراع عليه طوال حياته ، ذلك التناقض الذي عبر عنه مجد الدين سنائي بقوله :

ماذا أفعل بالروح وأنا من الطين .

وماذا أفعل بالجسد وأنا من عليين . (٣) وعبر عنه حافظ بقوله :

لاأدري من يوجد بداخلي أنا المعذب

فأنا صامت وهو في صراخ وعويل . (٤)

بل وعبر عنه قبلهما الصوفي العظيم أبو سعيد بن أبي الخير (المتوفي سنة ٤٤٠ هـ) بقوله ... « أحيانا أكون كالملاك ملازما للعبودية وأحيانا كالحيوان أحيا علي الطعام

(١) انظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ١٤٥٤ – ١٤٩٠ .

(٢) انظر الكتاب الثالث الأبيات ٢٦٦٠ – ٢٧٠٠ وشروحها حيث يقدم بيانا عن أنهيار الحضارات .

(٣) سنائى ديوان ص ٣٨٥ .   (٤) جامع نسخ حافظ غ ٨٢ ص ٦٣

والنوم وأحيانا كالوحوش أمزق ... سبحان الله ما هذا التفرق وهذه الحيرة » وعبر عنه الصوفي العظيم نجم الدين كبري (المتوفي شهيدا في غزوة المغول ٦١٨) بقوله « في داخلي شيطان ، لا يخفي علي .. وقطع رأسه ليس أمرا سهلا ..لقنته الإيمان ألف مرة . ولم يدخل في الإسلام » هذه الحيرة التي يعبر عنها مولانا جلال الدين الرومي أجمل تعبير وأروعه وخاصة في ديوانه الأكبر « ديوان شمس الدين التبريزي » :

أنا الشيخ ... أنا الشاب ... أنا السهم ... أنا القوس ..

أنا الدولة الخالدة : ألست أنا أنا ... بل أنا أنا .

أنا سروة في بستان .. أنا روح في بدن ... أنا نطقه في الفم ..

ألست أنا أنا .. بل أنا أنا

أنا في دهشة من هذه الواقعة .. أنا في وعيي .. وفي غير وعيي

أنا ناطق صامت .. أنا نوح مسكت

من ذلك اللون .. لماذا أنا بلا لون

وأي تشبث لي بتلك الجدائل

أنا الرئيس ، أنا الإقبال معا .

أنا الملك ، أنا العرش معا .

أنا المحنة والإقبال ، أنا الداء والدواء

أنا الدم واللبن ، أنا الطفل وأنا الشيخ

أنا التابع والأمير ، أنا هذا وأنا ذاك

أنا « شمس » ناثر السكر

وأنا مدينة تبريز

أنا الساقي وأنا الثمل ... أنا المشهور المغمور[1]

لا أنا بالثمل .. ولا أنا بالمفيق

ولا أنا بالنائم ولا باليقظ

ولا أنا مع الحبيب .. ولا أنا بدونه .. ولا أنا بالمحزون ، ولا أنا بالمسرور ...

ولو أني أستريح لحظة .. فإن نفسي لا تستريح

بل أني أستريح .. إن لم أسترح لحظة .

....

هناك جذبات في روحي

من يجذبني

أنا أعلمه

أريد أن أستريح لحظة .. لكن هذا ليس في الإمكان .

إنه يصيبني بالجنون في كل يوم .

ثم يخرجني منه مرة ثانية

فأنا ألعوبة في يده ، ومن لعبه هذا أنا في حيرة

أنا كأس يدار به

أنا كأس يصب الدم

أنا خمر يغلي حينا ، وأحيانا يضحي بي ثمل[2]

في هذا الجهاد الأكبر « جهاد النفس » يرى المفكر الصوفي أو المرشد الصوفي أو الجامع بينهما مثل مولانا جلال

---

(١) عن خط سوم ناصر الدين صاحب الزماني – تهران ١٣٥١ – ص ص ٤٠٤ – ٤٠٦

(٢) عن صاحب الأماني ٤٠٦ – ٤٠٨

الدين أن مسئوليته الأولي تجاه البشر أن يأخذ بأيديهم في هذه المعركة ويوصلهم إلي بر الأمان ، ففي مثل هذه المعركة التي تجري داخل الدم ، ولا تهدأ ، ولا هدنة فيها ، يقف العدو « النفس – الشيطان – الهوي – مغريات الدنيا – الهوس »– بالمرصاد ومن ثم لابد للمقاتل من مرشد ومن أستاذ (التدقيق علي لزوم المرشد يتردد كثيرا في كل أجزاء المثنوي [1]) وهذه سمة مهمة جدا من سمات عرفان مولانا جلال الدين : أنه مضاد تماما لتصوف الزهد والانسحاب أنه إن شئنا الدقة : تصوف الصراع والمواجهة والقتال ، ومن هنا تشيع روح « الحنو » علي البشر والنظر بعين الإشفاق بل وأحيانا الفهم إلي ألوان ضعفهم .. فهي لازمة جدا في المعركة .. فلا معنى لعفة بلا إغراء .. ولا معني لأي ارتفاع عن مغريات الدنيا إلا إذا كانت هذه المغريات موجودة بالفعل .. عرفان مولانا جلال الدين إذن عرفان ينزل إلي خضم الحياة .. ينازلها ويصارعها ويقف أمامها وجها لوجه :

- وعندما لا يكون عدو فالجهاد محال ، وإن لم تكن شهوة لا يكون هناك امتثال .
- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميل ، وعندما لا يوجد خصم ما الحاجة إلي قيامك بالاحتيال .
- انتبه ولا تجعل نفسك خصيا .. ولاتصر راهبا ، ذلك أن العفة رهينة بوجود الشهوة .
- ولايمكن النهي عن الهوي إن لم يوجد هوي ، ولا يمكن القيام بالغزو ضد الموتى .

---

(١) انظر : الأبيات ١٧٧٤ – ١٧٧٧ من الكتاب الثالث .

– لقد قال « انفقوا » إذن فاكسبوا أولا .. ذلك أنه لا نفقه دون أن يسبقها دخل .

– وكذلك عندما قال اصبروا ، ينبغي أن تكون هناك رغبة حتي تشيح عنها بالوجه (١) .

ليس صراع الإنسان إذن في مقابل الأهواء ، وسعيه الحثيث نحو العودة إلي أصلة قائما علي تجاهل هذه الرغبات والأهواء ، أو نفيها ، بل علي مقاومتها مقاومة شديدة ، فالهروب هنا ليس يجدي ، وكيف يفر الإنسان من نفسه التي بين جنبيه ، ومن شيطان يجري منه مجرى الدم يقول مولانا :

فلأهرب ..ما دام فيّ عرق ينبض .

ومتي يكون الهرب من الذات أمرا يسيرا .

فلا هو أمن في الهند ولا أمن في ختن .

ذلك الذي يكون خصمة نفسه التي بين جنبيه (٢) .

الهدف إذن من كل التجربة الصوفية عند مولانا هو « سيادة الإنسان » أن يكون بالفعل سيدا علي الأكوان كما خلق في الأصل .. ليس الإنسان إذن كما يقول الخيام .. ذرة تراب توحدت بالأرض .. أو قطرة ماء وامتزجت بالمحيط .. ومجيئه إلي العالم مجئ ذبابة .. ظهرت ثم اختفت .. لا .. فماذا يكون الإنسان إذن كما عبر عنه مولانا جلال الدين ؟! عليه أولا أن يعرف أصله وخلقه فهذه المعرفة هي الخطوة الأولى في معركته نحو التسامي إلي الأعلي .

٢ – أ – يقول الحكماء إن الإنسان هو العالم الصغير ، وأن العالم هو الإنسان الكبير .. لكن مولانا جلال الدين جاء وعكس الآية ، ذلك أنه لا يمكن أن يوجد هناك في الخليقة ما هو أعظم من الإنسان :

---

(١) مثنوي ، الكتاب الخامس ، الأبيات : ٥٧٥ – ٥٨١ .

(٢) عن صاحب الزماني ٤١٦ .

– إذن فأنت في الصورة العالم الأصغر ، وأنت في المعني العالم الأكبر .

– وفي الظاهر يكون ذلك الغصن أصلا للثمرة ، لكن الفرع في الحقيقة من أجل الثمرة .

– فإن لم يكن الميل إلي الثمر والأمل فيه ، متي كان البستاني يغرس جذور الشجر ؟

– ومن ثم فإن ذلك الشجر علي سبيل المعني ولد من الثمر ، وإن كان الثمر قد ولد منه علي سبيل الصورة [1]

الإنسان إذن هو : أول الفكر وآخر العمل ، هو المقصود من خلقة الكون ذلك المفتقر إلى المعونة والعون (في تعبير لسنائي الغزنوي) وليست المقصودة بالعظمة والعمق تلك البضعة المحدودة من العظام أو ذلك الوجود الإنساني بل هو تلك العوالم المضمرة « أو بتعبير في شعر منسوب للإمام علي رضى الله عنه مطوية » .

الحذر أيها المؤمنون فإن هذا العرق (أي عرق الفلسفة والغرور) كامن فيكم كما أن بكم عوالم كثيرة لا تحد [2].

نعم : في تلك البضعة من العظام التي يسعها متر من الأرض عوالم وبحار وقارات .. يعايش المرء نفسه سنوات طويلة دون أن يستطيع مواجهتها ... ويوما بعد يوم .. قد تدفعه الحياة أو الحب أو البغض أو ما إلي ذلك إلي اكتشاف تلك النفس ذات الطبقات (أو ذات السبعين طبقة بتعبير لمولانا) أو بتعبير آخر :

أصمت وانظر إلي أعماق البحار لقد جعل الحق البحر مسخرا للإنسان .

فكل ما في الكون على عظمته مسخر للإنسان « وسخر لكم ما في الأرض

---

(١) الكتاب الرابع أبيات ٥٢١ – ٥٢٤ .

(٢) الكتاب الأول بيت ٣٢٨٠ .

جميعا » .. نعم يستطيع الإنسان كلما تعمق في أمر ما أن يجعل لنفسه عوالم جديدة من هذا الموضوع .. ليس تسخير العالم بمعناه المادي هنا بل تسخير العالم معناه أنه يخلق عوالم متشابهة داخل ذاته وداخل وعيه (١) . وبالعودة إلي قصة بهلول في الكتاب الثالث (أبيات ١٨٨٦ – ١٨٨٨) :

– قال بهلول لأحد الدراويش .. كيف أنت أيها الدرويش ، اجعلني واقفا علي أحوالك .

– فأجاب : كيف يكون من تسير الدنيا وأمورها دوما وفق هواه ؟

– تتدفق السيول والأنهار وفق مراده ، وتصير الكواكب علي النسق الذي يريدها أن تكون عليه .

– والحياة والموت حراس له ، يسيران وفق مراده حيا بحى .

(ب) وليس هذه العظمة موجودة فى الإنسان في حد ذاته ، بل لأنه خليفة الله في الأرض ، إنه ممثل للوجود الإلهى علي الأرض :

إن الدنيا هي نفس ذلك الشخص والباقون كلهم أتباع وطفيليون أيها الأخ (٢). ويتكرر عند مولانا تعبير يا ابن الخليفة (انظر علي سبيل المثال لا الحصر الكتاب الثالث ابن العظيم الأبيات ٣٦٥٢ وما بعدها) :

– ويا أبناء الخليفة اعدلوا ، واحزموا أمركم من أجل اليوم الموعود .

– وجروا ذلك العدو الذي انتقم من أبيكم نحو السجن من عليين .

– أن ذلك الحسود اختطف من أمنا وأبينا التاج والزينة بسرعة وحذق (٣) نعم جرعة الحسن الإلهى هي التي جعلت من الإنسان ذلك الخليفة :

---

(١) جعفري – تفسير ونقد وتحليل مثنوي جـ ٢ ص ٦٦٤ طبعه ١١ شتاء ١٣٦٦ هـ . ش

(٢) من دفتر ١ نسخة جعفري جـ ٢ / ٣٥٥ وليست موجودة في بقية النسخ .

(٣) الكتاب الثالث أبيات ٢٨٤٩ – ٢٨٥١

– لقد سكبت جرعة من هذا الكاس خفية علي أرض التراب من كأس الكرام .

– وعلي الوجه والجدائل دليل من جرعته ، والملوك يلعقون التراب من جرائها .

– إن جرعة الحسن في هذا التراب الجميل ، هي التي تقبلها أنت ليل نهار بمائة قلب .

– والجرعة الممتزجة بالتراب إن كانت تصنع أمثال المجنون ، ماذا تفعل بك إن كانت صافية (دون تراب) ؟!

– وكل امرئ ممزق الثياب (وجدا أو ولها) أمام قطعة من المدر ، فإن هذا المدر تجرع جرعة من الحسن .

– فجرعة علي القمر والشمس والحمل ، وجرعة علي العرش والكرسى وزحل .

– اتسميها جرعة ويا للعجب أو كيمياء ؟! فمن تأثيرها يوجد العديد من البهاء [1] الإنسان إذن هو الجزء من الكل .. وكل جزء طالب لكله ، لا يتم كماله إلا به والفراق عنه هو الموت ، وهو الذل ، لا يغرنك أنه يتحرك ..فحتي العضو المقطوع يتحرك حركة بسيطة ولفترة قليلة ثم لا يلبث أن يهمد:

– ذلك لأن الانتقال من العز إلى الذل ، كأنه قطع عضو من البدن .

– والعضو الذى يقطع من البدن يموت ، إنه يتحرك قليلا بعد بتره لكن ليس لفترة طويلة.

– وكل من شرب من كأس « ألست » في العام الفائت ، فإنه يحس هذا العام بالألم والخمار .

– وذلك الذي يكون فى الأصل منسوبا إلي الحظيرة ، متي يكون لديه الحرص على السلطة [2]. لقد عزلت من العرش وليست معرفتك بأنك عزلت عن العرش هي الدافع للفخار بما مضى ، بل عد أولا إلى العرش

(١) الكتاب الخامس الأبيات ٣٧٢ – ٣٧٩ .

(٢) الكتاب الخامس أبيات ٨٢٧ – ٨٣١ .

ثم تفاخر آنذاك .

جـ) كل مـا هـو موجـود فى العـالم مـوجـود في الإنسـان ، وليس كل مـا هـو مـوجـود في الإنســـان مـوجـود في العـالـم ، والفكرة لشـمـس الدين التبريزى :

« لا أقـول لك صـر إلـهـا .. أنا لا أنطـق كـفـرا .. انك آخـر العناصـر للنبـاتات والحيوانات والجمادات ولطافة جو الفلك ، فـهي موجود داخل الإنسـان ، وكل ما هو داخل الإنسـان ، لا يوجد فـيـهـا .. أن هذه هي حـقـيقـة العـالم الأكـبـر ... فمـا أعجبه مـن إنسان ذلك الذي يساوى الأقاليم السبعة وكل الوجود » (عن صاحب الزمـانى ص ٤٩٢) والتفـصيل مـوجود عند نـاصر خـسرو القـبادياني (المتـوفي ٤٨١) .

« ومـــن ثم نـقـول إن الشـمـس في الـعـالم الكبـيـر بمنزلة القلب مـن العـالم الصـغـير أي الإنسان ، والقـمـر من العـالم الكبير بمنزلة المخ مـن العالم الصـغـير ، والكواكب الخـمسـة السيارة من العـالم الكبـير الذي يـسميـه الحكماء الإنسان الكبيـر بمنزلة الحواس الخمسـة من الإنسان الذى يســمـونه العـالم الصـغـير ، تقـابـل البـصــر والسـمــع والشم والتــذوق واللــمس عند الإنسـان ... وقال حكماء الدين : إن تركيب الإنسـان عالم صـغير ، وقـالو : إن تـركيب العالم الصــغير في هذا العـالم على مثال فـهرس من كتـاب كبير فكل ما يكون في هذا الكـتـاب ربمـا ظهـر أثر منه في الفـهـرس ، ولـيس من اطلاع علي كلـيات الأشياء إلا بالاستدلال من جزئياتها ، ولا يسـتطيع استنباط الاستدلالات العقلية إلا المتـعـلقين بالحـبـل الإلهي والمتـمـكنين علي مـقـعـد الصـدق والمتـثـبـتين بمرصد الحق[1] . وتستـمـر الصـورة بتـفـصيلات تصل في بعض الأحيان تجعل من شعر الإنسان مساويا للنبات وعظامه مساوية للجبال وهلم جرا .

(١) جامع الحكمتين ناصـر خسرو الترجمـة العربية لإبراهيم الدسـوقي شـتا – دار نشر الثقافة بالقاهرة ١٩٧٤ ص ١٧٧ وما بعدها .

وقد ورد هذا عند محمود الشبستري في كلشن راز :

– كل ما يظهر في الحشر ، يبدو عليك عند النزع .

– فجسدك كالأرض ورأسك بمثابة السماء ، وحواسك الأنجم والشمس بمثابة الروح .

– والعظام كالجبل فهي شديدة ، ونباتك هو الشعر وأطرافك هي الشجرة .

– وجسدك عند الموت من الندامة ، يتزلزل كالأرض يوم القيامة .

– ويضطرب الدماغ وتظلم الروح ، وتنطفئ حواسك وكأنها الأنجم .

– وتلتف معا الساق بالساق ، وكل أليف ينفصل عن أليفه .

– وعندما تنفصل الروح عن الجسد كلية ، تصبح أرضك قاعا صفصفا لا تري فيها عوجا ولا أمتا .

– والخلق دائما في خلق جديده ، وحتي وإن عاشوا العمر المديد (١) .

وبالطبع فإن ما يميز الإنسان هو هذه الروح الإلهية التي يعبر عنها بتعبيرات عديدة : فهي الروح وهي السر وهي القلب « الذي هو بين أصبعين من أصابع الرحمن » وهو موضع سر الله ، وموضع نظره ، وموضع حلوله .. وحركة الكون جبر وحركة الإنسان اختيار (عن الجبر والاختيار انظر مقدمة الكتاب الخامس) والإنسان هو المكلف بالأمانة .. كل هذه رؤوس موضوعات استفاض فيها مفكرو الصوفية وتناولها مولانا جلال الدين في أكثر من موضوع من موسوعتيه : المثنوي المعنوي والديوان الكبير أو ديوان شمس الدين التبريزي ، وكل قيمة الإنسان الحقيقية في هذه الروح :

---

(١) عن رحلة الإنسان من الجنين إلي الجنان لقطب الدين عنقا الترجمة العربية لإبراهيم الدسوقي شتا ص ٣٥١ القاهرة دار الثقافة ١٩٧٨ .

- ما أكثر تلك القنوات المختفية المتصلة هكذا بأرواحكم أيها الغافلون .
- ويا من استمددت من السموات والأرضين المواد حتي صار جسدك سمينا .
- سرقت جسدك من أجزاء العالم .. وأخذته درجة درجة من هذا وذاك .
- فهل تطمئن أن ما أخذته بالمجان ، لن يسترده منك هذا وذاك ؟
- إن المتاع المسروق لا ثبات له ، لكنه يأتي باللص إلي المشنقة .
- أنها عارية فقلل تمسكك بها ، فإن كل ما أخذته ينبغي عليك أن تؤديه .
- اللهم إلا تلك النفخة التي جاءت من الوهاب ، فكن روحا فكل ما عداها عبث لا طائل من ورائه [1] .

الإنسان إذن ليس بجسده ولا بصورته ، ويقدم المثنوي نماذج مضحكة عن الادعاء ، وعن آفات الاغترار بالمظهر ، وعن المرشدين الكاذبين ومحترفي النفاج والادعاء وأروع ما تتجلي سخريته العميقة عند تناول هذه النماذج ويدق دائما علي أن وراء الظاهر باطنا ينبغي أن يطلب وحقيقة ينبغي أن يتحري عنها المرء :

- فالصورة كأنها اللباس وكأنها العصا ، وليس إلا بالعقل والروح تتحرك الصور[2] .
- فالإنسان في صورته فرع من فروع هذا الكون ، لكن فاعلم أنه بصفته أصل هذه الدنيا .
- إن ظاهره تؤدي به بعوضة إلي الدوار حول نفسه ، لكن باطنه محيط بالعوالم السبعة[3]

ويقول في موضع آخر :

---

(١) الكتاب السادس : الأبيات ٣٥٩١ وما بعدها وهناك أبيات زائدة من نسخة جعفري ١٤/٣٤٦ .

(٢) ٤/٣٧٢٧ .

(٣) كتاب ٤ / أبيات ٣٧٦٦ - ٣٧٦٧ .

- إننا نشعر بألوان من الحب نحو هذا التراب ، لقد خلق في حال من أحوال الرضا .

- أحيانا نخلق منه مثل هذا الملك ، وأحيانا نجعل منه والها أمام الملك العظيم .

- وهناك مئات الآلاف من العشاق والمعشوقين ، هم منه في صراخ ونفير وسعي وبحث .

- إننا نعطي هذه الفضيلة للتراب ، لكي نجعله عطاء لمن لازاد لهم .

- ذلك لأن هذا التراب ذو ظاهر أغبر ، لكن في الباطن ذو صفات نورانية .

- وقد اشتبك ظاهره مع باطنه في جدال، فباطنه كالجوهر وظاهره كالحجر .

- يقول ظاهره : ها نحن فحسب ولا شي أخر ، فيقول باطنه انظر جيدا قدامك ووراءك .

- ظاهره منكر قائل إن الباطن لاشي قط ، فيقول باطنه انتظر حتي تبدي لك الأيام .

- إن ظاهره في عراك مع باطنه ، فلا شك أن الذي ينتصر منهما من له قدرة علي الصبر[1] .

فالإنسان إذا انتبه إلي باطنه ورحل دائما إليه ، وتتبعه وراقبه فإن شيئا من هذا الكون كله لن يصيبه بالدهشة ولن يحيره .

- والإنسان كالجبل فكيف يصير مفتونا ، وكيف يصير الجبل مندهشا من أجل حية ؟

- فالآدمي المسكين لم يعرف نفسه ، بدأ من الزيادة وأخذ في النقصان .

- وباع الإنسان نفسه رخيصة ، كان « أطلس » فخاط نفسه علي خرقة .

---

(١) الكتاب الرابع من مثنوي مولانا جلال الدين الأبيات ١٠٠٢ وما بعده .

- ومئات الآلاف من الحيات والجبال حائرة فيه فكيف صار هو مندهشا محبا للحيات ؟ [1]

د) كل ما يحيق بالإنسان إذن من هذا التنزل ، من جهله بقيمته وبذاته وبنفسه ، إن من يترك النفخة الإلهية لايبقي له سوي الطين ، ومن يترك الماء العذب لايجد أمامه سوي الماء المالح ، إنه مجرد كلب يجري خلف جيفة الدنيا ولايشبع منها ، فإن كف عنها فترة لايجد أمامه إلا مهاجمة خلق الله وإيذاءهم ، يستطيع الإنسان أن يختار لنفسه وأن يجد الجماعة التي ينتمي إليها ويكون جديرا بها .

- وكل نبات يلزمه حوض « خاص في هذا البستان » كل هذا النبات فوما أو قبار .

- وكل واحد من جنسه في حوضه الخاص به ، يشرب الطل من أجل أن ينمو وينضج .

- فإن كنت في حوض الزعفران فكن زعفران ولاتختلط بالآخرين .

- واشرب الماء أيها الزعفران حتي تنضج ، وتبلغ مرحلة أن تكون زعفران في تلك الحلوي.

- ولا تمدن فمك في حوض اللفت ، حتي لا يصير هو شريكا لك في الطبع والمذهب .

- لقد وضعت في حوض ووضع هو في حوض آخر ، وذلك لأن « أرض الله واسعة » .

- ففي ذلك البحر والصحراء والجبال ، تتقطع الأوهام وينقطع الخيال .

---

(١) الكتاب الثالث من مثنوي مولانا جلال الدين الأبيات ٩٩٩-١٠٠٢ .

– والماء الساكن الذي تكون حركته من الداخل ، أكثر عذوبة ونضارة من المياه الجارية [1] .

الزم إذن نفسك ، تتبعها فيما تنزع إليه ، وانظر إلي نفسك من تكون : أأنت موسي أو فرعون فموسي وفرعون في داخلك كلها نقد لحالك أنت ، وإن كان مولانا يتحدث عن موسي وفرعون فإنما يتحدث عن الناس أنفسهم الموجودين في كل قرن :

– لقد صار ذكر موسي قيدا علي الخواطر ، فكم من قائل : ما لنا نحن وهذه الحكايات القديمة ؟

– إن ذكر موسي هنا مجرد دريئة ومجاب ، لكن ليكن لك منه وفرعون في وجودك ، وينبغي أن تبحث عن هذين الخصمين في داخلك .

– وهناك نتاج من موسي حتي القيامة ، وليس نورا آخر وإن تغير السراج .

– فهذا المشكاة وهذه الفتيلة من نوع آخر ، لكن نورها لم يتغير لأنه من تلك الناحية .

– وإذا نظرت في الزجاجة فإنك تضل ، ففي الزجاجة توجد الأعداد وتوجد الإثنينية .

– وإذا نظرت إلي النور تنجو من الإثنينية وإعداد الجسد المتناهي المحدود [2].

أن الإنسان يستطيع أن يحدد موقفه في أي صف يكون أن تميز بحس « الرؤية » – ليست الرؤية التي يتميز بها كل مخلوق

---

(١) الكتاب الرابع من مثنوي جلال الدين الأبيات ١٠٨٣ – ١٠٩٢ .
(٢) مثنوي مولان جلال الدين جـ ٣ الأبيات ١٢٥٢ – ١٢٥٨

حي ، لكنها الرؤية الخاصة بالإنسان ، وليست رؤية هذه القطعة من الشحم ، لكنها رؤية تلك العين الموجودة في القلب ، وإلا فإن النملة التي تركز بصرها علي الحبة إنما تصرف هذا النظر عن البيدر كله :

- إن النملة تكون مرتعدة « شوقا » إلي الحبة ، بحيث تعمي عن البيادر العظيمة .

- إنها تجر هذه الحبة بحرص وخوف ، بحيث لا تري ذلك البيدر الكريم العطاء .

- ويقول صاحب البيدر : - هيا يا من عماك صارت الأشياء معدومة .

- إن مبلغ رؤيتك من بيادرنا ، هو تلك الحبة الي تعلقت فيها بروحك .

- ويا من أنت كالذرة في صورتك انظر إلي عطارد ، إنك نملة عرجاء ، فاذهب وأنظر إلي سليمان .

- إنك لست هذا الجسم ، إنه ما رأيته ، وتنجو من الجسم إن رأيت الروح .

- إن الإنسان هو الرؤية ، والباقي لحم وجلد ، وهو نفس ذلك الشئ الذي تراه عيناه .

- إن دنا واحدا ليغرق من القطر ، لو أن عين هذا الدن مفتوحة صوب البحر .

- وعندما تكون روح الدن متصلة بالبحر ، فإن ذلك الدن يزري بجيحون(١) .

الإنسان إذن بقدر (رؤيته) وفي موضع آخر يقول مولانا جلال الدين :

---

(١) ٦/٨١١ - ٨١٩ .

- أنك مجرد هذا الفكر ... وما تبقي منك عظام وعروق .

هذه الرؤية ، وهذا الفكر (المتصل بالأصل) وبالبحر الكلي ، والعلم الذي هو ينجي الإنسان من كل أنواع الفرقة ، والخيال والوهم ، يجعله مجموعا متمركزا ليس موزعا علي مائة هوي ، محققا لذاته ولوجوده ، جديرا حقا بكونه إنسانا ، عارفا بطريقه ، ثابتا راسخا متمكنا ، ولا يكون مثل القشة التي تتقاذفها كل ريح .

- أن ذلك العقل يحمل كل صباح الدرس اليومي من اللوح المحفوظ وكأنه الملك .

- فانظر من العدم إلي كتابات بلا بنان ، ومن علمها تحير أرباب الشهوات .

- فصار كل إنسان مقلوبا مضحكا بالنسبة لخيال ، صار طلعة من اشتهاته لكنز ما .

- فمن خيال .. صار أحدهم ممتلئا بالعظمة ، متجها إلي مناجم الجبال .

- ومن خيال اتجه أخر بجهده المرير الي البحر من أجل الدر ..

- ولأن تلك الخيالات كلها غير مؤتلفة ، فإنها عندما ظهرت صارت مختلفة .

- وعندما خبئت قبلة الروح عن الأنظار ، فإن كل جماعة اتجهت إلي ناحية ما[١] .

والحل هو التسليم والتوبة : التسليم لله ، ثم التسليم للمرشد بحيث يكون كالميت بين يدي الغسال ، ولابد من الطلب ، فمن لج ولج ، ولزوم الباب كفيل بفتحه ، وإن لم تفكر فتأمل :

- فبدون برق القلب روشحات العينين ، كيف كانت تسكن نار التهديد والغضب ؟.

---

(١) ٥/٢١٧ - ٣٢٥ .

– وكيف كانت تنمو خضرة ذوق الوصال ، أم كيف كانت تجيش العيون بالماء الزلال ؟

– وكيف كانت حديقة الورود تبوح بسرها للبستان ، أم كيف كان البنفسج يرتبط بالعهد مع الياسمين ؟

– وكيف كان شجر السنار يبسط أيديه في الدعاء ؟! أم كيف كانت أية شجرة تعلو برأسها في الهواء ؟!

– وكيف كانت البراعم ذات الأكمام الحافلة بالنثار تنفض أكمامها أيام الربيع ؟! .

– ومتي كانت خدود الأقاحي تشتعل بلون الدماء ؟ ومتي كان الورد يبرز العسجد من أكياسه ؟

– ومتي كان البلبل يأتي ويشم عبير الورد ؟ ، ومتي كانت الفاختة تهتف « كوكو » كأنها تقول : أين ؟! أين ؟! .

– ومتي كان اللقلق يهتف بروحه « لك لك » وماذا تعني لك ؟ أنها تعنى : لك الملكُ أيها المستعان .

– وكيف تظهر الأرض أسرار الضمير ؟ وكيف يغدو البستان منيرا كالسماء ؟

– ومن أين قد جاءوا بهاتيك الحلل ؟ إنها كلها من كريم رحيم .

– فهذا اللطائف كلها علامة للشاهد ، أنها آثار القدم (يقتفيها) الرجل العابد .

– وليس يسعد بالأثر إلا من رأي المليك ، أما من لم يره فليس له انتباه إلي ذلك .

– فروح ذلك الإنسان الذي في ساعة « ألست » رأي ربه ، وغدا ذاهلا ،

– هو الذي يعرف رائحة الخمر ، لأنه قد احتسي الخمر ، ومن لم يكن قد احتساها فإنه لايعرف شذاها .

– ذلك لأن الحكمة مثل الناقة الضالة ، لكنها كالحادي ، دالة الملوك(١) .

وهكذا ففي كل أعمال الصوفية نلتقي بها التناقض البين الواضح للعيان بشأن الإنسان : فالإنسان هو كل شي وهو لا شئ .

١ – هناك من أمثال الحلاج وأبي اليزيد ، شطحوا عند الحديث عن هويتهم في مقابل الإله وكانوا أكثر جرأة من الآخرين ، أحيانا جري علي لسان كل منهما ما يدل علي ضعفه اللانهائي وانعدام قيمته تماما أما الخالق : لا حركة ولا فكر ولا إرادة : نعم من منطلق النفس يكون الإنسان لاشئ ، أما من منطلق الروح فهو العالم الأكبر وهكذا يبدو الأمر عند مولانا جلا ل الدين تماما (٢) .

٢ – جوهر الإنسان إذن إلهى علي الدوام وعند مولانا جلال الدين « لا تذل الإنسان » ولأن تحقيق الوجود الإلهي ليس ميسرا علي هذه الأرض ، وتحقيق جزء قليل من هذا الوجود الإلهي علي الأرض ، يحمل الإنسان إلي آفاق عظمي ، وكان هذا منطلق الصوفية إلي بلورة مفاهيم الإنسان الكامل بالمعنى الأعم ، والإنسان الكامل المتمثل في خاتم الأنبياء صلي الله عليه وسلم ، ثم الولاية بمعناها العام وبمعناها الخاص .

أ) والإنسان الكامل هو قمة تجلي الشخصية الإنسانية وقيامها بذاتها واستغنائها عمن سواها ، وهو ما عبر عنه مولانا جلال الدين بفكرة

---

(١) كتاب ٢ الأبيات / ١٦٥٥ – ١٦٧٣ .

(٢) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوي ١٢٢ – ١٢٣

الجدول الذي ينبع من الداخل ، ثم ثناها بصفاء هذا الجدول بحيث تنعكس فيه صور كل الأشياء ، هنالك تكون الكرامة الحقيقية [(١)] .

وعلي كل حال نستطيع أن نجد عند كل الصوفية أصحاب المؤلفات إلماعات إلي هذه الموضوعات ، فقد كان الغرض الحقيقي من التصوف والعرفان كما ذكرت آنفا هو تربية الإنسان المثالي : الإنسان الأعلي بالتعبير المعاصر وإن لم تتبلور بشكل مستقل في صورة نظرية للتربية أو نضج الشخصية الإنسانية ...بل في الأغلب الأعم ينظر إليها من وجهة النظر القائلة بأن الإنسان ليس منبت الصلة بشكل كامل عن الله سبحانه وتعالي وعند شمس الدين التبريزي ومن بعده جلال الدين الرومى تتخذ هذه الفكرة جانبا عمليا وتعليميا . وكلاهما لم يستخدم مصطلح الإنسان الكامل بل استخدما مصطلحات من قبيل : الكمل ، العظماء ، الخواص ، خواص

---

(١) من نافلة القول أن نذكر أن فكرة الإنسان ، الكامل أو الإنسان الإلهي موجودة في التصوف الإسلامي منذ الحلاج وأبي اليزيد ، ولقد استخدم أبو اليزيد مصطلح « الكامل التمام » للتعبير عن الإنسان الذي بلغ حد تكامل الشخصية ، ولعل ابن عربي (المتوفي ٦٣٨ هـ) هو أول من استخدم مصطلح الإنسان الكامل للتعبير عن كمال النضج الإنساني في الفصل الأول من كتابه « فصوص الحكم » ويبدو أن عزيز الدين النسفي المتوفي سنة ٧٠٠ هـ هو صاحب أول مؤلف في الإسلام يحمل عنوان الإنسان الكامل ويعد النسفي ألف عبد الكريم الجيلاني (المتوفي سنة ٨١١) كتابه المشهور باللغة العربية الإنسان الكامل . (عن خط سوم صاحب الزماني ٥٧٦ – ٥٧٨ – وعند سنائي الغزنوي المتوفي سنة ٤٣٥ هـ توجد إلماعات إلي شخصية الإنسان المتوازن الإلهي بل أن تناوله للرسول صلي الله عليه وسلم يوحي بأنه كان يعتبره الإنسان الكامل وهي فكرة عزيت فيما بعد إلي صوفية متأخرين جدا : انظر : حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة الترجمه العربية لإبراهيم الدسوقي شتا (دار الأمين ١٩٩٥)

الله .. ولهذا دلالة علي أن الإنسان الكامل في هذا المفهوم لم يكن شخصا واحدا ، بل من الممكن علي من يتعرض للكيمياء الإلهية أو كيمياء التبديل (المرشد) أن يتحول من نحاس إلي ذهب ، كما كانت صنعة الكيمياء القديمة تهدف إلي تحويل النحاس إلي ذهب . وصورة الإنسان الكامل عند شمس الدين التبريزي ذات أبعاد تبلغ أربعة عشر بعدا استقاها ناصر الدين صاحب الزماني من كتابه الصغير العميق ، المقالات « انظر : خط سوم ٥٧٤ - ٦٢٦» وهي تمثل أيضا في فكر جلال الدين الرومي تأثيرا لا بأس به وهي : الفكر « أو عند مولانا جلال الدين التدبر في العاقبة والنظر إلي نهاية الأمور قبل بداياتها » والمثنوي حافل بالأمثلة والحكايات الكثيرة حول هذا الموضوع . ثم الرؤية والنظر والبصيرة وعند مولانا جلال الدين يتكرر كثيرا مثال الأعمي الذي ينبغي عليه أن يستعين بأحد يقوده فإن لم يوجد فعصا فإن لم يوجد فليسر بحبطة وحذر شديدين .. وثمة بصيرة داخلية وبصيرة خارجية ... فالبصيرة هنا وسيلة للمعرفة في مواجهة الإدراك الحسي والتجربة والنقل والاستدلال العقلي ، ويواظب مولانا دائما علي توصية المريد بأن يسأل الله البصيرة النافذة التي ترينا الأشياء « كما هي » .. والبصيرة فى مرحلة من مراحلها المتقدمة تؤدي إلي الشهود ثم الي إنكشاف الباطن .. وهنا يمكن للفراسة أن تقوم بدورها أما البعد الثالث من أبعاد الشخصية المتكاملة الوعي بالزمان بأبعاده الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل وعدم الإفراط أو التفريط في بعد عن هذه الأبعاد الثلاثة ، فمن الماضي البصيرة ، والتزود للحاضر ، والأمل في المستقبل أو الرجاء الذي بدونه يصبح الطريق أشد وعورة وأكثر صعوبة ، فإن

كانت في البداية تصيح : ما أبعدك يامكة فلن تصل إلي مكة أبدا أو ستظل تدور حلقات مفرغة » مثل التضارب بين هوي المجنون وهوي ناقته [١] .. وإن كانت الأزمنة من ماضي وحاضر ومستقبل كلها تمتزج عن الصوفي .. فيكون ابن وقته ثم يتجاوزها ليكون « أبا وقته » أي مسيطرا كل السيطرة علي كل أحواله وارداته ، فهو ليس عبدا لأي شئ ، وليس ابنا لأي شئ[٢] (أما البعد الرابع فهو الوعي بذاته ، إنه يقيم ذاته بوعي تام يعطيها حقها لا تنقص ولا تقل يعرف عيوب نفسه ومزاياها ، يكون مراقبا لها ، ممسكا بزمامها ، في غاية التنبه .. ولمولانا تعبيرات في غاية الدقة والذكاء في هذا المجال ، وأولئك الذين لا يعرفون ذواتهم أو يتظاهرون بأنهم أعظم مما هم عليه بالفعل هم الذين يثيرون دائما عند مولانا جلال الدين الميل إلي السخرية أنهم أشبه بابن آوي الذى نزل في دون الصباغ (انظر في الكتاب الثالث حكايات القروي والحضري وسقوط ابن آوي في دن الصباغ والرجل الذي كان يدهن شاربه ثم فرعون وموسي) فهناك شعرة واهية جدا لاتكاد تري بين الوعى بالذات ومعرفة الذات وبين الغرور ، والامتحانات الصعبة الحقيقية لا تصل بالفعل إلا بعد أن يكون الوعي بالذات قد بلغ مداه فاعلم ذاتك .. لكن آمن من المكر فإبليس وبلعم إبن باعوراء أضلهما الله علي علم ، وهاروت وماروت سقطاعندما تعرضا لأول امتحان ، فأنت ان دققت النظر لن تجد سوي العجز ، وليس لك بالفعل إلا التسليم ، وهذا الوعى بالذات عن الإنسان الكامل ينقسم إلي وعي بالباطن ووعي أيضا بالظاهر فمن الأوفق للإنسان أن يكون عالما بموقعه من مجتمعه وموقعه

---

(١) الأبيات ١٥٣٤ وما بعدها من الكتاب الذي بين أيدينا .

(٢) انظر ١٤٢٦/٣ وما بعده .

ممن يحيطون به وإلا اختطفه طوفان الحياة (كنعان بن نوح وفرعون وهامان والنمرود وكل جبابرة الأرض لم يكن لديهم هذا الإحساس وكانوا يظنون أنهم علي الصواب وأنهم أعظم من أن يتبعوا دعوة الأنبياء وفوق ذلك أن الناس يسجدون لهم حبا لاخوفا ولاطعما) .. وهناك الكثير من الشخصيات عند مولانا جلال الدين تثير الضحك لأنها كانت تظن أنفسها بالنسبة لمجتمعاتها فوق ما هي بالفعل بكثير (الوزير اليهودي والأعرابى حامل الجرة بالماء هدية إلي الخليفة في بغداد والمشعوذ الذي سرق الحية من المشعوذ والصوفي الذي بيع حماره والصوفي والفقيه والعلوي اللذين كانوا يسرقون من البستان والمخنث الضخم في الكتابين الأول والثانى والحضرى الذي استحمقه القروي والذى تعلم لغة الطير وصاحب الثور في قصة الذي كان يطلب رزقا بلا سعي وصياد الحيات في بغداد والأستاذ المريض بالوهم في الكتاب الثالث والدباغ في سوق العطارين واللص الذي سرق عمامة تافهة في الكتاب الذي بين أيدينا وعشرات من الشخصيات الأخرى التي تتميز بالاتزان ومعرفة موقعها بالفعل وإمكاناتها في معرض فياض بالحياة لتصوير الشخصيات بغرض تجسيد أفكار ومعاني) .

ويستمر مولانا في بيان عناصر الشخصية الإنسانية المتكاملة ومن أهمها بالطبع ضبط النفس والسيطرة عليها فلا يكون المرء « كقشة في مهب الرياح » تأخذها وتقذف بها حيث تشاء ، ويكون المرء هلوعا موزعا مشتتا.. الثبات النفسي إذن لازمة من لوازم النفس الإنسانية .. وهو من أهم صفات كبار المشايخ والأولياء (الولي الذي كان لايبدي تأثرا لموت أولاده في الكتاب الثالث والولي الذى كان يضحك أثناء القحط في الكتاب الخامس .. قصه الدقوقي أيضا في الكتاب الثالث

حيث كان اهتزازه وانطلاقه في الدعاء سببا في اختفاء الأولياء الآخرين عن ناظريه) نوع من التناسق والتعادل يسيطر علي الشخصية ، وما هذا التعادل والتناسق إلا نتيجة للإحساس بالغني الروحي الناتج بدوره عن وجود صلة مباشرة بالخالق ومعرفة كاملة به وعشق كامل له لا يشاء المرء لنفسه بعدها إلا ما شاء الله له ، فالإنسان المتوازن تهتز الصم الرأسيات ولا يهتز ... لكن هذا لا يعني أن الشخصية المتوازنة شخصية متقوقعة داخل ذاتها لا تهمها مصائر الآخرين فهناك دائما عند مولانا جلال الدين تفرقة بين شخصيتين : الفضولي أو أبو الفضول بتعبير مولانا الذي يتدخل بالعذل أو بالملام في أمور لا يفهمها ولا يصل إلي غورها لأنه مرتبط دائما بالظاهر والمظاهر ، وبين العارف الحقيقي الذي هو معدن الرحمة علي خلق الله تعالي ، ويقاس غالبا حبه لله بحبه للبشر (انظر خطاب المرأة لزوجها في قصة الشيخ الذي لم يكن يبكى موت أطفاله في الكتاب الثالث ص ١٥٥ أبيات ١٧٨٠ وما بعده) ويزداد حدب المرء علي الإنسان كلما كان هذا الإنسان يقاسي بعض أنواعه الابتلاء التي تبعده عن طريق الله (انظر هنا حكاية الواعظ الذي لم يكن يذكر في دعائه إلا الظلمة والمجرمين والحائدين عن الطريق (الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات ٨١ وما بعدها) ويطول بنا المقام إذا ذكرنا أمثلة أخري في هذا المجال من شعر مولانا جلال الدين ويكفي أن أحيل القارئ الكريم إلي قصة عتاب الوحي موسي من أجل الراعي لنري كيف تفيض نفس مولانا جلال الدين حبا لكل البشر (الدفتر الثاني ..) بل إنه يري في بعض الأحيان أن ذلك الناجي وحده لاينجو ، بل إن عدم علاج من يقبل العلاج أمر يخالف الرحمة .

« عـندمـا تحـس بالبـسـط في قلبك قم بري هذا البسيط ... سوف ينبت ثمارا .. هـب هذه الثمار إذن للأصدقاء [1]، وحذار مـن التفرقـة بين البشر فإن اختلاف القبلة من اختلاف وجهات النظر واختلاف الدراويش الأربعة من اختلاف لغاتهم وإلا فإنهم جميعا كانوا يرغبون في شراء العنب ولو أن كل واحد منهم كان يعرف لغة الآخر لما تشاجروا[2] فالشخصية الكاملة هي التي تمارس فضيلة الإيثار ، فالإيثار أوله بذل المال .. ثم مراحل أخري عديدة في رأي لشمس الدين التبريزي نقله الأفلاكي [3]وهي المعيار الأول للصداقة التي يعدها مولانا جلال الدين الرومي « بذرة النفس الأخير » [4].

وثمة نقطة مهمة ركز عليها مولانا جلال الدين بشأن بناء الشخصية الإنسانية السوية هو التخلص من الحكم المسبق والرأي المسبق ، والشخصية القوية شخصية الإنسان الكامل حرة من القوالب والأطر والألوان والنمطيات التي تلتصق بشئ معين ، وذلك الذي يلتصق بالألوان والرسوم أشبه بذلك الذي دخل حظيرته وأخذ يربت علي أسد افترس ثوره علي أنه ذلك الثور المحبب [5]وأكثر ما تنصب سخرية مولانا جلال الدين علي أولئك المرائين المدعين من الصوفية ، وكثيرا ما مارس السخرية من أولئك الذين اعتمادا على المظهر يسارعون بإطلاق الأحكام ، إن أولئك الذين يخادعون الناس بالمظهر يضلون الناس ، يقومون بسقياهم الماء المالح علي أساس أنه ماء

---

(١) ٣/٣٦٠ - ٣٦٤ .
(٢) الكتاب الثانى الأبيات ٣٦٨١ - ٣٦٨٥ .
(٣) خط سوم ص ٥٩٩ .
(٤) ٣/٢٥٩ .
(٥) الكتاب الثانى ص ٣٢ .

عـذب ، والماء المالح يزيد الناس ظمـأ [1]وحكاية الصـوفي الذي اشـتـاق إلي الجـهـاد دون أن يكون مـسـتـعـدا له في الكتـاب الخـامس الأبيـات ٣٧٣٩ – ٣٧٦٩ وقـصـة الـصـوفى والقـاضي فـي الكتـاب الـسـادس) وعـشـرات من الأمـثلة يصـادفـهـا القـارئ تبين سـخـرية مـولانـا جـلال الدين من المظهـر الخلاب الـذي يخفي باطنا شـديد الخواء) ومن ثم فـإن خصـلة النفـاق من الخصـال التي تناولها مـولانا بالسـخـرية الشـديدة . [2]ويري مولانا جلال الدين أن النفاق ليست خصلة مكتومـة باطنة كما يظن المنافقون وإلا فهي أشـد ظهورا مما يتصـورون [3] ويبقي أن نذكر أن هناك سمتين رئيسـيتين للإنسـان الكامل ذي الشـخصية المتكاملة :

الأولي : أن يكون مسـتندا ومتكئـا علي شـخـصـيتـه هـو وعلي ذاته ، يكون قائما بذاته غـير معتمـد علي « الآخرين » وإلا فـهو مـجـرد صـورة إنسـان « فالعالم الواقف علي قدمين » مادام متميزا بصـفات الإنسان الكامل يكون نموذجا لـكل ما في العـالـم فأية حاجـة به إلي الآخريـن ، يخاطب سليـمان بلقيس قائلا :

– وسـوف تعلمين أنـت نفسك عندما تأتين إلي ، أنك بـدوني كنت صـورة في حمام .

– والـصـورة سـواء كـانت صـورة سلطان أو غـني ، فـهي مـجـرد صـورة لا طعم لها في حد ذاتها من الروح .

---

(١) أنظر حكايات الصوفي والفقيه والعلوي في الكتاب الثانى الأبيات ٢١٦٧– ٢٢١١ .

(٢) أنظر علي سـبيل المثـال لا الحصـر قصة الـصـوفي الذي ضـبط زوجته مـع خدنها حـيث تجد مسـتويات عديدة في تحليل النفاق وهـي في الكتـاب الذي بين أيدينا الأبيات ١٥٨ – ٢٣٠ .

(٣) أنظر حكايات : الأصم الـذي ذهب ليعـود جـاره في الدفـتـر الأول وحكاية المداح الذي لا تبدو عليه أثر النعم في الكتاب الذي بين أيدينا في البيت ١٨٤٠ .

– ويا من قامرت بنفسك في النزال ، إنك لم تميز بين الآخرين وبين نفسك .

– إنك تقف أمام كل صورة تصل إليها قائلا : هذه أنا ، والله إنها ليست أنت .

– وأنك إن بقيت لحظة واحدة بعيدا عن الخلق ، تبقي في حزن وقلق حتي الحلق .

– وهـذا هو أنت . . فمتى تكون ذلك الأحد ، وأنت جميل بنفسك ثمل بنفسك حلو بنفسك .

– أنت طائر نفسك وفخ نفسك وصدر نفسك وأرض نفسك وسماء نفسك .

– الجوهر فحسب هو الذي يكون قائما بنفسه ، ويكون عرضا ذلك الذي يكون فرعا له .

– فإذا كنت ابن آدم فاجلس مثله ، وأنظر في نفسك إلي كل الذرية .

– وماذا يكون في الدن غير موجود في النهر ؟ وماذا يكون في الدار غير موجود في المدينة ؟ [1] ! السمة الثانية أن يكون الإنسان صاحب هدف معلوم وكل الأهداف في النهاية تتوحد لكي تكون لهدف الأسمي وهو العشق (أنظر مقدمة الكتاب الثالث) .

– فالمر يصير حلوا « إذا صدر » عن ذوي الشفاة الحلوة ، والشوك يصير شارحا للقلوب في الرياض .

– ومن المعشوق يصير الحنظل رطبا ، وتصير الدار مرجا من رفيقة الدار .

– وما أكثر المنعمين الذين يحملون الشوك ، أملا في محبوب قمرى الوجه وردي الوجه .

– وما أكثري الحمالين الذي صاروا ممزقي الظهور ، من أجل محبوباتهم الفاتنات ذوات الوجوه كالأقمار .

---

(١) ٤/٨٠٠ – ٨١٠ .

– وذلك الحداد سود وجهه الجميل ، حتي يقبل القمر عندما يجن الليل .

– والسيد مسمر في حانوت حتي الليل ، ذلك أن « سروة » ممشوقة القوام قد مدت بجذورها في قلبه .

– وتاجر ما يمضي في البر والبحر ، لكي يسرع بحب نحو قعيدة منزل .

– إن لكل واحد منهم شهوة مع ميت ، أملا فيمن عنده ملامح حي .

– فكن مجتهدا علي أمل الحى الذي لايتحول بعد يومين إلي جماد .

– ولا تختر خسيسا مؤنسا ، فالأنس مع خسيس يكون شيئا مستعارا .

– فأين أنسك مع أبيك وأمك ، إذا كان هناك وفاء من مؤنسيك جميعا سوي الحق .

– وماذا جري لأنسك مع الحاضنة والمربى ، إذا كان لأحد غير الحق أن يكون لك عضدا .

– لم يبق أنسك مع اللبن ومع الثدي ، ولم يبق أيضا نفورك من أول مدرسة .

– كان ذلك شعاعا علي جدارهم ، وعادت تلك العلامة نحو الشمس الساطعة .

– وكلما يقع هذا الشعاع على شي ، تقوم أنت بعشقة أيها الشجاع .

– وعشقك لكل ما هو في الخليقة ، هو بالنسبة لصفة الحق كان طلاء ذهب .

– وعندما ذهب الطلاء الذهبي إلي حال سبيله وبقي النحاس مل الطبع منه وطلقه » [1]

ب) هذا فيما يتصل بالدرجة التي يمكن أن يتوصل إليها كل إنسان ، ومن بين البشر من يكونون أكثر استعدادا لتلقي هذه الملكات والمواهب ، وبشيوع النظرة التدريجية وتقسيم الطريقة إلى طبقات[2] وبتأثير نظرية

---

(١) ٣/٥٣٨ – ٥٥٥ .

(٢) ٤/٢١٠٥ وما بعده .

الإمامة الشيعية خاصة فيما يصل بأن الإمام هو نائب الله علي الأرض ، انعكس هذا الأمر في نظرية الصوفية حول النبوة والولاية ، وما القطب الغائب عند الصوفية إلا الترجمة الصوفية للإمام الغائب (وعند مولانا جلال الدين تلتقى كثيرا بهذا التصور ، والغريب أنه يجسده إما في صوفية لم يكن لهم وجود تاريخي (مثل الدقوقي في الكتاب الثالث) أو ما روي عنهم لا يسمح بوجود هذا التصور عند مولانا جلال الدين الرومى (مثل العارف سررزي الغزنوي في الكتاب الخامس) وهو أمر له دلالة عند مولانا جلال الدين الرومى الذي دق كثيرا علي أن « ما للأنبياء يكون للأولياء » وعن أن « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » ..

- إن القطب هو الأسد وعمله هو الصيد ، وبقية الخلق من أكلة بقاياه .
- فجاهد ما استطعت في رضا القطب ، حتى يقوى ويقوم بصيد الوحوش .
- ذلك أنه عندما يتعب يظل الخلق بلا زاد ، وذلك لأن رزق الخلق بأجمعه يكون من كف العقل .
- إنه كالعقل والخلق مثل أعضاء الجسد ، وتدبير البدن منوط بالعقل .
- وضعف القطب يكون من الجسد لا من الروح ، إن الضعف يكون في السفينة لا في نوح .
- والقطب هو ذلك الذى يدور حول نفسه ، بينما يكون دوران الأفلاك حوله هو [١] .

فتصور هذا الإنسان الكامل بمعناه الفلسفي أي الإنسان الواحد الجامع لعناصر الكمال شبيه بتصور الرواقيين للحكيم - فقلبه هو عرش الله وعقله قلم التقدير وروحه هي اللوح المحفوظ « أنه ليس رملا ولا تنجيما ولا اصطرلاب ، أنه

---

(١) ٥/٢٣٣٩-٢٣٤٥ .

وحي الحق والله أعلم بالصواب » فالأرواح كلها من أصل الروح التي نفخت في عيسي [1] والعلم اللدني البشر مخصوص بهولاء وهو بالطبع الذي رفع الإنسان من مرحلة التراب إلي السماء السابعة .. [2] وهو من ثم ينظر بنور الله [3] هذا الولي الحاضر دوما في مثنوى جلال الدين يمثل المثال والقدوة والمثل الأعلي وغاية ما يمكن للمرء أن يصل إليه من كمال ، هو شخصية معنوية – وأن أوحى في بعض الأوقات في مواضع متفرقة من المثنوي أنه أبو اليزيد البسطامي [4] إلا أن الغالب أن هناك نماذج لأولياء لا يحددون بالاسم يكادون يماثلون المفهوم الصوفي للعقل الكلي وربما صدم هذا التصور للدور الذي يلعبه الولي بعض غير المأنوسين بالرمز الصوفي . ذلك أن اعتبار الولاية صنوا للنبوة أمر فيه ما فيه من مبالغة فالرسول صلي الله عليه وسلم) ويطول بنا الحديث هنا أن تتبعنا صورة الرسول في المثنوي لكن انظر علي سبيل المثال لا الحصر : ٣/ ٤٤٨٠ وما بعدها – ٤/ ٩١٥ وما بعدها) هو النموذج الذي لا خلاف حوله عن الإنسان الكامل إلا أن انقطاع الرحى ظل يمثل مشكلة مؤرقة عند كافة النحل الفكرية الإسلامية .. وإذا كان الشيعة قد حلوا هذا المشكلة عن طريق نظرية الإمامة بعد أن حلها الصوفية عن طريق نظرية الولاية .. ومن ثم تنسب كل خصائص الأنبياء للأولياء – ما عدا الإتيان بالشريعة بالطبع – وإذا كان للأنبياء معجزات فللأولياء الكرامات – ومع ذلك فعلي طول المثنوي نادرا ما يذكر مولانا كرامات الأولياء لكنه لا يفتأ يذكر معجزات الأنبياء – لكن هذا لا ينفي أن فلسفة العرفان تدق كثيرا علي أن الأمور الجزئية تدل علي الكلية

---

(١) ١ / ١٥٩٨ – ١٥٩٩ .

(٢) ١ / ١٥١٢ .

(٣) ٤/ ٣٤٠٠ .

(٤) أنظر ٤/ ٢١٠٢ وما بعدها و ٥/ ٣٣٥٦ وما بعده .

« وحفنة القمح تدل علي ما هو موجود في الأهراء » ومولانا كالغزالي تماما يري « أن الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل تتفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان . وبالجملة فمن لم يرزق شيئا بالذوق فليس يدرك في حقيقة النبوة إلا الاسم » (١) ويصل الأمر إلي اعتبار الوحي أحيانا درجة من درجات العلم اللدني بل إلي اعتبار الوحي والإلهام شيئا واحدا .. ويتفق مولانا أيضا مع الغزالي في تفاوت عقول البشر منذ الميلاد (انظر حكاية الأستاذ المريض بالوهم في الكتاب الثالث) .. حتي تجربة النبوة تخضع عند جلال الدين كما كانت تخضع عن الغزالي لا علي مجرد النقل بل العقل أيضا .. الغزالي وقف هنا فحسب ولم يتقدم إلى ما تقدم إليه مولانا جلال الدين من اعتبار كل ما هو للأنبياء حق للأولياء - فأرواح الأولياء ليست كأرواح غيرهم من البشر (٢) وتجربة الولي ينبغي أن تقوم بلغة أخري :

- إن اللوح المحفوظ دليل له ، ومن أي شئ هو محفوظ ؟ أنه محفوظ من الخطأ) .
- إنه ليس تنجيما ولا رملا ولا رؤيا (نائم) ، إنه وحي الحق والله أعلم بالصواب .
- ومن أجل التعمية علي العوام عند البيان ، يسميه الصوفية وحي القلب .
- فاعتبره وحي القلب فهو موضع تجليه ، وكيف يكون خطأ ما دام القلب واعيا له ؟
- أيها المؤمن إن كنت تنظر بنور الله ، فقد أمنت هنا من الخطأ والسهو (٣) .

هذه الصراحة المتناهية عند مولانا في التعبير عن هذه الفكرة كانت قد

(١) المنقذ من الضلال ص ١٢ .
(٢) ٤/ ٤١٠ .
(٣) ٤ / ١٨٥١ - ١٨٥٥ .

أصبحت بعد أبن عربي وأبن الفارض مقبولة إلي حد كبير ومن ثم يفيض مولانا في تفصيل الفكرة ، ويوحي في بعض الأحيان أن أي إنسان قد يوحي إليه ، وقد يتحدث الروح القدس إليه وهو في هذا ليس أقل من النحل ولا من الغراب علي كل حال :

- وبقي شئ أخر لكنه قول لك منوط بالروح القدس ، يتحدث به إليك دون واسطة مني .
- لا إنك تتحدث به إلي نفسك ، تهمس به في أذني نفسك ، لا أنا ولا غيرى يتحدث به إليك يامن أنت مني .
- ومثل ذلك عندما تروح في النوم ، إنك تنتقل من جوار نفسك إلي جوار نفسك .
- تسمع من نفسك وتظن أن فلانا من الناس قد تحدث إليك في النوم وأفضي إليك بهذا السر .
- ولست واحدا قائما بذاتك أيها الرفيق ، بل إنك فلك وبحر عميق [1] .

ومن ثم فالذي يؤمن أيمانا عميقا بالإنسان وملكاته وأبعاده وبأنه بالفعل يحمل قبسا من النور الإلهي ، لايستطيع أن يؤمن بأن هذا الإنسان قد يترك هكذا ، بل لابد من لطف الهي ورحمة إلهية متمثلة في الأولياء تستطيع أن تهديه السبل ، وعلي كل فإن هذا الأمر لا يستبعد عن فلسفة العرفان ، وهو علي كل حال أكثر اعتدالا بكثير من شطحيات أبي اليزيد والحلاج ، إذ تظل فلسفة العرفان تدق دائما علي أن الولي ليس بنبي ، وأنه ليس مرسلا ، ولم يأت بشريعة ، وكل ما فيه مقتبس من النبوة ، وسعي في مدارج الكمال الإنساني يجعله أكثر معرفة من غيره وأكثر فهما من غيره .. بل ويقدم مولانا أحيانا تفسيرات غاية في

---

(١) ٣ / ١٢٩٩ - ١٣٠٢ .

البساطة والإقناع عن ذلك الذي يقوم به الولي ويبدو خرقا للعادة وهو بسيط تماما كمعجزات الأنبياء .

– وذلك الفقير ، وأن لم يكن يذكر حاجته ، كان يعطيه إياها وكان يعرف ما في ضميره .

– وما كان في قلب ذلك الكسير الظهر ، كان يعطيه مقداره دون زيادة أو نقصان .

– ثم قيل له : أي علم لك ياعماه بلك القدر الذي يفكر فيه ؟

– فكان يقول : إن منزل القلب خلوة ... وهو خال من الكدية ، وكأنه الجنة .

– وليس فيه من عمل إلا عشق الله ، وما فيه من ديار إلا خيال الوصال .

– لقد كنست منزل « القلب » مما فيه من خير وشر ، فأصبح منزل « قلبي » مليئا بعشق الأحد .

– وكل ما أراه فيه غير الله ، لايكون ملكا لي ، بل انعكاس لضمير السائل .

– فلو ظهر في الماء (صورة) عرجون أو نخلة ، فإنه لا يكون إلا انعكاس لنخلة (خارج الماء) !!

– وإن رأيت صورة في قاع النهر ، فإن تلك الصورة تكون انعكاسا لشئ (موجود) في الخارج أيها الفتي .

– لكن هذا يحدث عندما ينقي الماء من القذي ، فالتنقية شرط لهذا الأمر في نهر البدن (١) .

ومن ثم فإن الرحمة الإلهية لا تنقطع عن البشر .

– ومن ثم ففي كل دور ولي قائم .. والتجربة قائمة حتي القيامة .

– وإذن فالإمام الحي القائم هو ذلك الولي .

---

(١) ٥ /٢٧٩٩ – ٢٨٠٨ .

– سـواء كان مـن نسـل عمر أو مـن نسـل علـي [١] .

وربما كان الأمـر من الناحية الاجـتماعـية والسـياسـية باعثـا علـي تكوين تلك الحكومة الصوفية ذات الحـضـور المسـتمر في الضـمير الشـعبي والتي كان لها من الآثار المحسوسة فوق لها من آثار فكرية مما يطول الحديث عنه ،

إبراهيم الدسـوقي شتا

١٣ محرم ١٤١٣

١٣ يولية ١٩٩٢

---

(١) ٢ / ٨١٥١ و ٧ / ٨٢٠ .

النـــص

بسم الله الرحمن الرحيم

الظعن الرابع إلي أحسن المرابع وأجل المنافع ، تسر قلوب العارفين بمطالعته كسرور الرياض بصوب الغمام ، وأنس العيون بطيب المنام ، فيه ارتياح الأرواح وشفاء الأشباح ، وهو كما يشتهيه المخلصون ويهوونه ، ويطلبه السالكون ويتمنونه ، للعيون قرة ، وللنفوس مسرة ، أطيب الثمار لمن اجتني ، وأجل المرادات والمني ، موصل العليل إلي طبيبة ، وهادي المحب إلي حبيبه ، هو بحمد الله من أعظم المواهب وأنفس الرغائب ، مجدد عهده الألفة ، مسهل عسر أصحاب الكلفة ، يزيد النظر فيه أسفا لمن بعد ، وسرورا وشكرا لمن سعد ، تضمن صدره ما لم يتضمن صدور الغانيات من الحلل ، جزاء لأهل العلم والعمل ، كبدر طلع وجد رجع ، زايد من تأمل الآملين ، رايد لرود العاملين ، فهو يرفع الأمل بعد انخفاضه ، ويبسط الرجاء بعد انقباضه ، كشمس أشرقت ، من بين غمام تفرقت ، نور لأصحابنا ، وكنز لأعقابنا ، ونسأل الله التوفيق شكره ، فإن الشكر قيد للعتيد ، وصيد للمزيد ، ولايكون إلا ما يريد .

ومما شجاني أنني كنت نايما	أعلل من برد بطيب التنسم
إلي أن دعت ورقاء في غصن أيكة	تغرد مبكاها بحسن الترنم
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة	لسعدي ، شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا	بكاها فقلت الفضل للمتقدم

رحم الله المتقدمين والمتأخرين والمنجزين والمتنجزين بفضله وكرمه وجزيل آلائه ونعمه ، فهو خير مسئول وأكرم مأمول ، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وخير المؤنسين والوارثين وخير مخلف رازق للعابدين الزارعين الحارثين .. وصلي الله علي محمد ، وعلي جميع الأنبياء والمرسلين ، آمين يارب العالمين .

– ياضياء الحق حسام الدين ، أنك من فاق المثنوي القمر ضياء به ..

– إن همتك العالية أيها المرتجي ، تجذبة إلي حيث يعلم الله .

– وأنت تجذب المثنوي هذا معقود الجيد إلي قد حيث علمت .

– إن المثنوى مسرع منطلق وجاذبه غير طاهر . إنه غير ظاهر بالنسبة للجاهل المحروم من الرؤية .

٥ – ولما كنت أنت المبدأ للمثنوي ، فهما يزيد فإن زيادته منك أنت .

– وما دمت تريد الأمر هكذا فهكذا يريده الله ، إن الله تعالي يحقق رغائب المتقين .

– إن « من كان لله » تعبر عن وجود سابق ، وسرعان من تحل « كان الله له » جزاء عليها .

– إن المثنوي مدين لك بآلاف الشكر ، لقد رفع كفيه « ضارعا » بالشكر والدعاء .

– ولقد رأي الله سبحانه وتعالي شكره إياك في شفتيه وكفيه ، فقدم الفضل وأمر باللطف والمزيد .

١٠ – ذلك أنه – سبحانه – وعد الشاكر بالزيادة ، كما جعل – جل شأنه – القرب أجرا للسجود .

– وقال إلهنا « القدير » : واسجد واقترب ، صار السجود ، وهو من فعل أبداننا – قربا للأرواح .

– فإن كان ثم زيادة فهي من هذا القبيل ، لا من أجل التظاهر والجاه الدنيوي .

– ونحن معك كما يكون الكرم في الصيف ، والأمر في يدك ، هيا قم بالجذب ، حتي نجذب .

– واجذب هذه القافلة نحو الحج جذبا رفيقا ، يا أمير القول القائل : الصبر مفتاح الفرج .

١٥ – إن الحج هو زيارة للبيت ، أما الحج إلي رب البيت فهو من أفعال الرجال .

– ومن هنا فإن سميتك ضياءً ياحسام الدين ، فإنك الشمس وهاتان الصفتان ؛

– أي « كونك » حساما وضياء » صفة واحدة ، وإن حسام الشمس يكون من الضياء لا محالة .

– فالنور للقمر والضياء للشمس ، وأقرأ هذا المعنى في القرآن الكريم .

– لقد سمي القرآن أيها الأب الشمس ضياءً والقمر نورا .. فأمعن النظر في هذا « الأمر » .

٢٠ – ولما كانت الشمس أعلي في حد ذاتها من القمر ، فاعلم أذن أن الضياء أعلي مرتبة من النور .

– ومن ثم فإن أحداً لم يبصر السبيل في نور القمر ، لكن هذا السبيل ظهر عندما سطعت الشمس .

– فإن الشمس قد أبدت التبدلات في الأشياء [1] جيدا ، فلا جرم أن الأسواق تنصب نهارا .

– وذلك حتي يميز الخبيث من الطيب جيدا ، وحتي يكون المرء بعيدا عن الحيلة ، والغبن .

– ومنذ أن يكتمل ضياؤها في الأرض ، تكون للتجار رحمة للعالمين .

٢٥ – لكنها بالنسبة للمزيف مبغوضة قاسية ، ذلك لأن بضاعته ومتاعه يصيران كاسدين .

---

(١) حر : الأعواض ... وفي نسخة المولوي الأعراض ، والمقصود بالطبع كل ما يظهر في ضوء الشمس من أشياء وبضائع .

- وإذا كان الزيف (من العملة) هو عدو الصراف اللدود ، فمن يكون عدوا للدرويش سوي الكلب .

- وعندما يشتبك الأنبياء مع أعدائهم ، تصيح الملائكة : يارب سلم .

- ولتحفظ ذلك المصباح الذي يهب الضياء .. من محاولات اللصوص إطفاءه[1] ومن أنفاسهم .

- وكفي باللص والمزيف أن يكونا عدوين للضياء ...فالغوث من هذين أيها المستغاث

٣٠ - وقم برش النور علي هذا الدفتر الرابع ، فإن شمسا قد سطعت من الفلك الرابع .

- هيا وهب من هذا « المجلد » الرابع الضياء كالشمس ، حتي يسطع علي البلاد وعلي الديار .

- وهو أسطورة لكل من يقرأه كأسطورة ، لكنه بالنسبة لمن رآه نقدا لأحواله رجولة .

- إنه ماء النيل ، ظهر لآل فرعون[2] دما ، ولم يكن دما بالنسبة لقوم موسي ، بل كان ماءً (زلالا) .

- وعدو هذا الكلام يبدو الآن للنظر وقد نكس مقلوبا في سقر .

٣٥ - ولقد رأيت أحواله ياضياء الحق ... وأبدي لك الحق الجزء الذي ناله علي فعاله .

- إنها بصيرتك التي تنفذ إلي الغيب أستاذة كأنها الغيب ، ألا لا قلل الله من الدنيا هذه البصيرة والعطاء .

---

(١) حـر : نفخات .

(٢) في النص يذكر القبطي والمقصود التابع لفرعون والسبطي وهو التابع لموسي وقد أثرنا الترجمة بآل فرعون منعا لأي لبس أو سوء فهم .

– وخليق بنا هنا أن نكمل تلك الحكاية التي هي نقد لأحوالنا .

– ودعك ممن ليسوا بأهلها من أجل من هم أهل لها ، وأتمم الحكاية واستخلص نتيجتها .

– أنك تلك الحكاية ...وإن لم تتم هناك [1] ، انظمها إذن في الكتاب الرابع .

بقية حكاية ذلك العاشق الذى هرب من العسس فى حديقة مجهولة ، فوجد المحبوب نفسه فى الحديقة فأخذ من فرحته يدعو للعسس بالخير ويقول عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .

٤٠ – كنا نقول أن ذلك الشخص أسرع [2] نحو الحديقة خوفا من العسس .

– كان تلك الجميلة في الحديقة ، تلك الجميلة التي كان من تعلقه بها في عناء طيلة ثمان سنوات .

– ولم يكن خلالها يمكنه رؤية ظلها . كان يستمع إلي وصفها وكأنها العنقاء .

– لم يكن ثم لقاء إلا اللقاء الأول الذي قضي به عليه ، ومن بعده سلبت منه القلب .

– ومهما كان يسعى بعد ذلك ، لم تكن تلك العنود تمنحه فرصته « اللقاء » .

٤٥ – لم تكن له حيلة لا بالضراعة ولا بالمال ، وكانت تلك الهيفاء [3] شبعة العين لا طمع عندها .

---

(١) المقصود الكتاب الثالث .

(٢) حرفيا : ساق الفرس .

(٣) حر : الغصن .

– إن العاشق لكل عمل ولكل مجال ، يذيقه الله بعض متعته في بدايته .

– وعندما يبدأون في السعي مدفوعين بهذه (المتعة) ، يضع أمام أقدامهم عقبة كل يوم .

– وعندما ألقي بهم في « معمعة » البحث عن الأمر ، أغلق الباب بعدها قائلا : هاتوا المهر .

– وعلي ذلك الأمل [(١)] يمضون ويذهبون ، يتنازعهم اليأس والرجاء في كل لحظة

٥٠ – إن لكل إنسان أملا في كسب ما ، ورجاء في أمر يفتح له باب الرزق .

– ثم يغلق الباب ، وذلك العابد للباب ، مقيم علي نفس ذلك الأمل كمن لسعت النار قدمه .

– وعندما دخل ذلك الشاب البستان سعيداً ، عثر قدمه فجأة في كنزه .

– لقد جعل الله العسس سببا ، حتي يسرع خوفاً منهم إلي البستان ليلا .

– فرأي محبوبته تلك وهي تمسك بمصباح ، وتبحث عن خاتم لها في جدول البستان .

٥٥ – ومن فرط سعادته أخذ يقرن تلك اللحظة الدعاء للشرطة بالثناء علي الحق .

– ياإلهي : لقد جلبت الخسارة علي الشرطي بهربي ... فصب عليه الذهب والفضة عشرين ضعفا .

– وخلصه يا إلهي من صنعة الشرطة التي يقوم بها ، وأسعده بقدر ما أنا سعيد .

---

(١) حر : الرائحة .

- أسعده في الدنيا والآخرة . وخلصه يا إلهي من صنعة العسس ومن صفاته الكلبية .

- وبالرغم من العسس بطبعهم يا إلهي يطلبون البلاء للخلق على الدوام .

٦٠ - ولو علموا أن الملك قد فرض على المسلمين غرما ، ينتفخون من السعادة .

- ولو علموا أن الملك أشفق على المسلمين وأسقطه جوداً منه .

- فإن مأتما يصيب روحهم من جراء ذلك .. إن العسس يتصفون بمئات من أمثال هذا الشؤم .

- وهكذا أخذ يدعو للعسس .. فإن العسس هو الذين أوصلوه إلى مثل هذه المتعة .

- كان سما بالنسبة للناس جميعا وترياقا بالنسبة له .. كان ذلك الشرطي صلة لذلك المشتاق .

٦٥ - ومن هنا ، فليس هناك شر مطلق في هذه الدنيا ، إعلم إذن أن الشر نسبي .

- ولا يكون أبداً سم وسكر في وقت واحد لايكونان قوة لأحد وقيداً لآخر .

- فما يكون قوة لأحد يكون قيداً لآخر ، يكون سما بالنسبة لأحد ولآخر كأنه السكر .

- وسم الحية يكون حياة لتلك الحية ، لكنه بالنسبة للإنسان موت .

- والبحر بالنسبة لأحياء البحر كالحديقة ، لكنه لمخلوقات الأرض موت ومصيبة .

٧٠ - وهكذا دواليك يارجل العمل عد نسبة الأمر الواحد من شخص واحد إلى ألف .

– فـــزيد الذي يكون في رأي ذلك الشـخـص شـيطانا ، يكون في رأي شخص أخر سلطانا .

– يقـول ذاك : زيـد صـديق سـني ، ويقـول هـذا : بـل مـجـوسـي جـدير بالقتل .

– وزيـد ذات واحدة لكنه كالجنان بالنسبـة لإنسان ، وبالنسبة لآخر أذي مستمر وخسارة .

– فإذا أردت أن يكون بالنسبة لك كالسكر فانظر إليه بعين عشاقة .

٧٥ – ولا تنظر إلي ذلك الجميل بعينيك ، بل انظر إلى المطلوب بعين الطالبين .

– وأغمض عينيك بالنسبة لهذا الجميل ، واستعر عينا من عشاقه .

– بل استعر منه عينا ونظرا ، وانظر بعينيه هو إلي وجهه .

– حتـــى تصـــير آمنـــا مـــن الشـبـــع « منـــه » والمـــلال ، ومن هنا قال ذو الجلال « كان الله له » .

– أي أكون له عينا ويدا وقلبا ، حتى ينجو إقباله من « أنواع » الإدبار .

٨٠ – وكل مكروه حبيب وخليل مادام قد صار دليلا لك إلي محبوبك .

حـكاية لـك الواعـظ الذى كان يقوم فى بداية كل موعظة بالدعاء للظلمة وقساة القلوب والملحدين .

– كان هناك أحد الوعاظ كلما كان يصعد المنبر .. كان يقوم بالدعاء لقطاع الطرق .

– وكان يرفع يديه قائلا : اللهم ارحم الأشرار والمفسدين والطغاة .

– وكل الساخرين من أهل الخير ، وكل الكفار وسكان الدير .

– لم يكن يدعو للأصفياء ، كان كل دعائه للخبثاء .

٨٥ – فقيل له : إن هذا ليس بالأمر المعهود ، والدعاء ، لأهل الضلال ليس منك بالجود

– فقال : لقد رأيت منهم الخير ، ولهذا السبب أدعو لهم .

– لقد ارتكبوا كثيراً من الخبائث والمظالم والجور ، بحيث ألجأوني من الشر إلي الخير

– وكلما كنت أنصرف إلي الدنيا . كنت أتلقي منهم الضربات والطعنات .

– فكنت اتنحي عن الطعنات إلي ذلك الجانب ، كان الذئاب هو الذين يعيدوننى إلي الجادة .

٩٠ – ولما كانوا صناع السبب في صلاحي .. فالدعاء لهم واجب علي أيها الأريب .

– إن العبد يجأر بالشكوي إلي الحق من الألم ومن الوخز ، ويقدم مائة شكوي من الألم الذي يعانيه .

– فيقول الحق : إن التعب والألم في النهاية ، قد جعلاك متضرعا وقاما بتقويمك .

– فاشك من تلك النعمة التي تردك عن بابنا وتجعلك بعيداً ومطروداً .

– وفي الحقيقة فإن كل عدو هو دواء لك هو كيمياء ، بالنسبة لك ، نافع لك مواس لك .

٩٥ – فإنك تنطلق هاربا منه نحو الخلوة .. وتطلب العون من اللطف الإلهي .

– والحقيقة أيضا أن أصدقاءك أعداء لك ، إنهم يبعدونك عن الحضرة ويشغلونك عنها .

– وهناك حيوان اسمه العزيراء ، إنه يزداد سمنة وضخامه عندما يضرب بالعصي .

– أنه يتحسن مادمت تضربه بالعصي ، أنه يزداد سمنة بضربات العصي .

– ويقينا إن نفس المؤمن كالعزيرا ء ، إنها قوية سمينة بطعنات الألم .

١٠٠ – ولهذا السبب ، فمن بين كل خلق الدنيا ، يكون التعب والبلاء أكثر انصبابا علي الأنبياء .

– بحيث صارت أوراحهم أقوي من كل الأرواح ، فلم يبتل مثل هذا البلاء قوم أخرون .

– والجلد يتمدد من عقار البلاء ، ويصير لينا كأنه الأديم الطائفي .

– وإن لم يكن قد عولج بالمر والملح ، لتعفن ولصار سيئا نجسا .

– فاعلم أن للإنسان جلدا غير مدبوغ ، صار من الرطوبات قبيحا ثقيلا .

١٠٥ – فعالجة بشدة بالمر والملح ، حتي يصير طاهرا لطيفا ذا بهاء .

– وإن لم تستطع ، فارض أيها العيار ، ولو ابتلاك الله بلا اختيار .

– فإن البلاء من الحبيب تطهير لكم ، وعلمه أعلي من تدبيركم .

– فعندما ينظر إلي الصفاء يكون البلاء حلوا ، ويطيب الدواء عندما يكون المرء ناظرا إلي الصحة .

– إنه يري نفسه منتصرا في عين الهزيمة ، فيقول إذن أقتلونى ياثقات .

١١٠ – لقد كان هذا الشرطي نفعا بالنسبة لغيره ، لكنه بالنسبة لنفسه صار مردودا .

– لقد قطعت عنه رحمة الإيمان ، والتف حوله الحقد الشيطاني .

– فصار منبعا(١) للغضب والحقد ، وأعلم أن الحقد هو أصل الضلال والكفر .

---

(١) حرفيا : مصنع .

ســــــؤال أحدهم عيسى عليه السلام :

ما هو أشد شئ من بين شدائد الحياة ؟

- قال أحد الأذكياء لعيسي عليه السلام : ما هو أشد شئ في الوجود ؟
- أجاب : أيها العزيز ، أن غضب الله هو أشد ما في الوجود ، إن الجحيم مثلنا تماما يرتعد منه .

١١٥ - قال : فماذا يكون الأمان من غضب الله ؟ قال : ترك غضب النفس في التو واللحظة .

- ومن ثم فإن الشرطي الذي صار منبعاً[1] لهذا الغضب ، جاوز غضبة القبيح هذا السباع .
- فأي أمل له في الرحمة إلا أن يرجع ذلك الذي لافضل له عن هذه الصفة .
- فبالرغم من أنه لابد للعالم من وجودهم ، فإن هذه الفكرة نفسها لجديرة بالإلقاء بهم في الضلال .
- فلابد للعالم أيضاً من وجود المراحيض ، لكن تلك المراحيض لاتكون ماء معينا .

هم العاشق بالخيانة وزجر المعشوق له

١٢٠ - عندما رآها ذلك الرجل الساذج وحيدة ، سرعان ما هم بتقبيلها ومعانقتها .

- فزجرته تلك الحسناء زجرا شديدا قائلة : لاتتقدم أيها الوقح واحفظ الأدب .
- قال : نحن في خلوة أخرا ولا وجود لأحد ، والماء موجود ، وأنت ظامئة مثلي .

---

(١) حرفيا : منجم .

- إن أحـــد لايتـحـرك هنا ، ولاحـركـة إلا للـريـح ، من الذي يوجـد ومن الذي يمنع هـذا الانبسـاط ؟

- قالت : لقد كنت أبله ، أنت أبله ولـم تسمع من العقلاء .

١٢٥ - إنـك إن رأيت الريح تتـحـرك ، فأعلـم أن هنا أيضا مـحـركا لـلـريح وسائقـا للـريح .

- إن مروحة التـصـريف وهي من صنع الله ، ساقهـا علي هذه الريح فهي تحركها .

- فإن جزء الرياح الذي هـو في حكمنا .. لا يتحرك مالـم تحركه المروحة .

- وإن حـركة هذه الرياح الجـزئيـة أيها الـسـاذج .. لاتحـدث بدونك وبدون المروحة .

- وحركة ريح النفس الذي في الشـفة ، تابع تصـريـف الروح والبدن .

١٣٠ - حينا تجعل النفس مدحاً ودعوة ، وحينا تجعل النفس هـجاءً وشتما.

- إذن فـاعلم أحـول الـرياح الأخـري ، فـإن أولي النهى يرون الـكل عندمـا يرون الجزء .

- فـالحق يجـعـل الريح حين ربيـعـا ، وهـو يعـريهـا من هذا الـلطف فى الشـتاء[1] .

- ويجعل الريـاح صرصـرا علي قـوم عاد ، ثم يـجـعلها معطـرة على قوم هـود .

- ويجـعل من ريح السـمـوم سـمـا زعافـا ، كـمـا يجـعل من رياح الصـبـا مباركة طيبة .

١٣٥ - ولقد جعل رياح النفس أساسا لك ، حتي تقيس عليها كل ريح .

---

(١) حرفياً : شـهر ديماه وهو يوافق ديسمبر ويناير .

- لا يتحول النفس إلى كلام دون لطف أو قهر ، فهو علي قوم شهد ، وعلى آخرين سم .

- وهو محرك المروحة من أجل الإنعام علي أحد ، لكنها تكون من أجل قهر كل بعوضة وذبابة .

- ولماذا لاتمتلئ مروحة التقدير الإلي من الإمتحان والإبتلاء .

- ما دامت الرياح الجزئية الموجودة في النفس ، لا تكون إلا في نفع أو ضر .

١٤٠ - وهذه الشمال وهذه الصبا وهذه الدبور ، كيف تكون بعيدة عن اللطف والانعام ؟

- فانظر من الأهراء إلي كف من القمح ، وأفهم أن كل القمح يكون علي نفس النسق .

- فكل الريح من برج الهواء السماوى ، فكيف تنطلق دون مروحة ذلك الذي يزجى السحاب ؟!

- وعلي رأس البيدر عند التذرية ، ألا يطلب الفلاحون من الحق أن يزجي الرياح ؟

- وذلك من أجل أن يقوموا بفصل القمح عن التبن ، حتى ينقلوه إلي المخازن والأهراء .

١٤٥ - وعنما تتأخر هذه الرياح في هبوبها ، تراهم جميعا يضرعون إلي الله .

- وهكذا في الطلق وهو ريح الولاده ، إن لم تهب ، يرتفع صوت الأم بالإستغاثة .

- فإذا كانوا لا يعلمون أنه هو الذي يزجي الرياح ، فما تلك الضراعة منهم .

- وأولئك الذين يركبون السفين يطلبون الريح ، كلهم يطلبونها من رب العباد .

- وأيضا بالنسبة لآلام الأسنان الحادة ، تقوم بدفعه بالحرقة والاعتقاد .

١٥٠ - وأولئك الجنود أيضا متضرعون إلي الله ، قائلين : سق ريح الظفر يا ولي التوفيق !

- كما أنهم يطلبون رقعة بالتعويذ عند آلام الطلق عند المرأة من كل عزيز .

- ومن ثم فكل الناس عرفوا يقينا .. أن رب العالمين هو الذي يرسل الرياح .

- وتعلم عقل كل عالم علي سبيل اليقين .. إن كل متحرك لابد من محرك يكون معه.

- فإذا كنت لا تراه ظاهرا ، فافهم وجوده بظهور آثاره .

١٥٥ - إن الجسد يتحرك بالروح وأنت لا تري الروح ، لكن إعرف الروح من حركة الجسد .

- قال « العاشق » : إذا كنت أبله فيما يختص بالأدب ، فأنني ماهر وذكي في الوفاء والطلب .

- قالت : إن الأدب إذن هو ما شوهد منك ، أما الآخر فأنت تعلمه أيها المجادل [1] .

قصة ذلك الصوفى الذى ضبط زوجته مع غريب

- جاء أحد الصوفية إلي منزله نهاراً ، كان المنزل إذا باب واحد والزوجة مع إسكاف .

- لقد التحمت مع عاشقها تلك المرأة من وسواس الجسد ، وكان ذلك في تلك الحجرة .

---

(١) يوجد بيتان بعد في نسخة يوسف بن أحمد المولوي : هكذا كان أدبك وما خفي كان أفظع مما رأيناه علي وجه اليقين ، وكل ما ينضح من هذا الإناء فيما بعد ، سوف يكون علي هذا النمط بأجمعه « ٣٨/٤ » كما يوجدان عند جعفري « ٣٣٠/٩» .

١٦٠ – وعندما دق الصوفي الباب عند الضحـي باصرار ، بقي كلاهما بلا حيلة ، ولا طريق « للفرار » .

– فلم يكن من المعهود أن يعود في ذلك الوقت « من النهار » من الدكان إلي الدار .

– فلا شك أنه عاد قاصداً ذلك اليوم ، ولعل شكا روعه ، فعاد إلى الدار .

– كان اعتماد المرأة علي أنه لم يعد من عمله إلي الدار في ذلك الوقت قط من قبل .

– ولم يصدق قياسها هذا من القضاء ، فبالرغم من أنه ستار إلا أنه يعطي الجزاء .

١٦٥ – فما دمت قد أسأت فخف ولا تكن آمنا .. ذلك أن « اساءتك » بذرة ينميها الإله .

– إنه يستر عدة مرات .. عل الندم يعتريك من هذا الذنب أو (يحل بك) الحياء .

– وفى عهد عمر رضى الله عنه ، سلم أمير المؤمنين لصا إلى الشرطة والجلاد .

– فصاح ذلك اللص : يا أمير الديار ، الأمان !! إن هذا أول جرم ارتكبه .

– فقال عمر « رضى الله عنه » : حاشا لله أن يقسو عليك فى الجزاء وأنت فى « فعلتك الأولى » .

١٧٠ – إنه يستر مرات من أجل إظهار الفضل ، ثم يأخذ من أجل إظهار العدل .

– وذلك حتى تظهر هاتان الصفتان ، تكون تلك بشيرة وهذه نذيرة .

– إن تلك المرأة كانت قد أتت الفاحشة مرات ، ومرت عليها هونا فكانت تبدو لها سهلة .

– لم تكن تعلم واهية العقل والقدم ، إنه ليس فى كل مرة تسلم الجرة [1] .

– وعندما يريد أن يصيب المنافق بموت الفجاءة ، يقوم بتضييق القضاء عليه .

١٧٥ – فلا رفيق ولا طريق ولا أمان ، لقد مد ذلك الملاك يده نحو الروح .

– وهكذا ، فإن تلك المرأة وخدنها قد تيبسا من البلاء ، وهما فى حجرة الجفاء تلك .

– فقال الصوفى لنفسه : سوف أنتقم منكما أيها الكافران ، لكن بصبر.

– لكن على أن أتظاهر بأنى لم الحظ شيئا هذه اللحظة ، حتى لا تصل الفضيحة إلى أسماع كل إنسان [2] .

– إنه ينتقم منكما خفية وبحق ، قليلا قليلا كما يكون مرض السل .

١٨٠ – فالمصاب بالسل ينقص فى كل لحظة كأنه الثلج ، وهو يظن فى كل لحظة أنه أفضل من اللحظة السابقة .

– إنه يكون كما الضبع يمسك به « الصيادون » ، وهو مخدوع بصياحهم : أين هذا الضبع ؟!

– لم يكن هناك مخبأ لتلك المرأة ، لم يكن هناك دهليز أو سندرة أو طريق إلى السطح .

– لم يكن هناك فرن تختبئ فيه ، لم يكن هناك جوال يصلح أن يكون حجابا لها .

– كان « المكان » كأنه ساحة القيامة ، لا حفرة ولا تل ولا مهرب .

١٨٥ – لقد قال الله تعالى فى وصف هذا المكان الحرج من أجل الحشر : لا ترى فيه عوجا ولا « أمتا » .

---

(١) حر : ليس فى كل مرة تعود الجرة سالمة من الجدول .

(٢) حر : حتى لا تسمع كل أذن هذا الجرس .

أخفاء المعشوق تحت الحجاب ، وتعلل المرأة

بالحجج مصداقا لقوله تعالى : إن كيدهن عظيم .

– لقد ألقت عليه حجابها السابغ سريعا، وجعلت من الرجل امرأة وفتحت الباب .

– كان الرجل تحت الحجاب ظاهرا مفتضحا للعيان كأنه جمل على سلم (١) .

– قالت إنها سيدة من أكابر المدينة لها نصيب من المال والجاه .

– ولقد أغلقت الباب حتى لا يدخل غريب الدار فى غفلة منا أو منه .

١٩٠ – قال الصوفى : أية خدمة لها هنا حتى أؤديها لها دون أنتظار لشكر أو منة !!

– قالت : إنها تطلب « القرب » والمصاهرة ، وهى سيدة طيبة والله أعلم بها .

– أرادت أن ترى ابنتا بحيث لا تراها هى ، واتفق أن البنت موجودة فى « الكتاب » .

– ثم قالت لى : حتى وإن كانت دقيقا أو نخالة ، سوف أجعل منها عروسا بالروح والقلب .

– وإن لها ابنا ليس موجوداً فى المدينة ، طيب وماهر وجلدٌ وحسن الكسب .

١٩٥ – قال الصوفى : نحن فقراء ومساكين وفى قلة « من الأهل » ، وأهل السيدة أغنياء محترمون .

---

(١) فى نسخة نيكلسون : جمل على سلم ، وفى نسخة المولوى : جمل على قناة والأول أصح لأنه مثل فارسى . كما يوجد بعده بيت عند المولوى وجعفرى وعند استعلامى : قال الصوفى عجبا ما هذا أننى لم أر هذه قط فمن تكون ؟!

مولوى : ٣٢/٤ . جعفرى ٣٥٠/٩ . استعلامى ١٧/٤ .

– فمتى تكون هذه كفؤا لهم فى الزواج ؟ ! أيكون مصراع باب من خشب وآخر من عاج ؟ !!

– ينبغى أن يوجد التكافؤ بين الزوجين فى النكاح ، وإلا ضاق بهما الحال ولما بقى ارتياح !!

قول المرأة أنها لا تفكر فى الجهاز بل مرادها الستر والصلاح وجواب الصوفى على هذا الأمر كناية

– قالت : لقد أخبرتها بهذا العذر ، قالت : لست من هؤلاء اللاتى يبحثن عن الجهاز .

– نحن ملولون من الذهب والمال متخمون بهما ، ونحن لسنا كالعوام حريصين على الجمع والكنز .

٢٠٠ – إن هدفنا هو الستر والطهر والصلاح ، فبهذه الأمور يكون الصلاح فى الدارين .

– فكرر الصوفى اعتذارة بالفقر ، كرر هذه الأمر وزاد فيه حتى لا يبقى شئ خفيا .

– قالت المرأة : لقد كررت القول فى هذا المجال ، وقررت ألا يكون هناك جهاز .

– لكن رغبتها أكثر رسوخا من الجبل .. بحيث أنها لا تهتم لو كنا أشد فقرا من هذا بكثير (١) .

– إنها تقول : إن العفة هى مرادى ، والمقصود فيكم هو الصدق والهمة .

---

(١) حرفيا : بمائة ضعف .

٢٠٥ – قال الصوفى : لقد رأت هى نفسها « جهازنا » ومالنا .. وترى منا ما « بطن وما ظهر » .

– والمنزل ضيق يسع فرداً واحداً .. ولا تخفى فيه ابرة .

– أما عن الستر والطهر والزهد والصلاح . فهى أكثر معرفة بها منا بشكل واضح .

– إنها تعرف أحوال الستر أفضل منا ، وما يتصل بالستر من وراء وقدام ومن أسفل ومن أعلى .

– إنها فى الظاهر بلا جهاز ولا خادم .. وهى عالمة بصلاحها وسترها .

٢١٠ – وليس بالمتبع تفصيل القول فى هذا الستر من الأب ، لأنه واضح لها وضوح النهار .

– لقد قصصت لك هذه الحكاية ، حتى تقلل من ادعائك عندما إتضح الخطأ الذى بدر منك (١) .

– وهو لك أيضا يا من أنت تتزيد فى الدعوى ، هكذا كان إجتهادك وإعتقادك .

– كنت خائنا كزوجة الصوفى ، ونصبت شباك مكرك من أجل الاحتيال علىّ .

– بحيث أصبحت تخجل من كل ثرثار لم يغسل وجهه « ولا تستحى » من إلهك .

الغرض من تسمية الله سبحانه وتعالي بالسميع والبصير

٢١٥ – من أجل هذا قال الحق عن نفسه أنه بصير ، لأن رؤيته إياك نذير لك فى كل لحظة .

(١) من هذا البيت يبدأ حوار المحبوبة مع عاشقها .

- ومن أجل هذا قال الحق عن نفسه أنه سميع ، حتى تغلق شفتيك عن القول الشنيع .

- ومن أجل هذا قال الحق عن نفسه أنه عليم ، حتى لا تفكر فى الفساد خوفاً منه .

- وليست هذه بأسماء أعلام على الله ، فإن الأسود يتسمى بكافور .

- إن الاسم مشتق والأوصاف قديمة وليست سقيمة على مثال العلة الأولى .

٢٢٠ - وإلا فمن قبيل السخرية والضحك والدهاء ، أن يسمى الأصم بسامع والضرير بضياء .

- أو أن يكون « حيى » علماً على وقح ، أو أن يسمى أسود قبيح بـ « صبيح » .

- أو أن يلقب طفيل وليد بالحاج ، أو أن تلقبه « بالغازى » من أجل أن يكون لك كنية « جيدة » .

- فإذا كانت هذه الألقاب تقال على سبيل المديح ، فما لم يتصف بها حاملها ويكون الأمر صحيحا ؛

- تكون من قبيل السخرية أو الجنون ، وتعالى الحق عما يقوله الظالمون .

٢٢٥ - لقد كنت أعرفك من قبل الوصال ، أنك حسن الوجة لكنك سئ الخصال .

- وكنت أعرفك قبل اللقاء إنك مجادل ومقيم على الشقاء .

- وعندما تحمر عينى عندما يصيبها داء أعرف ذلك من الألم دون أن أراها .

- وعندما رايتنى مثل حمل بلا راع ، ظننت أنه ليس هناك من يحرسنى أو يحافظ علىّ .

- لقد أن العشاق ألما من ذلك ، إنهم ألقوا أنظارهم إلى حيث لا يجب .

٢٣٠ – لقد اعتبروا ذلك الظبى بلا راع ، واعتبروا ذلك السبى لهم بالمجان .

– وعندئذ أصابه سهم حاد فى الكبد ، قائلا لهم : أننى أنا الحارس فقلل النظر جزافاً .

– فمتى أكون أقل من حمل أو أقل من شاة بحيث لا يكون هناك حارس خلفى ؟!

– إنى لى حارسا جديرا بملكه ، ويعلم حتى الريح التى تهب علىّ .

– وإن ذلك العليم ليس غافلا عن هذه الريح باردة كانت أو حارة وليس غائبا عنها أيها السقيم .

٢٣٥ – والنفس الشهوانية صماء عن الحق عمياء عنه ، وكنت أرى بالقلب عماك عن بعد .

– ومن هنا لم أسالك طيلة ثمان سنوات عن أى شئ ، فقد وجدتك مليئا بالجهل والأعوجاج .

– وأى سؤال لى ممن هو فى المستوقد عن حالة ما دام منكسا فيه ؟ !

مثال الدنيا كالمستوقد والتقوي مثل الحمام

– إن شهوة الدنيا على مثال المستوقد ، يكون حمام التقوى مشتعلاً منه .

– لكن نصيب المتقى من ذلك المستوقد هو الصفاء ، فهو موجود فى الحمام وفى النقاء .

٢٤٠ – والأغنياء مثل حملة البعر والقمامة ، من أجل إشعال النار عند الحمامى .

– لقد وضع الله الحرص فى نفوسهم ، حتى يبقى الحمام رائجا معمورا .

– فاترك هذا المستوقد وأسرع نحو الحمام ، واعتبر أن ترك المستوقد هو « الذهاب » إلى عين الحمام .

- وكل من هو فى المستوقد يكون كالخادم لكل من هو صابر وحازم .

- وكل من صارت سيماه فى الحمام ، فإنما يبدو ذلك على وجهه الجميل .

٢٤٥ - ومن هم فى المستوقد أيضاً سيماهم واضحة ، من ملابسهم ومن الدخان ومن الغبار .

- وإذا كنت لا تراه فاذهب وشمه ، فالرائحة بمثابة العصا بالنسبة لكل ضرير .

- وإذا كنت لا تشم فجره فى الكلام ، وأعلم السر القديم من الحديث الجديد .

- فيقول الوقاد صاحب الذهب : لقد حملت عشرين سلة من القمامة حتى الليل .

- وحرصك كأنه النار فى الدنيا ، كل شعلة منها قد فتحت مائة فم .

٢٥٠ - وهذا الذهب أمام العقل سئ وقذر كالبعر ، بالرغم من أنه كالبعر وقود النار .

- والشمس التى تحاكى النيران ، تجعل البعر الطرى صالحا للنار .

- كما أن الشمس قد جعلت هذا الحجر ذهباً ، حتى تستعر النيران فى مستوقد الحرص .

- وذلك الذى يقول : لقد جمعت مالا كثيراً فإن الذى يعنيه هو : إننى حملت قمامة كثيــرة .

- وهذا الكلام بالرغم من أنه يزيد الفضيحة ، إلا أنه مجال الفخر بين الوقادين .

٢٥٥ - فهذا يقول : لقد حملت ست سلال حتى الليل ، وذاك يقول : وأنا حملت عشرين سلة دون أدنى تعب .

- ومن ولد فى المستوقد ولم ير النظافة ، فإن رائحة المسك تسبب له ألما شديدا .

قصة ذلك الدباغ الذي أغمي عليه و مرض فى سوق العطارين من رائحة العطر والمسك

- فقد أحدهم الوعى وانهار على الأرض ، عندما وصل إلى سوق العطارين .

- لقد أدارت رائحة العطر عند العطارين الكبار رأسة وسقط فى موضعه .

- وسقط كالميتة غافلا بلا حس ، فى رابعة النهار على قارعة الطريق .

٢٦٠ - فتجمع الناس حوله فى التو واللحظة ، محوقلين معالجين .

- أخذ أحدهم يدلك له صدره ، وأخذ آخر يرش عليه ماء الورد .

- وهو لا يدرى ما حدث من واقعة إنما حدث من وجود ماء الورد فى هذا السوق .

- أخذ أحدهم يدلك يده ويمسح على رأسه ، وثالث أخذ يحضر الطين الطرى المخلوط بالتبن .

- وكان أحدهم يخلط بخور العود بالسكر ، بينما يقوم آخر بتخفيف ملابسه عنه .

٢٦٥ - ورابع يجس نبضه وكيف يدق ، وخامس يشم فمه .

- ليرى هل شرب خمراً أو أكل حشيشاً ، لقد عجز الخلق عن « معرفة السبب » فى فقدانه الوعى .

- وسرعان ما طيروا الخبر إلى أهلة قائلين : إن فلانا قد سقط عن ذلك الموضع مهدما تماما .

- ولا يعلم أحد ا به ، هل أصابه صرع ؟ ! أو ماذا حدث له حتى افتضح أمره هكذا ؟ ! (١) .

- وكان لذلك الدباغ العظيم أخ ذكى وماهر ، حضر على الفور .

٢٧٠ - كان فى كمه قليل من بعر الكلاب ، فشق صفوف الخلق وجاء فى حنين .

- وقال : أننى أعلم سبب تعبه .. وعندما يعرف السبب يكون العلاج واضحا .

- وعندما يصبح السبب معلوماً لا يبقى إشكال فى دواء الوجع ولو كان فيه مائة محمل .

- ومادمت قد علمت السبب فقد صار سهلا معرفة الأسباب التى صارت دافعة للجهل .

- وقال لنفسة : إن وجوده أى عروقه ومخه ، طية بعد طية « وقرت فيها » رائحة هذا البعر ، وبعر الكلب .

٢٧٥ - إنه بين القاذورات حتى وسطه إلى الليل ، غريف فى الدباغة طلبا للرزق .

- ومن هنا قال جالينوس العظيم ، أعط المريض ما تعود عليه .

- فمن خلاف العادة يأتية التعب ، فابحث عن دواء ألمه بما اعتاد عليه .

- لقد صار كالجعل من حمله للبعر ، ومن ماء الورد يصاب الجعل بالإغماء .

- ومن بعر الكلب يكون دواؤه ، فهو معتاد عليه مطبوع به .

٢٨٠ - فاقرأ الخبيثات للخبيثين ، وأعلم ثانية ما ظهر من هذا الكلام وما بطن .

---

(١) حرفيا : سقط طسته من فوق السطح .

– إن الناصحين يعالجونه بالعنبر وماء الورد من أجل حل هذا الإشكال .

– والطيبات لا تتفق مع الخبيثين ، فهم ليسوا لائقين لها أو جديرين بها أيها الثقات .

– ولما كانوا منحرفين عن عطر الوحى ضالين عنه ، كانت صرختهم : إنا تطيرنا بكم .

– إن هذا المقال تعب ومرض بالنسبة لنا ، وليس وعظكم بطيب الفأل بالنسبة لنا .

٢٨٥ – ولو أنكم بدأتم بالنصح علانية ، لرجمناكم فى التو واللحظة .

– لقد سمنت أجسادنا على اللغو واللهو ، ولم نطبع أنفسنا على النصح والعظات .

– إن قوتنا هو الباطل والهذر واللهو ، ومن هذا البلاغ تصاب معداتنا بالهياج .

– إنكم تجعلون الألم مائة ضعف أو ما يزيد ، وتعالجون العقل « بإعطائه » الأفيون .

معالجة أخ الدباغ للدباغ بالبعر خفية

– وأخذ ذلك الشاب يبعد الخلق عنه ، حتى لا يرى أولئك الأشخاص دواءه .

٢٩٠ – وقرب رأسه فى أذنه كأنه يفضى له بسر ، ثم وضع ذلك الشئ بين أنخريه .

– فقد كان فى كفه مسحوق بعر الكلب ، كان قد رأى أنه علاج مخة الدنس .

– ومرت برهة وبدأ الميت فى الحركة ، فقال الخلق : لقد كانت هذه تعويذة مدهشة .

- لقد قرأ هذا « الشاب » تعويذة ونفخ بها فى أذنه ، وكان ميتا ، وأنقذته هذه التعويذة .

- إن حركة أهل الفساد تكون فى تلك الناحية التى يكون فيها الزنا والغمز بالعيون وتحريك الحواجب .

٢٩٥ - وكل من لا يجدى فيه مسك النصيحة ، لا جرم أنه جدير بالإعتياد على الرائحة الكريهة .

- ومن هنا فقد سمى الحق المشركين « نجسا » ، وذلك أنهم ولدوا فى البعر فيما سبق .

- والدودة التى ولدت فى بعر الأبد ، لا تتحول طبيعتها بالعنبر .

- ولما لم يسقط عليها من نثار « رش النور » فإنها كلها جسم بلا قلب كالقشور .

- ولو قسم لها الحق من رش النور ، لولدت كما يحدث فى مصر طيرا من بين البعر .

٣٠٠ - لكن ليس ذلك الطائر الخسيس المنزلى ، بل طير العلم والذكاء .

- وأنت (١) تشبهها إذ أنك فارغ من هذا النور ، وذلك لأنك تضع أنفك على الدنس .

- لقد أصفر منك الوجه والوجنة من الفراق ، أنت ورقة صفراء وثمرة فجة .

- لقد صارت القدر سوداء من النار ملوثة بالدخان ، أما اللحم فقد بقى من صلابته فجاً على حالته .

(١) الحديث من المحبوبة للعاشق .

– لقد غليتك لثمان سنوات « فوق نار » الفراق ، ولم تنقص ذرة واحدة من فجاجتك ونفاقك .

٣٠٥ – لقد تحجر حصرمك ومن السقام ، أصبح الحصرم كله زبيبا ولا زلت سانجا فجاً .

اعتذار ذلك العاشق عن ذنبه بالحيلة والكناية وفهم المعشوق له أيضا

– قال العاشق : كنت اختبرك فلا تدققى .. كنت أريد أن أرى هل تتجاوبين معى أم أنك عفيفة !!

– وكنت أعرفك بلا امتحان ، ولكن متى يكون الخبر كالعيان ؟ !

– إنك شمس ، اسمك مشهور ومنتشرة ، فأى ضرر سيحيق بك لو قمت باختيارك ؟ !

– أنت أنا .. وأنا أمتحن نفسى كل يوم فى النفع والضر .

٣١٠ – ولقد امتحن الأنبياء أعداؤهم ، حتى ظهرت منهم المعجزات .

– ولقد امتحنت عينى بالنور ، ألا فلتبتعد عن عينيك عين السوء .

– إن هذه الدنيا كالخرابة وأنت كالكنز ، فلا يضيقن صدرك إن بحثت عن كنزك .

– ومن هنا فقد تجاوزت حدودى معك جزافاً ، حتى أثرثر مع الأعداء(عن عفتك) فى كل آن .

– ولكى أقدم أدلة مما شاهدته العين ، عندما يذكر لسانى اسمك .

٣١٥ – فإذا كنت قد أصبحت قاطع طريق فى طريق الشرف ، فلقد جئت أيها القمر بالسيف والكفن .

- فلا تقطعى قدمى ورأسى إلا بيدك ، فأنا من هذه اليد ولست من يد أخرى .

- إنك تتحدثين ثانية عن الفراق ، إفعلى ما تشاءين إلا هذا .

- لقد ارتج على الآن فى عمران الكلام ، ولم يعد إمكان الكلام .. فقد تأخر الوقت .

- لقد قلنا القشور أما اللب فظل دفينا ، لو بقينا فإنه لا يبقى هكذا « دفينا » .

رد المعشوقة علي غدر العاشق ومواجهته بتلبيسه

٣٢٠ - فأجابته تلك المحبوبة قائلة : إن الأمر بالنسبة لنا « واضح » كالنهار وبالنسبة لك « مستور » كالليل .

- فلماذا تقوم بالحيل المظلمة فى تقييمك للأمور أمام المبصرين ؟ !

- فكل ما فى قلبك من مكر والتواء ، هو عندنا واضح ولائح كأنه النهار .

- وإذا كنا قد سترنا عليه من اللطف بالعباد ، فلماذا تمضى فى توقحك إلى ما لا حد ؟!

- وتعلم من الأب فإن آدم فى ذنبه ، هبط برضا وتسليم نحو مستقره .

٣٢٥ - وعندما تيقن آدم أنه عالم الأسرار ، وقف على قدمية مستغفرا .

- وحط على تراب الهموم ، ولم يقفز من موضوع إلى آخر متعللا[1] .

- لقد قال « ربنا إنا ظلمنا » فحسب ، عندما رأى ملائكة « العقاب » من قدامه ومن ورائه .

- ورأى ملائكة العقاب مختفين كأنهم الأرواح ، وكل منهم فى يده مقمعه ممتدا إلى عنان السماء .

---

(١) حرفيا : يقفز من غصن إلى غصن .

– فهيا كن نملة أمام سليمان « عليه السلام » حتى لا تشطرك هذه المقامع .

٣٣٠ – ولا تقف لحظة واحدة إلا فى مقام الصدق .. فليس للأخرس « من معين » سوى العين .

– فالأعمى وإن تطهر من الموعظة ، فإنه يتلوث فى كل لحظة .

– ويا أيها الإنسان ، لست أعمى البصر ، لكن إذا جاء القضاء عمى البصر .

– وينبغى أعمار لكى يحدث . وهذا أمر نادر – أن يسقط مبصر من قضاء الله فى بئر .

– بينما يكون هذا القضاء رفيقا للأعمى ، فإن السقوط عنده طبع وجبلة .

٣٣٥ – إنه يسقط فى القذارة ولا يعلم مصدر الرائحة ولايزال يتساءل : أهى منى أو من القذارة .

– ولو أن أحد رشه بالمسك ، فإنه يظن أنه من لدنه وليس من إحسان الصديق .

– ومن ثم فإن عينين مبصرتين ياصاحب النظر ، هما بالنسبة لك بمثابة مائة أم ومائة أب .

– خاصة عين القلب وهى سبعون ضعفا « من عين الحس » ، وعين الحس قاطفة بيدرها .

– واأسفاه فإن قطاع الطرق قد كمنوا لى ، وعقدوا مائة عقدة تحت لسان .

٣٤٠ – وكيف يسير مقيد القدم سريعا وخفيفا ، إن القيد شديد الثقل فاعذره .

– إن هذا الكلام يصدر متقطعا أيها القلب ، فهذا الكلام در فى در والغيرة طاحون.

– والدر حتى إن كان صغيرا منكسرا يصبح توتيا للعين المتعبة .

– فيا أيها الدر لا تلطم رأسك من انكسارك ، فمن الانكسار يتولد الضياء .

– وكذلك الكلام غير المترابط ، فإن الحق يقوم بإصلاحة فى النهاية فهو الغنى « الحميد » .

٣٤٥ – والقمح إن تحطم وطحن ، أتى إلى الدكان ، فهذا هو الخبز الصحيح .

– وأنت أيها العاشق عندما افتضح جرمك ، اترك الحيلة والتعلل [1] وكن كسيرا .

– ذلك أن الخواص من أبناء آدم ، إنما يتحدثون بنفس « إنا ظلمنا » .

– فاعرض حاجتك ولا تقدم حجتك ، مثل ذلك الذى فعله إبليس اللعين الصفيق .

– فإذا كانت صفاقته قد نجحت فى إخفاء عيوبه ، فاذهب وجاهد فى الجدل والصفاقة .

٣٥٠ – لقد طلب أبو جهل من الرسول صلى الله عليه وسلم معجزة ، مثل حاقد من الأتراك الغز .

– لكن ذلك الصديق الحق لم يطلب معجزة ، بل قال : حرى بهذا الوجه ألا يقول غير الصدق .

– فمتى يصل الحال بمن هو مثلك أن يقوم بامتحان حبيب مثلى .

قول ذلك اليهودي لعلي كرم الله وجهه : إذا كنت تعتمد علي حفظ الحق ، فألق بنفسك من فوق هذا القصر وجواب أمير المؤمنين عليه .

– قال أحد المعاندين ذات يوم للمرتضى ، ولم يكن ذلك المعاند على علم بتعظيم الله .

---

(١) حرفيا : الزيت والماء .

- كان على سطح قصر شديد العلو ، قال له : هل أنت متفهم لحفظ الحق أيها الأريب ؟!

٣٥٥ - قال : نعم ، إنه حفيظ وغنى ، « وحافظ » لوجودنا منذ أن كنا أطفالا ونطفا .

- فقال هل : هيا وألق بنفسك من فوق السطح ، واعتمد تماما على حفظ الحق !!

- حتى يثبت لى يقينك ، واعتقادك الحسن « الثابت » بالبرهان .

- فقال له الأمير : امض واذهب عنى ، حتى لا تهلك روحك من هذه الجرأة .

- فمتى يبلغ بالعبد أن يمتحن الله « إن هذا الأمر » يكون محض ابتلاء .

٣٦٠ - ومتى تكون للعبد الجرأة من فضوله ، أن يقوم بامتحان الحق أيها الأبلة المخدوع .

- بل خليق بالله سبحانه وتعالى أن يقوم فى كل لحظة بامتحان عبيده « وابتلائهم » .

- حتى يبدى لنا فى كل لحظة عيانا ، ماذا نسره فى « بواطننا » من اعتقاد .

- ولم يقل إنسان قط لله ، إننى أمتحنك ، بهذا الجرم والخطأ (الذى ارتكبه) .

- حتى أرى غاية حلمك أيها المليك .. آه أى أنسان يكون له مجال هذا الفعل ؟! أى أنسان ؟ !!

٣٦٥ - ومن كثرة الضلال فى عقلك ، فإن عذرك أقبح من ذنبك .

– ذلك الذى رفع السماء بغير عمد [1] كيف تستطيع أنت أن تمتحنه .

– ويا من لم تعرف الشر والخير ، إمتحن نفسك أولا ثم أمتحن الغير .

– وعندما تقوم بامتحان نفسك يا فلان ، فإنك تفرغ من امتحان الآخرين .

– وعندما تعلم إنك مجرد ذرة من سكر ، تعلم أنك أهل إذن لمخزن السكر .

٣٧٠ – وأعلم أذن أن الإله لن يرسلك إلى مكان غير لائق بك إن كنت سكرا .

– فاعلم هذا بلا امتحان من علم المليك ، إنك إن كنت رئيسا لن يرسلك إلى صف النعال !!

– فهل قام عاقل قط بالقاء در ثمين فى مرحاض ملئ بالفضلات ؟!

– وإن الرجل الحكيم الواعى لا يرسل القمح أبدا إلى مخزن القش .

– والشيخ الذى هو دليل ومرشد ، إذا قام مريد بامتحانه فهذا المريد حمار .

٣٧٥ – وإنك إذا امتحنته فى طريق الدين ، فإنك تصير أيضا ممتحنا يامن أنت بلا يقين .

– تتعرى جراتك وجهلك ويفتضحان ، ومتى يصير « المرشد » عارياً من ذلك الافتضاح .

– فإذا جاءت ذرة لتزن الجبل ، فهى تحطم ميزانها بهذا الجبل أيها الفتى .

– وذلك الذى يضع رجل الحق فى ميزانة ، فإنه يضع الميزان بقياسة هو .

– وإذا كان ميزان العقل لا يسعة ، فإنه يحطم ميزان العقل .

٣٨٠ – فاعلم أن الإمتحان هو أشبه بالسيطرة عليه ، ولا تطلب السيطرة على هذا المليك .

---

(١) حر : الذي رفع سقف السماء .

– وأية محاولة من الصور للسيطرة على مثل هذا المصور امتحانا له ؟!!

– فإذا كانت قد عرفت ماذا يعنى الامتحان ، فإن الذى جعلها تعرفه هو المصور الذى صورها .

– وأى قدر لهذه الصور التى صورها .. إلى جوار الصور التى لا تزال موجودة فى علمه ؟!!

– وعندما يوسوس لك الشيطان بهذا الامتحان ، فاعلم أن مآل السوء قد وقع عليك وقطع رقبتك .

٣٨٥ – وعندما تشعر بهذا الوسواس ، فعد بأسرع ما يمكن إلى الله ، واسجد .

– واجعل سجودك مبللا بدمعك الجارى ، و « أدع » قائلا : يا الله خلصنى من هذا الظن » .

– وفى ذلك الزمان الذى صار فيه الامتحان مطلبا لك ، فاعلم أن مسجد دينك قد صار ملآنا بالخروب .

قصة المسجد الأقصى والخروب وعزم داود عليه السلام على بناء ذلك المسجد قبل سليمان عليه السلام

– عندما صح عزم داود عليه السلام على أن يبنى المسجد الأقصى بالحجارة .

– أوحى إليه الحق قائلا : دعك من هذا الأمر ، فإن « بناء » هذا المكان لن يتم على يديك .

٣٩٠ – وليس فى تقديرنا أن يكو أنت هو الذى يبنى المسجد الأقصى أيها المختار .

– قال : فما هو جرمى يا عالما بالسر ، حتى تأمرنى بألا أقوم ببناء المسجد .

- قال : لـقـد لقد سـفـكت دمـاءً كـثـيـرة دون ذنب جنت ، وحـمـلت دمـاء المظلومين على عاتقك .

- ومن حلاوة صوتك أسـلم خلق لا حصر لهم الروح ، لقد صـاروا صيداً « لهذا الصـوت الجميل » .

- لقـد سفك دم كـثيـر من جراء صـوتك ، من جـراء صـوتك الحلو الســالب للـروح .

٣٩٥ - قال « داود » : لقد كنت مغلوبا لك ثملا بك ، كانت يداى مقيدتين بيدك .

- أليس كل مغلوب للمليك مرحوماً ؟ ! وأليس المغلوب كالمعدوم .

- قـال سـبـحـانه وتعـالى : أين ذلك المعـدوم المغلوب ؟ ! ، أيقنـوا إنه ليس معدوما إلا بشكل نسبى .

- إن مثل هذا المعدوم الذى غاب عن وعيه ، هو أفضل الموجودات واعظمها .

- إنه فـان بالنسبـة لصفـات الحق ، وفى الحقـيقة فـإن البقـاء له فى « هـذا » الفناء .

٤٠٠ - وكل الأرواح فى تدبيره . وكل الأشباح فى مرمى سهمه .

- إن من هو مغلوب فى لطفنا ، ليس مضـطرا (مجبورا) بل هـو مختـار بالولاء (والمحبة) .

- ومنتهى الاختيار يصبح لمن يكون اختياره مفتقدا هنا .

- وليست هـناك لذة عـند المختـار ، إنه لم يصر لـه محـو الأنية فى نهـاية الأمر .

- وفى الدنيا إذا كانت هناك لقمة أو شربة ، فإن لذتها فرع اللذة الخالصة .

٤٠٥ - وإن صـار المرء بلا تأثر باللذات (الدنيوية) ، لصـار لذة فى حد ذاته وآخذا للذات .

شرح : إنما المؤمنون أخوة ، والعلماء كنفس واحدة ، وبخاصة اتحاد داود وسليمان وسائر الأنبياء عليهم السلام بحيث إنك إن أنكرت واحدا لا يصح الإيمان بأي نبي ، وهذه علامة الاتحاد بحيث إذا خربت منزلا من آلاف المنازل فكأنك خربتها جميعا ، ولا يقوم جدار واحد ، ومصداقا لقوله تعالي : لا نفرق بين أحد من رسله ، والعاقل تكفيه الإشارة ، وهذا في حد ذاته جاوز الإشارة . (١)

- بالرغم من أنه لن يتأتى من جهدك وقوتك ، إلا أن هذا المسجد سوف يبنيه ابنك .
- وفعله هو مثلك أيها الحكيم ، فاعلم أن بين المؤمنين اتصالا من قديم .
- والمؤمنون متعددون والإيمان واحد ، أجسادهم متعددة لكن روحهم واحدة .
- وغير الفهم والروح الموجودين فى الثور والحمار ، للإنسان عقل آخر وروح أخرى .

---

(١) ج / ٩ - ٤٣١ :
ثم خوطب داود من قبل الله تعال يأيها النبى المجتبى حسن اللقاء .
دع قلبك من التفكير من هذا الخبر ولا تجعل للحزن سبيلا إلى قلبك ولا تغتم
لا تدع للهم سبيلا إلى قلبك أيها الطاهر ونظف مرآتك من أى غبار
إذ قلنا لك دعك من هذا البناء فلا سباحة لك فى هذا البحر
هذا أمر القضاء . وحكم القضاء وليس فى وسعك أمامه إلا الرضا
فارض بقضاء الله واسعد وسلم وانج من قيد الحزن
أنه لن يتم بجهدك فدعك من هذا السعى وانصرف عنه .

٤١٠ – وغير روح الإنسان وعقله ، هناك روح فى ولى ذلك الزمان .

– وليس بين الأرواح الحيوانية اتحاد ، فلا تبحث أنت عن هذا الاتحاد من الهواء .

– فإذا أكل هذا الخبز لا يشبع منه ذاك ، وإن يحمل ذاك حملا لا يحس هذا بثقله .

– بل أنها تفرح عند موت « روح حيوانية » أخرى ، وتموت حسدا عندما ترى روحا ذات مئونة .

– وأرواح الذئاب والكلاب كل روح منها على حدة ، لكن أرواح أسد الله متحدة .

٤١٥ – لقد جمعت أرواحهم على سبيل اللفظ ، لكن الروح الواحدة منها تكون كمائة بالنسبة للجسم [1] .

– مثل ذلك النور الموجود فى شمس السماء ، يكون مائة « نور » بالنسبة لأفنية الدور .

– لكن أنوارها كلها تكون واحدة ، عندما تقوم برفع الحواجز فيما بينها .

– وعندما لا تبقى هناك قواعد للدور (الأجساد) ، يكون المؤمنون مثل نفس واحدة .

– وهناك فروق واشكالات تتأتى من هذا المقال ، فذاك لا يكون مثل هذا .. لكنه مثال .

٤٢٠ – وهناك فروق بلا حد بين شخص الأسد وبين شخص الإنسان الشجاع .

– لكن عند ضرب المثل ياطيب النظر ، هناك اتحاد فى التضحية بالروح والشجاعة فانظر .

---

(١) عنوان فى نسخة جعفرى قبل الأبيات التالية . (٩ / ٤٤٥) .

- بحيث يكون ذلك الشجاع على مثال الأسد فى النهاية ، لكنه ليس كالأسد فى كل الأمور .

- وهذه الدار ليس فيها صورة متحددة ، حتى أضرب لك منها مثالا .

- بل حتى لكى أورد مثالا واحدا ناقصا .. حتى أخلص العقل من حيرته .

٤٢٥ - إنهم يضعون ليلا فى كل دار مصباحا ، حتى يتخلصوا بنوره من الظلمة .

- إن ذلك المصباح كالجسد ونوره كالروح ، وهو - أى النور - محتاج لفتيل ومواد أخرى .

- وذلك المصباح ذو الفتائل الستة من هذه الحواس ، كله ذو أساس واحد من الأكل والنوم .

- إنه لا يعيش نصف لحظة دون أكل أو نوم ، حتى مع الأكل والنوم لا يظل يعيش أيضا .

- وبلا فتيل ولا زيت ليس له بقاء ، ومع وجود الفتيل والزيت هو أيضا بلا وفاء .

٤٣٠ - ذلك أن نوره لعلة باحث عن الموت ، وكيف يعيش والنهار المضئ هو موته ؟ !

- وكل أحاسيس البشر هى أيضا بلا بقاء ، وذلك أنها فانية أمام نور يوم الحشر .

- وأنوار أحاسيس آبائنا وأرواحهم ، ليست فانية بشكل كلى كالنبات .

- لكنها على مثال النجم وضوء القمر ، تمحى كلها إن سطع عليها ضوء القمر .

- هذا كما أن لدغة البرغوث وألمها تنمحى تماماً عندما تأتى الحية إليك .

٤٣٥ – كعار قفز فى الماء ، حتى نجا من هذا الماء من وخز النحل .

– وهناك نحلة تطوف حول رأسه ، وكلما رفع رأسه لا تعفية (من الوخز) .

– إن هذا الماء هو ذكر الحق (جل وعلا) ، ووخز النحل فى هذا الزمان هو ذكر « فلانة » وذكر « فلان » .

– فابق لحظة فى ماء الذكر واصطبر (عليه) ، حتى تنجو من الفكر والوسواس القديم .

– وبعد ذلك تتخذ لنفسك طبع هذا الماء الصافى جملة ومن قمة الرأس إلى أخمص القدم .

٤٤٠ – وأيضا فإن نحل الشر يهرب منك وأنت فى الماء ويأخذ حذره منك .

– وإن أردت من بعد ذلك فابتعد عن الماء ، لأنك قد صرت شريكا فى الأصل للطبع المائى .

– ومن ثم فأولئك الذين تجاوزوا الدنيا ، ليسوا بفانين بل استغرقوا فى الصفات .

– (فنيت) كل صفاتهم فى صفات الحق ، كالنجوم أمام تلك الشمس ، وأصبحت بلا أثر .

– وإذا كنت تريد دليلا منقولا من القرآن أيها الحرون ، فاقرأ : « وإن كل لما جميع لدينا محضرون » .

٤٤٥ – والمحضرون لا يكونون معدومين فانظر جيدا ، حتى تعلم بقاء الأرواح يقينا .

– والروح المحجوبة عن البقاء فى عذاب شديد ، والروح الواصلة فى البقاء متجردة من الحجاب .

- والمراد أنى قلت لك حذار ، لا تبحث عن الاتحاد مع مصباح هذا الحس الحيوانى .

- وأوصل روحك على وجه السرعة يا فلان مع أرواح قدس السالكين .

- فإذا كان لك مائة مصباح ، سواء كانت هذه المصابيح مشتعلة أو مطفأة .. فهى منفصلة ، وليست (مصباحا) واحدا .

٤٥٠ - ومن هنا فإن أصحابنا « إياهم » فى قتال ، ولم يسمع أحد عن حرب وقعت بين الأنبياء .

- ذلك أن نور الأنبياء كان شمسا ، ونور حسنا مصباح وشمع ودخان .

- تموت واحدة من هذه الشموع ، وتبقى واحدة حتى الصباح ، تكون إحداها ذابلة والأخرى ذات ضياء .

- والروح الحيوانية التى تحيا من الغذاء ، تموت هى الأخرى بكل طيب وكل قبيح .

- فإذا مات هذا المصباح وطويت (أيامه) ، متى يصير منزل الجار مظلما (من ذلك) ؟!

٤٥٥ - وما دام نور هذا المنزل قائما بدونه .. فإن مصباح حس كل دار قائم على حدة .

- وهذا مثال عن الروح الحيوانية ، وليس مثالا عن الروح الربانية .

- ثم إن القمر عندما ولد من هندى الليل ، سقط النور من كل كوة .

- فاعتبر نور تلك المائة منزل نوراً واحداً ، إذ لا يبقى نور هذى الدار دون نور تلك الدار .

- وحين تطلع الشمس الساطعة من الأفق ، يكون نورها ضيفاً على كل دار .

٤٦٠ – ثم عندما تأفل شمس الروح ، يزول النور عن كل الدور .

– وهذا هو مثال على النور وليس مثله ، أنه يكون هاديا لك قاطعا لطريق العدو .

– وذلك القبيح الطوية على مثال العنكبوت ، إنه ينسج حول نفسه حجبا متعفنة .

– لقد جعل من لعابه حجاباً على النور ، وأصاب بصيرة إداركه بالعمى .

– وأن من يأخذ بعنق الجواد ينقاد له ، لكن من يأخذ بقدمه يتلقى الرفسات .

٤٦٥ – فقلل ركوب جواد حرون بلا زمام ، واجعل العقل والدين إمامين لك والسلام .

– وفى هذا الاتجاه لا تنظر بوهن وخمول ، ففى هذا الطريق ينبغى الصبر وشق الأنفس .

(١) بقية قصة بناء المسجد الأقصي

– عندما بدأ سليمان البناء ، طاهرا كالكعبة ذا إقبال كمنى .

– كان يرى فى بنائه العظمة والشموخ ، لم يكن غثا (دميما) كالأبنية الأخرى .

– وعند (البناء) كان كل حجر يقطعونه من الجبل ، كان يصيح من البداية « سيروا بى » .

٤٧٠ – وكان النور يشع من قطع الآجر ، وكأنه من ماء جسد آدم وطينه .

– كان الحجر آتيا دون حمال ، وصارت تلك الأبواب والجدران (مفعمة) بالحياة .

---

(١) ج / ٩ – ٤٥٥ :

عد تحدث عن قصة المسجد مع سليمان النبى حسن السجايا .

- ويقول الحق : إن جدران الجنة ، ليست كالجدران القبيحة الخالية من الروح .

- وعندما يكون باب الجسد وجدرانه على وعى ، تكون الدار حية لأنها منسوبة إلى المليك .

- وسواء الشجر والثمر والماء الزلال ، تكون مع ساكن الجنان فى حديث ومقال .

٤٧٥ - ذلك أن الجنة لم تصنع من مواد ، لكنها صنعت من الأعمال والنيات .

- وهذا البناء كان ميتا لأنه من الماء والطين ، وذلك البناء صار حيا لأنه من الطاعات .

- هذا من الأصل بقى مليئا بالحلل ، وذاك من أصله هو العلم والعمل .

- كذلك تكون السرر والقصر والتاج والثياب ، مع ساكن الجنة فى سؤال وجواب .

- فالفرش يطوى دون أن يقوم بذلك فراش ، والدار تكنس دون كناس .

٤٨٠ - فانظر إلى منزل القلب تغضن من الحزن ، وكنس دون كناس من التوبة .

- لقد صار سريرها (أى الجنة) سيارا بلا حمال ، وصارت الحلقة وصار الباب مطرباً وقوالا .

- فحياة دار الخلود موجودة فى القلب ، وما فائدة القول إن كنت لا أستطيع التعبير عنها .

- وعندما كان سليمان يدخل المسجد كل صباح من أجل إرشاد العباد .

- كان يعظ حينا بالقول واللحن والموسيقى .. وحينا بالفعل أى بالركوع أو الصلاة .

٤٨٥ – إن الموعظة بالفعل أكثر جذبا للخلق ، إذ تصل إلى روح كل من له أذن وكل أصم .

– وفيها يقل وهم الإمارة ، وتأثيرها يكون قويا فى الأتباع .

قصة بداية خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وخطبته فى بيان أن ناصحا فعالا بفعل أفضل من ناصح قوال بقول

– إنها قصة عثمان عندما صعد المنبر ، عندما ولى الخلافة أسرع قلقا .

– كان منبر العظيم ثلاث درجات ، وكان أبو بكر قد ذهب وجلس على الدرجة الثانية .

– وجلس عمر فى نوبته على الدرجة الثالثة ، من أجل حرمة الإسلام والدين .

٤٩٠ – وعندما حلت نوبة عثمان ، جاء وصعد أعلى المنبر وجلس ذلك المحمود البخت .

– وسأله أحد الفضوليين : إن هذين (السابقين) لم يجلسا فى موضع الرسول .

– إذن كيف بحثت أنت عن علو عليهما .. ما دامت أقل منهما فى المرتبة ؟ !

– قال : لو أننى جلست على الدرجة الثالثة ، لتوهم الناس أننى على مثال عمر .

– ولو أننى جلست على الدرجة الثانية ، لقيل : هو أبو بكر وهو مثله .

٤٩٥ – وهذا هو مقام المصطفى ، وليس لوهم أن يمثلنى بهذا السلطان .

– ثم إن ذلك الودود جلس فى موضع الخطبة حتى العصر صامت الشفة .

– ولم تكن عند أحد الجرأة أن يقول له : هيا قل ، أو أن يخرج من المسجد آنذاك .

– لقد حطت هيبة على الخاص والعام ، كان ذلك الصحن والسقف مليئين بنور الله .

– وكان كل مبصر ناظر النور ، وحتى الأعمى أحس بالحرارة من تلك الشمس .

٥٠٠ – كانت عين الأعمى تفهم من الحرارة ، أن الشمس قد تصاعدت بلا فتور .

– وهذه الحرارة تقوم بفتح البصيرة ، حتى ترى العين كل مسموع .

– فمن حرارتها يكون (للأعمى) ضجر وحالة (ضيق) ، ومن حموها يكون للقلب انبساط وفسحة .

– وعندما صار الأعمى دافئا من نور القدم ، يقول من الفرح : لقد أصبحت مبصرا .

– إنك ثمل جدا ، لكن يا أبا الحسن ، هناك قدر من الطريق حتى الإبصار .

٥٠٥ – وهذا يكون نصيب الأعمى من الشمس ، ومائة ضعف لهذا ، والله أعلم بالصواب .

– وذلك الذى يكون مبصرا بهذا النور ، متى يكون تفسير (إبصاره هذا) عمل أبى على بن سينا ؟ !!

– وحتى إذا كان وكان له لسان مائة ضعف كلسانه ، فماذا يكون حتى يحرك بكفه حجب العيان ؟ !!

– فويل له إن لمس الحجاب ، فإن السيف الإلهى يبتر يده .

– وماذا تكون اليد ؟! بل يقطع رأسه نفسها ، تلك الرأس التى تفشى الأسرار من الجهل .

٥١٠ – ولو كان للخالة خصية لصارت خالا ، وهذا الأمر تقديرى لو أنها كانت هو !!

– ومن اللســان حتى العين التى تكون خالية من الشك ، إذا قلت توجد مئات الألوف من السنين فهى قليلة .

– وهيا ، لا تكن قانطا ، عندما يشاء الحق ، يصل النور من السماء فى لحظة واحدة .

– وهناك مائة أثر من الكواكب توصلها قدرته إلى المناجم فى كل لحظة .

٥١٥ – إن كوكب الفلك ناسخ للظلم ، لكن كوكب الحق راسخ فى صفاته .

– والفلك ذو الطريق الذى يستغرف خمسمائة عام أيها المستعين ، جاء فى الأثر أنه اقترب من الأرض .

– وثلاث آلاف سنة وخمسمائة حتى زحل ، تقوم خاصيته لحظة بلحظة بالعمل .

– إنه يقلبه رأسا على عقب كالظل فى الإياب ، وماذا يكون طول الظل أمام الشمس .

– ومن النفوس الطاهرة كأنها الفلك مدد يصل نحو كواكب الفلك .

٥٢٠ – وفى الظاهر تكون هذه الأفلاك قوامة علينا ، لكن بواطننا (فى الحقيقة) صارت قوامة على السماء .

فى بيان أن الحكماء يقولون أن الإنسان هو العالم الأصغر ويقول الحكماء الإلهيون : إن الإنسان هو العالم الأكبر ذلك لأن علم الحكماء كان مقصوراً على صورة الإنسان وعلم هؤلاء الحكماء والإلهيين كان متصلا فى الحقيقة بحقيقة الإنسان

– إذن فأنت فى الصورة العالم الأصغر ، وأنت فى المعنى إذن العالم الأكبر .

– وفى الظاهر يكون ذلك الغصن أصلا للثمرة ، لكن الفرع فى الحقيقة صار من أجل الثمرة .

– فإن لم يكن الميل إلى الثمرة والأمل فيه ، متى كان البستانى يغرس جذور الشجر ؟

– ومن ثم فإن ذلك الشجر على سبيل المعنى ولد من الثمر ، وإن كان الثمر قد ولد منه على سبيل الصورة .

٥٢٥ – ومن هنا قال المصطفى عليه السلام ، إن آدم والأنبياء خلفى تحت لوائى .

– ومن أجل هذا ساق صاحب الفنون قوله : نحن الآخرون السابقون .

– فبالرغم من أننى ولدت من آدم بالصورة ، فإننى كنت فى المعنى جدا للجد .

– ومن أجلى كانت سجدة الملائكة ، ومن أجلى صعد إلى الفلك السابع .

– ومن ثم فمنى ولد أبى فى المعنى ، ومن ثم ولد الشجر فى المعنى من الثمر .

٥٣٠ – وفى البداية يكون الفكر وفى النهاية يكون العمل ، خاصة ذلك الفكر الذى يكون وصفا للأزل .

– والنتيجة ، إنه فى لحظة واحدة ، تأتى قافلة من السماء وتذهب قافلة .

– وليس هذا الطريق طويلا على القافلة ، فمتى تكون المفازة صعبة على سالكها ؟! [1].

– إن القلب ليذهبن إلى الكعبة كل لحظة ، ويتطبع الجسد بطبع القلب امتنانا .

(١) في تفسير للسبزواري : متي تمتلئ الصحراء بسالكيها ؟ شرح المثنوي ص ٢٧٥ .

- إن هذا الطول والقصر يكون بالنسبة للجسم ، فأى طول وقصر حيثما يكون الله .

٥٣٥ - وعندما بدل الله الجسم ، جعل ذهابه وسيره (لا يقاسان) بفراسخ أو أميال .

- وفى هذه اللحظة يوجد مائة أمل ، فاخط أيها الفتى بعشق وخل الكلام .

- وبالرغم من أنك تطبق جفنى عينيك ، إلا أنك تقطع طريقك نائما فى سفينة .

تفسير هذا الحديث : مثل أمتى كمثل سفينة نوح من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها غرق

- من أجل هذا قال الرسول عليه السلام : إننى كالسفينة فى طوفان الزمن .

- أنا وأصحابى مثل سفينة نوح ، وكل من تعلق بها يجد الفتوح .

٥٤٠ - وما دمت (عاكفا) على شيخ فأنت بعيد عن القبح ، أنت مسافر ليل نهار ، لكنك (مستريح) فى سفينة .

- وفى حمى الحبيب الذى يهب الروح ، تقطع طريقك نائما فى سفينة .

- ولا تنقطع عن رسول زمانك ، وقلل الاعتماد على فنك وعلى هواك .

- وحتى إن كنت أسدا ، حينما تمضى فى الطريق بلا دليل ، فأنت مغرور وفى ضلال وذليل .

- انتبه ، ولا تحلق إلا بجناح الشيخ ، حتى ترى العون من جنود الشيخ .

٥٤٥ - ففى لحظة يكون موج لطفه بمثابة القوادم لك ، وفى لحظة أخرى تكون نار قهره حمالة لك .

- وقلل اعتبار قهرة مضادا للطفة ، وانظر إلى اتحادهما معا فى التأثير .

- وهو فى لحظة يجعلك أخضر كما يخضر التراب ، وفى لحظة أخرى يملؤك بالريح فيجعلك ضخما .

- إنه يعطى جسد العارف صفة الجماد ، حتى ينمو عليه الورد والنسرين نضرين .

- لكن ما يراه هو لا يراه غيره ، ولا يعطى الخلد عبيره إلا للعقل الطاهر .

٥٥٠ - فافرغ العقل من إنكار الحبيب ، حتى تجد الريحان من روضة الحبيب .

- حتى تجد عبير الخلد من حبيبى ، كما وجد محمد عليه السلام رائحة الرحمن من قبل اليمن .

- وإن وقفت فى صف أهل المعراج ، يجذبك العدم كأنه البراق .

- ليس كمعراج الأرضى حتى (وصوله) إلى القمر ، بل كمعراج البوص حتى (وصوله) إلى مرتبة السكر .

- وليس كمعراج البخار حتى السماء ، بل كمعراج الجنين إلى (أن يكون من أهل) النهى .

٥٥٥ - لقد صارت مطية العدم براقا جيدا ، يأتى بك إلى الوجود إن كنت عدماً .

- إن حافره يحول الجبال والبحار إلى نحاس ، حتى يجعل عالم الحس تابعا له .

- فضع قدمك فى السفينة وداوم على السير (خفيفا) حاذا ، كالروح تمضى نحو محبوب الروح .

- فسر نحو القدم ، ولا يد ولا قدم ، مثلما تهجم الأرواح من العدم .

- وإن لم يكن هناك كلل من سمع السامع ، لمزقت فى الكلام حجب القياس .

٥٦٠ – فلتمطر أيها الفلك جوهرا على أقواله [1] ، ولتخجلى أيتها الدنيا من (عظمة) عالمه .

– وإن فعلت تضاعف جوهرك مئات المرات ، بل يصير جامدك ناطقا ومتحدثا .

– وبذلك يكون نثارك (وجودك) من أجل نفسك ، ما دام كل رأسمال عندك يتضاعف مئات المرات .

قصة إرسال بلقيس هدية من سبأ إلى سليمان عليه السلام

– كانت هدية بلقيس أربعين جملا ، كلها محملة بلبنات الذهب .

– وعندما وصلت إلى الصحراء السليمانية ، وجدتها كلها مفروشة بالذهب النضار .

٥٦٥ – أخذت تسير مسيرة أربعين منزل على أرض من الذهب ، حتى لم يعد هناك رونق للذهب فى أنظارهم .

– فقالوا مرارا : لنرد الذهب إلى مخزنه ، فأية سخرية هذه وعمل لا طائل من ورائه (نقوم به) .

– إنه من البلة أن يحمل الذهب إلى الساحة التى يكون ترابها ذهباً خالصا .

– ويا من حملت العقل هدية إلى الله ، العقل هناك أقل من تراب الطريق .

– وعندما صار كساد هديتهم ظاهرا لهم ، كان خجلهم يجذبهم إلى الوراء .

٥٧٠ – ثم قالوا : إذا كانت هديتنا كاسدة أو رائجة ، ماذا علينا .. إننا عبيد مأمورون .

---

(١) الضمير هنا عائد علي الشيخ أو المرشد .

– فإذا كان علينا أن نحمل الذهب أو نحمل التراب ، فيجب علينا أن ننفذ الأمر فحسب .

– وإن أمرو أن عودوا بها وردوها .. فما علينا إلا طاعة الأمر .

– وعندما رآها سليمان عليه السلام غلبه الضحك .. وقال : متى طلبت منكم ثريداً ؟!

– إننى لا أقول لكم قدموا لى هدية ، إننى أقول لكم : كونوا لائقين للهدية جديرين بها .

٥٧٥ – إن لدى من الغيب هدايا نادرة ، لا يجرؤ البشر على مجرد طلبها .

– إنكم تعبدون كوكبا هو الذى يصنع الذهب ، فامضوا وتوجهوا إلى صانع هذا الكوكب .

– إنكم تعبدون شمس الفلك ، وأرخصتم الروح التى هى غالية الثمن .

– إن الشمس (تقوم لنا بعمل) الطباخ بأمر الحق ، ومن البله أن نقول أنها الإله .

– وماذا تصنع إذا أصاب الكسوف شمسك ؟! وكيف تطرد عنها ذلك السواد .

٥٨٠ – ألست تصرخ على الأعتاب الإلهية داعيا : إكشف السواد (يا إلهى) وأعد الشعاع .

– وإذا هم أحد بقتلك فى منتصف الليل ، فأين الشمس لكى تجأر إليها بالشكوى أو تطلب منها الغوث ؟!

– وأغلب الحادثات إنما تقع بليل ، وفى ذلك الزمان يكون معبودك غائبا .

– وإنك إذا انحنيت بصدق أمام الله ، لتخلصت من (عبادة) الكوكب وصرت من المسموحين لهم (بالسر) .

– وعنـدما تصـير من المسمـوحـين لهم أتحدث معك ، حتى ترى الشمس فى منتصف الليل .

٥٨٥ – وليس لهـذه الشـمس من مـشـرق إلا الـروح الطاهـرة ، وليس عـندهـا فى الطلوع فرق بين ليل أو نهار .

– يكون النهار عندها إذا أشرقت ، ولا يبقى الليل ليلا لو أنها برقت .

– وكيـف تبدو الذرة أمام الشـمس ؟ هكذا تكون شـمس (المعنى) (أمـام أولى) الألباب .

– والشمس التى تكون ساطعة ، وتصبح العين أمامها كليلة حائرة .

– نراها كالذرة أمام نور العرش ، أمام نور العرش الموفور الذى لا حد له .

٥٩٠ – تراها ذليلة مسكينة لا قرار لها ، لكن البصر أكتسب قوة من الخالق .

– وكيـمـيـاء (الخلق) الـتى هـى مـأثرة واحـدة من مـأثرة ، سـقـطت على الدخان فصار منه كوكب .

– إنه أكسـير النـار الذى كان منـه خافـتـا ، رمى به على الظلام فـحـوله إلى شمس .

– إنه الكيـمـيائى العـجـيـب الذى جـعل لزحل كل هذا الـعـدد من الخـواص بعملية واحدة .

– وقس على هذا أيها الطالب بقية الكواكب وجواهر الروح .

٥٩٥ – إن بصـر الحس ضـعـيف أمام الشـمس ، فـابحـث عن البـصـيـرة الربانية تجدها .

– حـتى تضـعـف أمـام تلك البـصـيـرة ، شـعـشـعـات الشـمس الـتى تلقى بالشرر .

- فإن هذه البصرة نورانية بينما هذه (أى الشمس الحسية) نارية ، والنار أمام النور تكون مظلمة جدا .

كرامات الشيخ عبد الله المغربى قدس الله سره ونوره

- قال الشيخ عبد الله المغربى : أننى لم أر ظلمة من الليل طيلة ستين عاما .

- أننى لم أر ظلمة خلال الستين سنة ، لا فى نهار ولا فى ليل ولا من علة .

٦٠٠ - قال الصوفية : إنه صادق فى قوله ، كنا نسير ليلا فى أثره .

- وفى الصحارى المليئة بالشوك والحفر ، كان قائدا (ودليلا) لنا كبدر التمام .

- وكان يقول ليلا دون أن يدير وجهه ، إنتبه فهناك حفرة ، مل ناحية اليسار .

- وبعد لحظة كان يقول : بل مل إلى اليمين ، فأمام القدم شوكة .

- وفى الصباح كانت قدمة تتحول إلى موضع لقبلنا ، وكانت قدمه كقدمى العروس .

٦٠٥ - فلا أثر من التراب أو من الطين عليها ، ولا من خمش الشوك وأذى الحصى .

- لقد جعل الله المغربى مشرقا ، وجعل المغرب كالمشرق مشعا بالنور .

- ونور هذه الشمس الغالب ظاهر وباهر ، وهو حارس ليوم الخواص ويوم العوام .

- وكيف لا يكون حارسا ذلك النور المجيد ، الذى يبدع آلافا من الشموس .

- فامض على نوره فى أمان ، بين الأفاعى وبين العقارب .

٦١٠ – فإن هذا النور الطاهر يتقدمك ، يمزق كل قاطع طريق إربا .

– وأعلم أذن أن « يوم لا يخزى الله النبى » قوله صادقة ، واقرأ « نورهم يسعى بين أيديهم » .

– وهذا النور وإن كان يزداد يوم القيامة ، فاطلب من الله قبسا منه هنا .

– فهو الذى يهب السحاب والضباب نور الله ، والله أعلم بالصواب .

رد سليمان عليه السلام لرسل بلقيس بتلك الهدايا التى كانوا قد أحضروها ودعوة بلقيس إلى الإيمان وترك عبادة الشمس

– عودوا خجلين أيها الرسل ، فالذهب لكم ، وايتونى بالقلب الذى هو قلب .

٦١٥ – وذهبى هذا ضعوه على ذهبكم ذاك ، ومن عمى قلوبكم إجعلوه على مؤخرة البغال .

– إن مؤخرة البغل جديرة بحلقة الذهب ، وذهب العاشق وجه أصفر شاحب .

– فهو موضع نظر الله ، ومن نظرة من الشمس يكون المنجم .

– وأين موضع نظر شعاع الشمس من موضع نظر رب الأرباب .

– واجعلوا من الروح مجنا من أخذى ، بالرغم من أنكم الآن أسارى لى ..

٦٢٠ – إن الطائر المفتتن بالحبة موجود على السطح ، لقد فتح الجناح لكنه مقيد بالفخ .

– وما دام قد أعطى جماع قلبه للحبة ، اعتبره أسيرا وإن لم يؤخذ بعد .

– وتلك النظرات التى يلقيها على الحبة ، أعلم أنها عقدة عقدت حول قدمة .

- إن الحبة تقول : إذا كنت تسترق النظر ، فإنني أسرق منك الصبر والقرار .

- وما دام ذلك النظر قد جذبك في أثرى ، أعلم إذن أنني لست غافلة عنك .

قصة العطار الذي كان حجر الميزان عنده من الطفل وسرقة المشترى آكل الطين من ذلك الطين عند وزن السكر خلسة وخفية .

٦٢٥ - ذهب أحد آكلي الطين إلى عطار ، كي يشترى قطعة ضخمة خاصة من السكر الأبيض .

- وكان عند العطار السارق المرائى ، حجر للميزان من حجر الطفل .

- فقال هل : إن موازينى من حجر الطفل ، إذا كانت لديك رغبة في شراء السكر .

- قال : إننى أريد السكر في أمر مهم ، ولتكن موازينك ما تكون .

- وقال في نفسه : بالنسبة لأكل الطين .. ماذا يكون الحجر ؟ ! إن الطين عنده أفضل من الذهب .

٦٣٠ - مثل تلك الخاطبة التى قالت (لأحدهم) : يا بنى ، لقد وجدت (لك) عروسا باهرة الجمال .

- إنها حسناء جدا لكن هناك أمرا واحدا ، إن هذه العقيلة ابنة صانع للحلوى .

- قال : إننى أفضل أن تكون هكذا ، فإن هذه العروس تكون أحلى وأطعم .

- وهكذا ، إن لم يكن لديك صنج وصنجك من الطين ، فهذا أفضل ، وأفضل لي الطين ثمرة للقلب .

– فوضع وهو واثق تماما فى كفة الميزان الأخرى طينا بدلا من الصنج .

٦٣٥ – وأخذ بيديه يقطع السكر ويضعه فى الكفة الأخرى بقدر ذلك الطين .

– وتأخر فى عمله إذ لم تكن لديه بلطة ، وجلس المشترى ينتظر هناك .

– كان وجهه إلى الناحية الأخرى أكل الطين المسكين ، وأخذ فى سرقة الطين (من الكفة) خلسة .

– كان خائفا وجلا يقول لنفسه : علّ عينيه لا تقع على فجأة وتكون ضجة وبلاء .

– ورأى العطار ذلك وشغل نفسه عنه ، قائلا لنفسه : اسرق أكثر من هذا يا أصفر الوجه .

٦٤٠ – فإذا كنت تسرق من طينى ، فامض إذ أنك تأكل من جانبك ونصيبك .

– إنك تخشانى وهذا من حماريتك ، إذ أننى أخشى أن تأكل أقل .

– وبالرغم من أننى مشغول إلا أننى لست ذلك الأحمق .. بحيث أجعلك تأخذ من بوصى سكراً أكثر .

– وعندما ترى السكر فى الميزان ، تعلم إذن من الذى كان أحمق غافلا .

– إن الطائر ينظر سعيدا إلى الحبة ، والحبة أيضا على البعد تقطع الطريق عليه .

٦٤٥ – ألست عندما تنال حظا من زنا العين .. تأكل الشواء من جنبك ؟!

– فهذا النظر من على بعد كالسهم والسم ، يجعل عشقك زائدا والصبر قليلا .

– إن مال الدنيا هو شبكة الطيور الضعيفة ، وتلك العقبى هى شبكة الطيور الشريفة .

– حتى أنهم بهذا الملك وهو فخ عميق ، يقومون بصيد الطيور الضخمة .

– إنني سليمان ولا أريد ملككم ، لكنى أخلصكم من كل هلاك .

٦٥٠ – إنكم أنفسكم الآن مملوكون للملك ، ومالك الملك هو الذى نجا من الهلاك .

– ويا أسير هذه الدنيا ، إنك على العكس قد سميت نفسك أميرا على هذه الدنيا .

– ويا من أنت عبدأ لهذه الدنيا حبيبا لها بالروح ، حتام تسمى نفسك سيدا للدنيا !!

إكرام سليمان لأولئك الرسل و ملاطفتهم ودفع الخوف والضيق عن قلوبهم ، وشرح الإعتذار عن عدم قبول الهدية لهم .

– أيها الرسل ، سوف أرسلكم رسلا (منى) ، إن ردى أفضل لكم من القبول .

– فقولوا لبلقيس ما رأيتموه من العجب ، وحدثوها عن صحراء الذهب .

٦٥٥ – حتى تعلم أننا لسنا طامعين فى الذهب ، لقد أتيتنا بالذهب من خالق الذهب .

– ذلك الذى إن شاء جعل كل تراب الأرض ذهبا ودرا ثمينا .

– من أجل هذا يا من اخترت الذهب ، يجعل الله الأرض يوم القيامة من الفضة .

– إننا لا نفكر فى الذهب .. فإن لدينا الكثير من الفنون ، نجعل بها أهل التراب باجمعهم من الذهب .

– فمتى نتسول نحن الذهب منكم .. ونحن نقوم بالكيمياء (الروحانية) من أجلكم ؟!

٦٦٠ – واتركوا هذا بأجمعة ، فإن كان هناك ملك سبأ ، فهناك كثير من الممالك خارج الماء والطين .

– إنه جبيرة ساق ذلك الذى تسمونه عرشا ، تظنه صدر (المجلس) وهو قد بقى على الباب .

– وإن لم يكن هناك سلطان لك على لحيتك ، فكيف تقوم بالملوكية على الخير والشر .

– تصير لحيتك بيضاء على الرغم منك ، فاخجل من لحيتك يا معوج الأمل .

– إنه هو مالك الملك وكل من يطأطئ الرأس أمامه ، يهبه مائة ملك خارج عالم التراب .

٦٦٥ – ولذة سجدة واحدة أمام الله ، تفضل لديك مائتى دولة .

– فتشكو حينذاك صائحا : لست أريد الممالك ، لكن سلمنى ملك تلك السجدة .

– وإن ملوك الدنيا من دناءتهم ، لم ينالوا النذر اليسير من العبودية [١] .

– وإلا (صاروا) ذاهلين مشردين كأدهم ، وجعلوا عالى ملكهم سافله فى التو واللحظة .

– لكن الحق وضع الختم على أفواههم وعيونهم ، من أجل ثبات هذه الدنيا .

---

(١) حرفيا : لم يشموا رائحة من العبودية .

٦٧٠ – حتى يحلو لهم العرش والتاج ، (وقولهم) : إننا نأخذ من أهل الدنيا الخراج .

– وإنك إن جمعت الخراج مالا كالرمل ، فإنه يبقى عنك فى النهاية ميراثا .

– ولا يكون الملك والذهب رفيقين لروحك ، فادفع الذهب وخذ الكحل من أجل (جلاء) البصر .

– حتى ترى هذه الدنيا بئراً ضيقة ، فتتثبت كأمثال يوسف عليه السلام بهذا الحبل .

– حتى تقول الروح : يا بشرى هذا غلام ، عندما تصعد من البئر إلى سطح (الأرض) .

٦٧٥ – وفى هذه البئر أنعكاسات النظر ، وأقل ما يبدو فيه هو حجر الذهب .

– وعند اللعب ، يبدو ذلك الخزف عند الأطفال ذهبا ومالا من عدم نضج عقولهم .

– لقد صار العارفون به من محترفى كيمياء (الروح) ، حتى صارت المناجم أمامهم بلا قيمة .

رؤية درويش لجماعة من المشايخ فى النوم ، وطلبه لرزق حلال دون انشغال بالكسب عن العبادة وإرشادهم إياه ، وتحول فاكهة الجبل المرة الحامضة إلى فاكهة حلوة فى فمه بهمة أولئك المشايخ .

– قال أحد الدراويش فى سمره ، لقد رأيت المنسوبين إلى الخضر عليه السلام فى النوم .

– فقلت لهم : من أين أطلب رزقا حلالا .. خاليا من وبال (الكدح) ؟ .

٦٨٠ – فقادونى إلى الجبل ، وكانت الثمار تتساقط من الغابة فى ذلك المكان .

– وقالوا : إن الله تعالى قد قسم أن تكون هذه الفاكهة حلوة فى فمك بهمتنا ودعائنا .

– هيا .. كل .. أكلا طاهرا حلالا بلا حساب وبلا تعب وبلا سعى هنا وهناك .

– ومن ذلك الرزق انبعث فى نوع من النطق بحيث كانت لذة أقوالى تخطف القلوب .

– قلت : هذه فتنة يارب العالمين .. هبنى عطاءً خفيا عن كل الخلق .

٦٨٥ – فذهب هذا النطق عنى ، وصرت سعيدا ، وأخذت انشقق حلاوة كأننى الرمان .

– وقلت : لو لم يكن هناك شئ فى الجنة إلا هذا السرور الذى أحس به فى جبلتى .

– فإننى لن أتمنى نعمة أخرى ، ولن أشغل عنها بالحور أو بقصب السكر .

– وكانت قد بقيت معى حبة وحبتان (من الذهب) ، خطت عليهما بطانة جبتى من أيام الكسب .

قوله فى نفسه : لقد نويت أن أعطى هذا الذهب

لذلك الحطاب حيث أننى وجدت الرزق بكرامات المشايخ ،

وضيق ذلك الحطاب مما فى ضميره ونيته .

– وكان هناك فقير يحمل الحطب ، قد وصل من الغابة متعبا مهدودا .

٦٩٠ – فقلت فى نفسى : أننى فارغ من أمر الرزق ، ومن الآن فصاعدا ليس عندى هم الرزق .

- إن الفاكهة الممجوجة قد صارت حلوة بالنسبة لى ، وحصل جسدى على رزق خاص به .

- وما دمت قد أصبحت فارغاً من أمر الخلق .. فلأعطه هذه الحبات « من الذهب » .

- لأعط هذا الذهب لذلك الذى يعانى التكليف ، حتى يفرغ من أمر الرزق يومين أو ثلاثة .

- لكنه كان يعلم حتى ما فى ضميرى ، وذلك أن سمعه كان ذا نور من شمعه (جل وعلا) .

٦٩٥ - كان سر كل فكر موجوداً عنده . كأنه مصباح داخل زجاجة .

- لم يكن الضمير يخفى عليه قط ، كان أميرا على مضامين القلوب .

- ومن ثم أخذ يهمس لنفسه جوابا على نيتى ذلك (الرجل) العجيب .

- (قائلا) : أمثل هذا التفكير من أجل الملوك ؟ ! « كيف تلقى الرزق إن لم يرزقوك » ؟ [1] .

- لم أكن أفهم كلامه جيدا ، لكن عتابه كان يدق على قلبى شديدا وعنيفا .

٧٠٠ - واتجه إلى بهيبة كهيبة الأسد ، وقد حط حمل الحطب عن كاهله .

- إن شعاع الحالة التى إنتابته عندما وضع الحطب ، جعل الرعدة تصيب كل عضو فىّ .

- وقال : يارب ، إن كان لك خواص دعوتهم مباركة وخطاهم مباركة .

- فإنى التمس من لطفك أن يكون مشتغلا بكيمياء (التبديل) ، وتتبدل حزمة الحطب هذه إلى ذهب فى التو واللحظة .

---

(١) مابين القوسين بالعربية في المتني الفارسي .

– فرأيت أن حطبه قد تبدل إلى ذهب على الفور .. أخذ يلمع لمعانا شديدا على الأرض كأنه النار .

٧٠٥ – فقدت الوعى برهة من الزمن ، وعندما عدت إلى وعيى أصابنى الوله .

– ثم قال : يا إلهى : إذا كان هؤلاء الكبار غيورين جدا زاهدين فى الشهرة .

– فاجعل هذه ثانية حزمة من حطب على الفور وعلى نفس الحال التى كانت عليها .

– فصار ذلك الذهب حطبا فى التو واللحظة ، وحار فى عمله هذا العقل والنظر .

– ثم حمل حطبه ومضى نحو المدينة متقدما إياى مسرعاً جلدا .

٧١٠ – فأردت أن أسير خلف هذا السلطان ، أساله عما لدى من مشكلات واسمع منه .

– لكن الهيبة التى كانت عليه قيدتنى ، فليس هناك طريق للعوام إلى الخواص .

– وإذا أصبح هناك طريق لأحد ، فقل له ضح بروحك ، فهذا يكون من رحمتهم وجذبهم .

– ثم اغتنم إذن هذا التوفيق ، عندما تجد صحبة صديق .

– ليس مثل ذلك الأبله الذى يجد القرب من الملك سهلا يسيرا فيسقط فى تلك اللحظة خارج الطريق .

٧١٥ – وعندما يعطونه من الأضحية نصيبا أكبر ، يقول : لعل هذه فخذ بقرة .

– ليست هذه فخذ بقرة أيها المفترى ، إنما تبدو لك فخذ بقرة من حماريتك .

– إن هذا بذل الملوك دون مقابل(١) ، هو عطاء محض من الرحمة .

---

(١) حرفيا : دون رشوة .

حث سليمان عليه السلام الرسل على التعجيل
فى هجرة بلقيس من أجل الإيمان .

– وهكذا فإن الملك سليمان فى نزاله ، جذب خيل بلقيس وعسكرها .

– قائلا : تعالوا أيها الأعزاء على وجه السرعة ، فقد تعالت الأمواج من بحر الجود .

٧٢٠ – إن هدير أمواجه يقذف صوب الساحل كل لحظة مائة جوهرة بلا خطر .

– لقد قلنا : هيا : هيا يا أهل الرشاد ، ففى هذه اللحظة فتح فى هذا الدين .

– – ثم قال سليمان : اذهبوا أيها الرسل صوب بلقيس وادخلوا فى هذا الدين .

– ثم قولوا لها أن تأتى إلى هنا سريعا فإن الله يدعو للسلام .

– هيا أسرع وتعال يا طالب الدولة ، فالفتوح موجود فى هذه اللحظة ، وانفتاح الأبواب .

٧٢٥ – وتعال أيضا يا من لست بطالب ، حتى تجد الطلب من هذا الصديق الوفى .

سبب هجرة إبراهيم بن أدهم قدس الله
سره وترك ملك خراسان

– أهجر الملك مثل أدهم سريعا حتى تجد مثله ملك الخلود .

– كان ذلك الملك نائما ليلا فى فراشه ، والحراس فوق السطح يمارسون الضبط والربط .

– ولم يكن هدف الملك من الحرس ، هو أن يدفع بهم اللصوص والغوغاء .

– فقد كان يعلم أنه عادل ، وأنه فارغ من الحادثات ، مطمئن الفؤاد .

٧٣٠ – إن العدل هو حارس الرغائب ، وليس بمن يدقون العصى على السطوح ليلا .

– لكن هدفه من صوت الرباب ، كان « كهدف » المشتاقين ، خيال ذلك الخطاب .

– إن أنين المزمار وهدير الطبول ، فيه شبه قليل من ذلك الناقور العام .

– ومن ثم قال الحكماء : لقد أخذنا هذه الألحان من « حركة » دوران الفلك .

– إنها أنغام دوران الفلك ، تلك التى يتغنى بها الخلق بالطنبور والحلق .

٧٣٥ – ويقول المؤمنون إن آثار الجنة ، جعلت كل صوت قبيح حلوا .

– لقد كنا جميعا أجزاء من آدم ، وسمعنا تلك الألحان فى الجنة .

– وبالرغم من أن الماء والطين قد صبا علينا شكا (فى هذا الأمر) ، فإننا لا نزال نتذكر منها النذر اليسير .

– لكن (هذا التذكر) عندما امتزج بالتراب ، كيف « لوترى » الخفيض والجهير أن يمنحا الطرب ؟!

– إن الماء عندما اختلط بالبول وبول الحيوان ، صار مزاجه من هذا الاختلاط مرا حريفا !!

٧٤٠ – وهناك فى جسده (أى الإنسان) شئ من الماء، فاعتبره بولا يطفئ النيران .

– وبالرغم من أن هذا الماء قد صار نجساً فقد بقيت طبيعته فيه ، هو بهذه الطبيعة أطفأ نيران الحزن .

– ومن هنا فإن السماع كان قوت العاشقين ، فإن فيه خيالا للوصال .

- و (بـه) تقـوى خـيالات الضـمـيـر ، بل تتحـول إلى صـور (من تأثـيـر) الصـوت والصـفيـر .

- ولقد أسـعـرت نـار العشـق من الألحان ، مثل (أسـعـرت) نار ذلك الذى كان يرمى الجوز .

حكاية ذلك الرجل الظمآن الذى كان يلقى بالجوز من فوق شجرة جوز فى جدول ماء كان فى منخفض ولم يكن يصل إلى الماء ، فكان يفعل هذا حتى يسمع صوت الماء من سقوط الجوز فيه ، إذا كان يطربه هذا الصوت كسماع حسن .

٧٤٥ - كان الماء غورا فتسلق ذلك الظمآن شجرة جوز ، وأخذ يلقى الجوز فيه .

- وكـان الجـوز يسـقـط من فـوق شـجـرته فى الماء ، وكـات صـوت (ذلك) السقوط يبلغ مسمعه ، ويرى الحباب .

- فـقال له أحـد العـقلاء : أقلع عن هـذا الأمـر أيهـا الفـتى ، إن الجوز فى حـد ذاته يصيبك بالظمأ .

- فكلما كثر سقوط الثمر فى الماء ، ابتعد عنك الماء وغار أكثر .

- وحتى تنزل أنت من عل بكل مشـقة ، يكون مـاء الجـدول قد حملها بعيدا عنك .

٧٥٠ - قال : مـا إلى هذا قصـدت من إلقاء الجـوز ، أنظر بعمق أكبـر ولا تقف عند الظاهـر .

- إنما أقصد أن أسمع صوت الماء وأرى هذا الحباب على سطحه .

- وأى عـمل للظمـآن فى هذا العـالم ، إلا أن يطوف دائمـا بجوار (حـوض) الماء ؟ !!

- (والطواف) حول النهر وحول الماء وخرير الماء ، كالحاج الطائف حول كعبة الصواب .

- وكذلك مقصودى من هذا المثنوى ، هو أنت يا ضياء الحق ويا حسام الدين .

٧٥٥ - فالمثنوى بأصوله وفروعه كله لك ، وقد جعلته (أنت) كله مقبولا .

- إن الملوك يقبلون الحسن والقبيح ، وعندما يقبلون ، فالغالب ألا يكون رد .

- وما دمت قد زرعت غرسا فاروه ، وما دمت قد سمحت له بالسموق ، ففك ما فيه من عقد .

- إن هدفى من ألفاظة هو سرك ، وهدفى من إنشائه هو صوتك .

- إن صوتك عندى هو صوت الله ، وحاشا أن يكون العاشق منفصلا عن المعشوق .

٧٦٠ - وهناك اتصال بلا كيفية أو قياس ، لرب الناس مع أرواح الناس .

- لكنى قلت الناس ، لا النسناس ، والناس ليسوا سوى الروح العارفة بروح الروح .

- الناس هم البشر وأين البشر ، إنك لم تر رؤوس البشر ، فأنت ذيل .

- لقد قرأت « ما رميت إذ رميت » ، لكنك جسد ، فبقيت فى تحلل وتجزؤ [1] .

- فاترك ملك جسدك أيها الغبى ، مثلما فعلت بلقيس من أجل سليمان النبى .

---

(١) عند يوسف بني أحمد (١٠٦/٤) بقيت في التحري (بدلا من التجزي) أي بقيت تسأل وهذا في رأيي أقرب إلي المعني

٧٦٥ – أننى أستعيذ بالله ، ليس من قولى ، بل من وساوس ذلك الذى يعبد الظن .

– إنه يستريب فى قولى ، وفى قلبه ما فيه من الوساوس وانكارات الظن .

– أننى أقول « لا حول ولا قوة إلا بالله » أى لا حيلة ، ما دام هناك فى قلبك حديث ضدى جدير بالقول .

– وما دام حلقك قد غص بقولى ، فها أنا قد صمت ، فهات ما عندك .

– كان أحدهم من نافخى الناى ينفخ فى نايه سعيداً ، فخرج من مقعده ريح على حين غرة .

٧٧٠ – فوضع الناى على مؤخرته قائلا : إذا كنت تستطيعين النفخ أفضل منى فانفخى .

– أيها المسلم ، إن الأدب فى الطلب ، ليس إلا التحمل من كل من لا أدب عنده .

– فكل من تراه يشكو قائلا : إن فلانا سئ الطبع وسئ الجبلة .

– فأعلم أن ذلك الشاكى سئ الطبع ، ذلك أنه أساء القول فى سئ الطبع ذاك .

– ذلك أن حسن الطبع ذلك الذى يكون فى استسلام متحملا لسئ الطبع والجبلة .

٧٧٥ – لكن الشكوى (الصادرة) من الشيخ هى بأمر الله ، ليس من الغضب أو المراء والهوى .

– ليست شكوى بل هى إصلاح للروح ، إنها مثل الشكوى التى تصدر عن الأنبياء .

– وعدم احتمال الأنبياء أعلم أنه بأمر الله ، وإلا فإن أحلامهم حمالة للسوء .

– لقد قتلوا طبعهم (كبشر) فى تحملهم للسوء ، فإن كان هناك ثمة عدم تحمل فهو بأمر الله .

– فيا سليمان كن حكما بالحق بين البزاة وطيور الزاغ ، وأئتلف مع كافة الطيور .

٧٨٠ – ويا من المئات [1] مثل بلقيس ضعيفات أمام حلمك ، عندما قال : اللهم إهد قومى فإنهم لا يعلمون .

إنذار سليمان عليه السلام لبلقيس طالبا منها ألا تصر على الشرك ، وألا تتأخر (فى اللحاق به) .

– هيا يا بلقيس وإلا ساء الأمر ، يصبح جندك خصما لك ويتمرد عليك .

– ويهتك حاجبك بابك ، وتكون روحك خصيمة لك بكل قواها .

– وكل ذرات الأرض والسماء ، تكون جندا للحق عندما (يحين) الامتحان .

– لقد رأيت ماذا فعلت الريح بقوم عاد . ورأيت ماذا عمل الماء فى الطوفان .

٧٨٥ – وما صنعه ذلك البحر المنتقم لفرعون ، وما أبدته تلك الأرض لقارون .

– وما فعل طير الأبابيل بالفيل ، وكيف أن بعوضة افترست رأس النمرود .

– وأن داود ألقى بيده حجرا ، فتحول إلى ستمائة قطعة وهزم جيشا .

– وكيف أمطر قوم لوط بالحجارة ، حتى غاصوا فى المياه السوداء .

– وإن تحدثت عن جمادات العالم ، وعن العون الذى قدمته للأنبياء .

٧٩٠ – لزاد هذا المثنوى بحيث ينوء أربعون بعير تحت ثقله الشديد .

– إن اليد تشهد على الكافر ، وتصبح من جند الحق ، فيطأطئ (الكافر) رأسه .

---

(١) حرفيا : مائتين .

– ويا من أبديت فى فعلك درسا معاديا للحق ، أنت بين عسكره ، فخف .

– إن أجزاء جسدك جزءا جزءا جند له فى وفاق ، إنهم مطيعون لك الآن من النفاق .

– وأن أمر العين قائلا : عذبيه ، لدمرك تماما ألم العين .

٧٩٥ – ولو أمر الأسنان قائلا : صبى عليه الوبال ، لرأيت العقاب الشديد من الأسنان .

– فافتح كتاب الطب واقرأ باب العلل ، حتى ترى جند العقل فى عمل .

– وإذا كان هو روح الروح لكل شئ ، فمتى تكون العداوة سهلة مع روح الروح .

– واحسبى جند الشياطين والجن على حدة ، وهم بجماع قلوبهم يشقون الصفوف من أجلى .

– فاتركى الملك يا بلقيس من البداية ، وعندما تلحقين بى فالملك كله لك .

٨٠٠ – وسوف تعلمين أنت نفسك عندما تأتين إلىّ ، إنك بدونى كنت صورة فى حمام .

– والصورة سواء كانت صورة سلطان أو غنى ، فهى مجرد صورة لا طعم لها فى حد ذاتها من الروح .

– وزينتها وزخرفها من أجل الآخرين ، لقد فتحت بلا جدوى العين والفم .

– ويا من قامرت بنفسك فى النزال ، إنك لم تميز بين الآخرين وبين نفسك .

– أنك تقف أمام كل صورة تصل إليها قائلا : هذه أنا ، والله إنها ليست أنت .

٨٠٥ – وإنك إن بقيت لحظة واحدة بعيد عن الخلق ، تبقى فى حزن وقلق حتى الحلق .

– وهذا هو أنت ، فمتى تكون .. ذلك الأوحد ، وأنت جميل بنفسك ثمل بنفسك حلو بنفسك .

– أنت طائر نفسك وفخ نفسك وصدر نفسك ، وأرض نفسك وسماء نفسك .

– والجوهر فحسب هو الذى يكون قائما بنفسه ، ويكون عرضا ذلك الذى يكون فرعا له .

– فإذا كنت ابن آدم فاجلس مثله ، وأنظر فى نفسك إلى كل الذرية .

٨١٠ – وماذا يكون فى الدن غير موجود فى النهر ؟ ! وماذا يكون فى الدار غير موجود فى المدينة .

– وهذه الدنيا دن والقلب مثل جدول الماء ، وهذه الدنيا مجرد حجرة والقلب مدينة (العجب) العجاب .

إبداء سليمان عليه السلام (ما في نفسه) قائلا : إن جهدي في إيمانك خالصٌ لأمر الله وليس عندي ذرة من غرض لا في نفسك ولا في حسنك ولا في ملكك .. وسوف ترين أنت نفسك عندما تنفتح منك عين الروح بنور الله

– هيا تعالى فأنا رسول داعية ، لست رجل شهوة ، فأنا كالأجل أقتل الشهوة .

– وإن كان ثم شهوة فأنا أمير عليها ، ولست أسيرا لها من أجل وجه حسناء .

– كان أصلنا الأكبر محطماً للأصنام ، وأنا مثل خليل الحق وكل الأنبياء .

٨١٥ – وإذا دخلنا أيها العبد إلى معبد الأصنام ، فإن الصنم هو الذى يسجد لنا عابدا ولا نسجد نحن له .

– لقد دخل أحمد عليه السلام وأبو جهل بيت الأوثان ، وهناك فرق شاسع بين هذا الذهاب وذاك الذهاب .

– فذاك يدخل فتسجد له الأصنام ، وهذا يدخل فيسجد هو كبقية الأميين .

– وعالم الشهرة هذا معبد للأصنام ؟ وهى عش للكافرين ، والأنبياء أيضا .

– لكن الشهوة تكون أمة للأطهار ، فالذهب لا يحترق لأنه نقد للمنجم .

٨٢٠ – والكفار مزيفون والأطهار كالذهب ، وكلاهما له البوتقة هذان الفريقان .

– وعندما دخلها الزيف اسود فى لحظة واحدة ، لكن الذهب عندما دخلها ظهرت طبيعته عيانا .

– لقد ألقى الذهب بيده وقدمه فى البوتقة سعيدا ، تضحك منه العروق فى وجه النار .

– لقد صارت أجسادنا ستارا علينا فى الدنيا ، ونحن كالبحر تحت هذا التبن فى الخفاء .

– فلا تنظر أيها الجاهل إلى ملك الدين (بعين) الطين ، فهكذا نظر إبليس اللعين .

٨٢٥ – فمن الذى يمكن له أن يدهن هذه الشمس بكف من الطين قل لى آخر الأمر .

– وأنت إن نثرت التراب ومائة (نوع) من غباره فى وجه النور فإنه يرتفع عنه .

– وماذا يكون القش حتى يخفى وجه الماء ؟ ! وماذا يكون الطين حتى يغطى وجه الشمس ؟ [1] .

---

(١) بعد البيت عنوان فى نسخة جعفرى (٢٨/١٠) باقى قصة إبراهيم بن أدهم قدس الله سره .

– انهضى يا بلقيس مثل أدهم بملوكية ، واحرقى هذا الملك الذى يدوم يومين أو ثلاثة أيام .

بقية قصة إبراهيم بن أدهم قدس الله سره

(١)

– سمع ذلك الطيب الاسم وهو فى فراشه ، ضجة وصخبا وصيحات فى الليل قادمة من فوق السطح .

٨٣٠ – كانت هناك خطوات مسرعة على سطح القصر ، قال لنفسه أترى من تكون له مثل هذه الجرأة ؟!

– فصاح من فتحة (سقف) القصر قائلا : من هناك ؟ ، لا يمكن أن يكون هذا إنسان فلعله من الجان ؟ !

– فأطل قوم برؤوسهم .. وياللعجب ، قائلين : إننا نطوف ليلا نطلب (ضائعا) .

– فقال لهم : ويحكم .. عما تبحثون ؟! قالوا : إبل ، قال : من الذى يبحث عن الإبل فوق السطح .. انتبهوا !!

– فقالوا له : كيف تطلب أنت لقاء الله .. وأنت (متربع) على عرش الجاه ؟!

٨٣٥ – كان هذا هو كل ما حدث ، ولم يره أحد بعدها ، اختفى كما يختفى الجنى عن عيون الناس .

– إن معناه خفى مستور وهو أمام الناس ، ومتى يرى الخلق إلا اللحية والخرقة ؟!

---

(١) يوجد بيت زائد فى نسخة جعفرى (٢٨/١٠) :

تحدث عن أحوال إبراهيم سريعا وقل لأى سبب هجر ملكه

– وعندما اختفى عن عيون أهله وعيون الخلق ، صار مشهورا فى الدنيا كأنه العنقاء .

– وإن روح كل طائر جاء صوب جبل قاف ، كل الدنيا تثرثر عنه ادعاءاً أو تزيدا .

– وعندما وصل إلى سبأ هذا النور المشرقى ، وقعت الضجة فى (وجود) بلقيس وفى كل الخلق .

٨٤٠ – وقد رفرفت الأرواح الميتة بأجنحتها ، وأطل موتى الجسد برؤوسهم من القبور .

– وظل كل منهم ينقل البشرى للآخر قائلا له : إن ثمة نداءً ينزل من السماء الآن .

– ومن هذا النداء سوف تصير أديان (الناس) فى رفعة وسمو ، وسوف تخضر أغصان القلوب وأوراقها .

– إن هذا النفس من سليمان كأنه نفخ الصوره ، لقد خلص الموتى من القبور .

– ولتكن لك السعادة من بعد هذا ، لقد مضى (دوره) والله أعلم باليقين .

بقية قصة أهل سبأ ونصيحة سليمان عليه السلام لقوم بلقيس وإرشاده لكل واحد بما يناسبه من مشكلات دينه وقلبه ، وحين نحدث أي كل نوع من طيور الضمير بصفير ذلك النوع من الطيور

٨٤٥ – إننى أروى عن سبأ كالمشتاق ، عندما هبت رياح الصبا على مزرعة الشقائق ،

- « لاقت الأشبـاح يوم وصلها ... عادت الأولاد صوب أصلها

- أمه العشق الخفى فى الأمـم ... مثل جود حوله لؤم السقم

- ذلـــة الأرواح من أشبـــاحها ... عـزة الأشباح من أرواحـــها

- أيهـا العشــاق السقيـا لكـم ... أنتـــم البـاقون والبقيـا لكم

٨٥٠ - أيها السـالون قوموا واعشقوا ... ذاك ريح يوسف فاستنشقوا »[١] .

- وتعال يا منطق الطير السليمانى ، وتغن بتغريد كل طائر يحضر !!

- إذ أن الحق عندما بعثك إلى الطيور ، وهبك مسبقا « فهم » تغريد كل طائر ..

- فتحدث مع الطائر الجبرى بلغة الجبر ، وتحدث إلى الطائر كسير الجناح عن الصبر !!

- وهنئ الطائر الصابر على العافية ، وأتل على طائر العنقاء أرصاف جبل قاف .

٨٥٥ - وقل للحمامة أن تأخذ حذرها من البازى .. وحدث البازى عن الحلم والتقى !!

- وذلك الخفاش الذى بقى محروما ، إجعله دوما قرينا للنور مؤتلفا معه !!

- وعلم الحجل المقاتل السلام ، وأشرح للديكة أشراط الصبح (الصادق) .

- وهكذا فامض من الهدهد حتى العقاب ، أرشدهم إلى الطريق والله أعلم بالصواب .

تحرر بلقيس من الملك وسكرها من شوق الإيمان والتفات همتها عن الملك عند هجرتها .. إلا عن العرش

---

(١) ما بين القوسين بالعربية فى الأصل .

- عندما صفر سليمان مرة واحدة تجاه طيور سبأ قيدها وأسرها بأجمعها .

٨٦٠ - اللهم إلا طائراً بلا روح أو جناح ، أو كان كالسمكة أصم من الأصل .

- لا .. لقد أخطات ، فإن الأصم لو استسلم أمام وحى الكبرياء لرد إليه سمعه .

- وعندما صح من بلقيس العزم بالقلب والروح ، تأسفت على ما مضى من الزمان ..

- لقد تركت المال والملك كما يترك هؤلاء العاشقون الفخر والعار .

- لقد صار أولئك الغلمان والجوارى المنعمات أمام عينيها كالبصل المهترئ .

٨٦٥ - ومن العشق .. كانت البساتين والقصور والمياه الجارية تبدو أمام عينيها كالمستوقد .

- والعشق عند الاستيلاء والتسلط ، يجعل الأشياء اللطيفة قبيحة أمام العين .

- إنه يبدى الزمرد كأنه الكراث .. وهذه هى غيرة العشق ومعنى (لا) .

- هذه هى (لا إله إلا هو) أيها الملاذ ، هى التى تبدى لك القمر كأنه قدر أسود .

- لم تكن تأسف على مال قط ولا على كنوز ولا على ثياب ، لم تكن تأسف إلا على العرش .

٨٧٠ - فعلم سليمان خبر قلبها فقد كان هناك طريق بين قلبه وقلبها !!

- وهذا الذى يسمع أصوات النمل ، لابد وأن يسمع صرخات قلوب البعيدين !!

- وذلك الذى يتحدث بسر (قالت نملة) ، لابد وأن يعلم سر هذا الطاق القديم (الدنيا) .

- رأى من على البعد أن تلك التى ديدنها التسليم ، صعب عليها فراق عرشها ذاك .

- ولو أننى ذكرت السبب .. لطال الأمر .. أقصد السبب فى عشقها للعرش وألفتها به !!

٨٧٥ - وبالرغم من أن هذا القلم نفسه بلا حس ، وليس من جنس الكاتب إلا أنه مؤنس له !!

- وكذلك كل آلة لحرفى .. بلا روح .. لكنها مؤنسة لروح المرء ...

- ولو لم تكن عين فهمك قد أصيبت بالرطوبة ، لشرحت لك السبب فى هذا الأمر .

- فسر عظمة العرش التى كانت تزيد عن الحد ، أنه لم يكن فى الإمكان نقل هذا العرش ..

- كان عملا دقيقا ... وجله أمر خطير ، وكأنه أوصال البدن (يتصل) بعضها ببعضها الاخر .

٨٨٠ - قال سليمان : بالرغم من أن (عشق) العرش والسرير (الملكى) سوف يبرد عندها فى النهاية ؛

- وعندما تطل الروح إطلالة واحدة من الوحدة ، لا يبقى مع هذا المجد مجد للجسد على الإطلاق .

- وعندما يستخرج الجوهر من قاع البحار ، تنظر إلى الزبد والغثاء بكل احتقار .

- وعندما تطل الشمس ذات الشرر ، من الذى يجعل ذنب العقرب مستقرا له ؟ !

- لكن مهما يكن من أمر ، ينبغى فى التو واللحظة ، البحث عن وسيلة لنقل عرشها .

٨٨٥ - وحتى لا تكون فى ضيق عند اللقاء ، ينبغى قضاء حاجتها الطفولية هذه !!

- إنه بالنسبة لنا أمر سهل لكنه شديد الصعوبة بالنسبة لها ، مثلما يكون الشيطان (موجودا) على موائد الحور .

- إن عرش النعيم هذا يكون عبرة لروحها ، مثلما كان دلق إياز بالنسبة له وحذاؤه الريفى .

- وحتى تعلم تلك المبتلاه فى أى شئ كانت .. وإلى أين وصلت مما كانت فيه !!

- وإن الله سبحانه وتعالى يحفظ التراب والنطفة والمضغة أمام أعيننا .

٨٩٠ - وذلك لكى يقول لنا .. من أين أتيت بك يا سئ النية ، مما تبدى له كل ذلك الاشمئزاز .

- لقد كنت فى فترة هذا عاشقا له .. وكنت منكرا لما أنت فيه الآن من فضل ، وذلك الزمان .

- وهذا الكرم كأنه دفع لذلك الإنكار منك ، الذى كنت تبديه من البداية وأنت فى المرحلة الترابية ..

- لقد صار خلقك حجة على إنكارك ، وصار مرضك هذا أكثر سوءا بعد تناولك الدواء .

- فمن أين يكون للتراب تصور هذا الأمر ، ومن أين للنطفة الخصومة والإنكار .

٨٩٥ - وكنت فى تلك اللحظة بلا قلب ولا سر ، فكيف كنت منكرا للفكر والإنكار ؟ !

– وعندما نجا إنكارك من مرحلة الجمادية .. من نفس هذا الإنكار صار حشرك صحيحا !!

– وأنت على مثال قارع الباب ، ويقول له السيد من الداخل إن السيد ليس موجوداً !!

– والقارع على الباب يدرك من نفس هذا الإنكار أنه موجود ، فلا يرفع يديه عن الحلقة على الإطلاق !!

– ومن ثم فإن إنكارك في حد ذاته يبين ، إنه يقوم من الجماد بمائة من الحشر .

٩٠٠ – لقد تمت كثير من الصنائع أيها المنكر حتى أنكر الماء والطين مفهوم « هل أتى » ...

– كان الماء والطين يقول : ليس فى الأمر فى حد ذاته إنكار لكن الغافل كان يصيح : لا اقرار ..

– وأنا أفسر هذا الأمر بمائة طريق ، إلا أن الخاطر يحيد عن القول الدقيق . (١)

توسل سليمان عليه السلام في إحضار عرش بلقيس من سبأ

– قال عفريت أنا آتيك بعرشها .. بفنى .. قبل أن تقوم من مقامك هذا .

– قال آصف : وأنا باسمه الأعظم آتيك قبل أن يرتد إليك طرفك .

٩٠٥ – وبالرغم من أن العفريت كان أستاذا فى السحر .. لكن الأمر تم من نفس آصف !!

---

(١) ج / ١٠ – ٤٢ :
فلأكف عن شرحه أيها العظيم ، من أجل « الحديث عن » نقل عرش بلقيس من سبأ .

- لقد حضر عرش بلقيس فى تلك اللحظة .. لكن من آصف وليس من قن المنسوبين إلى الجان !!

- قال سليمان : حمدا لله على هذا .. وعلى مائة منه أمثال هذا آتانيها رب العالمين .

- ثم نظر سليمان إلى العرش .. وقال : نعم .. إنك صيادة الحمقى أيتها الشجرة .

- وأمام الخشب وأمام الحجر المزخرف بالحفر .. ما أكثر الحمقى المخدوعين الذين يطأطئون الرؤوس ..

٩١٠ - والساجد والمسجود له كلاهما لا خبر عن الروح ، وإن كان قد رأى من الروح حركة وأثرا قليلين .

- لرأى أنه عندما صار ذاهلا مبهوتا .. أن الحجر تكلم وأشار !!

- وعندما لعب نرد الخدمة فى غير موضعه ، اعتبر الشقى الأسد الحجرى أسدا (حيا) ..

- ومن كرمه أبدى الأسد الحقيقى الجود ، وألقى بالعظام سريعا أمام الكلب .

- وقال : بالرغم من أن هذا الكلب ليس على قوام الأمر إلا أن العظام عندنا لطف عام .

قصة استعانة حليمة بالأصنام عندما فقدت المصطفي صلي الله عليه وسلم عقب فطامه ، وارتعاد الأصنام وسجودها ، وشهادتها بعظمة أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم

٩١٥ – إننى سوف أروى لك قصة سر حليمة ، حتى تمحو هذه القصة الحزن عنك .

– عندما فطمت المصطفى عن الرضاع ، حملته على كفها كالريحان والورد .

– كانت تجعله بعيدا عن كل خير وكل شر ، حتى تسلم ذلك المليك إلى جده ..

– وعندما كانت تأتى بالأمانة (إلى ذويها) اتجهت من خوفها إلى الكعبة ودخلت الحطيم .

– فسمعت هاتفا ينادى من الهواء قائلا .. أيها الحطيم ، لقد أشرقت عليك شمس شديدة العظمة .

٩٢٠ – يا حطيم .. اليوم توهب سريعا مئات الآلاف من الأنوار من شمس الجود .

– ياحطيم ، اليوم ينزل فيك ، ملك ذو هيبة رسوله الإقبال ..

– يا حطيم أنك اليوم تصير بلا ريب ومن جديد منزلا للأرواح السامية .

– وسوف تأتيك أرواح الأطهار جماعة بعد جماعة وفوجا بعد فوج من كل فج ثملة بالشوق .

– فتحيرت حليمة من هذا الصوت ، فلم يكن هناك أحد من قدامها أو من ورائها .

٩٢٥ – كانت الجهات الست خالية من الصورة ، لكن ذلك النداء صار متواليا .. لتكن الروح فداء له !!

– فوضعت المصطفى على الأرض ، حتى تبحث عن ذلك الصوت الحسن .

– وأخذت تلقى بنظراتها من ناحية إلى أخرى ،، متسائلة : أين ذلك المليك المتحدث بالأسرار ؟!

- إن هذا الصوت العالى يصل (إلى) من يمين ويسار ، فأين الذى يبلغه إياى يا الله ..

- وعندما لم تبصر شيئاً .. تحيرت .. وأصابها القنوط وارتعد جسدها كأغصان الصفصاف .

٩٣٠ - ثم عادت نحو ذلك الطفل الرشيد .. لكنها لم تر المصطفى فى مكانه !!

- فداخلت قلبها حيرة فوق حيرة ،وأظلم عليها منزلهاظلمة شديدة من الحزن .

- فأسرعت نحو بقية المنازل ونادت .. صائحة ملتاعة ؟ من سلب منى حبة الفؤاد العزيز ؟!

- فقال لها أهل مكة : لا علم لنا ، ولم نعلم أن هناك طفلا .

- فذرفت الدمع الثخين .. وازداد صراخها . بحيث بكى الآخرون لبكائها .

٩٣٥ - أخذت تبكى بشدة وتدق صدرها ، بحيث بكت الكواكب لبكائها .

حكاية ذلك الشيخ العربى الذى دل حليمة على الاستعانة بالأصنام

- فتقدم منها شيخ متوكئا على عصاه .. وسألها : ما الذي جرى لك آخرا يا حليمة ؟

- بحيث أشعلت نارا كهذى فى القلب ، وأحرقت هذى الأكباد غما وألما .

- قالت : لقد أحضرت رضيعى المعتمد أحمد حتى أسلمه لجده .

- وعندما وصلت إلى الحطيم أخذت أصوات تبلغ مسمعى .. كنت أسمعها قادمة من الهواء .

٩٤٠ - وعندما سمعت هذه الألحان من الهواء ، وضعت الطفل هناك .. بسبب هذه الأصوات !!

– حتى أرى صوت من يكون هذا النداء ، إنه نداء لطيف جدا وشهى جدا .

– فلم أكن أرى ما يدل على وجود أحد حولى ، ولم يكن النداء ينقطع لحظة واحدة ..

– وعندما عدت من حيرة القلب ، لم أر الطفل فى مكانه فويلاه لقلبى .

– قال لها : لا تغتمى يا ابنتى ، فإننى سوف أدلك على أحد الملوك .

٩٤٥ – يحدثك إن أراد عن حال الطفل ، فهو يعلم مزل الطفل وترحاله .

– فقالت حليمة : جعلت فداك أيها الشيخ الطيب حسن النداء .

– دلنى على ذلك المليك العظيم الذى يكون عنده خبر عن حال طفلى .

– فاصطحبها إلى (العزى) قائلا لها: إن هذا الصنم مغتنم فيما يختص بأخبار الغيب

– لقد وجدنا آلاف المفقودين عن طريقه .. عندما أسرعنا إليه طائعين .

٩٥٠ – فسجد له الشيخ وقال متلهفا : يا إله العرب ويا بحر الجود .

– ثم قال : أيتها العزى لقد قمت بكثير من الإكرام حتى نجونا من الشباك.

– وحق على العرب تبجيلك ، وفرض على العرب أن يخضعوا لك .

– هذه حليمة السعدية ، جاءت إليك راجيه ، واستظلت بظلال صفصافك .

– لقد ضاع منها طفل ، واسم ذلك الطفل محمد .

٩٥٥ – وعندما نطق باسم محمد ، انقلبت تلك الأصنام وسجدت فى التو واللحظة ،

– قائلة امض أيها الشيخ ، ما هذا السعى والبحث عن محمد هذا الذى يكون عزلنا على يديه ،

– منه سوف ننقلب وسوف نقذف بالأحجار ، ومنه تكسد سوقنا ونبقى بلا اعتبار .

– وتلك الخيالات التى كان أهل الهوى يرونها منا بين الآن والآخر .

– تضيع منا عندما يهل (زمان) بلاطه ، لقد حضر الماء فأبطل التيمم .

٩٦٠ – ابتعد أيها الشيخ وكفاك إشعالا للفتنة ، وهيا لا تحرقنا حسدا من أحمد !!

– وابتعد بالله أنت أيضا أيها الشيخ ، حتى لا تحترق أنت أيضا بهذه النار المقدرة .

– أى تحريك هذا لذيل الأفعى ، ألا تعلم أى إخبار هذا ؟!

– فمن هذا الخبر يغلى قلب البحر والمنجم ، ومن هذا الخبر ترتعد السموات السبع .

– وعندما سمع الشيخ هذا الكلام من الأصنام ، ألقى ذلك الشيخ المهدم عصاه .

٩٦٥ – ومن الرعدة والخوف والرعب من هذا النداء ، أخذت أسنان الشيخ تصطك

– مثلما يكون الإنسان عاريا فى الشتاء ، أخذ يرتعد ويدعو ثبورا .

– وعندما رأت الشيخ على هذه الحالة ، أفقدتها دهشتها التدبير .

– وقالت : أيها الشيخ بالرغم من أننى فى محنة ، فأنا فى دهشة شديدة وفى حيرة من أمرى .

– فحينا تخطب فى الريح ، وحينا تحدثنى الحجارة وكأنها أديب (مفوه) .

٩٧٠ – توجه إلى الحجارة الأحاديث بكلام ، وتفهمنى الحجارة والجبال الأشياء .

– وأحيانا يختطف أهل الغيب طفلى ، أهل الغيب ذوو الأجنحة الخضر من السماء .

– فمن أى شئ أنوح ؟ ولمن أشكو ، لقد صرت مصابة بالجنون مشتتة القلب .

– لقد عقدت غيرته شفتى عن شرح الغيب ، فيكفى أن أقول : ضاع طفلى
– ولو أننى قلت شيئا آخر الآن ، لقيدنى الخلق بسلسلة الجنون .

٩٧٥ – قال لها الشيخ : فلتسعدى يا حليمة ، اسجدى سجدة شكر ولا تلطمى وجهك .

– لا تحزنى فإنه لن يضيع منك ، بل إن العالم (بأجمعه) سوف يحار فيه
– وفى كل لحظة ، حسدا للغيرة ، هناك أمامه ووراءه مئات الآلاف من الخفر الحرس .

– ألم ترى كيف أن تلك الأصنام ذات الفنون ، قد انقلبت عندما ذكر اسم طفلك ؟!

– إن هذا لقرن عجيب على وجه الأرض ، لقد شخت لكنى لم أر له مثيلا من قبل .

٩٨٠ – وإذا كانت الحجارة قد أنت من هذه الرسالة ، فما بالك بما سوف يلحق منها بالمذنبين .

– وإن الحجر لبرئ من كونه معبودا (وليس هذا من اختياره) ، لكنك لست مجبرا على عبادته .

– إن المضطر قد صار خائفا إلى هذا الحد ، فما بالك بما سوف يتهمون به المجرم (الذى عبدها !) .

علم جد المصطفي عبد المطلب عن فقدان حليمة لمحمد عليه السلام وبحثه عنه حول المدينة وتضرعه علي باب الكعبة ودعائه للحق وعثوره على محمد عليه السلام

– عندما علم جد المصطفى خبر حليمة وصراخها على الملا .

– وعن هذه الأصوات العالية والصرخات ، إذ كان تفجعها يصل إلى بعد ميل .

٩٨٥ – علم عبد المطلب سريعا ما حدث ، فأخذ يدق صدره بيده وبكى .

– ومن الحزن جاء إلى باب الكعبة بحرقة قائلا : يا خبيرا بسر الليل وسر النهار .

– إني لا أرى في نفسي أي حول وميزة، حتى يكون نجيا لك من هو مثلي

– إنني لا أرى نفسي فضلا ، حتى أصير مقبولا لهذا الباب المسعود .

– أو إنه لطأطأة رأسي وسجدتي قدرا ، أو أنه بدموعي سوف يضحك لي الإقبال .

٩٩٠ – لكنني قد شاهدت لطفك أيها الكريم ، في سيماء هذا الدر اليتيم .

– إنه لا يشبهنا بالرغم من أنه منا ، إننا كلنا نحاس وأحمد هو كيمياء (التبديل) .

– ولكن العجائب التي رأيتها فيه ، لم أرها قط في حبيب أو عدو .

– وما وهبه فضلك إياه في طفولته ، لا يهديه أحد في مائة سنة من الجهاد

– وعندما شاهدت عناياتك على وجه اليقين ، وإنه هو الدرة (الفريدة) في بحرك .

٩٩٥ – فإنني أتشفع به إليك ، فأخبرني عن أحواله يا عالما بالأحوال .

– فجاءه صوت من داخل الكعبة سريعا ، هاتفا : إنه الآن سوف يسفر عن وجهه .

– إنه محفوظ منا بمزيد[1] من الإقبال ، وهو محفوظ لدينا بمائتي كتيبة من الملائكة .

– ونجعل ظاهره مشهورا في العالم ، لكننا نحفظ باطنه ونجعله (مستورا) عن جميع (الناس) .

---

(١) حرفيا : بمائتي .

- لقد كان ذهب المنجم مجرد ماء وطين ، ونحن الصاغة أحيانا نجعل منه خلخالا وأحيانا نجعل منه خاتما .

١٠٠٠ - أحيانا نجعل منه حمائل سيف ، وأحيانا نجعل منه طوقا لأسد .

- أحيانا نجعل منه أترجة للعـــرش ، وأحيانا نجعل منه تاجا على مفرق باحث عن الملك (الأزلى) .

- إننا نشعر بألوان من الحب نحو هذا التراب ، لقد خلق فى حال من أحوال الرضا(١) .

- أحيانا يخلق منه مثل هذا الملك ، وأحيانا نجعل منه والها أمام الملك العظيم .

- وهناك مئات الآلاف من العشاق والمعشوقين ، هم منه فى صراخ ونفير وفى سعى وبحث .

١٠٠٥ - إن هذا هو عملنا .. برغم ذلك الذى لا يميل بكل روحه إلى عملنا .

- إننا نعطى هذه الفضيلة للتراب ، لكى نجعله عطاء لمن لا زاد لهم .

- ذلك لأن هذا التراب ذو ظاهر أغبر ، لكنه فى الباطن ذو صفات نورانية .

- وقد اشتبك ظاهره مع باطنه فى جدال ، فباطنه كالجوهر وظاهره كالحجر .

- يقول ظاهره : هذا نحن .. فحسب (ولاشئ آخر) ، فيقول باطنه : أنظر جيدا قدامك ووراءك .

١٠١٠ - ظاهره منكر قائل إن الباطن لا شئ قط ، فيقول باطنه انتظر حتى تبدى لك الأيام .

---

(١) حرفيا : خلق في « قعدة الرضا » .

– إن ظاهره فى عراك مع باطنه ، فلا شك أن الذى ينتصر منها من له قدرة على الصبر

– ومن هذا التراب العبوس نصنع الصور ، ونجعل ضحكه الخفى ظاهرا .

– ذلك أن ظاهر التراب (الأرض) حزن وبكاء ، وفى باطنه مئات الآلاف من الضحكات

– ونحن كاشفو الأسرار ، هذا هو عملنا ، هو أن نخرج هذه الخفايا من مكامنها .

١٠١٥ – وبالرغم من أن اللص يصر على الإنكار ، فإن الشرطى يبدى ما يخفيه عن طريق تعذيبه .

– وقد سرقت هذه (المخلوقات) من تراب هذه الأنواع من الفضل حتى نجعلها تقر بها عن طريق الابتلاء .

– ولقد كان لهذا التراب أبناء عجيبون ، لكن أحمد قد زاد عليهم جميعا .

– صارت الأرض والسماء ضاحكين سعيدين قائلين لقد ولد مثل هذا الملك منا زوجين .

– فالسماء تنشق من فرحتها ، والأرض صارت كالسوسن من الحرية التى منحها لها .

١٠٢٠ – ولما كان ظاهرك وباطنك أيها التراب الطيب فى قتال وفى عراك .

– هكذا من يكون مع نفسه فى حرب من أجل الحق ، يصير المعنى فيه دائما خصما لرائحته ولونه .

– تكون ظلمته فى قتال مع نوره ، فلا يكون لشمس روحه زوال .

– وكل من يجاهد من أجلنا عند الإمتحان ، تنحنى السماء تحت قدمه .

– وظاهرك من الظلمة يكون صارخا ، بينما يكون باطنك روضة فى روضة .

١٠٢٥ – وإنه ليفعلها عن قصد كالصوفية العبوسين ، وذلك حتى لا يتعاشروا مع كل قاتل للنور .

– والعارفون عبوسون كالقنافذ ، لقد أخفوا السرور تحت (غطاء) من الشوك الحاد .

– إن الحديقة مستورة وذلك الشوك المنتشر حولها يقول : أيها العدو اللص ابتعد عن هذا الباب !!

– ويا أيها القنفد لقد جعلت الشوك حارسا لك ، ووضعت رأسك فى جيب (ثوبك) كالصوفى .

– فإن إحدى أولاد الحسان ذوات الوجنات الموردة والطباع الشوكية لن تستطيع أن تقلل مقدار ذرة[1] من سرورك .

١٠٣٠ – وبالرغم من أن طفلك كان فى طبع الأطفال ، فإن كلا العالمين كانا طفيليين عليه[2] .

– إننا نحيى به عالما .. ، ونجعل الفلك عبدا فى خدمته .

– فقال عبد المطلب : أين هو فى هذه اللحظة ، ويا عالما بالسر أبد لنا الطريق الصحيح.

طلب عبد المطلب أمارات موضع محمد – عليه السلام – متسائلا أين أجده ؟ ومجئ الجواب من داخل الكعبة وتلقيه الأمارات

– وصل إليه الجواب من داخل الكعبة قائلا : يا باحثا عن ذلك الطفل الرشيد[3] .

---

(١) حرفيا : نصف الربع

(٢) البيت في نسخة جعفري (١٠ / ٨٨) بعد العنوان .

(٣) ج ١٠ – ٨٨ : قال له الهاتف لا تغتم ففي التو واللحظة سأدلك علي موضع مليك العالم هذا .

– إنه فى وادى كذا تحت تلك الشجرة ، فانطلق إليها مسرعا أيها الشيخ المقبل .

١٠٣٥ – كان فى ركابه أمراء قريش ، ذلك أن جده كان من أعيان قريش .

– وكان كل أسلافه حتى أدم سادة الحرب والجمع والملحمة .

– كان هذا النسب – فى حد ذاته – نسبا لبدنه ، فقد صفى من ملوك عظام

– أما لبه وحقيقته فقد كان بعيدا عن النسب منفيا عنه ، وليس هناك أحد من جنسه من باطن الأرض السابعة[١] إلى السماك .

– ولا يبحث أحد عن نور الحق فى النسب ، وأية حاجة لخلعة الخالق إلى السدى واللحمة

١٠٤٠ – وإن أقل خلعة يهبها على سبيل الثواب ، إنما تزيد على (خلعة) الشمس المطرزة .

بقية قصة دعوة الرحمة لبلقيس

– انهضى يابلقيس ، وتعالى ، وشاهدى الملك (الحقيقى) ، واجمعى الدر من شاطئ بحر الإله .

– إن أخواتك ساكنات فى الفلك السنى .. فأى سلطان لك تزاولينه على جيفة ؟!!

– وهلى لديك أدنى علم بما وهبه ذلك السلطان من هدايا سنية لأخواتك ؟![٢] .

---

(١) حرفيا ، السمك والمقطود السمكة التي تحمل الأرض في المأثور القديم .

(٢) ج / ١٠ – ٩٠ :

أنهض يا بلقيس وأدخلي بحر الجود وفي كل لحظة اظفري بكسب دون رأسمال .

إن إخوانك كلهن في لهو وطرب .. فكيف صار حلوا عليك هذا النصب والتعب .

انهضي يا بلقيس وكوني رفيقة للسعادة ، ولتشعري بالضيق من كل ملك سبأ هذا .

– فكيف أخذت من فرحك فى قرع الطبول قائلة : إننى أنا الملكة ورئيسة مستوقد الحمام !!

مثل قناعة الإنسان بالدنيا وحرصه في طلبها وغفلته عن دولة أهل الروح وهم من أبناء جنسهم . . الصائحين فيهم : يا ليت قومي يعلمون

١٠٤٥ – رأى أحد الكلاب متسولا أعمى فى الحى ، فأخذ يهاجمه ويمزق أسماله .

– لقد تحدثنا عن هذا الموضوع مرة من قبل ، لكننا نكرر القول فيه لتأكيد الخبر . *

– قال الأعمى : إن رفاقك آخرا على الجبل فى هذه اللحظة يبحثون عن صيد ،

– قومك على الجبل يصيدون حمر الوحش ، وأنت فى الشارع تصيد العميان .

– فاترك إذن هذا الاحتيال أيها الشيخ النفور ، إنك ماء مالح تجمع حولك عددا من العميان .

١٠٥٠ – قائلا : هؤلاء مريدون لى وأنا ذلك الماء الملح ، إنهم يشربون منى ويتحولون إلى عميان .

– فاجعل ماءك حلوا من بحر « لدن » ، ولا تجعل الماء الكدر فخا لهؤلاء العميان .

– وانهض وانظر إلى أسد الله وهى تصيد حمر الوحش ، وأنت كالكلب تصيد العميان باحتيالك .

– وما حمر الوحش ؟! إنهم نفورون تماما من صيد غير الحبيب ، إنهم جميعا أسد ، صيادون للأسد ، ثملون بالنور .

– إنهم ينظرون إلى الصيد وإلى كيفية صيد المليك ، لقد تركوا الصيد وماتوا ولها .

١٠٥٥ – لقد اعتبرهم الحبيب كالطيور الميتة ، وذلك حتى يصيد جنسهم عن طريقهم .

– والطائر الميت مضطر بين الوصل والبين ، ولقد قرأت : « القلب بين إصبعين » .

– وكل يصير صيدا لطائره الميت ، عندما يراه قد صار صيدا للملك .

– وكل من أشاح بالوجه عن هذا الطائر الميت ، لم يجد قط ذلك الصياد .

– ويقول الطائر الميت : لا تنظر إلى كونى ميتا ، وانظر إلى عشق المليك فى الحفاظ على .

١٠٦٠ – ولست أنا بالميتة لكن المليك قتلنى ، وصارت صورتى شبيهة بالميت .

– كانت حركتى من قبل بالجناح والقوادم ، وحركتى الآن تكون من يد العادل .

– ولقد خرجت حركتى الفانية من الجسد ، وحركتى باقية الآن ذلك لأنها منه .

– وكل من يتصرف باعوجاج أمام حركتى ، أقتله صبرا حتى ولو كان العنقاء .

– فانتبه ولا تعتبرنى ميتا إذا كنت حيا ، وانظر إلى فى كف المليك إذا كنت عبدا .

١٠٦٥ – لقد أحيا عيسى – عليه السلام – الميت من (عطايا) الكرم ، وأنا موجود فى كف خالق عيسى – عليه السلام – .

– ومتى أبقى ميتا وأنا فى كف الإله ؟! وإياك أن تجيز هذا أيضا على كف عيسى !!

– إننى أيضا عيسى ، لكن من وجد الروح من أنفاسى يبقى (حيا) إلى الأبد .

– لقد صار (أحدهم) حيا من أنفاس عيسى النبى لكنه مات ثانية ، وسعيد ذلك الذى أسلم روحه إلى عيسى هذا (المرشد) .

– إننى عصا فى كف موسى الذى يخصنى ، وموسى الذى يخصنى خفى وأنا ظاهر أمام (الخلق) .

١٠٧٠ – ولأصبح للمسليمن جسرا على البحر ، ثم لأتحول إلى أفعى بالنسبة لفرعون .

– فلا تعتبر أن هذه العصا وحيدة يا بنى ، فإن العصا دون كف الخالق لا تكون هكذا .

– لقد كان موج الطوفان عصا فى حد ذاته فقد ابتلع من الألم طنطنة عبدة الشجرة .

– ولو أننى أحصيت عصى الله جل وعلا ، لمزقت احتيال قوم فرعون هؤلاء .

– لكن دعهم يرعون بضعة أيام ، فى هذه الأعشاب الحلوة المخلوطة بالسم

١٠٧٥ – وإن لم يوجد جاه فرعون وكبراؤه ، فمن أين تجد جهنم ما يغذيها .

– فسمنه ثم اقتله بعد ذلك أيها القصاب ، ذلك أن الكلاب فى جهنم بقيت بلا زاد .

– وإن لم يكن هناك خصم وعدو فى الدنيا ، لمات الغضب إذن من بين الناس .

– وذلك الغضب هو جهنم ويلزمه خصم حتى يعيش وإلا قتلته الرحمة .

– وبقى إذن لطف بلا قهر وشر . ومتى كان كمال الملك يتم أنذاك .

١٠٨٠ – لقد سخر هؤلاء المنكرون ، من أمثلة الذاكرين وبيانهم .

– وإذا أردت أنت أيضا فاسخر ، فحتام تريد العيش أيها الجيفة حتام .

– واهنأوا أيها المحبين فى احتياجكم ، على نفس هذا الباب الذى يفتح اليوم

– وكل نبات يلزمه حوض (خاص) فى هذا البستان ، كان هذا النبات فوما أو قبارا.

– وكل واحد منها مع جنسه فى حوضه الخاص به ، يشرب الطل من أجل أن ينمو ونضج

١٠٨٥ – فإذا كنت فى حوض الزعفران فكن زعفران ولا تختلط بالآخرين .

– واشرب الماء أيها الزعفران حتى تنضج ، وتبلغ مرحلة أن تكون زعفران فى تلك الحلوى .

– ولا تمدن فمك فى حوض اللفت ، حت لا يصير هو شريكا لك فى الطبع والمذهب .

– لقد وضعت فى حوض ووضع هو فى حوض آخر ، وذلك لأن « أرض الله واسعة » .

– خاصة تلك الأرض التى من سعتها ، يتوه فيها أثناء السفر الجنى والشيطان .

١٠٩٠ – ففى ذلك البحر والصحراء والجبال ، تتقطع الأوهام وينقطع الخيال .

– فهذه الصحراء كأنها شعرة إلى جوار صحارية ، كأنها شعرة فى بحر خضم .

- والماء الذى تكون حركته من الداخل ، أكثر عذوبة ونضارة من الجداول الجارية .
- لأن له فى داخله كالروح والنفس ، سير خفى وحركة سيارة .
- لقد نام المستمع فاقصر الخطاب .. وكفاك أيها الخطيب من رسم على الماء[1] .

١٠٩٥ - وانهضى يابلقيس فهذه السوق رائجة ، واهربى من هؤلاء الأخساء الذين يسببون الكساد .
- انهضى يابلقيس الآن طوعا ، قبل أن يأتى الموت بالمعمعة[2] .
- ثم يأخذ الموت بأذنيك كما يؤتى باللص على يد الشرطى وهو يعانى المشقة والعذاب.
- فحتام تكونين سارقة للسنابك من هذه الحمر ، فإذا كنت تسرقين ، فتعالى واسرقى الياقوت .
- لقد وجدت أخواتك ملك الخلود ، وأنت استوليت على ملك البؤس والظلام[3] .

١١٠٠ - وما أسعد ذلك الذى فر من هذا الملك ، فإن الأجل مخرب لهذا الملك .
- انهضى يابلقيس وتعالى وانظرى مرة واحدة إلى ملك ملوك الدين وسلاطينه .

---

(١) في نسخة جعفري عنوان « بقية دعوة سليمان لبلقيس أن تغتنم الفرصة » (جـ ١٠ /١٠١) .

(٢) ج : (١٠ / ١٠١) .

انهضي يل بلقيس قبل أن يحين أجلك ، وانظري إلي ملك لا خلل فيه .
انهضي يابلقيس ولا تدلي بجاهك وهاتي الضراعة إلي هذه العتبة لا الدلال .
انهضي يابلقيس ثملة بما جاد عليك به القضاء ، وإلا أتي الموت وعرك أذنيك .

(٣) حر : الملك الأعمي أزرق العينين .

– إن (أحدهم) يكون فى الباطن جالسا فى روضة ، بينما يكون فى الظاهر حاديا للرفاق .

– يكون البستان سائرا معه حيثما يسير ، لكن ذلك الأمر يكون مستورا عن الخلق .

– والثمار متضرعة إليه قائلة : كل منى .. وماء الحيوان يسعى إليه قائلا : اشرب منى

١١٠٥ – وداومي التطواف فوق الفلك دون جناح أو قوادم ، كالشمس وكالبدر وكالهلال .

– تكونين كالروح سيارة ولا قدم ، تأكلين مائة قطعة من الدسم دون أن تكوني ماضغة بالفم

– ولا تمساح من الحزن يضرب على سفينتك ، ولا يبدو عليك قبح من الموت .

– فأنت الملك وأنت العسكر وأنت العرش ، وتكونين مقبلة بل تكونين الإقبال نفسه .

– فإذا كنت مقبلة الآن ، وملكة عظيمة ، فالإقبال غيرك ، ويمضى (عنك) يوما ما .

١١١٠ – وتبقين أنت كالشحاذين بلا زاد فكونى أنت إقبال نفسك أيتها المجتباة .

– وعندما نضج إقبال نفسك أيها المعنوى ، فكيف تضيع من نفسك ويمضى عنك الإقبال

– كيف تضل عن نفسك ياحسن الخصال ، ما دام قد صار لك من عين ذاتك الملك والمال ؟!

بقية قصة عمارة - عليه السلام - للمسجد الأقصي بتعليم من الله ووحيه لحكم يعلمها ، ومعاونة الملائكة والشياطين والجن والإنس ظاهرا

- ياسليمان قم ببناء المسجد الأقصى ، فإن جيش بلقيس جاء للصلاة .

- وعندما وضع أساس ذلك المسجد ، جاء الجن والإنس وبذلوا أبدانهم فى العمل .

١١١٥ - كانت جماعة تعمل عشقا والأخرى (تعمل) كرها ، كما يكون العباد فى طريق الطاعات .

- إن الناس مجانين والشهوة كالسلسة . تجذبهم نحو الحانوت و نحو الغلة .

- وهذا القيد هو من الخوف والوله ، فلا تنظر إلى هؤلاء الخلق بلا سلسلة (ظاهرة) .

- إنها تجذبهم نحو الكسب والصيد ، وتجذبهم نحو المنجم والبحار .

- تجذبهم نحو الخير ونحو الشر ، ولقد قال الحق : فى جيدها حبل من مسد .

١١٢٠ - « قد جعلنا الحبل فى أعناقهم ، واتخذنا الحبل من أخلاقهم .

- ليس من مستقذر مستنقه ، قط إلا طايره فى عنقه »[1] .

- وحرصك من أعمال السوء مثل النار ، والجمر سعيد من لون النار الطيب .

- وسواد الفحم ذاك مستور فى النار ، وعندما خمدت النار ظهر السواد للعيان .

---

(١) بالعربية في المتن الفارسي

– ومن حرصك صار الجمر فحما أسود ، وعندما انتهى الحرص بقى ذلك الفحم الفاسد .

١١٢٥ – وذلك الزمان الذى كان الفحم يبدو فيه جمرا ، لم يكن من طيب العمل ، بل كان من نار الحرص .

– فالحرص كان قد زين منك الفعل، ومضى الحرص وبقى عملك الأسود .

– إن نبات الغولة (الحامض) الذى يزينه غول (النفس) يظنه الأبله المخدوع (نبات) حلوا مستساغا .

– وعندما تبدى روحه التجربة ، تثلم أسنانه من هذا الامتحان .

– إن صورة غول الحرص كانت تبدى تلك الشبكة حبا من الهوس ، وهذا فى حد ذاته كان أمرا مفضوحا .

١١٣٠ – فاطلب الحرص فى أمر الدين وفى الخير ، وعندما لا يبقى الحرص عند المرء يكون جاد السير .

– وأمور الخير دقيقة فى حد ذاتها لا من صور الغير ، وإن ذهب ألق الحرص يبقى ضياء الخير .

– وعندما مضى ألق الحرص عن أمور الدنيا ، يكون فحما ما تبقى تحت النار .

– إن الحرص يصيب الأطفال بالغرور ، بحيث يركبون أطراف ثيابهم وقلوبهم فياضة باللذة .

– وعندما يمضى عن الطفل حرصه السئ ، يضحك من بقية الأطفال .

١١٣٥ – قائلا لنفسه : ماذا كنت أفعل ؟! وماذا كنت أرى فى هذا (الأمر) ، لقد تبدى الخل من انعكاس الحرص عسلا !!

– والبناء (الذى يبنيه) الأنبياء يكون بلا حرص ، ولهذا فإن رونقه فى ازدياد على الدوام .

– وما أكثر المساجد التى بناها الكرام ، لكن لم يكن اسمها المسجد الأقصى

– فإن ما يزيد الكعبة فى كل لحظة عزا ، إنما يعزى إلى اخلاص إبراهيم عليه السلام .

– وفضل ذلك المسجد ليس من التراب والحجر ، بل لأنه لم يكن من وراء بنائه حرص أو خصومة .

١١٤٠ – ولا كتبهم مثل كتب الآخرين ، ولا مساجدهم ولا كسبهم ودورهم وأقوالهم .

– ولا أدبهم ولا غضبهم ولا نكالهم ، ولا نعاسهم ولا قياسهم ولا فعالهم(١) .

– فإن لكل واحد منهم مجدا من نوع آخر ، وطيور أرواحهم محلقة بأجنحة مختلفة .

– وإن القلب ليرتعد من ذكر أحوالهم ، وقبلة أفعالنا هى أفعالهم .

– كان لطيورهم بيض ذهبى ، فصارت أرواحهم ناظرة إلى الفجر فى منتصف الليل .

١١٤٥ – إن كل ما قلته مخلصا عن القوم الطيبين قلته ناقصا ، لقد صرت المتحدث إلى القوم بالكلام الناقص .

– فابنوا المسجد الأقصى أيها الكرام ، فإن سليمان عليه السلام قد عاد ، والسلام .

– ولو أن واحدا من هؤلاء الشياطين والجن قد عصي الأمر ، لأخذه ملائكة العذاب مغلولا .

---

(١) ج : (١٠ / ١٠٥) :
لقد أعطي الحق كل واحد منهم فى المرتبة مئات الألوف من أنواع الحشمة والمكرمة .

– والشيطان الذى يسلك لحظة واحدة باعوجاج من مكره وكيده ، كان السوط يلهب رأسه كأنه البرق .

– فكن مثل سليمان حتى تقوم الشياطين بحمل الحجارة من أجل إيوانك

١١٥٠ – فكن مثل سليمان بلا وسواس (من الشيطان) ولا حيلة ، حتى لا يخضع لامرك الشيطان والجن .

– والخاتم بالنسبة لك هو القلب كسليمان على الدوام ، فانتبه حتي لايصيد الشيطان الخاتم .

– ثم يزاول الحكم عليك ذلك الشيطان ذو الخاتم ، فحذار ، والسلام .

– وتلك « السليمانية » أيها القلب ليست منسوخة ، ففى رأسك وسرك (قلبك) مزاولة للسليمانية (الحكم) .

– والشيطان يقوم أحيانا بمزاولة الحكم كسليمان ، لكن متى ينسج كل نساج الأطلس .

١١٥٥ – إنه يحرك يديه مثله ، لكن بينهما بونا شاسعا[١] .

قصة إعطاء الملك صلة لشاعر و مضاعفة وزير يمسي أبو الحسن لها

– قدم شاعر قصيدة أمام الملك ، أملا فى خلعة وأكرام وجاه .

– وكان الملك جوادا فأمر له بألف من الذهب الأحمر والعطايا والهبات .

– فقال له وزيره : إن هذا قليل ، صلة بعشرة آلاف حتى يمضى إلى حال سبيله .

– ليس من أجل شاعر مثله ملئ الفم (بالمديح) بل منك يا من يدك كالبحر ، تكون تلك العشرة آلاف التى ذكرتها قليلة .

---

(١) ج / ١٠ – ١٠٦) : وفي تفسير هذا الحديث المعنوي اسمتع إلي حكاية في المثنوي .

١١٦٠ – لقد حدث ذلك (الوزير) الملك بالفقه والفلسفة ، حتى نال ما يقرب من عشر بيدر من كفه .

– وصله بعشرة آلاف وخلعة مناسبة ، فتوسع له فى منزل الشكر والثناء

– ثم استفسر قائلا : سعى من كان ؟! ومن الذى أظهر للملك استحقاقى ؟! .

– قالوا له : إنه « فلان » الدين الوزير ، ذاك الطيب الاسم والحسن الخلق والضمير .

– فنظم قصيدة طويلة فى مدحة ، وانقلب عائدا إلى داره (مسرورا) .

١١٦٥ – وبلا لسانه وشفته فإن عطايا الملك فى حد ذاتها وخلعه كانت تقوم بمدح الملك .

عودة الشاعر بعد بضعة سنوات أملا في نفس تلك الصلة ، والأمر له بألف دينار حسب العادة ، وقول وزير جديد يسمي أيضا حسن للملك : إن هذا كثير جدا عليه ، وعلينا نفقات ، والخزينة خاوية ، وأنا أجعله راضيا بعشر هذا (المبلغ)

– وبعد عدة سنوات ، صار الشاعر محتاجا من الفقر والعوز إلى قوت يومه وحبوب بذاره .

– فقال : عند الفقر وضيق ذات اليد ، من الأفضل الطلب عند المجرب .

– ولأحمل حاجتى الجديدة .. إلى تلك العتبة التى جربتها فى الكرم .

– لقد قال سيبوية ذاك : إن معنى لفظ الله هو الذى يولهون فى الحوائج إليه .

١١٧٠ – قال ، الهنا فى حوائجنا إليك ، والتمسناها وجدناها لديك »[١] .

– ومئات الآلاف من العقلاء عند الألم ، كلهم شاكون أمام هذا الديان الفرد

– ولا يمكن أن يقوم إلا مجنون أو أبله بالكدية من لدن بخيل عاجز .

– فإن لم يكن العقلاء قد (جربوه) فى حاجاتهم آلاف المرات أو ما يزيد متى كانوا يجذبون أرواحهم أمامه ؟!

– بل أن كل الأسماك بين الأمواج ، وكل الطيور فى أوج (السماء) ،

١١٧٥ – والفيلة والذئاب وأيضا أسد الصيد ، والأفاعى العظيمة والنمل وأيضا الحيات .

– بل والتراب والماء وكل شئ ، تجد كلها منونتها منه سواء فى الشتاء[٢] أو فى الربيع .

– بل إن هذه السماء تتضرع إليه فى كل لحظة ، قائلة : لا تسقطنى (من رعايتك) لحظة واحدة أيها الحق .

– إن عمادى هو عصمتك وحفظك ، وكل شئ مطوى بيمين هاتين اليدين

– وهذا الأرض تجار إليه بالضراعة قائلة ثبتنى ، يا من جعلتنى مستوية على الماء .

١١٨٠ – إن هذه الأشياء كلها قد ملأت أكياسها بنواله[٣] ، وكلها تعلمت منه – سبحانه – كيف تقضى الحاجات .

– وكل نبى أتى منه بالبراءة ، قال لنا « استعينوا بالصبر والصلاة » !!

– وهيا أطلبوا منه – جل وعلا – لا من غيره ، أطلب الماء من اليم لا من الجدول اليابس .

---

(١) بالعربية في المتن الفارسي .

(٢) حرفيا : في « دي » وهو ديماه أحد شهور الشتاء .

(٣) حرفيا : قد خاطت أكياسها منه .

– وإذا طلبت من أخر ، فهو أيضا الذى يعطى ، وهو الذى يضع الميل إلى السخاء فى كفه .

– وذلك الذى يجعل من أحد العصاة (فى غنى) قارون بذهبه ، ماذا يفعل لو تتوجه إليه بالطاعة ؟!

١١٨٥ – ومرة أخرى ، فإن الشاعر ، أملا فى العطاء ، توجه إلى ذلك الملك المحسن .

– وماذا تكون هدية الشاعر إلا أن يأتى بالقصيدة الجديدة إلى المحسن ويعرضها عليه .

– والمحسنون بدورهم بكل رغبة[1] فى العطاء والجود والبر ، إدخروا الذهب فى انتظار الشعراء .

– وعندهم أن بيتا واحدا ومن الشعر ، أفضل من مائة حمل من الصوف ، خاصة من الشاعر الذى يأتى بجواهر (المعانى) من قاع (بحر الشعر) .

– والإنسان فى البداية يكون حريصا على الخبز ، ذلك أن القوت والخبز هو عصب الروح

١١٩٠ -- وفى سبيل الكسب والغصب ومئات الحيل ، وضع روحه على كفه حرصا وأملا .

– وعندما يستغنى عن الخبز ، وهذا يكون نادرا ، يعشق الشهرة و(حسن) السمعة ومدح الشعراء .

– حتى يرفعوا من أصله ومن فصله، ويضعون المنابر من أجل بيان فضله

– حتى يفوح كره وفره وجوده بالذهب .. أثناء الحديث كأنه العنبر .

---

(١) حرفيا : بمائة عطاء وجود وبر .

– لقد جعل الحق خلقنا على صورته ، ووصفنا بأُخذ المثال من وصفه .

١١٩٥ – ولما كان الخلق – جل وعلا – راغبا فى الشكر والحمد ، فإن فى جبله الإنسان أيضا طلب المدح .

– خاصة رجل الحق السباق فى الفضل ، إنه يمتلئ بهذه الريح تمام كالقربة .

– وإن لم يكن أهلا لها فقد مزق قربته بتلك الريح الكاذبة .، فمتى يكون أهلا للضياء .

– إننى لم آت بهذا المثل من عندى أيها الرفيق ، فلا تسمعه بهزل ما دمت مفيقا .

– لقد قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سمع الكفار يقدحون فيه قائلين : لماذا يسر أحمد من المديح ؟!

١٢٠٠ – لقد ذهب الشاعر إلى ذلك الملك، وعرض عليه شعرا فى شكر الإحسان الذى لم يمت .

– لقد مات المحسنون وبقى الاحسان ، وما أسعده ذلك الذى ساق هذه المطية .

– ومات الظلمة وبقى الظلم ، فويل للروح التى تقوم بالمكر والدهاء .

– وقد قال الرسول عليه السلام : ما أسعد الذى مضى عن هذه الدنيا ويقى عنه الفعل الحسن .

– مات المحسن لكن إحسانه لم يمت ، والدين والإحسان عند الله ليسا بالشئ الهين .

١٢٠٥ – فويل الذلك الذى مات ولم يمت عصيانه ، حتى لا تظنن أنه بموته قد نجا بروحه(١) .

---

(١) في نسخة جعفري (١٠ / ١٤٨) عنوان : حمل الشاعر قصيدته إلي الملك وخسة الوزير .

- دعك من هذا ، فإن الشاعر فى طريقه ، مدين وفى أمس الحاجة إلى المال

- لقد حمل الشاعر قصيدته إلى الملك ، أملا فى عطاء الصديق وفى إحسانه .

- كانت قصيدة رقيقة مليئة بالدر الحقيقى ، لقد (كتبها) أملا وانتظارا للإكرام الأول .

- فقال الملك على عادته : أعطوه ألفا ، لقد كانت هذه عادة الملك (مع جميع الشعراء) .

١٢١٠ - لكن الوزير الجواد فى هذه المرة كان قد غادر الدينا على براق العز .

- وخلفه وزير جديد ، جلس فى الصدر ، لكنه كان شديد القسوة والخسة

- قال : يا أيها الملك إن لدينا نفقات (كثيرة) ، ولا يصح أن تكون هذه العطية مكافأة لشاعر .

- إننى بربع عشر هذا أيها المغتنم ، اجعل الشاعر سعيدا راضيا .

- قال له الناس : إنه فى المرة الأولى ، أخذ عشرة آلاف من هذا الهمام .

١٢١٥ - فكيف يمص البوص من بعد السكر ؟! وكيف يتكدى بعد أن كان سلطانا ؟! .

- قال (الوزير) لأضيقن عليه الخناق ضيقا : بحيث يصير نحيلا مسكينا من الانتظار .

- وبعدها إن منحته ترابا من طريقى ، سوف يختطفه كأنه أوراق ورود الرياض .

- اترك هذا على فأنا استاذ فى هذا الأمر ، حتى وأن كان الطالب نارى (الطبع) !!

– ولو أنه على سيل الفرض كان يطير (غضبا) من الثرى إلى الثريا فإنه سيهدأ و يستكين عندما يرانى .

١٢٢٠ – قال له السلطان : اذهب فالأمر لك ، لكن اجعله راضيا فهو مادحنا .

– قال : اتركه لى ومائتين ممن يلعقون الأمل ، واكتب على هذا .

– ثم ألقاه صاحبنا فى (محنة) الانتظار ، فانقضى الشتاء وشهر ديماه وجاء الربيع .

– وشاخ الشاعر من الانتظار ، وسقط ضحية لهذا الحزن والكبد .

– قال : إن لم يكن ثم مال فلعلك تشتمنى حتى تنجو روحى وأمضى إلى حال سبيلى .

١٢٢٥ – لقد قتلنى الانتظار فقل لى مرة : امض (إلى حال سبيلك) حتى تنجو هذه الروح المسكينة من الحبس .

– ومن بعدها أعطاء ربع عشر ذلك المبلغ ، فبقى الشاعر فى هم ثقيل .

– وأخذ يقول : كانت تلك العطية على الفور وكانت كثيرة إلى ذلك الحد ، أما ذلك الذى تأخر فى التفتح فهو باقة من الشوك .

– ثم أخبروه قائلين : إن ذلك الوزير الجواد ، قد مضى عن الدنيا أجرك الله

– فقد كان ذلك العطاء يتضاعف منه ، وقليلا ما كان يخطئ فى عطاياه .

١٢٣٠ – لكنه مضى الان وأخذ معه الإحسان ، إنه لم يمت حقيقة بل مات الإحسان .

– لقد ذهب عنا الوزير الجواد الرشيد ، وجاء الوزير الذى يسلخ (جلود) الفقراء .

– اذهب ، وخذ (ما أعطيت) وأهرب من هنا بليل ، حتى لا يعاديك هذا الوزير .

- لقد أخذنا منه هذا العطاء (لك) بمائة حيلة ، يا من أنت لست بعالم بجهدنا .

- فالتفت إليهم قائلا : أيها المشفقون .. قولوا لى من أين جاء هذا الظالم ؟! من أين ؟!

١٢٣٥ - ما اسم هذا الوزير الذى يعرى المرء من ملابسه ؟! قال له القوم : إن اسمه أيضا حسن .

- قال يارب : كيف كان اسم ذاك الوزير واسم هذا الوزير واحدا ، واحسرتاه يارب الدين !!

- فحسن ذاك من توقيع واحد منه .. كان يتأتى مائة وزير من صفاتهم الجود .

- وهذا .. واسمه أيضا حسن .. من لحية هذا الحسن القبيحة .. تستطعين أيتها الروح أن تجدلى مائة حبل .

- وعندما يصغى الملك إلى مثل هذا الوزير ، فإن الملك وملكه يضيعان إلى الأبد !!

تشبيه سوء رأي هذا الوزير في افساد مروءة الملك بهامان وزير فرعون في إفساد قابلية فرعون

١٢٤٠ - لقد حدث عدة مرات أن فرعون كان يرق ويخضع عندما كان يستمع إلى كلام موسى .

- ذلك الكلام الذى كان يستدر اللبن من الصخر ، من حلاوته التى لا نظير لها

- وعندما كان يستشير هامان الذى كان وزيرا له وكان الحقد من جبلته .

– كان يقول له : لقد كنت حتى الآن سيدا فصرت عبدا لإنسان خلق الملابس بحيله وكيده .

– وكان ذلك الكلام كحجر المنجنيق ، كان يلقى به على منزله الزجاجي .

١٢٤٥ – كان كل ما يفعله الكليم حلو الخطاب فى مائة يوم ، يحطمه هو فى لحظة واحدة .

– إن عقلك هو الوزير ، وهو مغلوب للهوى ، وهو فى وجودك قاطع طريق (يقف) فى طريقك إلى الله .

– والناصح الربانى يقوم بوعظك ، لكنه يطرح هذا الكلام جانبا بفنه (وحيلته) .

– قائلا : ليس هذا فى محله ، إنتبه ، لا تتحرك عن موضعك ليس هذا بذى قيمة ، فعد إلى نفسك ، ولا تخدع !!

– فويل لذلك الملك الذى يكون مثل هذا وزيره ، إن مكان كليهما نارا ذات (لهب) وحقد .

١٢٥٠ – وسعيد ذلك الملك الذى يكون له عون فى عمله من وزير مثل آصف .

– وعندما يكون الملك العادل قرينا (لمثله) وزيرا فإن هذا هو « نور على نور » .

– مثل سليمان الملك وآصف الوزير ، فهما نور على نور وعنبر على عنبر

– أما أن يكون الملك هو فرعون ووزيره هامان ، فلا مفر لهما معا من الإدبار .

– ويكون الأمر « ظلمات بعضها فوق بعض » ، فلا العقل بالرفيق ولا الإقبال فى يوم العرض .

١٢٥٥ – وأنا لم أر إلا الشقاوة من اللئام فإذا رأيتهم فبلغهم منى السلام .

– فالملك بمثابة الروح والوزير كالعقل ، والعقل الفاسد يوجه الروح نحو الفساد .

– عندما صار هاروت ملاكا للعقل ، صار معلما للسحر لمائتى طاغوت .

– فلا تتخذ من العقل الجزئى وزيرا لك ، واجعل العقل الكلى وزيرا لك أيها السلطان .

– ولا تجعل الهوى وزيرا لنفسك ، فهو يمنع روحك الطاهرة من الصلاة .

١٢٦٠ – فهذا الهوى شديد الحرص ناظر إلى الحال ، أما العقل فهو يفكر فى يوم الدين .

– وللعقل عينان فى نهاية الأمر ، وهو من أجل ذلك الورد يتحمل أذى الشوك .

– ذلك الورد الذى لا يذبل ولا يتساقط فى الخريف ، ويكون بعيدا عن ريح كل أنف أخشم .

جلوس الشيطان في مقام سليمان عليه السلام وتشبهه في أعماله بسليمان عليه السلام ، والفرق الظاهر بين السليمانية – الحقيقية) وبين السليمانية الإسمية التي قام بها الشيطان

– وعندما يكون لك عقل فصاحب عقلا آخر ، وقم باستشارته أيها الأب .

– فأنت بعقلين تنجو من بلايا كثيرة ، وتضع قدمك على مفرق الأفلاك[١]

١٢٦٥ – وإذا كان الشيطان قد سمى نفسه بسليمان ، واستولى على الملك واخضع المملكه.

---

(١) هذان البيتان في نسخة جعفري قبل العنوان (١٠ / ١٥٣)

– كان قـد رأى ظاهر عمل سليمـان ، لكن الصـورة كانت تبـدو في الباطن شيطانية

– فـقـال الخلق : إن سليمـان هذا بـلا صـفـاء ، وهناك فـروق عـديدة بين سليمان هذا وسليمان ذاك .

– فإذا كـان سليمـان يقظا فـهـذا كـالوسـن ، إن الفـرق بينهـمـا كـالفـرق بين حسن (الجواد) وحسن (الخسيس البخيل) .

– وكـان الشيطان يقـول : لقـد وضـع الله « لأهر من » (الشـيطان الأكبـر : إله الظلمة) صورة حسنة .. حسنة على صورتى أنا .

١٢٧٠ – لقـد أسبـغ الله على الشـيطان صـورتى ، فـإياكم أن يلقيكم جـمـيعـا فى شباكه .

– وحذار منه إذا ظهر بدعواه هذه ، وإياكم أن تأخذوا صـورته فى الاعتبار .

– كـان الشـيطان يـقـول لهم هذا من مكره ، لكن صـورة هذا الكلام كـانت تصل معكوسة إلى القلوب الطيبة .

– إن لا يسـتطيع أن يقـوم بألاعـبـيـه هـذه مع من يمـيـز ، خـاصـة من يكون تمييزه وعقله متحدثين إلى الغيب .

– فـلا سـحـر قط ولا تلبيس ولا شـعـوذة يمكـن أن تضـع حـجـابا عـلـى أربـاب السـلطان (الإلهى) .

١٢٧٥ – ومن ثم فقد كانوا يقولون ردا عليه ، إنك تسير مقلوبا يا معوج الخطاب

– وهكذا سـوف تمضـى منقلبـا حـتى جـهنم ، (ويلقـى بك) فى أسـفل سافلين .

– انه (أى سليمـان الحقيقى) وإن كـان قد عزل وصـار فقـيرا ، فـإن البدر المنير (يتلألأ) من جبينه .

- وأنت وإن كنت قد سرقت خاتمة ،(فواضح عليك) أنك جهنمى قد تجمدت كالزمهرير .

- ونحن بالمكر والمظاهر والأبهة (المزيفة) والنفخة الكاذبة ، لا نسلم له بظفر (حقير) فضلا عن طأطأة رؤوسنا .

١٢٨٠ - ولو وضعنا له الجبين غافلين، فسوف تنبت قبضة من الأرض تمنعنا (من السجود له)

- قائلة : لا تطأطئوا رؤوسكم لهذا الخسيس ، انتبهوا ولا تسجدوا سجدة مقرونه بالإدبار .

- وكانت لأشرح هذه القصة شرحا مفصلا لتزيد الأرواح انشراحا ، هذا إن لم تكن الغيرة الإلهية موجودة .

- فاقنع بهذا القدر واقبله ، حتى أفصلها تفصيلا فى موضع آخر .

- ولقد سمى نفسه سليمان النبى ، وكان يضع قناعا من أجل كل صبى .

١٢٨٥ - فتجاوز الصورة وخل عنك الاسم ، وانتقل من اللقب والاسم إلى المعنى .

- ثم سل عن حدة وعن فعله ، وابحث عنه فى حده وفعله[1] .

دخول سليمان عليه السلام كل يوم إلي المسجد الأقصي بعد بنائه للعبادة وارشاد العابدين والمعتكفين ونمو النباتات الطبية في المسجد .

- عندما كان سليمان عليه السلام يدخل كل صباح خاضعا إلى المسجد الأقصى .

---

(١) ج : (١٠ / ١٥٧)
ليس هذا بفعل كل انسان فاكبح الزمام وابن المسجد الأقصي وأتمه .

– كان يرى نباتا جديدا قد نبت فيه ، فكان يسأله قائلا : أخبرنى عن اسمك ونفعك .

– أى عقار أنت ؟! وماذا تكون؟؟! وما اسمك؟! ولمن تكون ضررا ولمن تكون نفعا ؟!

١٢٩٠ – فكان كل نبات يجيبه باسمه وفعله .. كان يقول له : أنا لذلك حياة ولهذا حمام .

– أنا لهذا سم ولذلك سكر ، واسمى هو كذا على اللوح المحفوظ .

– ثم أن الأطباء صاروا من (تعليم) سليمان عارفين بذلك النبات ، وصاروا مقتدين فى علمهم .

– حتى وضعوا كتب الطب ، وأخذوا يخلصون الأجسام من العلل .

– فعلوم النجوم وعلوم الطب من وحى الأنبياء ، وأى اتجاه للعقل والحس نحو (فن) لا طريق إليه ؟!

١٢٩٥ – إن العقل الجزئى ليس عقل استنباط ، وأنه مجرد قابل للفن والتعليم محتاج .

– فهذا العقل قابل للتعليم والفهم ، ولكن صاحب الوحى يقوم بتعليمه .

– ويقينا أن كل الحرف من الوحى ، وكان الوحى أولها ، لكن العقل زاد عليها .

– وانظر (لترى) انه لا توجد حرفة قط تستطيع عقولنا أن تتعلمها بلا أستاذ .

– ومهما كان المرء من مكره يستطيع أن يشق الشعره ، إلا أنه لم يحصل على مهنة واحدة دون أستاذ .

١٣٠٠ – ولو كانت معرفة الحرف من هذا العقل ، لحصلت الحرفة دون أستاذ .

تعلم قابيل لمهنة حفر القبور من الغراب قبل
أن يكون في العالم علم حفر القبور أو قبور

- ومتى كان حفر القبور وهو من أيسر المهن (نابعا) من الفكر والحيلة والتفكير ؟!!
- وإذا كان هذا الفهم موجودا عند قابيل ، فمتى كان قد حمل هابيل على رأسه ؟!
- متسائلا : أى أخفى هذا القتيل ؟! هذا الغريق فى الدم والتراب
- فرأى غرابا قد وضع بين منقاره غرابا آخر ميتا تقدم نحوه سريعا .

١٣٠٥ - وهبط من الهواء ، ثم صار بفن حفارا للقبور ، وذلك من أجل تعليمه .

- وأخذ يحفر الأرض بمخالبه ، ثم وضع الغراب الميت فى قبر سريعا .
- ودفنه ، ثم غطاه بالتراب ، كان الغراب عالما من إلهام الحق .
- قال قابيل : (يا ويلتا) وأف لهذا العقل ، لقد كان الغراب أكثر منى علما
- لقد قال الله فى شأن العقل الكلى « ما زاغ البصر » ، لكن العقل الجزئى ينظر فى كل اتجاه .

١٣١٠ - إن العقل الذى نزلت فيه آية « ما زاغ » هو نور الخاصة ، أما عقل الزاغ (الغراب) فهو استاذ لقبور الموتى .

- والروح التى تطير خلف الغربان ، يحملها الغراب نحو القبور .
- فهيا ، لا تسرع خلف النفس كالغراب ، فهى تقود نحو القبور لا نحو البستان ..
- وإن كنت سالكا فسر فى أثر عنقاء القلب ، نحو قاف ونحو مسجد القلب الأقصى .
- فإن هناك نباتا جديدا من هوسك كل لحظة ينبت فى مسجدك الأقصى .

١٣١٥ – فقم لسليمان بأداء حقه ، وافهم عنه شيئا ولا تضع قدم الاعتراض عليه

– ذلك أن حال هذه الأرض التى لا ثبات لها ، تحدثك عنه أنواع النباتات .

– وفى الأرض، إذا كان النبات قصب سكر أو بوصا، يكون نبت كل أرض ترجمانا لها .

– ومن ثم فإن أرض القلب ونبتها الفكر ، فإن الأفكار هى التي تظهر أسرار القلوب .

– ولو أننى أجد جاذبا للكلم فى المجلس ، لأنبت مئات الآلاف من الورود كأننى الرياض .

١٣٢٠ – وإن وجدت قاتلا للكلم آنذاك كالديوث، تهرب النكات من القلب كما يهرب اللص .

– إن حركة كل امرئ نحو جاذب ، والجذب الصادق ليس كالجذب الكاذب .

– انك تمضى حينا إلى الضلال وحينا إلى الرشد ، والخيط ليس ظاهرا وذلك الذى يجذبك

– وأنت بعير اعمى مشدود الزمام ، فداوم النظر إلى الجذب ولا تنظر إلى الزمام .

– ولو صار الجذب محسوسا والزمام ، لما ظلت هذه الدنيا (توصف بأنها) دار الغرور .

١٣٢٥ – ولرأى المجوسى أنه يسير فى أثر كلب ، لكى يصبح مسخرا للشيطان الأكبر .

– ومتى كان يمضى فى أثره إذن كالمخنث ؟! بل لكان المجوسى ارتد عن متابعته سريعا !

– وإذا كانت البقرة تفهم ما يريده (منها) القصابون ، فمتى كانت تتبعهم حتى الحانوت ؟!

– وتأكل النخالة من أيديهم ، أو تدر لهم اللبن (عندما يربتون ضرعها) ملقا .

– ومتى كانت تهضم علفها إن أكلت ، إذا فهمت ما هو المقصود من هذا العلف ؟!

١٣٣٠ – ومن هنا فإن عماد هذه الدنيا هو الغفلة ، وما هى الدولة (المسماة بالفارسية دولت ؟) ، إنها من « دو » بمعنى السعى ثم « لت » بمعنى الضرب .

– فأولها عدو وسعى وفى النهاية ، تقول لك تعرض للضرب ، ولا يكون موت الحمار إلا فى هذه الخرابة .

– والعمل الذى امسكته بكلتا يديك جادا ، لا يزال عيبه فى هذه اللحظة مخفيا عليك .

– ومن هنا تستطيع أن تبذل جهدك فى هذا العمل ، لأن الخالق قد أخفى عيبه عليك .

١٣٣٥ – وهكذا تكون أية فكرة ترى نفسك متحمسا لها ، يكون عيب هذه الفكرة مخفيا عليك .

– وإن ظهر لك هذا العيب فيه والشين ، لجعلت روحك بينها وبينه هربا بعد المشرقين .

– والأمر الذى تندم عليه فى نهايته ، لو كان هذا حاله من البداية فمتى كنت تسرع فى أثره ؟!

– ومن ثم فقد أخفاء فى البداية عن أرواحنا ، حتى نقوم بهذا الأمر كما قضى علينا (أن تقوم به) .

– وعندما نفذ حكم القضاء ، فتحت العين لكى يحدث الندم .

- وهذا الندم أيضا قضاء آخر فأترك الندم إذن وكن عابدا للحق .

١٣٤٠ - وإن تتعود على الندم ، تصير من هذا الندم أكثر ندما .

- فيمضى نصف عمرك فى التشتت والاضطراب ، ويمضى نصفه الآخر فى الندم .

- فاترك (هذا النمط) من الفكر والندم ، وابحث عن حال أفضل ورفيق أفضل وعمل أفضل .

- وإن لم يكن فى يدك عمل أفضل ، لفوت أى شئ إذن يكون ندمك ؟!

- وإن عرفت طريقا طيبا (فاسلكه) واعبد الله ، وإن كنت لا تعرف فكيف تعرف أن هذا (الذى أنت فيه) سئ ؟!!

١٣٤٥ - إنك لا تعرف الشر ما لم تعرف الخير ، إن الشئ يمكن رؤيته بضده أيها الفتى .

- وما دمت عاجزا عن التفكير فى ترك هذا (الندم) ، فأنت آنذاك عاجز عن (ترك) ارتكاب المعصية .

- وإذا كنت عاجزا فمم يكون الندم ، وابحث ثانية جذب من كان ذلك العجز .

- ولم ير أحد فى الدنيا عجزا بلا قدرة ، ولا يكون هذا ، وكن واثقا من قولى .

- وهكذا فإن أية رغبة تشتهيها ، فأنت فى حجاب من عيوبها .

١٣٥٠ - ولو أن عيب تلك الرغبة ظهر فى البداية ، لجفلت روحك نفسها من السعى والبحث عنها .

- ولو أنه أبدى لك عيوب أمر ما ، فلن يستطيع أحد أن يجعلك تتجه نحوه ولو جارا « إياك » .

– وذلك الأمر الآخر الذى تكون نافرا منه ، وإنما يكون (نفورك منه) لأنه عيبه قد ظهر لك .

– فيا الهى يا عالما بالسر يا حلو الكلم ، لا تخف عنا عيوب الأمور السيئة .

– ولا تظهر لنا عيوب الأمور الطيبة ، حتى لا نفقد حماسنا للسير ونصبح هباء .

١٣٥٥ – وحسب عادته فإن سليمان السنى ، دخل المسجد فى ضوء النهار .

– كان الملك يبحث عما اعتاده كل يوم ، وهو أن يرى فى المسجد نبتا جديدا

– إن القلب يرى السر بتلك العين الصافية ، فقد كان يرى تلك النباتات التى كانت خفية على العوام .

قصة الصوفي الذي جلس في الروضة ورأسه علي ركتبه في حال المراقبة فقال له رفاقة : ارفع رأسك وشاهد الحديقة والرياض والطيور واثار رحمة الله تعالي

– وضع صوفى وجهه بين ركبتيه (انتظارا) للكشف والمشاهدة وكان فى حديقه .

– ثم غاب فى نفسه بعمق ، فتضايق أحد الفضوليين من هيئة نومه .

١٣٦٠ – وقال له : أى « موضع » لنومك هنا ، انظر أخرا إلى الكروم وشاهد تلك الأشجار والآثار والخضر .

– واستمع إلى أمر الحق إذ قال : انظروا ، وانتبهوا إلى آثار رحمته .

– فأجابه : آثارها هى القلب أيها المتهوس ، ولكن تلك الموجودة خارج (القلب) هى آثار آثار فحسب .

– والبساتين والخضرة فى ذات الروح ، وما هو خارج (الروح) صورتها كما تكون فى الماء الجارى .

– إنه خيال البستان فى الماء ، الذى يصيب بالاضطراب هكذا من لطف الماء

١٣٦٥ – وهناك بساتين وثمار فى القلب ، ولكن لطفها (منعكس) على هذا الماء والطين .

– ولو لم يكن هذا الانعكاس لأشجار سرو السرور ، لما سماها الله تعالى دار الغرور .

– وهذا الغرور يعنى أن هذا الخيال هو من انعكاس قلوب رجال (الله) وأرواحهم .

– لكن كل المغرورين اتجهوا إلى هذه الصورة ، ظنا منهم أنها دار الجنان .

– ويهربون (مبتعدين) عن أصول هذه البساتين ، ويوجهون كل هذا الهيام إلى خيال .

١٣٧٠ – وعندما يرفعون رؤوسهم من نوم الغفلة ، يرون الحقيقة ويعلمون جدوى هذه الرؤية .

– ومن ثم ففى القبور ، يرتفع النواح والتحسر .. ويصيحون واحسرتاه حتى يوم القيامة .

– وما أسعد ذلك الذى مات قبل الموت ، أى أنه أدرك النذر اليسير[1] من أصل ذلك الكرم .

قصة نمو الخروب في ركن من المسجد الأقصي وحزن سليمان عليه السلام عندما تحدث معه وذكر اسمه وخاصيته

[2] – ثم إن سليمان عليه السلام رأى فى ركن ما نباتا جديدا قد نما كأنه العنقود .

---

(١) حر : شم رائحة .

(٢) ج : ١٠ / ١٧٧

ثم إن سليمان عليه السلام .. دخل المسجد كعادته ذات يوم .. من القضاء .

– رأى نباتا نادر الوجود جدا .. أخضر نضرا ، يختطف اخضراره النور من البصر .

١٣٧٥ – فسلم عليه ذلك النبات فى الحال، فرد عليه السلام وبش له من سعادته

– وسأله : ما اسمك ؟! تحدث إلى بلا فم ، قال : (اسمى) هو الخروب يا ملك العالم .

– فسألة : وما خاصيتك ؟! أجاب : أن انمو فيخرب المكان (الذى أنمو فيه)

– أنا خروب وأعنى خراب المنزل ، وانا هادم لأساس هذا البناء .

– وسرعان ما أدرك سليمان عليه السلام فى تلك اللحظة أن الأجل قد حان وأنه سوف يرحل .

١٣٨٠ – وقال: ما دمت حيا ، فإن هذا المسجد سوف يسلم يقينا من آفات الأرض

– وما دمت حيا ، وما دام وجودى مستمرا ، فمتى يمكن أن يصيب المسجد الأقصى الخلل ؟

– ومن هنا ، فإن تهدم مسجدنا .. لن يكون .. – بلا شك – إلا بعد موتنا .

– إنه مسجد ، ذلك القلب الذى يكون جسده ساجدا ، والرفيق السئ هو بمثابة الخروب حيثما يكون مسجد .

– إنه رفيق السوء ، وعندما نما حبه فى قلبك ، انتبه وأهرب منه وكفاك جدالا .

١٣٨٥ – واقتلعة من جذوره فإنه عندما يطل برأسه ، فإنه يقوم بهدمك وهدم مسجدك .

– أيها العاشق إن الالتواء بمثابة الخروب بالنسبة لك ، فكيف تزحف نحو الالتواء كالأطفال .

– واعتبر نفسك مجرمة وادعها مجرمة ولا تخف أن يحرمك ذلك الأستاذ الدرس .

– وعندما تقول أنا جاهل فعلمنى ، فإن مثل هذا الانصاف أفضل من الكبرياء .

– وتعلم من أبيك يا وضاء الجبين ، اذ قال قبل الان « ربنا ظلمنا انفسنا »

١٣٩٠ – فلا هو تعلل ، ولا هو احتال ، كما أنه لم يرفع لواء المكر والحيلة .

– ثم أن إبليس هو الذى بدأ الجدل قائلا : لقد كنت أحمر الوجه (عزة) وجعلتنى أصفره (ذلا) .

– فاللون منك وأنت الذى قمت بصباغتى ، وأنت إذن أس جرمى وآفتى وجرحى .

– فانتبه ، واقرأ « رب بما أغويتنى » ، حتى لا تتحول إلى جبرى ، وحتى تقلل من طوافك بالالتواء .

– فحتام تقفز على شجرة الجبر ، وتلقى باختيارك جانبا ؟!

١٣٩٥ – مثل إبليس وذرياته ، فهم مع الله – جل علا – فى حرب وجدال .

– وكيف يكون هناك إكراه وجبر وأنت بسعادة بالغة لا زلت تشمر رداءك فى العصيان .

– فهل يمكن أن يمضى أحد سعيدا هكذا إلى ما هو مجبر عليه ؟! وهل يمكن أن ينغمس شخص راقصا هكذا فى الضلال ؟!!

– كنت تقاتل (بقوة) عشرين رجل فى ذلك الأمر، بينما كان الآخرون يقومون بنصحك !!

– وكنت تجادل (قائلا) : هذا هو الصواب ، وهذا هو الطريق (الحق) فحسب .. فمن الذى يعيب على إلا ذلك الذى لا يساوى شيئا .

١٤٠٠ – ومتى يقول الشخص الذى يكون مكرها مثل هذا ؟!! وكيف يقاتل هكذا الذى لا يملك طريقة ؟!

– إن لك الاختيار فى كل ما طلبته نفسك ، وكل ما أراده عقلك فأنت مضطر فيه .

– ويعلم كل من هو مقبل مسموح له (بالسر) ، إن الدهاء من إبليس والعشق من آدم

– والدهاء أشبه بالسباحة فى البحار ، قليلا ما ينجو (صاحبها) بل هو غريق فى نهاية الأمر .

– فاترك السباحة ، ودعك من الكبرياء والحقد ، فليس هذا هو نهر جيحون ، وليس جدولا ، إنه البحر (العباب) .

١٤٠٥ – بل إنه بحر عميق لا ملجأ منه ، يبتلع بحارا سبعة كأنها القشة .

– والعشق بمثابة السفينة بالنسبة للخواص ، قليلا ما يحدث الهلاك بل النجاة فى الأغلب .

– فبع الدهاء واشتر الحيرة ، الدهاء ظن والحيرة هى النظر .

– واجعل العقل فداء أمام المصطفى ، وقل حسبى الله فإن الله كفانى .

– ولا ترفض السفينة كما فعل كنعان ، فإن نفسه الداهية هى التى أوردته الغرور .

١٤١٠ – (وقال) : سأوى إلى جبل مشيد .. فلماذا ينبغى أن أمتن لنوح ؟!

– ولماذا تجفل من منته ياعديم الرشد ، اذ كان الله – جل وعلا شاكرا له ممتنا منه ؟!!

– وإن لم تكن منته موجودة على أرواحنا ، فكيف يتحدث الله شكرا له وامتنانا منه ؟![1]

– وأى علم لك أيها الغرارة المليئة بالحسد أن الله سبحانه وتعالى شاكر له .

---

(١) أي يضاعف له الله سبحانه وتعالي الإحسان شكرا وامتنانا .

– وليته لم يكن تعلم فن العوم ، لكان آنذاك قد طمع فى نوح وسفينته .

١٤١٥ – ليته كان جاهلا فى الاحتيال كالطفل ، لكان قد تشبث كالأطفال بطرف ثوب الأم .

– أو كان قليل التبحر فى علوم النقل ، اذن لا ختطف على وحى القلب من أحد الأولياء

– ومع مثل هذا النور عندما تضع الكتاب أمامك ، فإن روحك المتصلة بالوحى تقوم بعتابك .

– وأعلم أنه كالتيمم فى وجود الماء ، (اقصد) علم النقل مع وجود أنفاس قطب الزمان

– فاجعل نفسك أبله ، وامض تابعا ، وفيما بعد ، سوف تجد الخلاص من هذا البله فحسب .

١٤٢٠ – ومن أجل هذا قال سلطان البشر : إن أكثر أهل الجنة هم البله أيها الأب .

– وما دام التذاكى قد أثار فيك الكبريا ء والعنجهية ، فصر ابله حتى يبقى القلب سليما .

– وليس الأبله هو الذى ينحنى (للناس) تهريجا (وكدية) ، بل إن الأبله هو الذى يكون حيرانا (فيه) ووالها (منه) .

– وأولئك النساء اللاتى قطعن ايديهن بلهاوات ، لقد كان البله فى أكفهن ، ولكنهن خدرن (من تأثير) وجه يوسف .

– فاجعل العقل فداء فى عشق الحبيب ، فكل العقول من تلك الناحية من الحى (من لدنه) .

١٤٢٥ – لقد أرسلت عقول (الأذكياء) عقولها إلى تلك الناحية ، وبقى الأحمق فى هذه الناحية حيث لا معشوق .

- فلو أن عقلك يمضى حيرة من هذا المكان ، تكون كل شعرة فيك رأسا وعقلا .
- وليس فى تلك الناحية ألم الفكر على الرؤوس ، فالأودية والبساتين هناك تنبت عقولا وأذهانا .
- فعندما تتوجه إلى الوادى تستمع إلى النكات من الوادى ، وعندما تأتى إلى البساتين ينمو نخلك (ويزداد نضارة) .
- فاترك العنجهية والكبرياء فى هذا الطريق ، ولا تتحرك ما لم يتحرك مرشدك .

١٤٣٠ - وكل من يتحرك بلا رأس يكون ذيلا ، وتكون حركته كحركة العقرب .

- فهو معوج السيرة أعمى البصر ، قبيح سام ، ويكون عمله لدغ الأجساد الطاهرة .
- فاقمعه على رأسه ذلك الذى يكون هذا سيره ، ويكون هذا خلقه وطبعه على الدوام .
- فصلاحه فى هذا القمع حتى تنجو روحه الضعيفة من شؤم الجسد .
- فخذ السلاح من يد المجنون ، حتى يرضى عنك العدل والصلاح .

١٤٣٥ - وعندما يكون فى يده سلاح ولا عقل له ، فقيد يده وإلا ارتكب مئات الجرائم .

بيان أن حصول سيئي الأصل علي العلم والمال والجاه فضيحة لهم وكالسيف الذي يقع في يد قاطع طريق .

- إن تعليم سئ الأصل العلم ، بمثابة وضع سيف فى يد قاطع طريق .
- وتسليم زنجى ثمل السيف ، أفضل من سقوط العلم فى يد من ليس أهلاله .

– فالعلم والمال والمنصب والجاه والإقبال فتنة فى أكف سيئى الأصل .

– ومن هنا فرض الجهاد على المؤمنين ، حتى يؤخذ السنان من كف المجنون .

١٤٤٠ – إن روحه مجنونة وجسده هو سيفه ، فاستعد السيف من هذا السئ الجبلة .

– ومن ذلك الذى يصنعه المنصب بالجهلة من فضائح ، متى يقوم به مائة سبع (ضار) ؟!

– إن عيبه مستور ، وعندما وجد الوسيلة ، انطلقت حيته من جحرها إلى الصحراء !!

– فتمتلئ الصحراء بالحيات والعقارب ، عندما يصبح الجاهل هو صاحب الأمر المستبد[١].

[٢]والمال والمنصب اللذان يحصل عليهما الخسيس ، صار بهما طالبا لافتضاح نفسه .

١٤٤٥ – فهو إما أن يبخل ويبخس العطاء ، وإما أن يكون سخاؤه فى غير موضعه .

– إنه يضع الشاه فى « خانة » « البيدق » ، وهكذا يكون العطاء الذى يعطيه الأحمق

– وعندما يسقط الحكم فى يد ضال ، فقد سقط فى بئر بينما كان يظنه جاها .

– إنه لا يعرف الطريق ، ويقوم بالإرشاد وروحة القبيحة تقوم بإحراق العالم .

---

(١) حرفيا الأمر المر وهي في مصطلح مولانا يدل علي الحكم الجائر المستبد .

(٢) ج : (جـ ١٠ / ١٩٨) : وعندما يسقط القلم في يد غادر فلا جرم أن يعلق المنصور علي المشنقة

– وعندما أخذ طفل الطريق الصوفى المشيخة ، فإن غول الإدبار قد التهم أتباعه .

١٤٥٠ – إنه يقول (لتابعه) تعال لأبدى لك القمر ، ومعدوم الصفاء ذاك لم ير القمر قط ..

– وكيف تبديه (له) وأنت لم تره طوال العمر ، إنه صورة القمر فى الماء أيها الساذج الغمر ؟!

– لقد صار الحمقى رؤساء ومن الخوف ، أخفى العقلاء رؤوسهم تحت الكليم .

تفسير يا أيها المزمل

– لقد دعاه المزمل لهذا السبب قائلا له : أخرج من الخباء ، يا من هربت (من الناس) .

– لا تلف رأسك بالعباء ولا تخف وجهك ، فالعالم جسم ضال وأنت له الذهن والمخ واللباب .

١٤٥٥ – هيا ولا تختف من ذلك العار (الذى يثيره) المدعى ، فإن لديك شمع الوحى ذا الأضواء الباهرة .

– هيا قم الليل فأنت شمع أيها الهمام ، والشمع فى الليل يكون فى قيام .

– وبدون ضيائك يكون النهار المضئ أيضا ليلا ، وبدون حماك يكون الأسد أسيرا للأرنب .

– فكن الملاح فى بحر الصفاء هذا ، فأنت نوح الثانى يا أيها المصطفى .

– اذ ينبغى عالم بالطريق ذو لباب ، لكل سالك ، خاصة فى طريق البحر .

١٤٦٠ – فانهض وانظر إلى قافلة قد عجزت فى الطريق ، وفى كل صوب غول قد صار ملاحا .

– أنت خضر الوقت وأنت غوث لكل سفينة ، فلا تمض وحدك (مثلما كان يمضى) روح الله .

– وأبق أمام هذا الجمع كشمع السماء ، وابتعد عن الانقطاع والخلوة .

– إن هذا ليس وقت الخلوة فتعال إلى الجمع ، يا من يكون الهدى بمثابة جبل قاف ، وأنت بمثابة الطائر الملكى (البلُح) .

– لقد صار البدر سيارا فى صدر الفلك ، وهو لا يترك السير من نباح الكلاب .

١٤٦٥ – إن الذى يعيبون عليك كأنهم كلاب (تعوى) على بدرك ، إنهم يرفعون نباحهم على الصدر (الذى توجد فيه) .

– إن هذه الكلاب قد صمت عن أمر « انصتوا » ، إنها تنبح على بدرك من قبيل السفه .

– فيا أيها الشفاء ، حذار ، لا تترك المريض ، لا تتخل عن (كونك) عصا للأعمى من أجل غضب الأصم .

– ألست أنت القائل أن قائد الأعمى من الطريق ، يجد من الإله الثواب والأجر الجزيل .

– وكل من يقود أعمى أربعين خطوة ، يصير مرحوما ويجد الرشد .

١٤٧٠ – اذن فقد فى هذه الدنيا التى لا قرار فيها ، جماعة من العميان صفا بعد صف .

– هذا هو عمل الهادى وأنت الهادى ، وأنت الفرح فى مأتم آخر الزمان .

– هيا وقد يا إمام المتقين ، هؤلاء المنكرين ، من الخيال إلى اليقين .

– وكل من يجعل قلبه رهينا بالمكر والكيد لك ، أضرب أنا عنقه فامض سعيدا .

- بل وأضع أنواعا من العمى على عماه ، وأعطيه السم ويحسبه سكرا .

١٤٧٥ - لقد استضاءت العقول من نورى ، وكل أنواع المكر تعلمت من مكرى .

- وماذا تكون خيمة ذلك التركمانى (الواهية) ، أمام أقدام فيلة الدنيا الهائجة .

- وماذا يكون مصباحه ذاك أمام ريحى الصرصر يا رسولى العظيم ..

- قم ، وانفخ فى الصور المهول ، حتى ينبعث الآن الموتى من القبور .

- وما دمت اسرافيل الوقت ، فانهض واقفا ، وأقم القيامة من قبل أن تقوم القيامة .

١٤٨٠ - وكل من يقول أين القيامة أيها المحبوب ، أبد نفسك له قائلا : ها أنا القيامة .

- وأنظر أيها السائل الممتحن ، فقد زيدت (على الكون) مائة دنيا من هذه القيامة .

- وإذا لم يكن أهل هذا الذكر والقنوت . فجواب الأحمق أيها السلطان هو السكوت .

- فمن سماء الحق يكون السكوت هو الجواب ، عندما يكون الدعاء أيها الحبيب - غير مستجاب .

- وأسفاه لقد آن أوان الحصاد ، ولكن اليوم من إدبارنا أخذ فى الزوال .

١٤٨٥ - والوقت ضيق ، وسعة هذا الكلام ، يضيق بها العمر ذو الدوام .

- إن اللعب بالحراب فى هذه الأزقة الضيقة ، يصيب بالضيق اللاعبين بالحراب .

- الوقت ضيق ، وخواطر العوام وافهامهم أشد ضيقا من الوقت مائة مرة .. أيها الغلام

- فما دام جواب الأحمق هو السكوت ، فلماذا تمط فى الكلام وتطيل .

- ذلك أنه من كمال رحمته وأمواج كرمه ، يهب لكل أرض بور المطر والطل.

في بيان أن ترك الجواب جواب تثبت هذا القول القائل بأن جواب الأحمق السكوت ، وشرح هذين القولين في هذه القصة التي سوف نحكي

١٤٩٠ - كان هناك أحد الملوك وكان له عبد ميت العقل حى الشهوة .

- كان يترك دقائق خدمته ، وكان يفكر فى الشر ويظنه خيرا .

- فقال الملك : قللوا كرايته ، واذا اعترض فقوموا بمحو اسمه من قائمة « الكرايات » .

- كان عقله ناقصا وكان حرصه زائدا ، فعندما رأى كرايته قد نقصت احتد وغضب -

- فلو كان له عقل لفتش فى أمور نفسه(١) ، ولرأى جرمه ، ولعفى عنه .

١٤٩٥ - وعندما يتمرد الحمار مقيد القدم من حماريته ، تقيد كلتا قدميه ويوصل القيد برأسه .

- فيقول الحمار : يكفينى قيد واحد ، فلا تعتبر (أيها السامع) كلامه ، فإنهما معا من فعل ذلك الخسيس(٢) .

---

(١) حر : لطاف حول نفسه .

(٢) ج : (١٠ / ٢٠٩) :

فلو كان ذلك الأعمي رأي سر القيد ، لما وضعوا قيدا آخر علي قوائمة - ولو كان عالما بالجرم الذي أدي إلي قيد القدم ، لنجا من قيد اليد والقدم - ولو استسلم للقيد ذلك الفضولي ، لما كان حمارا بل كان أسدا هصورا .

في تفسير هذا الحديث للمصطفي عليه السلام وهو : إن الله تعالي خلق الملائكة وركب فيهم العقل وخلق البهائم وركب فيها الشهوة وخلق بني آدم وركب فيهم العقل والشهوة فمن غلب عقله شهوته فهو أعلي من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو أدني من البهائم .

– جاء فى الحديث أن الله المجيد ، خلق (خلق) العالم على ثلاثة أنواع .

– ففريق له كل العقل والعلم والجود ، وهم الملائكة ولا يعرفون غير السجود (للخالق) .

– وليس فى عنصره الحرص والهوى ، فهو نور مطلق حى من عشق الله.

١٥٠٠ – وهناك فريق أخر فارغ فى المعرفة ، وهو الحيوان ، وهو فى سمنه من العلف .

– وهو لا يرى سوى الاصطبل والعلف ، فهو غافل عن الشقاوة وغافل عن الشرف .

– والثالث هو الانسان أى البشر ، إن نصفه ملاك ونصفه حمار .

– إن النصف الحمارى منه ميال إلى اسفل ، أما النصف الآخر فميال إلى العقل(١) .

– والصنفان الأوليان مستريحان من الحرب والصراع ، أما الانسان فعلى خلافهما .. فى عذاب و(نصب) .

١٥٠٥ – وهؤلاء البشر قسموا أيضا على سبيل الامتحان ، فهم على شكل واحد انسانى ، لكنهم أمم ثلاثة .

---

(١) ج : (ج ١٠ / ص ٢١٤) :
إنه ينقلب إلي غراب عندما يسرع في أثر الغربان ، وتنقلب الروح جسدا عندما تكون بدونه .

– فأمه صارت مستغرقة فى المطلق ، فألحقت كعيسى عليه السلام بالملائكة .

– إنه على صورة آدم لكنه فى المعنى جبريل ، لقد خلص من الغضب والهوى والقال والقيل .

– لقد نجا بالرياضة والزهد والجهاد ، وكأنه هو نفسه لم يولد من آدمى .

– وأمة أخرى ألحقت بالحمر ، لأنهم صاروا غضبا محضا وشهوة مطلقة .

١٥١٠ – لقد كانت فيهم صفات جبريل ومضت إلى حال سبيلها كانت الدار ضيقة وكانت تلك الصفات عظيمة .

– إنما يموت ذلك الشخص الذى بلا روح ، ويكون حمارا ذلك الذى تكون روحه خالية من تلك (الصفات)[١] .

– ذلك أن الروح التى لا تحتوى على تلك (الصفات) تكون دنية ، وهذا الكلام حق وقد قاله الصوفى .

– فهو يعانى من الشقاء أكثر مما يعانيه الحيوان ، ويقوم فى هذه الدنيا بأمور دقيقة .

– وما يستطيع القيام به من حيلة ومكر ، لا يمكن أن تتأتى من حيوان آخر

١٥١٥ – ودقائق علم الهندسة وعلم الفلك وعلم الطب والفلسفة .

– كنسج الثياب المذهبة ، واستخراج الدر من قاع البحر .

– كلها متصلة بنفس دنياه هذه ، وليس له طريق (بها) إلى السموات السبع .

– وكل هذا العلم أساس للاصطبل ، فهو عماد لوجود الابل والثيران .

– ومن أجل استبقاء الحيوان بضعة أيام ، سماها هؤلاء الحمقى بالرموز .

---

(١) ج : ٢١٤/١٠ : إنه ينقلب إلي غراب عندما يسرع فى أثر الغربان ، وتنقلب الروح جسدا عندما تكون بدونه .

١٥٢٠ – أما علم الطريق الحق وعلم منزله ، يعلمها صاحب القلب بقلبه .

– ومن ثم ففى هذا التركيب خلقا حيا لطيفا وجعله مؤتلفا مع المعرفة .

– وأطلق على هؤلاء القوم لقب أنهم كالأنعام ، فأيه صلة للنوم باليقظة ؟

– فليس للروح الحيوانية إلا النوم ، وأحاسيس هذا الصنف من الناس أحاسيس معكوسة .

– وعندما تأتى اليقظة لا يبقى النوم عند الحيوانى ، وانما يقرأ من اللوح عكس ما كان يحس به .

١٥٢٥ – مثل حس ذلك الذى اختطفة النوم ، ظهر على عكسه تماما عندما استيقظ .

– فلا جرم أن يكون فى أسفل سافلين ، اتركه اذن (فأنا) لا أحب الأفلين

في تفسير هذه الآية « وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجسا » وقوله تعالي « يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا »

– لقد كان لديه الاستعداد للتبديل والصراع ، (للتخلص) من الضعة ، لكنه فقده من ضعته .

– ثم إن الحيوان عذره واضح فى البهيمية ، لأنه لا استعداد لديه .

– وعندما مضى الاستعداد عنه وهو المرشد (فى هذه الأمور) فكل غذاء أكله كان يجلب الحمق والجنون[1].

١٥٣٠ – عندما يأخذ منبها مقويا للذهن[2] يتقلب عنده إلى أفيون ، وتزيد عنده السكتة والجنون .

---

(١) حر : فكأنه أكل مخ حمار .

(٢) حر : بلا ذر وهو عقار يسمي القليبى يؤخذ للتنبه واليقظة .

- وبقى قسم ثالث (من البشر) فى جهاد ، نصفه حيوان ونصفه حى ذو رشاد .
- انه ليل نهار فى حرب وفى صراع ، وأخره مع أوله فى نزاع . . . .

نزاع العقل مع النفس مثل نزاع المجنون مع الناقة

فميل المجنون إلي الحرة و ميل الناقة وراءها

إلي فصيلها كما قال المجنون :

هوي ناقتي خلفي وقدامي الهوي   وإني وإياها لمختلفان

- [1] أنهم (أى الفئة الثالثة من البشر) كالمجنون وناقته ، يقودها إلى الأمام فتتقهقر هى إلى الخلف بعناد .
- فميل المجنون متجه إلى الامام نحو ليلى ، وميل الناقة إلى الخلف مسرع نحو الفصيل .

١٥٣٥ - ولو أن المجنون قد غفل عن نفسه لحظة واحدة ، لاستدارت الناقة وعادت القهقرى .

- ولما كان بدنه مليئا بالعشق والهوى ، لم يكن يكن هناك بد من أن يفقد الوعى .
- كان الذى يراقب له (الوضع) هو العقل ، لكن عشق ليلى اختطف العقل .
- لكن الناقة كانت مراقبة ومتنبهة ، وعندما كانت ترى زمامها قد أرخى ،
- كانت تفهم أنه صار غافلا عنها ذاهلا ، فكانت تعود نحو فصيلها دون امهال .

---

(١) ج / ١٠ - ٢١٣ : مثل المجنون في نزاعه مع ناقتة ، حينا تنتصر الناقة وحينا ينتصر المجنون الحر .

١٥٤٠ – وعندما كان (المجنون) يعود إلى وعيه ، كان يرى أنها تقهقرت عن المكان بمسافة بعيدة .

– وهكذا على هذا المنوال بقى المجنون فى طريق يومين أو ثلاثة مترددا لسنوات .

– فقال : أيتها الناقة ، ما دام كلانا عاشقا ، فنحن ضدان ، ولا نصلح رفاق طريق .

– ليست محبتك وليس زمامك وفق هواى ، ومن ثم على أن أختار على صحبتك .

– وهذان الرفيقان كلاهما قاطع لطريق الآخر ، وضالة تلك الروح التى لا تنزل عن الجسد

١٥٤٥ – فالروح فى فاقة لهجرها العرش ، والجسد من عشقه للشوك والحسك كالناقة .

– والروح تفتح القوادم نحو أعالى الأعالى ، والجسد قد تشبث فى الأرض بمخالبه .

– فما دمت أنت معى يا ميتة (هياما) فى وطنك ، فإن روحى سوف تبقى بعيدا عن ليلى .

– لقد مضت أيامى من هذا النسق من الأحوال ، مثل التيه وقوم موسى عددا من السنين

– كان هذا الطريق « عبارة » عن خطوتين حتى الوصال ، ومن فخك[1] دام ستين عاما

١٥٥٠ – إن الطريق قريب لكنى تأخرت كثيرا ، ولقد صرت ملولا من هذا الركوب بل شديد الملل .

(١) حر : شصك .

- وألقى (المجنون) بنفسه منقلبا من فوق الناقة ، وصاح : صرت محترقا من الغم ، فحتام جتام .
- لقد ضاقت عليه الصحراء على اتساعها ، فألقى بنفسه فى أحد المحاجر.
- وهكذا ألقى بنفسه بعنف ، بحيث صار جسم ذلك الشجاع محطما .
- وعندما ألقى بنفسه هكذا إلى أسفل ، شاء القضاء أن تكسر ساقه فى تلك اللحظة .

١٥٥٥ - فربط ساقه .. وقال : لأتحول إلى كرة ، ولأمضى متدحرجا فى ثنيات (شعرها) الذى يشبه الصولجان .

- ومن هنا فإن الحكيم حلو الكلام يلعن ذلك الفارس الذى لا ينزل من فوق الجسد .
- ومتى يكون عشق المولى أقل من عشق ليلى ؟! إن التحول « إلى كرة » أولى من أجله هو .
- فصر كرة ، وداوم طوافك على جانب الصدق ، (وظل) متدحرجا فى ثنيات صولجان العشق .
- بحيث يكون هذا السفر من الآن فصاعدا جذب من الله ، لكن ذلك السفر على الناقة سير لنا .

١٥٦٠ - وإن هذا السفر لخارج « عن كل جنس آخر » (من السفر) ، أنه زائد على إجتهاد الجن والانس .

- ومثل هذا الجذب ليس ككل جذب عام ، لقد وضعه فضل أحمد ، والسلام .

كتابة ذلك الغلام رقعة شكوى من نقص أجره إلى الملك .

- أقصر هذه القصة من أجل ذلك الغلام ، الذى كتب رسالة إلى الملك .

– (كتب) رقعة مليئة بالاعتراض والكبرياء والحقد ليرسلها إلى الملك رقيق الحاشية .

– إن الجسد كا لكتاب فانظر إليه ، هل يليق بالمليك ؟ ثم احمله إليه .

١٥٦٥ – وامض إلى ركن وافتح الكتاب واقرأ ، وأنظر عمّا اذا كانت كلماته لائقة بالملوك .

– وإذا لم تكن لائقة بهم فمزقه ، واكتب كتابا آخر ، وابحث عن وسيله (لإجادته) .

– لكن إياك أن تعتبر فتح كتاب الجسد أمرا سهلا ، وإلا لرأى كل إنسان سر القلب عيانا .

– ويا لفتح الكتاب من أمر صعب وجلل ، أنه عمل الرجال وليس من عمل الأطفال (الذين يلعبون) بعظام الكعب .

– لقد قنعنا جميعاً بالفهرست (من هذا الكتاب) ، ذلك لأننا جميعا انغمسنا فى الحرص والهوى .

١٥٧٠ – إن هذا الفهرس ما هو الا فخ للعوام ، إلى أن يعلموا متن الكتاب .

– فافتح على فاتحة الكتاب ولا تلو عنقك عن هذا الكلام ، والله أعلم بالصواب .

– وهذا العنوان هو بمثابة اقرار اللسان ، فامتحن صدرك إذن بمتن الكتاب .

– عما إذا كان يوافق اقرارك (أو لا يوافقه) ، وحتى لا يكون أمرك كالمنافق .

– وعندما تحمل جوالا ثقيلا جدا ، فهو لا يخف عنك حتى تنظر فيه ،

١٥٧٥ – ماذا لديك فى هذا الجوال من حلو ومن مر ، فإذا كان يستحق الحمل فاحمله.

– وإلا فأفرغ جوالك من الحجر ، واشتر نفسك ثانية من هذه السخرة والعار .

– وضع فى الجوال ما ينبغى حمله إلى السلاطين والملوك الرشداء العظام . (١)

حكاية ذلك الفقيه ذي العمامة الضخمة مع ذلك الذي اختطف عمامته فأخذ يصيح فيه : فكها وأنظر ما فيها ثم اسرقها

– كان أحد الفقهاء قد جمع بعض الخرق ، ولف عليها عمامته ،

– حتى تصير ضخمة ويبدو هو عظيما ، عندما يدخل إلى مجلس فى «الحطيم» .

١٥٨٠ – لقد أعد بعض خرق الملابس ، وهيأ منها ما يبدو أنه عمامة فى الظاهر .

– (فكان) ظاهر العمامة كحلة من حلل الجنان ، أما باطنها فكان كالمنافق مفتضحا قبيحا .

– وكانت جذاذات من الخرق والقطن والجلد قد دفنت داخل تلك العمامة .

– واتجه إلى المدرسة فى الصباح ، حتى يجد الفتوح بهذا المظهر (الخلاب) ! !

– وفى طريق مظلم كان أحد لصوص الملابس قد كمن منتظرا ومترصدا لكى يزاول مهنته .

١٥٨٥ – فاختطف العمامة من فوق رأسه ، ثم انطلق مسرعا ليقضى أموره !

– فصاح به الفقيه : يا بنى ، فك العمامة ، ثم اسرقها .

---

(١) ج / (١٠ / ص ٢٣٥) :

أليس من القبيح أن تحمل هذا الجوال المليء بالوحل وتتركه عنك ميراثا ؟

وإذا كنت لا تستطيع أن تملأه بالياقوت ، فأولي به أن يكون فارغا هذا الجسد

- هذه التـى تختطفها وتنطلق هكذا بأربعة أجنحة .. افتح أولاً تلك الهدية التى تحملها ! !

- افتحها وتفحصها بيديك .. وخذها آنذاك ، فقد وهبتها لك حلالا .

- وعندما حلها ذلك الذى يسـرع (فى الهرب) ، تسـاقطت مئات الآلاف من الخرق فى يده .

١٥٩٠ - ومن تلك العمامة الضخمة التى لم تكن لازمة له ، بقى ذراع من الخرق فى يده .

- فألقى بها على الأرض قائلا : يا عديمة القيمة .. لقد قمت بتعطيلنا عن العمل بهذا الاحتيال ! ![1] .

نصحية الدنيا لأهل الدنيا بلسان الحال وغدرها بمن يطمعون منها فى الوفاء .

قال (الفقيه) : لقد أبديت المكر ، لكنى كررت لك النصيحة عن واقع الأمر .

- وهكذا الدنيا بالرغم من أنها شـديدة الفتنة ، فـقد صاحت هى الأخرى وتحدثت عن غدرها .

- وفى هذا الكون والفساد أيها الأسـتاذ ، فان ذلك المكر هو الكون ، وذلك الفساد هو النصيحة .

١٥٩٥ - يقول لك الكون : تعال فـأنا مبارك الخطى ، ويقـول لك الفسـاد : امض فانا لا شئ .

- فيا من تعض بالنواجذ على حسن الربيع ، انظر إلى برودة الخريف واصفراره .

ج / (٢٤٠/١٠) :

(١) ما هذا المكر .. وما هذا التزوير والاحتيال الذي كان يلقي بي في هوي الصيد .. ألم تخجل من هذه الخرق .. لقد أوقعت بي باحتيالك يا كثير الاحتيال .

– لقد رأيت فى الصباح طلعة الشمس الجميلة ، فنتذكر موتها عند الغروب .

– لقد رأيت القمر على هذا الفلك سعيدا ، فانظر إلى حسرته أيضا عندما يكون فى المحاق .

– لقد صار أحد الأطفال من الحسن مولى للخلق ، أنه بعد غد يصير مخرفا مفتضحا بين الخلق .

١٦٠٠ – فإذا كان جسدٌ فضى لواحدة من ذوات الأجساد الفضية قد صادك ، فانظر بعد الشيخوخة إلى جسد كأنه حقل القطن .

– ويا من رأيت دسم الطعام ، انهض وأنظر إلى فضلاته فى المرحاض .

– وقل لذلك الخبث أين حسنك ، وأين تلك اللذة والدسامة والرائحة التى كانت فى الطبق .

– فيقول : كان هذا حبًا وأنا شبكة ، وعندما سقطت أنت فى الفخ أختفى الحب .

– وما أكثر الأنامل التى كانت الأساتذة يحسدونها على صنعتها ، صارت فى النهاية (ضعيفة) مرتعشة .

١٦٠٥ – والعين التى تشبه النرجس الوسنان كالروح ، أنظر إليها فى النهاية وقد عشت وأخذت المياه تتساقط منها .

– والأسد الذى كان يشق صفوف الأسود ، يصير فى النهاية مهزوماً من فأر .

– والنشط المقتحم الخبير فى حرفته ، أنظر إليه فى النهاية (يكون) مخرفا كحمار عجوز .

– والجديلة الجعداء الفواحة بالمسك سالبة العقل ، أنظر إليها فى النهاية كذيل الحمار الأشهب القبيح .

- أنظر إلى كونها ذى الإنبساط فى البداية ، وأنظر فى النهاية إلى افتضاحها وفسادها .

١٦١٠ - ذلك أنها نصبت الفخ ، واقتلعت أمامك شوارب الساذج الغفل .

- إذن فلا تقل إن الدنيا خدعتنى بتزويرها (واحتيالها) ، وإلا لكان عقلى قد هرب من شبكتها .

- فهيا أنظر إلى الطوق الذهبى والحمائل ، لقد صارت غلاً وقيداً وسلسلة .

- وهكذا اعتبر - على الدوام - كل جزء من أجزاء العالم ، وأنظر إلى أوله وآخره .

- وكل من صار أكثر تبصراً بالعواقب صار أسعد ، وكل من هو أكثر نظرا إلى الاصطبل صار اكثر بعدا (عن الله) .

١٦١٥ - فانظر إلى وجه كل انسان صار متألقا كالقمر ، وما دامت قد رزقت البداية فانظر إلى النهاية .

- حتى لا تكون أعور كابليس ، ترى نصف الشئ ولا ترى نصفه الآخر ، ما دمت أبتر (الرؤية) .

- لقد رأى طين آدم ولم ير دينه ، ورأى هذا العالم ولم تكن له رؤية إلى ذلك العالم .

- وفضل الرجال على النساء أيها الهمام ، ليس راجعا إلى قوتهم أو كسبهم أو ضياعهم .

- وإلا لكان للأسد وللفيل فضل على الإنسان لقوتهما ، أيها الأعمى .

١٦٢٠ - وفضل الرجال على النساء يا عابداً للحظة ، مستندٌ على أن الرجل أكثر تدبرا للعواقب .

– والرجل الذى يكون ساذجا فى تدبر العواقب ، هو فى رأى أهل العواقب ناقص كالمرأة .

– ومن الدنيا ينطلق صوتان متناقضان ، (فانظر) لأيهما تكون أنت (قابلا) مستعدا .

– أن أحدهما هو صوت نشور الأتقياء ، أما الآخر فهو صوت خداع الأشقياء (١) .

– (تقول) : أنا براعم شوك فواسنى أيها الطيب ، إن الورد يتساقط منى ، وأبقى (مجرد) غصن من الشوك .

١٦٢٥ – إن صوت براعمها ينادى : ها هنا بائع الورد لكن صوت شوكها ينادى : لا تسع نحوها .

– لقد قبلت ذلك الصوت .. وعجزت عن (سماع) هذا الصوت الآخر ، وذلك أن المحب أصم عن كل ما يضاد محبوبه .

– فهذا الصوت صائح بك : ها أنا ذا ، هيت لك ، والصوت الآخر صائح بك : أنظر إلى عاقبتى .

– إن ما هو جاهز لدى هو المكر والكمين ، فانظر إلى صورة العاقبة فى مرآة البداية .

– وعندما تدخل فى جوال من هذين الجوالين ، تصير مضادا للآخر وغير مناسب .

١٦٣٠ – وما أسعد من سمع من البداية ، ما سمعته عقول رجال (الله) وأسماعهم .

– وجد البيت خاليا وأتخذ مكانه فيه ، وكان غيره يبدو ملتويا وعجيبا .

---

(١) ج / (١٠ / ٢٤٢)
فاستمع إلي صوت البراعم وإلي صوت الأشواك ، ومن بعدها صر رهنا لصوت أشواكها ! !

– فالآنية الجديدة إن وضع فيها البول ، لا يستطيع الماء أن يطهر ما فيها من خبث .

– وفى العالم كل شئ يجذب شيئا ، والكفر يجذب الكافر ، والرشد يجذب المهتدى .

– وهناك أيضا الكهرمان كما أن هناك حجر المغناطيس ، حتى تصاد إن كنت قشا أو حديدا .

١٦٣٥ – فإذا كنت حديدا يجذبك المغناطيس ، وإذا كنت قشة تنجذب نحو الكهرمان .

– وما دام أحدهم ليس صديقا للأخيار ، فلا جرم أنه صار جاراً للفجار .

– وأن موسى لذميم جدا عند قوم فرعون ، كما أن هامان رجيم جدا عند بنى إسرائيل .

– فصارت روح هامان جاذبة لروح قوم فرعون ، وصارت روح موسى طالبة لبنى إسرائيل .

– ومعدة الحمار تجذب القش عندما تقوم بالجذب ، أما معدة الإنسان فتجذب حساء القمح .

١٦٤٠ – وإن لم تعرف أنت أحدا من (شدة) الظلام ، فانظر إلى الذى اتخذه إماما

بيان أن للعارف غذاءً من نور الحق مصداقا ل « أبيت عند ربي يطعمني ويسقينى » وقوله عليه السلام «الجوع طعام الله يحيى به أبدان الصديقين » أى أنه فى الجوع يصل طعام الله

– وذلك لأن كل مهر يسير خلف أمه ، حتى تظهر بذلك مجانسته .

– واللبن يصل إلى الإنسان من الصدر ، لكن اللبن الذى يصل إلى الحمار يكون من أسفل (البدن) .

– والعدل قسام ، وجدير بالقسمة وقابل لها ، وهذا هو العجب فلا جبر ولا ظلم .

– فإن كان ثم جبر متى كنت نادما ، وإن كان ظلم متى كان حافظا .

١٦٤٥ – لقد انتهى اليوم ، وغدا يكون الدرس ، ومتى يكون اليوم مستوعبا لأسرارنا .(١)

– فيا من صرت مطمئنا وعلى ثقة (اعتمادا) على نفس فاسق وعلى نفاقه ؛(٢)

– لقد صنعت قبة من الحباب ، وفى النهاية إن تلك الخيمة واهية الحبال .

– إن الاحتيال والتلبيس كأنه البرق وعلى نوره لا يستطيع السالكون رؤية الطريق .

– وهذه الدنيا وأهلها بلا نتيجة ، وكلهم فى الغدر على قلب رجل واحد .

١٦٥٠ – وابن الدنيا عديم الوفاء كالدنيا ، فهو إن اتجه إليك بوجهه ، فوجهه هذا قفا .

– أما أهل ذلك العالم فهم سامون عالون مثل ذلك العالم ، وهم قائمون على العهد والميثاق إلى الأبد .

– فمتى تخاصم نبيان معا ، ومتى أخذ أى منهم معجزة آخر .

– ومتى تصير ذابلة ثمار ذلك العالم ، إن السرور العقلى لاينقلب إلى هموم .

– والنفس بلا عهد ومن هنا فهى جديرة بالقتل ، إنها دنية وقبلتها دنية .

---

(١) ج / (١٠ – ٢٥٠)
والخلاصة أن دقق النظر والذهاب والله أعلم بالصواب .

(٢) عنوان جديد عند جعفري (جـ ١٠ ص ٢٥٢) خطاب إلي المغرورين بالدنيا وضحايا النفس الأمارة .

١٦٥٥ – وهذا المحفل (الدنيوى) لائق بالنفوس ، كما يليق بالميت القبر والكفن .

– والنفس وإن كانت ذكية عالمة بدقائق (الأمور) فاعتبرها ميتة لأن قبلتها الدنيا .

– ومتى وصل ماء الوحى إلى هذا الميت ، انبعث حيا من القبر .

– وما لم يأت وحيك لا تغتر بحسن زائف ، يدعو لك بطول البقاء .

– فابحث عن ذكر لا يخمل وشهرة (لا تنقضى) واطلب ضوء الشمس التى لا تأفل .

١٦٦٠ – فإن تلك الفنون الدقيقة والمجادلات بمثابة قوم فرعون ، والأجل كأنه ماء النيل .

– فإن رونقهم وقعقعتهم وسحرهم ، وبالرغم من أنها تجذب الخلق مسحوبين من رقابهم ،

– اعلم أنها كلها من سحر السحرة ، واعلم أن الموت هو تلك العصا التى انقلبت إلى حية .

– وابتلعت السحرة كلهم دفعة واحدة ، وكانت هناك دنيا اجتاحها الليل فابتلعها (نور) الصباح .

– وذلك النور لم يزدد من التهامها ، بل ظل على النفس النسق الذى كان عليه .

١٦٦٥ – لقد زاد فى أثره ولم يزدد فى ذاته ، لأن الذات لا تعتريها الزيادة أو النقصان .

– كما أن الحق لم يزدد من خلق الخلق ، ولم يصر إلى «حاله» لم يكن عليها منذ البداية .

– لكن أثره ازداد من خلق الخلق ، وهناك فرق بين هاتين الزيادتين .

– إن زيادة الأثر هى إبداعه .. حتى تظهر صفاته ، (ويتجلى) صنعه .

– أما زيادة الذات فإنما تكون دليلاً على أنها حادثة ونتيجة لعلة .(١)

تفسير « فأوجس فى نفسه خيفة موسي ، قلنا : لا تخف إنك أنت الأعلى »

١٦٧٠ – قال موسى عليه السلام – « إن السحر أيضا محير للخلق » ، وماذا أفعل وليس عند هؤلاء تمييز .

– قال الحق : إنى أخلق (فيهم) التمييز ، وأجعل العقل الذى لا تمييز عنده مبصرا .(٢)

– فبالرغم من أنهم فى (هيبة) البحر (يرغون) ويزبدون ، فإنك أنت الأعلى يا موسى ولا تخف .

– لقد كان السحر فخرا فى عصره، وعندما صارت العصا حية صار عارا

– وكل إنسان يدعى الحسن والملاحة ، فإن حجر الموت بالنسبة له هو محك ملاحة .

١٦٧٥ – لقد مضى عهد السحر ، ومضت معجزة موسى ، وكلاهما (السحر والمعجزة) سقط طستهما من سقف الوجود .(٣)

– وماذا بقى من صوت طست السحر إلا اللعنة ؟ ! وماذا تبقى فى صوت طست الدين إلا الرفعة ؟ !

– وعندما اختفى المحك بين الرجال والنساء ، أدخل فى الصف أيها الزيف ، وتنفج الآن بالادعاء .

---

(١) ج / (١٠/٢٥٣) :
لقد تمت الفكرة هنا أيها الرفيق ، فانصت جيدا إلي المقالات الدقيقة .

(٢) ج / (١٠/١٥٨) :
عندما أظهر معجزاتك ، وأجعل العقل قادرا علي رؤيتها وأهب العقل الذي لا تمييز عنده بصيرة وأجعل الجاهل (الحقير أعمي (عن رؤيتها) .

(٣) سقوط الطست من السقف كناية علي ظهور الشئ علي الملأ .

- وما دام المحك غائبا أثناء تنفجك وادعائك ، فإنهم يحملونك معززا يدا بيد .(1)

- ويقول الزيف بعنجهية : متى كنت أقل منك أيها الذهب فى أية لحظة؟!

١٦٨٠ - فيقول الذهب : بلى أيها الرفيق !! لكن استعد فالمحك قادم (فى الطريق)!!

- إن موت الجسد هدية لأصحاب السر ، ومتى نقص الذهب الخالص من المقراض ؟!

- ولو كان الزيف ناظرا فى نفسه إلى آخره وعاقبته ، لاسود وجهه من البدايه ، لا فى النهاية .

- ولو رأى وجهه اسود فى البداية عند اللقاء ، لكان بعيدا عن النفاق وعن الشقاق .

- لكان طالبا لكيمياء الفضل ، ولتغلب عقله على جبلته .

١٦٨٥ - ولو أنه أصبح كسير القلب من (سوء) حاله ، لرأى جابر الكسيرين أمامه .

- لقد رأى عاقبته وصار كسيرا ، وفى الانكسار يكون (الجبر) فى التو واللحظة .

- لقد ساق الفضل (الإلهى) النحاس صوب الإكسير ، لكن ذلك (النحاس) المطلى بالذهب بقى محروما عن الكرم .

- فيا مطليا بالذهب إياك والادعاء ، فإن مشتريك لن يبقى أعمى هكذا .

- إن نور المحشر يجعل عيون (المشترى) مبصرة ، ويفضح عمى عينيك .

---

(١) ج / ١٠ - ص ٢٥٨

فيزاداد عزك وتنعمك لحظة بعد أخري ، وعندما جاء المحك لماذا اسود لونك ؟ !

١٦٩٠ – فانظر إلى أولئك الذين أبصروا العاقبة ، إنهم حسرة للأرواح وحسد للعيون .

– وانظر إلى أولئك الذين نظروا إلى الحال (الحاضرة) . إنهم فاسدو الباطن ، قطعوا رؤوسهم عن الحقيقة .

– وعند الناظر للحال الحاضرة الذين هو فى جهل وشك ، فيكون الصبح الصادق والصبح الكاذب سيين .

– والصبح الكاذب قد أذهب أدراج رياح الهلاك ، مئات الآلاف من القوافل أيها الفتى .[1]

– ولا يوجد حال حاضر لا يكون ملقيا (بالمرء) فى الخطأ ، وويل لتلك الروح التى لا يكون لها محك ومقراض .[2]

زجر المدعى عن الدعوى وأمره بالمتابعة

١٦٩٥ – لقد قال أبو مسيلمة (الكذاب) : إننى أنا أحمد ، ولقد قضيت على دين محمد بحولى وطولى .

– فقل لأبى مسيلمة .. كفاك بطرا ، ولا تكن مغرورا بالبداية بل انظر إلى العاقبة .

– ولا تقم بهذه الزعامة من أجل جمع (المال والجاه) ، بل كن تابعاً ليكون شمع (الدين الحق) فى مقدمة (الركب) .

– فإن هذا الشمع يبدى المقصد وكأنه القمر ، (ويبين) أيوجد جب فى هذه الناحية أم أنه الفخ نفسه .

---

(١) ج / ١٠ – ٢٥٩

فاطلب الصبح الصادق أيها العزيز ، حتي تصبح من صدقه صاحب تمييز .

(٢) هنا بيت زائد في نسخة جعفري (جـ ٢٥٩/١٠) لكنه يبدو وخارج السياق :

– وعد نحو الغلام وكتابه ، فإنه يكتب خطابا جيدا يرسله للملك .

– وسـواء أردت أم لـم ترد ، فـعن طريـق المصـبـاح ، تظهـر صـورة البـازى وصـورة الغراب .

١٧٠٠ – وإلا فإن هذه الغربان قد جلبت المكر ، وتعلمت أصوات البزاة البيض .

– فإن تعلم الفتى (تقليد) صـوت الهدهد[1] ، فأين سر الهدهد وأين النبأ من سبأ ؟ !

– فـاعلم الصـوت الأصـيل من الصـوت المقلد ، واعلم تـيـجـان الملوك من تيجان الهداهد .

– لقد وضـع هـؤلاء الذين لا حيـاء عندهـم على ألسـنتهم كلمـات الدراويش وإشـارات العارفين الدقيقة .

– وإنما هلكت كل أمة من الأمم السـابقة ، لأنها ظنت الصـندل عودا .

١٧٠٥ – لقد كـانوا يملكون التـمـيـيز الذى يبين لهم ذلك ، لكن الحـرص والطمـع يعميان ويصـــمـان .

– وإن عمى العـمـيـان ليس بعيـداً عن الرحمـة ، لكن عمى الحـرص أمر لا عذر فيه .

– إن الصـلب (الذى يقـوم به) الملك لا يسـتـبـعد العـفـو منه ، لكن الصـلب (الذى يقوم به) الحسـد لا عفو منه .

– ويا أيتـها السـمكة انظرى إلى العـاقبـة ولا تنظرى إلى الشـص ، إن قـبـح الحلق أغمض عينيك التى ترى العاقبة .

– فـانـظر بعـينـيك إلى الأولى والآخـره ، وأحـذر ولا تكن أعـور كـإبليس اللعين

١٧١٠ – إن الأعور هو الذى يرى الحال (الحاضـر) فحسـب ، إنه كالبهائم لا علم له بما هو قدامه أو وراءه .

---

(١) هكذا في نسخة نيكلسون ، أما في نسخة جعفري (١٠/٢٦٢) :
– فإن تعلمت القطا صوت الهدهد . ويبدو أصح .

– وعندما تكون العينان عينى بقرة فهما فى دية التلف مثل عين واحدة إذ لا شرف لهما .

– إن عينيها هاتين قيمتهما بنصف قيمة عين (الإنسان) ، لأنهما معا تستندان على (وجود)عينيك .

– ولو اقتلعت عينا واحدة من إنسان ، فإن ديتها نصف دية (العينين) شرعاً .

– وذلك لأن عين الإنسان قائمة بذاتها ، وتقوم بالعمل دون عين رفيق (تقودها) .

١٧١٥ – ولما كانت عين الحمار ناظرة إلى الأولى دون الآخرة ، فهو فى حكم الأعور وإن كان له عينان .

– إن هذا الكلام لا نهاية له ، وذلك (الغلام) الغبى يكتب رقعة طمعاً فى الرغيف .(١)

بقية قصة كتابة ذلك الغلام الرقعة طلبا فى الأجر

– لقد ذهب قبل أن يكتب الرسالة إلى الطباخ قائلا له : أيها البخيل من مطبخ الملك السخى .

– إنه من المستبعد منه ومن همته .. أن يضع فى حسبانه هذا القدر من أجرى !!

– فأجاب : لقد أمر بهذا من أجل المصلحة ، (لم يأمر به) بخلا أو من ضيق ذات اليد .

١٧٢٠ – قال : والله ان كان هذا الكلام لتملص ، إن الذهب النضار عن الملك كأنه التراب (كثرة وقيمة) !!

– ويبسط الطباخ عشرة براهين ، لكنه ردّها كلها من حرصه الشديد .

(١) هذا البيت موجود في نسخة جعفري (٢٦٧/١٠) بعد العنوان .

– وعندما قلت كرايته عند الغذاء ، شنع كثيرا ، لكن هذا لم يجده نفعا .

– وقال : إنكم قاصدون متعمدون فى كل هذه الأمور ، فأجابوا : لا بل نحن مأمورون .

– فلا تفترض أن هذا الأمر من الفرع بل افترضه من الأصل ، لا تهاجم القوس فالسهم من الساعد .

١٧٢٥ – ان « ما رميت اذ رميت » هى من قبيل الابتلاء ، أى لا تعتبر النبى مسئولا !! انه من الله .

– ان الماء من أساسه كدر يا ذاهل البصر ، فانظر إلى ما قبل .. وافتح العين مرة .

– فانصرف (الغلام) غضبا وحزنا .. وانتحى جانبا ، وكتب إلى الملك رقعة غاضبة .

– لقد أثنى فى الرقعة على الملك ، وثقب جوهر جود الملك وسخائه .

– قائلا : يا من كفك أسخى من البحر والسحاب ، ولقضاء الحاجة ، أنت باحث عن (أصحاب) الحاجات .

١٧٣٠ – إن السحاب عندما يعطى يعطى باكيا .. لكنك تمد الموائد اثر بعضها ضاحكا .

– وبالرغم من أن ظاهر الرقعة كان المديح ، فإن رائحة الغضب كانت تفوح بين المديح .

– ومن هنا فكل اعمالك قبيحة خالية من النور، لأنك بعيد عن نور الطبع

– وإن رونق عمل الأخساء يكون كاسدا ، انه مثل الفاكهة التى زاد نضجها ، سرعان ما تفسد .

– كما أن رونق الدنيا سريعا ما يكسد ، لأنه من عالم الكون والفساد .

١٧٣٥ – ان الصدور لا تسعد من المديح ، عندما يكون المداح (مضمرا) للحقد .

– ويا أيها القلب .. تطهر من الحقد والكراهية ، ثم من بعد ذلك اقرأ « الحمد » سريعا .

– أما «الحمد» على اللسان بينما يكون فى الباطن إكراه ، فانه يكون من اللسان تلبيسا أو خداعا .

– ثم إن الله سبحانه وتعالى قال : انني لا أنظر إلى الظاهر ، بل أنظر إلى الباطن .

حكاية ذلك المداح الذي أخذ يثنى على ممدوحه على سبيل الفخر ، بينما كانت رائحة همه وحزنه الداخلى وخلافة ثوبه تبدى هذا الشكر كذبا وبهتانا

– جاء أحدهم بدلقه (بثوبة الخلق) من العراق ، فأخذ رفاقه يسألونه عن أيام الفراق .

١٧٤٠ – قال : نعم ، لقد عانيت الفراق ، إلا أن السفر كان مباركا جدا على .. مليئا (بالمنافع) والبشارات .

– لقد وهبنى الخليفة عشرة من الخلع.. لتكن مائة مدح وثناء قرينة له !!

– وأخذ يعدد الثناء والمدح والشكر ، بحيث جاوز الحد فى شكره .

– فقالوا له : إن أحوالك (الظاهرة) القبيحة تشهد على كذبك .

– فجسدك عار ورأسك عارية لوحتها (الشمس) ، فهل سرقت هذا الشكر أو لقنته ؟ !

١٧٤٥ – وأين أمارة شكر أميرك وحمده ؟ أهى على رأسك أو فى قدمك التى لا نعمة (تبدو) عليهما ؟ !

– فاذا كان لسانك ينسج الثناء على ذلك الملك ، فإن أعضاءك السبعة تبث شكواها (منه) .

– وفى سخاء ذلك المليك وسلطان الجود عليك .. ألم يكن هناك نعل أو سروال من أجلك ؟ !

– قال : لقد آثرت (على نفسى) بكل ما قدمه إلى .. والأمير لم يقصر ولم يغفل شيئا .

– لكنى قد أخذت كل العطايا من الأمير ، ثم قمت بتوزيعها على الأيتام والفقراء .

١٧٥٠ – لقد وهبت المال واكتسبت العمر الطويل فى مقابله .. ذلك أننى أجدت اللعب بطهر .

– فقالوا له : مبارك عليك ذهاب المال ، فأى دخان (منبعث) من نفط (مشتعل) هكذا فى داخلك ؟ !

– وهناك مائة كراهة فى باطنك كالشوك ، فمتى يكون الهم علامة الاستبشار ؟ !

– أين أمارة العشق والإيثار والرضا .. اذا كان صحيحا ما أسلفته من قول !!

– ولنفرض أن المال قد ضاع فأين الميل (إلى الحق) ؟ ! واذا كان السيل قد مر فأين موضع السيل ؟ !

١٧٥٥ – واذا كانت عينك سوداء منعشة للروح .. فإن بقيت منعشة للروح .. فلماذا هى مظلمة كدرة ؟ !!

– وأين امارة اجادتك اللعب بطهر أيها العبوس ، ان رائحة النفاج تتأتى منك ملتوية فاصمت !!

– وهناك مائة امارة للايثار فى الباطن ، وهناك مائة علامة للمحسن !!

– فاذا كان يتلف ماله ايثارا ، فانه يخلف عليه بمائة (نوع) من الحياة فى الباطن .

– أتكون هناك زراعة فى أرض الحق للبذور الطاهرة ثم لا (حصاد) ولا دخل ؟!! (١)

١٧٦٠ – وإذا كانت الثمار لا تنمو فى روضات «هو» ، فقل لى اذن .. ماذا تعنى ، أرض الله واسعة » ؟ !

– وإذا كانت هذه الأرض الفانية (لا تبقى) بلا ريع ، فكيف تكون (هكذا) أرض الله الواسعة ؟ !

– ان لها ريعا بلا حد ، فالحبة الواحدة مهما قلت بسبعمائة حبة .

– لقد تحدثت بالحمد فاين علامة الحامدين .. ولا أثر منها على ظاهرك أو فى باطنك .

– إن حمد العارف لله (حمدٌ) صادق ، بحيث تشهد القدم واليد على حمده .

١٧٦٥ – لقد جذبه (الحمد) من بئر جسده المظلم ، وشراه من ضيق سجن دنياه .

– إن أطلس التقوى وقد اقترن بالنور ، وهو آية للحمد موضوع على كتفه .

– ولقد تخلص من الدنيا التى هى عارية (ترد) ، وأصبح ساكنا للرياض والعين الجارية .

– وعلى سرير سر همته العالية ، يكون مجلسه وموضعه ويكون مقامه ورتبته .

– ومقعد الصدق الذى يكون فيه كل الصديقين طيبى العيش مسرورين متهللى الوجوه .

---

(١) ج / ١٠ – ٢٧١

وإذا لم تتحول الحبة التي تغرسها الروح إلي مائة حبة ، فأي معني لقوله « أرض الله واسعة » ؟ !

وان أصل أرض الله هو قلب العارف ، انها في اللا مكان لا فوق فيها ولا تحت

١٧٧٠ – إن حمدهم كحمد الرياض للربيع ، وله مائة أمارة ، ومائة (ضجة وحضور) وشد وجذب .

– وعلى ربيعة تشهد العيون والنخيل والنبات ، وتلك الروضة وأحواض الورود .

– وآلاف من الحسان فى كل حدب وصوب فى شهادة كشهادة الجوهر على الصدف .

– لكن رائحة الثوم السيئة تفوح من فمك ، ويبدو حزتك أيها الثرثار المدعى من رأسك ووجهك .

– والعالمون بالروائح حاذقون فى الحرب ، فقلل أنت من اطلاق صيحات الوجد جزافا .

١٧٧٥ – ولا تثرثر عن المسك فإن رائحة البصل ، تجعل السر مفتضحا من نفسك .

– انك لا تفتأ تقول : لقد أكلت الورد بالسكر ، ورائحتك تفوح بالثوم (قائلة لك) : لا تنفج .

– إن القلب بمثابة المنزل العظيم ، ولمنزل القلب جيران مستورون .

– وهم من فُرَج الكوة والجدران ، يصبحون مطلعين على الأسرار .

– (انهم يفعلون ذلك) من شق لا يتوهمه صاحب (الدار) ، ولا يخاف من وجوده ابدا .

١٧٨٠ – فاقرأ من القرآن إن الشيطان وقبيله ، يعلمون أحوال الإنس خفية ،

– ومن طريق لا يعلمه الإنس ، لأنه ليس من هذا المحسوس وليس من هذا القبيل .

- وبين الناقدين لا تقم بحيلك ، ولا تتنفج أيها الزيف الدنى مع المحك .

- وللمحك طريق إلى الصحيح والزائف ، قد جعله الله أميرا للجسم والقلب .

- ولما كان للشياطين مع غلظتهم وقوف على أسرارنا وافكارنا ومذاهبنا ،

١٧٨٥ - ولهم مسالك خفية إلى ما استتر منا ، ونكون من تسلطهم منقلبين (على أعقابنا)

- وهم لحظة بلحظة يصيبوننا بالتخبط والخسارة ، فهم من أصحاب النقب يشقون الفجوات !!

- إذن فلماذا لا تكون الأرواح المستنيرة فى الدنيا عالمة بالأحوال الخفية ؟!

- وكيف تكون فى تسللها إلينا أقل من الشياطين ، تلك الأرواح التى نصبت خيامها على الفلك ؟ !!

- إن الشيطان ليتسلل خفية إلى الفلك ، فيطعن من شهاب محرق ثاقب !!

١٧٩٠ - فيسقط من الفلك منقلبا مثلما يسقط الشقى فى الحرب من طعن السنان !!

- إن هذا يكون غيرة على الأرواح المقبولة ، إنه يسقطها من افلاكه منقلبة !!

- وأنت حتى اذا كنت مشلولا وأعرج وأعمى وأصم ، فلا يساورنك هذا الظن بالأرواح العظيمة .

- فاخجل ، وكفاك ثرثرة ولا تصب روحك بالأذى فهناك جواسيس كثيرة فى تلك الناحية من الجسد .

ادراك الأطباء لأمراض الدين والقلب فى سيماء المريد والغريب ولحن قوله ولون عينيه ، وبدون هذا كله عن طريق القلب مصداقا لقول القائل : انهم جواسيس القلوب فجالسوهم بالصدق .

– إن اطباء البدن هؤلاء علماء ، اكثر علما منك بسقامك .

١٧٩٥ – فما إن يبصروا حالك من القارورة ، وأنت لا تدرى أن ثمة مرضا فيك من هذه الناحية ؛

– يدركون كل نوع من السقم فيك من النبض ومن اللون ومن النفس ؛

– اذن كيف لا يعلم الأطباء الإلهيون كل شىء عنك دون قول منك ؟ !

– انهم يدركون من نبضك ومن عينيك ومن لونك مائة سقم منك على الفور ..

– بل إن الذى يحتاجون إلى هذه الأمور أطباء مبتدئون .

١٨٠٠ – اما الكمل فيسمعون اسمك على البعد ، يشرعون فى الغوص إلى أعماق وجودك .

– بل انهم قبل ميلادك لسنوات ، وربما يرونك بكل أحوالك .(١)

اعطاء ابى يزيد البشارة عن مولد أبى الحسن الخرقانى – قدس الله روحيهما – قبل سنوات من حدوثه ، والحديث عن أمارات صورته وسيرته .. بتفاصيلها ، وكتابة المؤرخين لهذا الأمر ترصدا وانتظارا

– هل سمعت قصة أبى يزيد ، ماذا كان قد رأى عن حال أبى الحسن (رؤية) مسبقة ؟!

ج / ١٠ – ٢٧٧

انهم يعلمون أحوالك بتفصيلاتها ، وذلك أنهم مترعون بالأسرار الالهية .

– كان سلطان التقوى ذاك يمر ذات يوم مع مريديه فى ناحية من الخلاء والوادى .

– فنفذ إلى أنفه شذى طيب وهو فى سواد الرى ، (وكان آتيا) من صوب خرقان .

١٨٠٥ – فأن فى ذلك المكان أنة مشتاق ، واستنشق الشذى من النسيم .

– لقد أخذ يستنشق ذلك الشذى بعشق ، كانت روحه تتذوق الخمر من الرياح !!

– فالآنية التى تكون ملآنة بالماء والثلج ، يبدوان على ظاهرها كالعرق .

– لقد صار هذا سيالا من برودة الهواء ، والطل لم يخرج من داخل الآنية

– لقد تحولت الريح الآتية بالشذى له إلى ماء ، وتحول الماء إلى خمر صافية .

١٨١٠ – وعندما ظهرت عليه آثار السكر ، واقترب منه أحد المريدين ؛

– ثم سأله عن هذه الأحوال الطيبة الخارجة عن حجاب (الحواس) الخمسة (والجهات) الستة ؟!

– قائلا : إن الألوان تتعاقب على وجهك فيصير أحمر ثم أصفر ثم أبيض فأية حالة هذه ؟ ! وماذا تبشر به ؟ !

– إنك تتنسم العبير ولا زهر هنا ، إنه بلاشك من الغيب من الروضة الكلية .

– فيا منى روح كل من ليس فى هوى نفسه ، أتبلغك كل لحظة من غيبك رسالة وكتاب؟!

١٨١٥ – إنك كل لحظة مثل يعقوب يصل إلى مشامك من (قميص) يوسف شفاء .

– صب علينا قطرة من ذلك القدر ، وتحدث معنا بنبذة عن هذه الروضة ..

– فلسنا معتادين أيها الجمال الأعظم .. أن تشرب أنت وحدك بينما تظل شفاهنا جافة ..

– ويا طاوى الفلك خببا .. إنهض سريعا .. وصب علينا جرعة مما شربت .

– فلا يوجد أمير مجلس فى عصر آخر راع للمريدين سواك أيها الملك العظيم .

١٨٢٠ – فكيف يمكن احتساء هذه الخمر فى الخفاء ، واعلم أن الخمر فاضحة للمرء يقينا .

– ولنفرض أنه يكتم رائحتها ويكنها .. ماذا يفعل فى عينه الناعسة المخمورة ؟ !!

– وهى فى حد ذاتها ليست تلك الرائحة التى تجعلها مئات الآلاف من الحجب مستورة فى هذا العالم .

– لقد امتلأ من نفاذها الوادى والصحراء ، أى واد ؟ ! بل لقد تجاوزت الأفلاك التسعة !!

– فلا تغلق فوهة هذا الدن بالطين والتبن ، فليست هذه العارية – مما يقبل الغطاء والكساء .

١٨٢٥ – وتلطف يا ناطقا بالأسرار وعالما بالأسرار ، وتحدث الينا عما صاده بازيك !

– فقال : لقد هبت علىّ رائحة عجيبة ، مثل تلك التى نفذت إلى أنف النبى من (ناحية) اليمن .

– لقد قال محمد عليه السلام : على يد الصبا تأتينى من اليمن ريح الرحمن .

– إن عبير «رامين» تهب من روح «ويس» وريح الرحمن يهب أيضا من «أويس» .

– لقد هب من أويس ومن قرن أريج عجيب ، جعل النبى ثملا شديد الإنتشاء والطرب .

١٨٣٠ – وعندما كان أويس قد فنى عن نفسه ، فإن ذلك الأرضى قد صار سماويا

– وذلك النبات المسمى بالاهليلج الذى ربى فى السكر، لا يبقى بعد مذاقه المر .

– لقد نجا ذلك النبات من الكبر والأنية ، وهو على صورة ذلك النبات لكن ليس له طعمه . (١)

– إن هذا الكلام لا نهاية له فعد (لنر) ما قاله ذلك الأسد الهصور من وحى الغيب.(٢)

قول رسول الله صلي الله عليه وسلم : اني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن .

– قال (أبو اليزيد) من هذه الناحية يهب شذى حبيب يقول : ان سلطانا عظيما سوف يولد فى تلك القرية .

١٨٣٥ – وبعد عدد من السنين سوف يولد ملك عظيم ، يجعل مقره (٣) فى عنان السماء .

---

(١) ج / ١٠ – ٢٨٠ :
وان ذلك الذي تجاوز نفسه تماما ، قد طوي كبره وانيته .

(٢) البيت في نسخة جعفري (جـ ١٠ / ص ٢٨٢) بعد العنوان .

(٣) حـــر : يضرب خيمته .

– يكون وجهه متوردا من روضة الحق ، كما أنه يكون أعلى منى مقاما .

– (قال) : ما اسمه ؟ ! أجاب : اسمه أبو الحسن ، كما قال أن حليته فى الحاجب والذقن .

– ووصف قوامه ولونه وشكله مفصلا ، كما تحدث عن (صفة) ذوائبه ووجهه .

– كما أبدى أيضا حلى روحه .. من صفات وطريقه وموضع ومقام .

١٨٤٠ – إن حلية الجسد عارية كالجسد .. فلا تعلق قلبك بها كثيرا فهى ساعة .

– وحلية الروح الطبيعية أيضا إلى فناء ، فاطلب حلية تلك الروح التى تكون على السماء .

– إن جسده كالمصباح فوق الأرض ، بينما يكون نوره أعلى من السماء السابعة .

– إن شعاع الشمس هذا الموجود فى الحجرة ، القرص الذى يبعثه موجود فى السماء الرابعة .

– وصورة الوردة تكون تحت الأنف من أجل السرور الصورى ، لكن رائحة الوردة تنفذ إلى سقف الأنف وايوانه !

١٨٤٥ – والرجل النائم فى عدن يعانى فرقا ، وينعكس هذا على جسده عرقا .

– والقميص فى مصر رهن عند حريص ، لكن كنعان مليئة بعبير .. ذلك القميص .

– فكتب (المريدون) التاريخ فى تلك اللحظة ، وزينوا هذا السفود بالشواء

– وعندما حل ذلك الوقت وحان حين ذلك التاريخ تماما ، ولد ذلك الملك ولعب نرد الملك .(١)

---

(١) ج / ١٠ – ٢٨٣ و ٢٨٨ : ورد بيتان بدلا البيت : – عندما حل الوقت وحان حين ذلك التاريخ تماما ، ظهر ذلك الملك من تلك الأرض ونهض ولد ذلك الملك ولعب نرد الملك ، وظهر من العدم وساق مركبه وبينهما عنوان مولد ابي الحسن الخرقاني .

– وبعد كل تلك اسنوات بعد وفاة ابى اليزيد ، ظهر أبو الحسن .

١٨٥٠ – وكانت كل خصالة من إمساك (فى محله) وجود ، كما كان ذلك الملك قد تحدث منها تماما .

– إن اللوح المحفوظ دليل له ، ومن أى شئ هو محفوظ ؟ إنه محفوظ من الخطأ .

– أنه ليس تنجيما ولا رملا ولا رؤيا (نائم) انه وحى الحق والله أعلم بالصواب .

– ومن أجل التعمية على العوام عند البيان ، يسميه الصوفية وحى القلب

– فاعتبره وحى القلب فهو موضع تجليه ، وكيف يكون خطأ ما دام القلب واعياً به ؟ !

١٨٥٥ – ايها المؤمن ان كنت تنظر بنور الله ، فقد أمنت هنا من الخطأ والسهو .

نقص أجر روح الصوفى وقلبه فى طعام الله (١)

– عندما يكون الصوفى من الفقر فى غم ، يكون فقره فى حد ذاته حاضنة ومطعماً .

– ذلك أن الجنة حفت بالمكاره ، والرحمة من نصيب العاجز المنكسر .

– أما ذلك الذى يكسر الرؤوس علواً واستكبارا ، لا تنزل به رحمة من الحق أو من الخلق .

– ان هذا الكلام لا آخر له .. وذلك الشاب ضاق ذرعا من إنقاص كرايته .

١٨٦٠ – وسعيد ذلك الصوفى الذى يكون رزقه قليلا ، يكون خرزه دراً وهو اليم (الذى يحتويه) .

---

(١) العنوان عند جعفري بعد ثلاثة أبيات من هذا البيت .

– فكل من صار عالماً بذلك الرزق الخاص ، صار جديرا بالقرب وموضع الرزق .

– ذلك أن رزق الروح عندما ينقص تكون الروح مرتعدة من هذا النقصان

– فتدرك أن خطأ قد بدر منها ، بحيث تأذت مزرعة زهور فل الرضا[1]

– وكذلك فإن ذلك الشخص كتب رقعة إلى صاحب البيدر يشكو فيها من نقصان محصوله .

١٨٦٥ – فرقعوا رقعته إلى أمير العطايا [2] فقرأ تلك الرقعة ولم يجب .

– قال أنه لا اهتمام عنده إلا بالطعام الدسم ، والسكوت أولى جدا بالأحمق .

– أنه لا يهتم أدنى اهتمام بالفراق أو الوصل ، أنه عبد للفرع ولا يبحث مطلقا عن الأصل .

– أنه أحمق مستغرق فى الأنية ، ومن اهتمامه لا فراغ عنده للأصل .

– فاعلم أن السموات والأرض على مثل تفاحة ، نبتت من شجرة قدرة الحق .

١٨٧٠ – وأنت كدودة فى قلب هذه التفاحة ، وغافل عن (وجود) الشجرة ووجود البستانى .

– وهناك حشرة أخرى موجودة أيضا فى التفاحة ، لكن روحها على علم بما يوجد خارجها .

---

(١) عند جعفري (١٠/٢٩٣) : بحيث لم تتفتح زهور فل الرضا وتبدو أصح . ويعدها عنوان : عودة إلي حكاية الغلام الذي كتب رقعة الملك بسبب نقص راتبه وعدم اهتمام الملك .

(٢) ترجمها نيكلسون امير العدل (4 / 376) وهكذا ترجمها يوسف بن أحمد (٤/٢٦٢) ولكني أثرت ترجمتها هكذا فالكلمة تعنى بالفارسية العدل والعطاء وعند جعفري (١٠/ ٢٩٤) إلي الملك العظيم لأنها (راد) وتبدو أصح .

– فتشق حركتها التفاحة ، ولا تحتمل التفاحة هذا الأذى .

– فتشق حركتها الحجب ، انها دودة فى صورتها أفعى فى حقيقتها .

– والنار التى تنبعث فى البداية من الحديد، إنما تنطلق فى البداية بقدم واهية جدا .

١٨٧٥ – ويكون بعض القطن حاضنة لها فى البداية ، لكنها فى النهاية توصل لهيبها إلى الأثير .

– والمرء من البداية رهن للنوم والطعام ، لكنه يصبح فى آخر الأمر اسمى من الملائكة .

– وبمعونة من القطن والكبريت ، يصل لهيبه ونوره إلى نجم السماء .

– فيضىء العالم المظلم بنوره ، ويحطم بإبرة قطعة الحديد الضخمة .

– هذا بالرغم من أن النار نفسها جسمانية أيضا ، فلا هى من الروح ولا هى روحانية .

١٨٨٠ – فلا نصيب للجسد من هذا العز ، والجسد كأنه قطرة بالنسبة لبحر الروح .

– والجسم يتزايد يوما بعد يوم من الروح ، وعندما تغادره الروح انظر إلى أى شئ يتحول .

– وحد الجسم ذراع أو ذراعان ليس أكثر ، لكن روحك جوالة حتى عنان السماء .

– وحتى بغداد وسمرقند أيها الهمام ، هى نصف خطوة فى تصور الروح .

– ووزن شحمة عينيك درهمان ، لكن نور روحها يصل إلى عنان السماء

١٨٨٥ – ويُرى النور فى النوم دون هذه العين ، وماذا تكون العين دون هذا النور إلا خرابا .

– فالروح فارغة من كبرياء الجسد ، لكن الجسد يكون بلا روح ميتة وذليلا .

– وهذا هو مجال الروح الحيوانية ، فتقدم قليلا وأنظر إلى الروح الإنسانية .

– واعبر الانسان .. وايضا القال والقيل ، حتى شاطئ بحر روح جبرائيل

– وبعد أن تقبلك روح أحمد المصطفى بشفتيها ، فإن جبرئيل يتقهقر خوفا منك . (١)

١٨٩٠ – ويقول : اذا تقدمت مرمى قوس واحد لاحترقت أمامك فى التو واللحظة.

ضيق ذلك الغلام من عدم وصول جواب الرقعة من الملك

– إن هذه الصحراء لا بداية لها ولا نهاية (لا رأس لها من قدم) ، لقد تعب ذلك الغلام من بقاء خطابه بلا جواب .(٢)

– (وأخذ يتساءل) : عجبا : كيف لم يجب علىّ الملك ؟ لعل حامل الرقعة قد خان من حسده لى ،

– فخبأ الرقعة ولم يظهرها للملك ، اذ كان منافقا ، وماءً من تحت تبن .

– فلأكتب رقعة أخرى على سبيل التجربة ، ولأبحث عن رسول آخر (يوصلها للملك) يكون ماهرا .

١٨٩٥ – لقد عاب ذلك الغافل من جهله على الأمير والطباخ والرسول .

---

(١) عند جعفري (جـ ١٠/ ٢٩٥) ، ويتقهقر جبرئيل عن منتصف طريقك . اشارة إلي الحادثة المشهورة في المعراج .

(٢) ج ١٠/ ٣٠٢ :

– عندما لم يأت جواب الخطاب تحير ، وتكدر من الفم ماؤة الصافي .

– ولم يقر له قرار أو يواتيه النوم من جنونه ، كان منقلبا من التفكير ليل نهار .

- ولم يتفحص أمر نفسه على الاطلاق قائلا : لقد قمت بسير معوج كما يفعل فى الدين عابد الوثن .

هبوب الريح باعوجاج (علي غير مهبها) علي سليمان عليه السلام بسب زلته

- هبت ريح فى غير مهبها على عرش سليمان ، فقال لها سليمان : أيتها الريح لا تهبى باعوجاج .
- فقالت الريح : لا تعوج أنت أيضا يا سليمان فى سيرك ، واذا كنت تمشى باعوجاج ، لا تغضب من اعوجاجى .
- لقد وضع الله هذا الميزان (بالقسط) ، حتى يجرى علينا الانصاف فى سابق علمه .

١٩٠٠ - (قائلا) : إن انقصت من الميزان انقص أنا أيضا منه ، وانا واضح معك ما دمت واضحا معى .

- وهكذا فقد مال تاج سليمان (عن رأسه) ، وجعل نهاره المضئ (أمامه) كأنه الليل .
- فقال له : أيها التاج لا تمل عن مفرقى ، ويا أيتها الشمس لا تغيبى عن مشرقى .
- كان يصلح من ذلك التاج بيديه ، فكان التاج يميل ثانية (عن رأسه) ، أيها الفتى .
- لقد أصلح من وضعه ثمانى مرات وهو يميل .. فقال له : أيها التاج ما خطبك ؟ ! لا تمل .

١٩٠٥ - فقال له : لو أصلحتنى مائة مرة لملت ، اذ أنك تميل (إلى الهوى) أيها المؤتمن !!

- فصحح سليمان من باطنه ، وصرف نفسه عن تلك الشهوة التى كانت فى داخله .

- ثم إن التاج صلح فى نفس تلك اللحظة ، وصار ، ما كان يريده أن يكون .

- ثم أخذ (سليمان عليه السلام) يميله عامدا ، فكان التاج يعود من تلقاء نفسه باحثا عن المفرق .

- فأماله ثمانى مرات ذلك العظيم ، فكان التاج يستقيم على مفرق رأسه .

١٩١٠ - ثم نطق التاج قائلا : فلتهنأ أيها الملك ، وما دمت قد نفضت طين (الهوى) عن جناح (الروح) فطر .

- وليس هناك أمر بأن اتجاوز هذا (المقدار) ، وأمزق حجب الغيب عن هذا (السر) .

- فضع يدك على فمى .. وسد هذا الفم عن قول ما ليس يقال .

- ومن هنا فأن أى حزن يطرأ عليك من ألم ، لا تتهم أحدا به بل فتش عنه فى نفسك .

- ولا ينسحب ظنك على انسان آخر أيها الحبيب ، ولا تقم بما كان يقوم به الغلام من جدال .

١٩١٥ - حينا يكون جداله مع الرسول وحينا مع الطباخ ، وحينا (يصب) غضبه على الملك السخى .

- مثل فرعون الذى كان قد ترك موسى ، وأخذ فى قطع رؤوس أطفال الخلق .

- كان العدو موجوداً فى منزل ذلك الأعمى القلب ، بينما انهمك هو فى قطع رؤوس الأطفال (الآخرين) .

– وأنت أيضا سئ مع الأخرين فى ظاهرك ، وفى باطنك تصالحت مع النفس ثقيلة (الحمل) .

– انها عدوتك ومع ذلك تقدم لها السكر ، ثم تلقى التهمة على كل انسان (يحيط بك) خارجك .

١٩٢٠ – انك كفرعون أعمى (البصر) وأعمى القلب ، طيب مع عدوك مثل الأبرياء .

– فحتام تقتل البرئ يا فرعون ، وتكرم الجسد المليء بالغُرم .

– لقد كان عقله زائدا على عقل الملوك ، لكن حكم الحق كان قد جعله أعمى بلا عقل .

– وان ختم الحق على عين العقل وأذنه ، يجعل المرء حيوانا وان كان افلاطون .

– وحكم الحق يكون مكتوبا على اللوح (المحفوظ) ، مثل حكم الغيب الذى كان عند أبى يزيد .

استماع الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه عن إخبار أبي يزيد عن وجوده وأحواله .

١٩٢٥ – وهكذا قد روى أن أبا الحسن ، سمع من الناس ما كان (ابو يزيد) قد قاله ،

– من أن أبا الحسن يكون مريدا لى ومن أمتى ، وهو آخذ كل يوم للدرس من تربتى .

– فقال : انا أيضا رأيت هذا فى الحلم ، وسمعت نفس هذا الأمر من روح الشيخ .

– وكان يتجه كل صباح إلى القبر ، ويقف فى حضور حتى الضحى .

– فإما ان مثال الشيخ كان يحضر أمامه ، واما أن مسائله كانت تحل دون كلام .

١٩٣٠ – حتى أتى (اليه) ذات يوم مسعود ، وكان الثلج قد غطى القبور .

– رأى الثلوج المكدسة كأنها الأعلام ، قد تراكمت كالقباب المتتاليه ، وأحس بالحزن فى روحه .

– فصاح به من حظيرته ذلك الشيخ الحى «ها أنا أدعوك كى تسعى إلىّ»(١)

– هيا تعالَ سريعا نحوى على هذا الصوت ، واذا كان العالم كله قد صار ثلجا فلا تشح بوجهك عنى .

– فتحسنت أحواله من ذلك اليوم ، ورأى (عيانا) تلك العجائب التى كان يسمع عنها من البداية .

كتابة ذلك الغلام رقعة أخري إلى الملك عندما لم يتلق جوابا على الرقعة الأولي

١٩٣٥ – فكتب رقعة أخرى ذلك السئ الظن ، مليئة بالتشنيع والغلظة والصراخ

– قائلا : لقد كتبت رقعة إلى الملك ، فوا عجبا هل وصلت إليهم واتخذت طريقها .

– لقد قرأ هذه الرسالة أيضا ذلك الوضاء الوجه ، ولم يجب عنها أيضا وصمت .

– كان الملك يضطره إلى الصمت ، لكنه كرر كتابة الرقعة خمس مرات :

– فقال الحاجب : إنه فى النهاية من عبيدك ، ومن الجائز أن تكتب ردا عليه .

---

(١) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

١٩٤٠ - فما الذى ينقص من ملوكيتك ، اذا ألقيت نظره على غلمانك وعبيدك ؟

- قال : هذا سهل ، لكنه أحمق ، والأحمق قبيح ومردود من الحق .

- ولو اننى سامحته وتجاوزت عن ذنبه وزلته ، لأصبت بالعدوى مر علته

- ومن أجرب واحد يصاب مائة شخص بالجرب ، خاصة هذ الجرب الخبيث غير المقبول .

- فلا أصيب (حتى) المجوسى بجرب الحمق ، فان شؤمه ليصيبز بالجدب .

١٩٤٥ - ولا يسقط المطر من شؤمه ، وتصير المدينة خرابا من طبعه الذى يشب طبع البوم .

- ومن جرب هؤلاء الحمقى ، خرب طوفان نوح عالماً ، وجعله مفتضحا[1]

- لقد قال الرسول عليه السلام : الأحمق أيا كان عدونا ، وهو غول قاطع للطريق .

- وكل من يكون عاقلا فهو حبيب لنا ، روْحُه وريحه ريحان لنا .

- إن العقل ليشتمنى وأنا راض (بشتمه) ، فان لديه فياضا من الذى يفيض عليّ .

١٩٥٠ - ولا يكون شتمه هذا بلا فائدة ، ولا يكون ضيفه (محروما) من المائدة .

- والأحمق ان وضع الحلوى بين شفتى ، أكون من حلواه هذه فى حمى

- فاعلم يقينا ان كنت لطيفا مستنيرا ، أنه لا طعم لقبلة من مؤخرة حمار .

---

(١) هنا عنوان في نسخة جعفري (جـ ١٠/ ص ٣١٢) مدح الرسول للعاقل وذمه للأحمق .

- انه يجعل شاربك نتن الرائحة بلا فائدة ، وقدره يسود ثيابك بلا مائدة

- ومائدة العقل ليست فى الخبز والشواء ، ان نور العقل يا بنى هو غذاء الأرواح .

١٩٥٥ - وليس إلا النور طعاما للإنسان ، ومما عداه لا تجد الروح التربية .

- فانقطع عن هذه الأطعمة قليلا قليلا ، فهى غذاء للحمار لا للرجل الحر.

- حتى تكون قابلا للغذاء الأصلى ، وتكون أكلا للقيمات النور .

- فمن انعكاس ذلك النور صار الخبز خبزا ، ومن فيض تلك الروح صارت هذه الروح روحاً .

- وعندما تأكل مرة واحدة من طعام النور ، فإنك تحثو التراب على الخبز والتنور .

١٩٦٠ - والعقل عقلان أولهما عقل مكتسب ، نتعلمه كما (يتعلم) الصبى فى المكتب .

- (وهذا العقل) من الكتاب والأستاذ والفكر والذكر ومن المعانى ومن العلوم الطيبة البكر .

- (وبها) يزيد عقلك على عقول الأخرين ، لكنك تصير ثقيلا من حفظها

- وتكون لوحا حافظا فى غدوك ورواحك ، أما الذى جاوز (هذه الدرجة) فقد صار لوحا محفوظا .

- أما العقل الآخر فهو هبة من الله تعالى ، وإنما يكون منبعه من قلب الروح .

١٩٦٥ - وعندما يطف ماءُ المعرفة فى الصدر ، فلا هو يتسنه ولا يأسن ولا يصفر .

- واذا سُدَّ الطريق إلى منبعه فلا بأس ، ما دام يفور (من داخل) المنزل لحظة بلحظة .

- أما العقل المكتسب فهو على مثال الجداول ، انما تجرى فى الدور من الأزقة .

- وإذا سُدّ طريق الماء إليها حرمت (منه) ، فابحث عن نبع من داخل نفسك .

قصة ذلك الشخص الذى كان يستشير أحدهم فقال له :

استشر آخر فأنا عدوك

- كان أحدهم يستشير آخر ، حتى ينجو من التردد ومن ورطة (سقط فيها) .

١٩٧٠ - فقال له يا حسن الاسم أطلب غيرى ، وأسر إليه بما يهمك وما تريد المشورة فيه .

- وأنا عدوك فلا تطف حولى ، فلا يوجد من رأى لعدو نصر أبدا .

- فاذهب وأطلب شخصا يكون لك صديقا ، والصديق - بلا شك - هو من يرجو لصديقه الخير .

- أما أنا فعدو لك ولابد من أنيتى - أن أكون معوجّا معك وأن أبدى لك العداوة .

- وليس من المعقول طلب الحراسة من الذئب ، والبحث فى غير موضعه عدم بحث .

١٩٧٥ - ولأننى بلاشك عدو لك ، متى أبدى لك الطريق وأنا قاطع طريقك .

- وكل من يكون جليسا للأصدقاء ، فهو فى بستان ، وإن كان فى مستوقد حمام .

– وكل من يجالس عدوا – ولو للحظة واحدة – ويكون فى بستان ، فكأنه فى مستوقد الحمام .

– فلا تؤذ الصديق من إبداء الكبرياء والأنية ، حتى لا ينقلب الصديق خصما وعدوا لك .

– وأفعل الخير مع الخلق من أجل إلهك ، أو من أجل راحة نفسك .

١٩٨٠ – وما دمت تراهم أصدقاء أمام ناظريك ، فانه لا تتمثل فى قلبك صور سيئة من الحقد .

– وما دمت قد أقمت معى بناء العداء فاخش واتق ، وتشاور مع صديق محب .

– قال : إننى اعرفك ، يا أبا الحسن ، (أعرف) أنك عدو قديم لى .

– لكنك رجل عاقل (مهتم) بمعانى (الأمور) ، ولا يسمح عقلك لك أن تسير باعوجاج .

– إن الطبع يريد (منك) أن تنتقم من خصمك ، لكن العقل (يقف) أمام النفس (الأمارة) كسد حديدى .

١٩٨٥ – إنه يمنعه ويحول بينه وبين (الشر) ، فالعقل بمثابة الشرطى بالنسبة له فى الخير والشر .

– والعقل الإيمانى كالشرطى العادل فهو حارس لمدينة القلب حاكم عليها

– يكون كالقط يقظ اللب ، يبقى اللص (قابعا) فى جحره كالفأر .

– وحينما يبدى الفأر قوته ، لا قط هناك ، ولا صورة لقط .

– أى قط (أقول) ؟ أنه أسد مجندل للأسود ، ذلك العقل الايمانى الذى يكون فى الجسد .

١٩٩٠ – يكون زئيره حاكما على الوحوش ، صيحة واحدة منه تمنع الحيوانات التى ترعى .

– وإذا كانت المدينة مليئة باللصوص وسراق الملابس ، فسواءٌ وجود الشرطى وعدمه.(١)

تأمير الرسول عليه السلام لشاب هذيلى على سرية فيها شيوخ ومحنكون فى الحرب

– كان الرسول – عليه السلام – يرسل إحدى السرايا لقتال الكفار والقضاء على التمرد .

– فاختار شاباً من هذيل ، وجعله أمير للعسكر وقائدا للخيل .

– ولا جدال أن أساس الجند قائدهم ، وقوم بلا قائد كجسد بلا رأس .

١٩٩٥ – وهكذا فأنت ميت ذابل ، لأنك تركت القائد .

– ومن الكسل والبخل والأنية ، تتمرد وتجعل من نفسك رئيسا لنفسك

– كالدابة التى تفر من حملها ، وتتبع رأسها فى الجبل .

– ويسرع صاحبها فى أثرها صائحا ، يا دائرة الرأس ، فى كل صوب ذئب يستهدف الحمُر !!

– وإنك إن غبت عنى لحظة واحدة ، يهجم عليك فى كل ناحية ذئب قوى .

٢٠٠٠ – ويمضغ عظامك كأنها السكر ، بحيث لا ترين الحياة مرة أخرى .

---

(١) ج / ١٠ – ٣١٦

أن العقل في الجسد حاكم علي الإيمان
فمن الخوف منه النفس في سجن
وأنت عقل العقل وروح الروح أيها الحبيب
وأنت سلطان علي عقول الخلق وأرواحهم
والعقل الكلي حائر دائر الرأس فيك
وكل الموجودات تحت سلطتك (القاهرة)

- وإلا فـإنك فـى النهـاية لـن تصـلـى إلى الـعلف ، والـنار إن لم تجـد الحطـب يأتينها التلف .

- فـانتبهى ، ولا تهـربى من تحت سيطرتى ، ومن ثقل حـمل (الطريق) فأنا روحك .

- وأنت دابة ونفسك غالبة ، والحكم للغالب أيها المغرور .

- ولـم يسمك حمـاراً بل سمـاك جواداً ذو الجـلال ، والعرب ينادون الجواد بقولهم : تعال .

٢٠٠٥ - لقـد كـان المصطفى أمـيـرا لاصطبل الحق ، من أجل دواب النفس المليئة بالجفاء .

- لقـد قـال له «قل تعـالوا » من أجل جـذب الـكرم ، حـتى أروضكم فـأنا الرائض (لكم) .

- وحتى روضت الأنفس (الحيوانية) ، تلقيت كثيـرا من الرفسـات من هذه الدواب .

- وحيـثـمـا يكون مـغـرم بتـرويـض (الناس) ، فـلا مناص له مـن تلقى الركلات .

- فلا جـرم أن أغلب البـلاء على الأنبيـاء ، فإن ترويض السـذج من قبيل البلاء .

٢٠١٠ - إنكم جياد مـتعثرة ، ومن نفسـى تمشـون هونا طيعين وتصـبحـون مطية للسلطان !!(١)

- لقـد قال الله سـبحـانه وتعالى : قـل تعالوا .. قل تعـالوا .. أيتهـا الدواب الجافلة عن الأدب .

---

(١) ج / ١٠ - ص ٣١٨

لقد قال الحق : قل تعالوا قل تعالوا .. أيتها الدواب الملولة من الدرس .

لقد قال الحي : قل تعالوا قل تعالوا .. أيتها الدواب ذات العروق والشرايين المتجمدة .

- وإن لم يأتوا فلا تحزن أيها النبى ولا يشتد غضبك من هاتين الفئتين اللتين لا تمكين لديهما .

- فأن آذان بعضهم من تكرار تعالوا قد أصابها الوقر ، ولكل دابة الإصطبل الخاص بها .

- لقد فرَّ بعضهم من هذا النداء فلكل جواد حظيرته .. وعلى حدة .

٢٠١٥ - لقد انقبضت (قلوب) بعضهم من هذه القصص ، ذلك لأن كل طائر له قفص مختلف .

- حتى الملائكة لم يكونوا متساوين ، ولهذا السبب اصطفوا فى صفوف مختلفة فى السماء .

- والأطفال وإن يكونوا فى مكتب واحد ، فهناك منهم من يكون أعلى من الآخر ويسبقه .

- وإن للمشرقى والمغربى حواسًا (منفصله) ، وإن منصب الرؤية (منوط) بحس العين .

- ولو اصطفت مئات الآلاف من الآذان ، لكانت كلها محتاجة إلى عين مبصرة .

٢٠٢٠ - ولصف الآذان بدوره وظيفة (أخرى) فى سماع الروح وأحاديث النبى .

- وليس لمئات الآلاف من العيون هذا الطريق ، وليس لعين قط علم بالسماع .

- وهكذا كل الحواس ، عدها حاسة حاسة ، كل منها معزولة عن عمل الأخرى .

- وهناك خمسة حواس ظاهرة وخمسة باطنة .. هى عشرة صفوف فى قيام ... (هذه هى) «الصافون» !!

- وكل من يكون متمردا عن طريق الدين ، إنما يمضى فى صف يكون متخلفا (وفى الأذلين) .

٢٠٢٥ - واياك أن تنصرف أنت عن ندائهم بـ «تعالوا» ، فإن هذا النداء كيمياء (تبديل) عجيبة جدا !!

- حتى وإن نفر النحاس من قولك ، لاتمنع عنه كيمياء «التبديل» أبدا .

- فإن كانت نفسه الساحرة قد سدت عليه (الطريق) فى هذه اللحظة ، فإن كلامك سوف يجدى نفعا فى النهاية .

- قل تعالوا ، قل تعالوا ، يا غلام ، وانتبه ، فالله يدعو للسلام .

- وعد أيها السيد عن الأنية وعن الرئاسة ، وابحث عن قائد وقلل من طلب الرئاسة .

اعتراض معترض على الرسول عليه السلام فى تأميره لذلك الهذيلى

٢٠٣٠ - عندما نصب الرسول قائداً من هذيل ، من أجل الجند منصور الخيل .

- لم يطق أحد الفضوليين من حسده ، ورفع راية الإعتراض قائلا : لانوافق !

- فانظر إلى الخلق !! كيف أنهم فانون فى المتاع الفانى لأنهم ظلمانيون !!

- ومن كبريائهم (تراهم) جميعا فى فرقة وتشتت ، لقد ماتوا فيما (يتصل) بالروح ، وعاشوا فى السحر والخرافة !!

- ومن عجب أن الروح فى سجن، بينما مفتاح سجنها (موجود) فى اليد

٢٠٣٥ - إن هذا الشاب (المعترض) غارق فى البعر من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، بينما يطف نهر جار حول أطراف ثوبه .

– إنه يتـقلب من جنب إلـى جنب لا قـرار لـه (على حـال) وهـو إلـى جـوار منتجع للراحة وظهير!!

– والنور الخفى والسعى (فى سبيله) والبحث عنه دليل على أن القلب لا يبحث عن ملجأ عبثا .

– وإذا لم يكن هناك من سـجن الدنيـا مناص ، لما كانت الوحـشـة (منهـا) ولما بحث القلب عن الخلاص .

– فـوحـشـتـك كأنهـا مـوكل يجـذبك قـائلا : ابحث أيهـا الضـال عن منهـاج الرشد .

٢٠٤٠ – فـهناك منهـاج خـفى فى مكمنه ، والعـثـور عليـه رهـن ببـحث (المرء) عنه كثيرا .

– « والتفرقـة » لا تفتأ تطلب «الجمع» مـن مكمنه ، فانظر فى هذا الطالب إلى وجه المطلوب .

– إن (الزهـور) التى كـانت قـد ماتت فى الـبسـتـان ، انبثـقت من مكامنهـا قائلة لك : إفهم ذلك المحيى !!

– ومـتى تكون عيـون السـجناء (مركـزة) على الأبواب دائمـا ، إن لـم يكن هناك مبشـر (بالحرية) ؟ !!

– ومتى كـان يوجد مئات الآلاف من الملوثين البـاحثين عن الماء أن لـم يكن (يوجد) جدول ماء ؟!

٢٠٤٥ – ولا قـرار لجنبك ولا راحـة على الأرض ، مـا دمت عالماً أن فى الـدار لحافاً وفراشاً !!

– فـلا يوجـد قلقٌ لا يحـدث بعـده اسـتقرار ، ولا يوجـد هذا الخـمـار دون مزيل للخمار !!

– لقد قال (المعترض) : لا .. لا تفعل يا رسول الله ، ولا تؤمر على الجيش إلا شيخاً كبيرا !!

– والشاب وإن كان – يارسول الله – أسدا هصورا ، لا كان سوى رجل شيخ قائدا للجيش .

– كما أنك قلت وقولك حجة .. ينبغى أن يكون الشيخ ، ينبغى أن يكون الشيخ قائدا.

٢٠٥٠ – فانظر يارسول الله فى هذا الجيش ، هناك شيوخ كثيرون مقدمون على (هذا الشاب) .

– ولا تنظر من هذه الشجرة إلى أوراقها الصفراء ، بل اقطف منها تفاحها الناضج .

– ومتى تكون أوراقها الصفراء فى حد ذاتها خالية (من المعنى) ؟ ! إنها دليل على النضج والكمال .

– إن هذه الأوراق هى لحية ذلك الشيخ ، وهى تبشر بوجود عقل راجح ناضج .

– والأوراق التى نمت حديثا ولا تزال خضراء اللون دليل على أن ثمار (هذه الشجرة) فجة !

٢٠٥٥ – والقدرة على الاستغناء[1] هى علامة العارف ، وصفرة الذهب هى إحمرار وجه الصيرفى (بشرا) !

– فمن هو متورد الخد قد نبتت لحيته تواً ، إنما يخبر عند دخوله المكتب عن عدم إجادته الخط .

– تكون حروف خطه معوجة ملتوية ، فهو مقعد العقل ، وإن كان جسده جلدا منطلقا .

---

(١) القدرة علي الاستغناء عبارة يمكن أن يكون من معانيها حرفيا القدرة علي عدم وجود أوراق .

- هذا وإن عجزت قدم الشيخ عن الانطلاق سريعا ، فقد وجد من عقله جناحين طار بهما سريعا إلى الأوج .

- وإن كنت تريد مثالا فانظر إلى جعفر ، فقد وهبه الله بدلا من يديه وقدميه جناحين .

٢٠٦٠ - هيا وانصرف عن الذهب ، فقد صار الكلام محتجبا (عنى) ، وصار قلبى هذا مضطربا كأنه الزئبق .

- وهناك مائة صامت حسن النفس فى باطنى ، تضع أيديها على فمى قائلة : اصمت !

- فالصمت كالبحر إذا كان الكلام كالجدول ، والبحر يبحث عنك فلا تبحث أنت عن الجدول .

- ولا تشح بالوجه عن إشارات البحر ، وأختم (هذا القول) والله أعلم بالصواب .

- هكذا أخذ يواصل ذلك المعدوم الأدب الكلام أمام الرسول من شفته الباردة .

٢٠٦٥ - لقد كان الكلام يطاوعه وهو غافل أن الخبر يكون عبثا أمام (المعاينة) والنظر .

- وهذه الأخبار فى حد ذاتها تنوب عن النظر ، إنها ليست من أجل الحاضر بل من أجل الغائب .

- وكل من صار متصلا بالنظر ، صارت هذه الأخبار فى معزل عنه .

- وما دمت قد صرت جليسا للمعشوق ، قم بابعاد الرسل (بينكما) بعد ذلك .

- وكل من ترك الطفولة وصار رجلا ، فترت الرسالة وفترت الدلالة بالنسبة له .

٢٠٧٠ – إنما يقرأ الكتاب من أجل التعليم ، ويتحدث بالكلام من أجل التفهيم .

– وخطأ أن نتحدث بالأخبار أمام المبصرين (للعيان) ، ويكون هذا دليلا على غفلتنا ونقصنا .

– والصمت أجدى لك أمام الناظرين للعيان ، ومن أجل هذا نزل خطاب «أنصتوا» !!

– وإذا قال «قولوا» فقل قولا طيبا ، ولكن تحدث قليلا ولا تطل فى الحديث .

– وإن قال لك أطل فى الحديث ، فتحدث بخجل ، لمجرد أن تطيع الأمر .

٢٠٧٥ – مثلى أنا فى هذه المنظومة[1] الجميلة ، الآن مع ضياء الحق حسام الدين

– عندما أقصر أنا منَ الرشد ، يجذبنى هو إلى الحديث بأية حيلة .

– ويا حسام الدين ضياء ذى الجلال ، ما دمت ترى (العيان) أى بحث لك عن الحال ؟!

– وربما يكون هذا من حب المُشتهى ، اسقنى خمرا وقل لى انها !!

– أن كأسه على فمك فى هذه اللحظة ، والأذن تتساءل : أين نصيب الأذن ؟!

٢٠٨٠ – (تقول لها) : أن نصيبك هو الحرارة فأنت الآن حارة ثملة .. تقول لك : إن حرصى أكثر من هذا !!

جواب المصطفى عليه السلام على المعترض

– عندما جاوز هذا الأعرابى حده من القيل والقال ، فى حضور المصطفى ذى الطبع الحلو[2] .

---

(١) حر : الأسطورة الجميلة ويقصد بها المثنوي .

(٢) حر : من هو في طبع السكر .

– فإن مليك «والنجم» سلطان «عبس» ، عض على شفتيه ، وقال لثقيل الظل ذاك : كفاك .

– وأخذ يضرب بيده فمه لزجره قائلا له : حتام تتحدث أمام العالم بالسر ؟ !

– لقد حملت البعر الجاف إلى المبصر قائلا له : اشتر هذا بدلا من نافجة المسك !!

٢٠٨٥ – وأنك لتضع البعر يا نتن اللب والذهن تحت أنفك قائلا : بخ بخ .

– لقد رفعت صوتك بالاستحسان أيها الذاهل الحائر ، حتى تجد بضاعتك السيئة الرواج .

– حتى تخدع تلك المشام الطاهرة ، تلك التى تنسمت الأريج (١) فى رياض الأفلاك .

– فاذا كان حلمه قد جعله يتظاهر بأنه خدع ، ينبغى أنت أن تعرف نفسك قليلا .

– فإذا كانت القدر قد باتت ليلة بلا غطاء ، فعلى القط أن يكون خجلا !!

٢٠٩٠ – وإذا كان هذا الحسن المجد قد تناوم ، فهو يقظ جداً إياك أن تختطف عمامته .

– فحتام تتلو أيها اللجوج الخالى من الصفاء تعويذة الشيطان أمام المصطفى ؟!!

– إن هذه الجماعة (أى الأنبياء) لها مئات من الأحلام ، كل حلم فيه كأنه مائة جبل .

– إن حلمهم يجعل اليقظان أبله ، ويجعل الماهر ذا المائة يمين ضالا .

---

(١) حر : رعت في رياض الافلاك .

- إنهم جميعا كالشراب الطيب الزلال ، يتسلل رويداً رويداً نحو أعلى المخ !!

٢٠٩٥ - فأنظر إلى الثمل من هذا الشراب شديد العجب ، كأنه الجواد الثمل أخذ فى السير باعوجاج .

- إن الشاب ليسير فى الطريق كأنه الشيخ من هذا الشراب سريع التأثير .

- خاصة ذلك الشراب الذى هو من دن «بلى» .. ليس ذلك الشراب الذى يستمر السكر منه ليلة واحدة .

- بل إنها الخمر التى فقد أصحاب الكهف من نَقْلِها ونُقْلِها عقولهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا .

- وهى تلك التى شرب منها نسوة مصر كأسا واحدة ، فقطعن أيديهن إربا .

٢١٠٠ - لقد أصاب سكر موسى السحرة ، فاعتبروا المشنقة حبيبة إلى قلوبهم .

- وكان جعفر الطيار ثملا بهذه الخمر ، فضحى من تأثيرها دون أن يدرى بيديه وقدميه .

قصة قول أبى يزيد قدس الله سره : سبحانى ما أعظم شانى ، واعتراض المريدين عليه ، وجوابه عليهم ليس عن طريق القول ، بل عن طريق العيان .

- لقد جاء ذلك الفقير العظيم أبو يزيد إلى مريديه قائلا : انى أنا الله .

- لقد قالها بسكر جهارا صاحب الفضل ذاك ، قال : لا إله إلا أنا فاعبدون !!

- وعندما مر ذلك الحال قالوا له فى الصباح : لقد قلت كذا وليس هذا من الصلاح !!

٢١٠٥ – قال لهم : إن قمت مرة أخرى بأى شئ يشغل بالكم فاضربونى بالسكاكين فى التو واللحظة .

– إن الحق منزه عن الجسد وأنا ذو جسد .. وعندما أقول هذا فقد حل قتلى .

– وعندما قال هذا ذلك الرجل العظيم ، أعد كل مريد سكينه .

– وثمل مرة ثانية من تلك الكأس العظيمة ، وكان قد نسى ما كان قد أوصى به !!

– وحل النُقل ، وصار العقل شريدا ، وطلع الصباح ، قاضحى شمعه مسكينا

٢١١٠ – إن العقل كالشرطى ، وعندما يصل السلطان ، فإن الشرطى المسكين يقبع فى ركن ما .

– والعقل هو ظل الحق والحق كالشمس ، فأى صبر للظل مع الشمس ؟!

– إن الجنى عندما يغلب على إنسان ، يضيع من هذا الإنسان وصف البشرية .

– وكل ما يقوله قد قاله ذلك الجنى ، أنه صادر عن هذا الجانب ، ولكن الذى قاله ذلك الجانب .

– وما دام للجنى هذا النَفَس والتسلط ، فما بالك إذن بخالق ذلك الجنى ؟!

٢١١٥ – لقد ذهبت أنيته وصار الجنى هو ذاته ، ومن ثم صار التركى بلا إلهام ناطقا بالعربية .

– وعندما يعود إلى نفسه لا يعرف كلمة واحدة مما قال ، فإن هذه الذات وهذه الصفة للجنى .

– ومن هنا متى يكون رب الإنس والجن أقل من جنى .(١)

---

(١) ج / ١٠ / ٣٢٨ : قل ومتي يخاف صياد الأسد من الأسد ، وقل لي : من يسأل أعمي عن الطريق .

- وشارب الخمر إن شرب دم الأسد الهصور ، تقول : ما فعلها هو بل تلك فعلة الخمر .

- وإذا نمق الكلام كأنه النضار الدفين ، تقول أن الخمر هى التى قالت هذا الكلام .

٢١٢٠ - أهذا التسلط والقوة والحضور يكون للخمر .. ولا يكون لنور الحق هذا التأثير والقوة ؟ !

- إنه يخليك من نفسك تماما ، وتكون حقيرا دنيا ويجعل كلامك غاليا .

- وبالرغم من أن القرآن صدر عن فم الرسول ، فكل من يقول : أن الحق لم يقله ، فقد كفر .

- وعندما طارت عنقاء الانسلاخ عن الذات ، بدا أبو اليزيد فى ذلك الكلام

- اختطف سيل الحيرة منه العقل ، فنطق بأفظع مما نطق به فى البداية

٢١٢٥ : (قال) ما فى الجبة غير الله ، فإلام بحثك فى الأرض والسماء ؟!

- فجن أولئك المريدون جميعاً ، وأخذوا يطعنون جسده الطاهر بالمدى .

- كان كل واحد منهم كملحدى «كرده كوه» ، قد أخذ فى طعن شيخه دون انقطاع .

- وكان كل من يطعن الشيخ بسلاحه ، يرتد إليه ويمزق جسده هو .

- ولم يكن هناك أثر واحد على جسد صاحب الفضائل ذاك ، وأولئك المريدون جرحى وغرقى فى الدم .

٢١٣٠ - فكل من وجه طعنته صوب حلقه ، مُزِّق حلقه هو ومات مستغيثا مسكينا .

- وكل من طعنه فى صدره ، مزق صدره هو وأصبح ميتا إلى الأبد .

- وذلك الذى كان عارفاً بمقام ذلك السلطان ، لم يطاوعه قلبه على أن يطعنه طعنة ثقيلة .

– لقد قيدت نصف معرفة يده ، فكسب روحه ، إلا أنه جرح نفسه فحسب .

– وانتهى اليوم وقد ارتفع النواح من بيوت أولئك المريدين الناقصين .

٢١٣٥ – وجاءه آلاف من الرجال والنساء صائحين : يا عالمين احتواهما قميص ،

– لو كان جسدك هذا من أجساد البشر ، لمزقته الحناجر كما تمزق أجساد البشر .

– لقد تقاتل من هو مع ذاته مع ذلك المنسلخ عن ذاته ، فألقى بنفسه بالشوك فى عين نفسه .

– ويا من قد ضربت المنسلخين عن الذات بالسيف ، إنك تضرب نفسك به فحذار .

– ذلك أن المنسلخ عن الذات فان (فى الله) وآمن ، وهو ساكن إلى الأبد فى الأمن .

٢١٤٠ – لقد صارت صورته فانية وصار هو مرآة ، ولايبدو فى المرآة إلا صورة وجه الغير .

– فإن بصقت فى المرآة فإنما تبصق على نفسك ، وإذا ضربت أمام المرآة فإنك تضرب نفسك .

– وإذا رأيت وجها قبيحا فهو وجهك ، وإن رأيت عيسى بن مريم فهو أنت أيضا .

– وهى ليست هذا ولا ذاك ، إنها – ببساطة – أنك قد وضعت صورتك أمامك .

– وحين وصل الكلام إلى هذا الحد انغلقت الشفاة ، وعندما وصل القلم إلى هذا المجال تحطم .

٢١٤٥ – فاصمت ، حتى وإن عنت لك الفصاحة ، ولا تتحدث فالله أعلم بالرشاد

– إنك على طرف السطح يا ثملاً بالخمر ، فاجلس فى تواضع واحذر أو انزل ، والسلام .

– وعندما تصير موفقاً ، فاعتبر هذا النفس الطيب مثل (وجودك) على طرف السطح ،

– وكن خائفا على وقتك ، وأخفه كأنه الكنز ، ولا تقم بإفشاء (سره) !!

– حتى لا يغمر البلاءُ الولاء على حين غرة ، فهيا امض خائفا إلى ذلك المكمن .

٢١٥٠ – والخوف على الروح من الزوال فى وقت الفرح إنما (يكمن) فى الارتحال عن طرف سطح الغيب !!

– وإذا كنت لا ترى طرف سطح السر ، فإن الروح تراه عندما تحس بالاهتزاز .

– وكل نكال حلّ على حين غرة ، حل (والروح) على حافة شرفة السرور

– ولا يكون هناك سقوط إلا من حافة السطح ، فاعتبر (مما حدث) لقوم نوح وقوم لوط(١)

بيان سبب فصاحة ذلك الفضولى وثرثرته فى محضر الرسول عليه السلام

– إن شعاع السكر الذى كان بلا حد عند النبى ، عندما سطع على ذلك الغبى ، ثمل به ، وحل به البسط !!

٢١٥٥ – فلا جرم أنه صار ثرثارا من شدة السرور ، فترك ذلك الثمل الأدب وسقط فى التخبط !!

– وليس الغياب عن الذات يحدث فى كل موضع شراً ، إلا أن الخمر تجعل عديم الأدب أكثر انعداما للأدب .

---

(١) ج / ١٠ – ٣٥٠ : واعتبر من بواطن الأنبياء والأولياء حتي تجد الصفاء .

– فإن كان عاقلا فإنه يصبح طيب التجلى ، وإذا كان سئ الطبع ، فإنما يشتد طبعه سوءاً .

– ولما كان أكثر الخلق معدومى الأدب غير مقبولين ، فقد حرمت الخمر عليهم جميعاً .

بيان الرسول عليه السلام سبب تفضيله لذلك الهذيلى واختياره للإمارة والقيادة على الشيوخ والمجربين

– إن الحكم (فى الشرع) من أجل الأكثرية ، ولما كانت الأكثرية من الأشرار ، فإن السيف يؤخذ من يد قاطع الطريق .[1]

٢١٦٠ – قال الرسول عليه السلام : يا ناظرا إلى الظاهر ، لا تنظر إليه كشاب يخلو من الفضل .

– فرب أسود لحية يكون رجلا شيخا ، ورب أبيض لحية وقلبه كالقار .

– ولقد اختبرت عقله عدة مرات ، ولقد تصرف هذا الشاب فى الأمور وكأنه شيخ .

– والشيخ هو شيخ العقل يا بنى ، وليس من بياض الشعر فى اللحية أو الرأس .

– ومن كان أكثر شيخوخة من إبليس ! لكنه لم يكن شيئا عندما حرم من العقل .

٢١٦٥ – فاعتبره طفلا ، وعندما يكون ذا نفس كعيسى ، يكون طاهرا من الغرور وطاهرا من الهوس [2]

---

(١) هذا البيت قبل العنوان في نسخة جعفري (١٠ / ٣٥٩)

(٢) ج/ ١٠ / ٣٦٢ :

– فاعتبره طفلا لكنه مادام صاحب كمال – يكون شيخافي الفضل ذلك المحمود الخصال .

– فهو في طفولته هذه يكون مثل عيسي حي النفس ، يكون طاهرا من الغرور ومن الهوس .

– إن بياض الشعر دليل على النضج ، عند مغمض العينين ضيق الخطى.

– وذلك المقلد ما دام لا يعلم شيئا إلا عن الدليل ، فإنه يبحث فى الدلائل دائما عن السبيل !!

– من أجل مثل هذا قلنا : إذا أردت التدبير فاختر الشيخ(١)

– وكل من نجا من حجاب التقليد ، يرى ما هو كائن بنور الحق .

٢١٧٠ – إن نوره الظاهر لا يحتاج إلى دليل أو بيان ، إنه يشق الجلد ، وينفذ إلى اللب .

– وأمام الناظر إلى الظاهر سواء الزائف والصحيح ، فأى علم له بما يوجد داخل الجوال ؟!

– وما أكثر الذهب الذى سود بالدخان ، من أجل أن ينجو من يد كل حسود .

– وما أكثر النحاس المطلى بالذهب ، حتى يباع إلى كل ضعيف عقل !!

– ونحن الناظرون إلى بواطن كل الممالك ، نرى القلب ولا ننظر إلى الظاهر .

٢١٧٥ – وإن القضاة الذين يفتشون عن الظاهر ، إنما يصدرون أحكامهم اعتمادا على الأمارات الظاهرة .

– وما دام (الكافر) قد نطق بالشهادة وأظهر الإيمان ، فإن هؤلاء القوم يؤمنون على حكمه سريعا .

– وكثير من المنافقين لجأوا إلى هذا الظاهر ، حتى سفكت دماء كثير من المؤمنين .

---

(١) ج / ١٠ – ٣٦٢ :
لكن أقصد شيخ العقل لا الشيخ المسن – إنك لا تعلم الممتَحن من الممتَحِن .

- فجاهد حتى تكون شيخا فى العقل والدين ، حتى تصبح كالعقل الكلى ناظرا إلى الباطن .

- وعندما أسفر العقل الجميل عن وجهه من العدم ، فقد خلع عليه ، وسماه كثيرا من الأسماء !!

٢١٨٠ - وأقل أسماء ذلك الطيب النفس ، أنه لا يكون محتاجاً أبدا إلى شخص قط !!

- وإن تجلى العقل بوجهه وصوره ، يكون النهار مظلما أمام نوره .

- ولو تبدى الحمق فى صورة ما على سبيل المثال ، لكانت ظلمة الليل ضياء بالنسبة له .

- فهو أكثر ظلمة وكدرا من الليل ، لكن الخفاش الشقى إنما يشترى الظلمة !!

- فتعود قليلا قليلا على ضياء النهار ، وإلا بقيت خفاشا محروما من الضياء .

٢١٨٥ - وإن العاشق لكل مكان تكون فيه عثرات وشُبه ، يكون عدوا لكل مكان (يضاء) فيه مصباح السعد .

- إن قلبه يبحث عن ظلمة الشبه ، بحيث يبدو محصوله منها متزايدا !!

- وحتى يجعلك مشغولا بهذه ، وغافلا عن أصله القبيح .

علامة العاقل تماماً وعلامة نصف العاقل والرجل الكامل ونصف الرجل وعلامة الشقى المغرور اللاشئ

- العاقل هو ذلك الذى يكون ذا شعلة (من النور) ، إنه دليل القافلة ومرشدها .

- وهذا القائد (للقافلة) تابع لنوره ، إنه تابع لنفسه ذلك الذى يسير (وقد تخلى) عن نفسه .

٢١٩٠ – إنه مؤمن بذاته فآمنوا (أنتم) أيضا بذلك النور الذى تقتات روحه منه .

– إما الثانى وهو نصف العاقل ، يعتبر العاقل (تماما) بصيرة له .

– وقد تعلق به (كتعلق) الأعمى بالدليل ، حتى صار مبصرا به جليلا مسرعا .

– وذلك الحمار الذى لم يكن عنده مثقال حبة شعير من عقل ، لم يكن له عقل ، وترك (اتباع) العاقل .

– إنه لا يعرف الطريق ، كثيره أو قليله ، ويشعر بالعار أن يسير خلف دليل .

٢١٩٥ – إنه يمضى فى مهمه بلا حد ، يمضى كالأعرج حينا من اليأس وحينا ينطلق سريعا .

– فلا شمعة هناك يجعل منها دليلا له ، ولا حتى نصف شمعة تلقى أمامه ضوءا خافتا .

– فلا عقل له ، حتى يتنفس كما (يفعل) الحى ، ولا نصف عقل (يوحى له) بأن يتظاهر بالموت .

– ثم يأتى كالميت أمام ذلك العاقل تماما ، حتى يسمو به فى ضعته وانحطاطه .

– فإن لم يكن لك عقل كامل ، فاجعل نفسك ميتا فى كف عاقل حى الكلم .

٢٢٠٠ – لكن (ذاك) ليس بحى حتى يكون قرينا لعيسى ، وليس ميتًا حتى يكون موضعاً لنفس عيسى .(١)

---

(١) ج / ١٠ – ٣٧٠ : إنه ليس بالحي ولا بالميت ، إنه لا شئ ، إنه حصرم ، لا هو بالعنب والايالخمر والحصرم لا يتجاوز درجة الحصرمية ، إنه جاد وفح وهو حامض ومردود .

– إن روحه العمياء تمضى فى كل سبيل ، ولا تنجو فى النهاية، بل تقفز هنا وهناك[1]

قصة ذلك الجدول والصيادين والسمكات الثلاثة العاقلة ونصف العاقلة والمغرورة البلهاء المغفلة اللاشئ وعاقبة كل واحدة من (السمكات) الثلاثة

– لعلك قرأت أيها العنود قصة ذلك النبع الذى كانت (تقيم) فيه سمكات ثلاثة كبيرة .

– (قرأتها) فى كليلة ودمنة أيها العنود لكن (ما قرأته) هو قشر القصة ، وهاك لب الروح منها .

– لقد عبر عدد من الصيادين بهذا الجدول ، ورأوا ما يكنه من (أسماك)

٢٢٠٥ – فانطلقوا مسرعين لكى يحضروا الشبكة ، وفهمت الأسماك ، وقلقت (على مصيرها) .

– وتلك السمكة العاقلة عزمت على الرحيل ، لقد اختارت الطريق الصعب المكروه .

– وقالت لنفسها : علىّ ألا استشيرهما ، فإنهما – بالتأكيد سوف يقعداننى ويوهنان من عزمى .

– إن حب الوطن متمكن من روحيهما ، وسوف يلحقان بى الضرر بكسلهما وجهلهما .

– إنما يجب للمشورة حى طيب حتى يقوم بإحيائك ، وأين أجد (ذلك) الحى ؟!

٢٢١٠ – فيا أيها المسافر استشر مسافرا ، ذلك أن مشورة المرأة تصيب قدمك بالعرج .

– دعك من حكمة حب الوطن ولا تتوقف ، فإن الوطن فى تلك الناحية أيها العزيز وليس فى هذه الناحية .

---

(١) ج ١٠ – ٣٧٠ : ولا يغنيها القفز ذلك الزمان ، ذلك أن البلاد قد نزل من السماء .

– وإذا كنت تريد الوطن فأعبر إلى ذلك الشاطئ الآخر ، وكفاك خطأ فى قراءة الحديث الصحيح .

سر تلاوة المتوضئ لأوراد الوضوء

– فى الوضوء لكل عضو ورد مختلف ، لقد ورد (هذا الورد) فى الخبر لكى تدعو (به) .

– وعندما تقوم بالاستنشاق ، أطلب رائحة الجنة من الرب الغنى .

٢٢١٥ – حتى تقودك تلك الرائحة صوب الجنان ، فإن شذى الورود يكون دليلا على (وجود) روضة الورود .

– وعند الاستنجاء يكون الورد والدعاء : اللهم طهرنى من هذا الخبث .

– لقد طالت يدى هذا الموضع وقامت بغسله ، لكن يدى قصيرة عن تطهير الروح .

– لقد صارت الأرواح من ليسوا بأهل شيئا ، ويد فضله متوصلة إلى الأرواح .

– لقد كان هذا حدى وقمت به أنا اللئيم ، فنقنى من ذلك الخبث الذى فى الطرف الآخر أيها الكريم .

٢٢٢٠ – لقد غسلت أنا الجلد من الحدث يا الله ، فأغسل أنت من الحوادث هذه الروح (يا الله) !

كان أحدهم يقول عند الاستنجاء : اللهم أرحني رائحة الجنة بدلا من : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وهو ورد الاستنجاء ، وكان يقول ورد الاستنجاء عند الاستنشاق فسمع أحد الأعزاء ، ولم يطق ذلك .

– كان أحدهم يقول عند الاستنجاء : اللهم أرحنى رائحة الجنة .

– فقال لهم أحدهم : لقد قلت دعاءً طيبا ، لكنك ضللت فتحة الدعاء .

– فإن كان هذا الدعاء هو ورد الأنف ، فكيف نقلت ورد الأنف إلى المؤخرة ؟ !!

– إن الحر يستنشق رائحة الجنة من أنفه ، فمتى يمكن لرائحة الجنة أن تأتى إلى الدبر ؟!

٢٢٢٥ – ويا من قد تواضعت أمام البلهاء ، ويا من تكبرت أمام الملوك .

– إن هذا التكبر على الأخساء طيب ومقبول ، انتبه وإياك أن تسير به عكس ذلك ، فإن سيرك فى الطريق المعاكس قيد لك .

– إن منبت الورود من أجل فتحة الأنف ، (واستنشاق) الرائحة وظيفة الأنف أيها العتل .

– وعبق الورود من أجل المشام أيها الشجاع ، وليست هذه الفتحة السفلى موضع هذه الرائحة .

– وحتى تأتيك من هذا الموضع رائحة الخلد ، أطلب الرائحة من موضعها إن أردت ذلك !!

٢٢٣٠ – وأيضا فإن حديث حب الوطن حديث صحيح ، لكن أعلم ما هو الوطن أولا أيها السيد !!

– لقد قالت تلك السمكة الماهرة .. فلأسلك الطريق ، ولأصرف القلب عن رأيهما ومشورتهما .

– ليس هذا هو وقت الشورى ، فهيا امض فى الطريق ، ومثل على رضى الله عنه بث همومك للبئر ، وأطلق آهاتك .

– إن المأذون له بتلك الآهة نادر جدا ، فامض بليل ، وامش خفية كالعسس .

– وتحرك نحو البحر من هذا الجدول ، وأطلب البحر واترك هذه الدوامة .

٢٢٣٥ – لقد جعلت من الصدر قدماً وتحركت تلك الحذرة ، (تحركت) من المقام الخطر حتى البحر ذى النور .

– مثل غزال يطارده كلب (صيد) ، إنه يعدو ما دام فى جسده عرق .

– إن نوم الأرنب والكلب فى أثره خطأ ، وأين من عين الخائف النوم ؟ !!

– ذهبت تلك السمكة واتخذت طريقها إلى البحر ، لقد أخذت الطريق الطويل والساحة الواسعة .

– لقد عانت كثيرا من المتاعب وفى النهاية ، مضت فى آخر الأمر إلى الأمن والعافية .

٢٢٤٠ – لقد ألقت نفسها فى البحر العميق الذى لا يدرك البصر حداً له .

– وعندما أحضر الصيادون الشبكة ، أحست السمكة نصف العاقلة بالمرارة .

– وتأوهت قائلة : لقد فوتت الفرصة ، عندما لم أصاحب ذلك الدليل ،

– لقد مضت فجأة ، لكن كان ينبغى علىّ عندما ذهبت أن أمضى فى أثرها بنشاط .

– إن الحسرة على ما مضى من قبيل الخطأ ، وإن ما مضى لا يرجع وذكره هباء[1] .

قصة ذلك الطائر الأسير الذى أوصى قائلا : لا تأسف على ما مضى وفكر فى تدارك الوقت ، ولا تضيع أيامك فى الندم

٢٢٤٥ – لقد صاد أحدهم بمكره وفخه طائرا ، فقال له الطائر : أيها السيد الهمام!!

---

(١) ج / ١٠ – ٣٧٩ :
هذا الزمان لا تجديني الحسرة . فماذا أفعل وقد فاتتني الفرصة ؟!

- لقد التهمت كثيرا من البقر والشياة ، وذبحت كأضحية كثيرا من الجمال .
- لكنك لم تشبع منها فى وقت ما ، ولن تصير شبعا من أعضائى (هذه)(١) .
- اطلقنى حتى أقدم لك نصائح ثلاثة ، وحتى تعلم أذكى أنا أم أبله .
- سوف أقول لك أولى تلك النصائح وأنا على يدك ، والنصيحة الثانية أقولها وأنا فوق جدارك الطينى هذا .

٢٢٥٠ - أما النصيحة الثالثة فأنا أقولها لك وأنا فوق الشجرة ، وسوف تكون سعيداً مقبلا من هذه النصائح الثلاثة .
- وهاك (النصيحة) التى ينبغى أن أقولها وأنا فى يدك : لا تصدق من أحد محالا .
- وعندما قال له هذه النصيحة العظيمة وهو على كفه ، أطلقه فانطلق إلى ذلك الجدار .
- فقال له : النصيحة الثانية هى : لا تأسف على ما فات ، وما دام قد فات فلا تتحسر عليه !
- ثم قال : إن هناك درة يتيمة وزنها عشرة دراهم مخفية فى جسمى .

٢٢٥٥ - لقد كانت هذه الجوهرة إقبالا لك وحظا لأولادك ، بحق روحك .
- لقد أضعت تلك الدرة فلم تكن رزقا لك ، وليس هناك مثل تلك الدرة فى الوجود .
- فأخذ السيد ينوح وكأنه امرأة أتاها المخاض .
- فقال الطائر : ألم أنصحك بألا تأسف على ما فاتك بالأمس ؟ .

---

(١) ج / ١٠ - ٣٨٦ :
اطلقنى كرماً منك أيها الشهمُ الكريم المحترم .

– وما دام قد فات ومضى فكيف تحزن ؟! فإما أنك لم تفهم النصيحة وإما أنك أصم .

٢٢٦٠ – وألم أقل فى النصيحة الأخرى : لا تصدق أبدا القول المحال .

– إن وزنى كله لا يصل إلى ثلاثة دراهم أيها أيها الأسد ، فكيف يكون في جسدى (ما وزنه) عشرة دراهم ؟.

– فانتبه السيد ثانية وقال : هيا ، قدم لى النصيحة الثالثة الطيبة .

– فقال : أجل . لقد عملت بالنصيحتين الأخريين ، حتى أقدم لك النصيحة الثالثة بالمجان .

– إن تقديم النصيحة للجهول النائم ، وهو بمثابة بذر البذور فى الأرض البور .

٢٢٦٥ – إن فتق الحمق والجهل لا يقبل الرتق ، فقلل بذار الحكمة فيه أيها الواعظ.

احتيال تلك السمكة نصف العاقلة وتظاهرها بالموت

– لقد قالت تلك السمكة الأخرى عند البلاء (أى) عندما انحسر عنها ظل السمكة العاقلة :

– ومضت نحو البحر واعتقت ، وقالت من الحزن : لقد فارقتنى تلك الرفيقة الطيبة .

– لكن على ألا أفكر فى هذا وألا أظل ألوم نفسى بل على أن أتظاهر بالموت فى التو واللحظة .

– ولأجعل بطنى إذن أعلى وظهرى إلى أسفل ، ولأطف على سطح الماء .

٢٢٧٠ – ولأمش على سطح الماء كما يفعل القذى ، لا أكون سابحة كما يفعل الحى ..

– لأتظاهر بالموت ولأسلم نفسي إلى الماء ، إن الموت قبل الموت أمن من العذاب .

– الموت قبل الموت أمن أيها الفتى وهكذا قال ، وهكذا أمرنا المصطفى .

– لقد قال عليه السلام : « موتوا كلكم من قبل أن يأتي الموت وتموتوا بالفتن »[1] .

– وهكذا تماوتت وجعلت بطنها بارزة إلى أعلى ، فأخذ الماء يرتفع بها حينا وينخفض بها حينا .

٢٢٧٥ – وحزن كل واحد من هؤلاء الهاجمين وقال : وآسفاه لقد ماتت أفضل سمكة .

– وفرحت هي من تأسفهم وقالت في نفسها : لقد نجحت لعبتي هذه ونجوت من سيف (الهلاك) .

– وأمسك بها صياد أريب وبصق عليها وألقى بها على التراب .

– فانزلقت .. حتى اختفت في الماء ، وبقيت تلك السمكة (الثالثة) الحمقاء تتخبط .

– لقد أخذت تلك الساذجة تقفز يمنة ويسرة ، حتى تنجو بمجهودها من جحيم (البدن) .

٢٢٨٠ – فألقوا الشبكة وانطبقت عليها ، وألقى بها حمقها في تلك النار .

– وعلى ظهر مقلاة فوق النار ، صارت ضجيعة لحماقتها .

– لقد كانت تغلي من حرارة السعير ، وكان العقل يقول لها : ألم يأتك نذير ؟!

– كانت تجيب في العذاب والبلاء مثلما كانت أرواح الكافرين تجيب قائلة : بلى !

---

(١) بالعربية من المتن .

- ثم أخذت تقول : إذا نجوت هذه المرة من هذه المحنة التى تحطم العنق ،

٢٢٨٥ - لا آلف إلا البحر موطنا ، ولا أجعل أبدا من الجدول سكنا .

- ابحث عن مـاء لا حـد لـه ولا شـاطىء وأمـضى إلى الأبد فى أمن وسلامة(١) .

بيان أن عهد الأحمق عند الشدة وندمه لا وفاء لهما فيهما مصداقا لقوله تعالى «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون » وليس للصبح الكاذب وفاء .

- أخذ العقل يقول لها : إن الحمق معك (وكامن فيك) ، ومع الحمق يكون النكوص عن العهد.

- ومع العقل يكون الوفاء بالعهود ، ولاعقل عندك ، فامض يامن قيمتك كحمار .

- فإن العقل هو الذي يتذكر عهده وميثاقه وهو أيضا الذى يمزق حجب النسيان .

٢٢٩٠ - وما لم يكن لك عقل يكون النسيان أميرا عليك وهو عدوك ومبطل تدبيرك .

- والفراشة الضئيلة من قلة عقلها ، لا تتذكر النار ولا الحرقة ولا الحسيس .

- إنها تتوب عندما يحترق جناحها ، ثم يدفعها حرصها ونسيانها إلى النار .

---

(١) ج / ١٠ - ٣٨٤ :
وهكذا أخذت تنذر النذور مع نفسها قائلة : إن نجوت من هذه الورطة . - لأتمسك بأهداب العقل ليل نهار ، حتى لا أقع فى مثل هذا الألم والتعب .

- والضبط والإدراك والحفظ والتذكر ، كلها من العقل ، فالعقل هو الذى نشرها .

- ومالم يكن لك جوهره .. كيف يكون لك نوره ، وما لم يكن للمرء من مذكر .. كيف يتم إيابه ؟!

٢٢٩٥ - إن هذا التمني (عند السمكة) هو أيضا من قلة عقلها فهى لا تبصر حمقها لأنه طبع فيها .

- وذلك الندم إنما ينبعث من (مجرد) الألم وليس منبعثا من العقل المستنير كالكنز .

- وعندما ينتهى الألم يكون الندم كالعدم ولا تساوى تلك التوبة ولا يساوى ذلك الألم مثقال ذرة من تراب .

- لقد حمل ذلك الندم أثقالا من ظلمة الحزن ومن ثم فكلام الليل يمحوه النهار .

- وعندما تنقشع ظلمة الحزن ويصير سعيدا تذهب عن القلب أيضا نتيجتها وما تولد منها .

٢٣٠٠ - أنه لايفتأ يتوب وشيخ العقل يصبح به : « ولو ردوا لعادوا لمانهوا عنه » .

فى بيان أن الوهم زيف العقل وخصمه ، فهو يشبهه وليس هو ، وقصه مناقشات موسى عليه السلام وكان صاحب عقل مع فرعون الذى كان صاحب وهم .

- إن العقل عدو للشهوة أيها الهمام وماتدور الشهوة حوله لا تسمه عقلا.

- وما يكون متسولا للشهوة سمه وهمًا ، إن الوهم هو الزيف بالنسبة لذهب العقل النضار .

- ولايتبين الوهم من العقل دون محك ، فاحمل كليهما سريعا إلي المحك

- هذا المحك هو القرآن الكريم وسير الأنبياء وأحوالهم ، إنها كالمحك تقول للزائف : أعرض نفسك على .

٢٣٠٥ - لترى أنت نفسك من عركى (لأذنيك) إنك لست أهلا لمرتفعاتى ومنحدراتى .

- ولو أن منشار اقسم العقل إلى نصفين لكان أيضا كالذهب مبتسما وسط لهيب النار (١) .

- إن ما كان لفرعون كان وهما محرقا للعالم ، أما العقل الذى يملأ الروح نورا فهو لموسى .

- ولقد سار موسى على طريق الفناء ، فقال له فرعون : قل لى من تكون؟

- قال : أنا العقل رسول ذى الجلال ، وأنا حجة الله وأمان من الضلال .

٢٣١٠ - فقال له : اصمت ، ودعك من هذا الادعاء حدثنى عن اسمك القديم ونسبك .

قال : أما نسبى فاعلم أنه من التراب أما اسمى الأصلى فهو أقل عبيده.

- وأنا عبد وابن عبد لهذا الخالق ، جئت من (أصلاب) عبيد وأرحام إماء .

- أما نسبى الأصلى فهو من التراب والماء والطين ، ولقد وهب الله التراب والطين قلبا وروحاً .

- ويعود جسدى الترابى هذا إلى التراب ، ومرجعك أنت أيضا إلى التراب أيها المتكبر.

٢٣١٥ - إن أصلنا واصل كل العصاة يعود إلى التراب ، وعندى على ذلك الأمر

(١) فى نسخة جعفرى (جـ ٣٩٢/١٠) : عنوان مناقشات موسى عليه السلام الذى كان صاحب عقل مع فرعون الذى كان صاحب وهم .

مائة دليل .

– وجسدك إنما يستمد وجوده من التراب ، وتلتف عنقك هذه وتغلظ فى هذا التراب .

– وعند تمضى (عنه) الروح يتحول ثانية إلى تراب ... فى ذلك القبر المريع المخيف ...

– وأنت أيضا ونحن وأشباهك كلنا نصير ترابا ولا جاه يبقى (ولا عظمة)!

– قال : إن لك إسما غير هذا النسب .. وذلك الاسم (القديم) هو أولى لك.

٢٣٢٠ – إن اسمك هو عبد فرعون وعبد عبيده ، وهو الذي ربى من البداية جسمك وروحك .

– إنك عبد أبق طاغ وظلوم ، وهربت من ديارك من فعلتك المشئومة .

– إنك مجرم وغادر وجحود ، هيا وطابق هذه الصفات على نفسك ....

– وها أنت ترى نفسك تعانى الغربة فقيرا مهلهل الثياب ، ذلك لأنك لم تؤد لنا فروض الشكر والاعتراف بالجميل .

– قال (موسى) : حاشا لهذا المليك أن يكون له فى ألوهيته شريك ،

٢٣٢٥ – إنه واحد فى ملكه ولا شريك له ولا مالك لعبيده سواه جل شأنه .

– وليس لخلقه من مالك سواه ولايدعى مشاركته ملكه إلا هالك .

– إنه هو الذى صور وهو مصورى ، ولو ادعى غيره أنه البارئ المصور فهو ظلوم جهول.

– إنك لا تستطيع أن تخلق حاجبا واحدا فى ، فكيف تستطيع معرفة روحى ؟

– بل الغادر الطاغية هو أنت ، إذ لاتفتأ تدعى مشاركة الحق (ملكه) .

٢٣٣٠ – وإذا كنت قد قتلت أحد الظلمة على سبيل السهو ، فلم أقتله غضبا لنفسى ولم أقتله لاهيا ..

– ولقد وكزته فسقط على حين غرة ، لم تكن له روح « ربانية » فأسلم روحه (الحيوانية).

– لقد قتلت كلبا واحدا ، لكنك قتلت من أولاد المرسلين مئات الآلاف من الأطفال دون جرم جنوه ، أو ضرر صدر منهم .

– وسوف تظل دماؤهم في عنقك ، ولتر ماذا سيحيق بك من جزاء سفكك للدماء .

– لقد قمت بقتل ذرية يعقوب ، أملا فى قتلى أنا فقد كنت المطلوب .

٢٣٣٥ – لكنه برغم أنفك اصطفانى سبحانه وتعالى وانقلب ما كان تدبره .

– قال فرعون : دعك من هذا (اللجاج والجدل) بلا أدنى شك أيكون هذا حقى منك وجزاء الخبز والملح ؟.

– أن تأتى وتحط من شأنى أمام الخلق وتجعل النهار المضىء مظلما على قلبى؟.

– قال موسى : بل إن ذل القيامة أشد وطأة عليك ، إن لم تحسب حسابى فيما (أفصله لك) من خير وشر .

– إنك لا تستطيع أن تتحمل هنا لدغة برغوث ، فكيف ستكون إن ذقت لدغ الحية ؟!

٢٣٤٠ – إننى أهدم أوضاعك فى ظاهر الأمر ، لكنى فى الحقيقة أحول ما فيك من شوك إلى روضة (غناء) .

بيان أن العمارة فى الخراب والجمع فى التفرقة والصحة فى الانكسار والمراد فى الخيبة والوجود فى العدم وعلى هذا بقية الأضداد والأزواج

- لقد جاء أحدهم وأخذ يحرث الأرض ، فصاح أحد البلهاء ولم يستطع صبرا :

- (قائلا) : لماذا تقوم بتخريب هذه الأرض وكشفها وتحدث فيها كل هذا الاضطراب ؟!

- فقال له : امض أيها الأبله ولا تحمل علي ، وميز (أولا) بين العمارة والخراب .

- فمتى ينبت منها حقل حنطة أو تنبثق منها روضة ما لم تصر قبيحة ومخربة هذه الأرض ؟.

٢٣٤٥ - ومتى يمكن أن تتحول إلى بستان وفروع وأوراق وثمار .. ما لم تقلب ظهرا البطن ويصير عاليها سافلها ؟.

- وما لم تشق بالمبضع الجرح الذى التأم على تقيح ، فمتى يشفى ومتى يصير موضعه ناعما ؟!

- وما لم تغسل أخلاطك بالدواء ، متى يذهب التهيج ويأتى الشفاء ؟!

- إن الخياط يمزق الثوب إربا فهل يقوم أحد بضرب هذا الخياط الماهر ،

- قائلا له : لماذا مزقت هذا الأطلس الفاخر ؟ ! وماذا أفعل أنا بهذه القطع الممزقة ؟.

٢٣٥٠ - وعندما يراد ببناء قديم أن يعمر ، ألا يقومون فى البداية بهدم البناء القديم ؟.

- وهكذا ألايقوم النجار والحداد والقصاب بالهدم قبل البناء والتعمير ؟!

- وألا يكون من دق النباتات الطبية(١) وسحقها الدواء الذى جعلوا منه عمارة الجسد؟!

---

(١) حرفبيا : الإهليلج والبليلج وهما من النباتات الطبية .

- وما لم يطحن القمح ويدق فى الطاحون متى يمكن لموائدنا أن تزدان به ؟!

- إن حق الخبز والملح هو الذي دفعني إلي ذلك دفعنى إلى محاولة تخليصك من الشص أيتها السمكة ؟![1]

٢٣٥٥ - فإنك تنجو أن تقبلت نصيحة موسى ، تنجو من مثل هذا الشص القبيح الذي لا نهاية له .

- إنك من كثرة ما جعلت نفسك عبدا للهوى ، قد حولت دودة صغيرة إلى أفعى .

- ومن أجل هذه الأفعى جئت أنا أيضا بأفعى ، حتى أقوم بإصلاحها قليلا قليلا .

- وحتى تخف حدة أفعاك من أفعاى وحتى تجندل أفعاي أفعاك .

- فإن تقبلت فقد نجت روحك من كلتا الحيتين ، وإلا فان الدمار لاحق بروحك لامحالة .

٢٣٦٠ - قال فرعون : إنك فى الحقيقة ساحر شديد المكر ، ولقد بثثت الفرقة بمكرك هذا .

- لقد فرقت بين الجماعة المتفقة وجعلتها جماعتين ، والسحر يؤثر فى الصخر والجبل.[2]

- قال موسى إننى مستغرق في رسالة الله ، ومتى رأى أحد سحرا مع اسم الله ؟!

- أن الغفلة والكفر هما أساس السحر ، أما الروح الموسوية فهى مشعلة للدين .

---

(١) فى نسخة جعفرى (جـ ١٠ / صـ ٤٠١) عنوان جواب موسى عليه السلام على فرعون .

(٢) فى نسخة جعفرى (جـ ١٠ / صـ ٤٠١) عنوان فى نفى موسى السحر عن نفسه .

– وأى شبه لى مع السحرة أيها المتوقح ، إن المسيح ليمتلئ حسدا من أنفاسى .

٢٣٦٥ – وأى شبه لى مع السحرة أيها النجس ، ومن روحي تستمد الكتب النور.

– وما دمت تطير بجناحى الهوى فلا جرم أن تظن بى هذا الظن .

– وكل من تكون لديه أفعال الوحوش والفخاخ ، فلاجرم أن يظن بالكرماء ظن السوء .

– ومادمت جزءا من هذا العالم فكيفما تكون ، ترى جميع الناس على ما أنت عليه أيها المفتون .

٢٣٧٠ – وإذا كنت في سفينة تمخر عباب اليم .. ترى ساحل اليم سائرا بدوره .

– وإذا أصابك ضيق الصدر فى معمعة النزال ، فإنك ترى الدينا بأجمعها قد ضاقت بك .

– وإذا كنت سعيدا وفق ما يهوى أحباؤك فإن الدنيا تبدو لك روضة غناء .

– وما أكثر من ذهبوا إلى الشام والعراق ولم يبصروا فيها شيئا غير الكفر والنفاق .

– وما أكثر الذين ذهبوا حتى الهند وهراة ، ولم يروا شيئا إلا البيع والشراء.

٢٣٧٥ – وما أكثر الذين ذهبوا حتي تركستان والصين ، ولم يبصروا شيئا إلا المكر والخداع والكمين .(١)

– وإذا كان لا يمتلك من وسائل الإدراك إلا مايدرك الألوان والروائح ، فقل له هيا طف بكل البلاد .

– ولو أن بقرة أتت فجأة إلى بغداد وأخذت تمضى فيها فى هذه الناحية إلى تلك الناحية .

---

(١) ج / ١٠ – ٤٠٢ :

وطالب أى شيء أيها الرفيق الرشيد لا يرى إلا نفس هذا الشيء الذى يطلبه .

– فإنها لن ترى من كل ألوان اللهو والسعادة والمتعة إلا قشر الدابوق .

– إن القش أو التبن الذى يكون ساقطا على الطريق يكون جديرا بطواف الأبقار والحمير .

٢٣٨٠ – إنها متيبسة على مسمار الطبيعة كأنها القديد ، إنها مرتبطة بما يقيم أودها ويبقيها حية .. لا تزيد .

– أما الفضاء الذى هو خرق للأسباب والعلل ، فهو أرض الله أيها الصدر الأجل .

– إنها تتبدل في كل لحظة كأنها صورة الروح ، إنك تري فيها عالما جديدا متبدلا كل لحظة .

– وكل شيء تجمد علي حالة واحدة يكون قبيحا حتي لو كان فردوس الجنة التى تجرى من تحتها الأنهار .

بيان أن لكل حس مدرك عند الإنسان مدركات على حدة لا علم لها عن مدركات الحس الآخر . هذا مثلما يجهل كل حرفى أستاذ عمل الحرفى الآخر ، وللحرفى الآخر عمل يعرفه وليس معنى أنه لايعرف العمل الآخر أنه ليس موجودا وليست المدركات الأخرى غير موجودة بالرغم من أنه ينكرها بحكم الحال لكننا لانزداد من إنكاره هذا الا مزيدا من الاعتقاد بغفلته فى هذا المقام.

– إن رؤيتك للدنيا هى فى مجال إدراكك ... وحسك غير الطاهر هو حجاب بينك وبين الأطهار .

٢٣٨٥ – فاغسل حواسك فترة بماء العيان واعلم أن هذا هو المقصود بغسل الثياب عند الصوفية (١) .

---

(١) ج / ١٠ – ٤٠٧ : ويا من من غفلتك جهلت معنى السبب ، فصرت عبدا للأسباب حمارا فلا جرم أن صرت أعمى القلب حائرا ، صرت مضطرب الأحوال مضطرا ، افتح عينيك وانظر إلى المسبب حتى تصبح فارغا من النظر إلى الأسباب .

– وعندما تصير طاهرا تمزق الحجب وتحف بك أرواح الأطهار .

– وإذا كان كل العالم قد انقلب إلى نور وصور تكون العين على علم بهذا الحسن .

– لكنك أغلقت عينيك وتقدم أذنيك ، حتى تبدى لك حسناؤها وجهها وجدائلها .

– فتقول الأذن أننى لا أميل إلى الصور ، لكن الصور إن تحدثت فأنا أسمعها .

٢٣٩٠ – إننى عالمة لكن في فني الخاص بي .. وفني ليس إلا الحرف والصوت ليس أكثر .

– هيا وتعال أيها الأنف وانظر إلي هذه الحسناء لكن هذا المطلوب ليس مناسبا للأنف .

– فإن كان ثمة مسك وماء ورد فأنا أقوم بشمه ، هذا هو فنى وعلمى وخبرتى .

– فمتى أبصر أنا وجه هذا الفضى الساق ، هيا ولا تكلفنا بما لا يطاق .

– ثم إن الحس الملتوى لا يبصر إلا كل ملتو ، فسر أمامه (يا فرعون) معوجا أو سر صحيحا مستقيما .

٢٣٩٥ – واعلم أيها السيد السند أن عينى الأحول محرومة من رؤية الواحد . وهذا على سبيل اليقين .

– وهذا أنت يا فرعون وكلك مكر واحتيال ، لا ترى أن ثمة فرقا بينى وبينك .

– لا تنظر إلى من ذاتك يا لاعبا باحتيال مكر حتى لاترى الواحد اثنين بما هو فيك .

– وانظر إلى منطلقا من ذاتى أنا لحظة واحدة ، حتى تبصر ساحة (موجودة) فيما وراء الكون .

– وحتى تنجو من الضيق ومن (تفكيرك) فى الشرف العار وترى عشقا خالصا والسلام .

٢٤٠٠ – ثم تعلم بعدها ما دمت قد نجوت من البدن ، وأنه من الممكن للأذن والأنف أن يصيرا عينا .

– وما أصدق ما قاله ذلك الملك عذب البيان : إن كل شعرة عند العارفين تصير عينا .

– ففى البداية لم يكن للجسد عين ، عندما كان فى الرحم جنينا من اللحم.

– فلا تعتبر أن هذا القطعة من اللحم هى علة الرؤية وإلا لما رأى أحد الحلم فى النوم يا بنى .

– وذلك الجنى والشيطان كلاهما يرى من هو من جنسه وليس فى عين كل منهما شحمة .

٢٤٠٥ – وليس للنور فى حد ذاته صلة بشحمة (العين) لقد وهبه الخلاق الودود الانتساب إليه .

– وآدم من تراب ، فمتى شابه التراب . والجنى من النار فما وجه الاشتراك بينها ؟.

– ولا يشبه الجنى النار على أى وجه إذا دققت النظر ، بالرغم فى أن النار أصل له .

– والطائر من الهواء فمتى يشبه الهواء والريح ، لكن الله جل وعلا جعل التناسب بين ما لا تشابه فيه .

– ونسبة هذه الفروع إلى أصولها لا كيفية لها إنه هو الذى وصلها .

٢٤١٠ – وبالرغم من أن الإنسان وليد التراب الهباء ، فأى تناسب لهذا الابن مع هذا الأب ؟!

– فإن كان ثمة تناسب فهو مخفى عن العقل ، هو بلا كيفية فكيف يفهمها العقل ؟.

– والريح ولا عين لها إن كان جل وعلا لم يهبها البصيرة فكيف إذن تمييزها فى قوم عاد ؟.

– وكيف كانت تميز المؤمن من العدو ؟! وكيف كانت تميز الخمر من القرع ؟.

– وإن لم يكن هناك عين لنار النمورد ؟! فكيف راعت أصول الحشمة مع الخليل ؟!

٢٤١٥ – وإن لم يكن للنيل هذه الرؤية فمن أى شىء كان يميز بين قوم فرعون وقوم موسى ؟!

– وإن لم يكن الجبل والحجر قد صارا من أصحاب الرؤية ، فكيف كانا يؤوبان مع داود؟!

– وإن لم يكن لهذه الأرض بصيرة فى ذاتها فلأى أمر إذن ابتلعت قارون هكذا ؟!

– وإن لم يكن للجذع الحنان عين قلب .. فكيف كان يرى هجر ذلك العظيم ؟!

– وإذا لم يكن الحصى مبصرا فكيف كان يشهد فى كف (أبى جهل) المضموم ؟!

٢٤٢٠ – فيا أيها العقل ، أضم الجناح والقوادم واقرأ سورة « الزلزلة » .

– فكيف تحدث أخبارها يوم القيامة على مالم تره على الأرض من خير وشر ؟.

– إنها إذاك تحدث أخبارها .. وتظهر الأرض لنا أسرارها[1]

– وإن إرسال (مثلى) إلى « مثلك » أيها الأمير لبرهان على أن المرسل (عليم) خبير .

– إن مثل هذا الدواء لمثل هذا الجرح الذى لا يشفى جدير به مناسب له لتيسير (علاجه).

٢٤٢٥ – ولقد رأيت واقعات قبل الآن (تنبؤك) بأن الله سوف يصطفينى (رسولا) .

– وإننى بعصاى والنور فى يدى ، سوف أحطم قرن وقاحتك .

– ومن أجل هذا أبدى لك رب الدين ، واقعات مهيبة ومخيفة من كل نوع ..

– لكنها جديرة بما تنطوى عليه من طوية سيئة وطغيان ، ولكن تعلم أنه يعلم تماما ما يناسبك .

– وحتى تعلم أنه حكيم وخبير وإنه الشافى للأمراض التى لاتقبل الدواء.

٢٤٣٠ – لكنك كنت ترتد عنها طبقا رتأويلات عميت عنها وصممت وقلت أنها من النوم الثقيل .

– وذلك الطبيب وذلك المنجم كانا يعرفان تأويلها فى ضوء علميهما لكنهما أخفياها عنك طمعا .

– وقال : بعيدا عنك وعن ملوكيتك أن يصاب بلاطك وعلمك بأي أذي .

– إن الأطعمة المختلفة والأغذية غير المناسبة ... هى التى هيجت منك الطبع بحيث يرى هذه الأحلام .

– وذلك لأنه رأى أنك لست بالباحث عن النصيحة وأنك مندفع سفاح وليس فيك طبع المساكين .

---

(١) بالعربية فى النص .

٢٤٣٥ – إن الملوك يسفكون الدماء من المصلحة لكن رحمتهم تزيد عن غضبهم وتسبقها .

– وينبغى للملك أن يتخلق بأخلاق الله – وأن تسبق رحمته غضبه .

– فلا يكون الغضب غالبا عليه كالشيطان ويسفك الدماء بلا ضرورة من أجل المكر .

– ولا ينبغى أن يكون له حلم كحلم المخنث بحيث تفسد نساؤه وجواريه وينقلبن إلى بغايا .

– لقد جعلت الصدر منزلا للشيطان ، واصطنعت الحقد قبله لك .

٢٤٤٠ – وما أكثر الأكباد التى جرحها قرنك الحاد ، وها هى عصاى قد كسرت قرنك الوقح .

هجوم أهل هذه الدنيا على أهل الآخرة والهجوم حتى حدود الذر والنسل وهى على حدود الغيب وغفلتهم عن الكمين فإن الغازى إن لم يخرج للغزو هجم عليه الكافر .

– لقد هاجم جيش أهل الجسد قلاع أهل الروح وحصونهم .

– وذلك حتى يحاصروا بشدة قلعة الغيب ، حتى لا يخرج منها أحد طاهر الجيب .

– وعندما يقلل الغزاة من قيامهم بالغزو والجهاد فإن الكفار فى المقابل (يتوقحون) ويقومون بالهجوم .

– وعندما لم يحمل عليك غزاة الغيب من حلمهم يا قبيح المذهب ؛

٢٤٤٥ – قمت أنت بالهجوم على متحصنى الغيب ، حتى لا يأتى رجل الغيب من تلك الناحية !

– وضربت بمخلبك فى الأصلاب والأرحام ، حتى تقطع السبيل من السوء الذى فيك .

- فكيف إذن تسد الطريق الرئيسى الذى وهبه ذو الجلال من أجل التوالد والتناسل ؟!

- وصرت سداً أمام الحدود والطرق إيها اللجوج المجادل .. وبرغم إنفك خرج قائد الهى وعبرها اليك .

- وها أنا القائد .... أحطم فوجك ، وباسمه جل وعلا أحطم (ما تفكر فيه) من شرف وعار .

٢٤٥٠ - فهيا وسد كل الطرق والسبيل بما اوتيت من قوة ، واسخر من شاربك فترة من الزمن.

- فإن القضاء الالهى يقلع شاربك شعرة شعرة .. حتى تعلم أنه عندما يأتى القدر يعمى الحذر .

- فهل يا ترى أأنت أكثر كبرياء أم قوم عاد ، التى كانت ترتعد من أنفاسهم البلاد؟!

- وهل أنت أكثر عنادا أو قوم ثمود ، الذين لم يأت مثلهم فى الوجود ؟!

- وإنك كرجل أصم إن ضربت لك مئات الأمثال لن ترعوى فأنت تسمع وتتجاهل ما سمعت .

٢٤٥٥ - لقد تبت عن الحديث (إليك) وبدون حديث مزجت لك الدواء (الجدير بك) .

- فلأضعه على جرحك الفج حتى يصير ناضجا ، ولايقوم بإحراق لحيتك وشاربك إلى الآبد ..

- حتى تعلم أنه خبير أيها العدو ، ويعطى لكل امرئ ما يناسبه (وما هو خليق بفعله) .

- فمتى قمت بتصرف أعوج أو ارتكبت شرا ولم تر ما هو جدير به فى أثره ؟.

– ومتي توجهت إلى السماء بدعاء خير أو فعل خير .. ولم يأت مثله فى أثره ؟!

٢٤٦٠ – إنك إن كنت مراقبا ويقظا فإنك تشاهد فى كل لحظة جواب فعلك .

– وعندما تكون مراقبا متمسكا بالحبل المتين ، فإنك لن تكون فى حاجة إلى (انتظار) قيام الساعة ..

– وذلك الذى يعلم الرمز العلم الصحيح .. لا تكون بحاجة إلى القول الصريح .

– لقد حل بك هذا البلاء من غبائك ذلك لأنك لم تفهم النكات والرموز .

– وما دام القلب قد صار كدرا أسود من السوء فافهم ، فلا مجال للحيرة هنا .

٢٤٦٥ – والإصار ذلك الكدر نفسه سهما .. ونفذ فيك جزاء حيرتك .

– وإن لم يأت السهم فهذا من عطاء الله ليس من أجل أن دنسك غير مرئى.

– فانتبه وكن مراقبا إن كنت تريد قلبا ، ففى أثر كل فعل يتولد فيك شيء ما .

– وإن كانت همتك ترقي بك إلي ما هو أكثر ، فإنك من المراقبة تمضى إلى ما هو أسمي .

بيان أن الجسد الترابى للإنسان مثل الحديد حسن الأصل قابل للتحول إلى مرآة ، بحيث يعاين فيه وهو فى الدنيا الجنة والنار والقيامة وغيرها ، لا على سبيل الخيال .

– فإذا كنت كالحديد كدر الهيكل ، فقم بصقله ، قم بصقله قم بصقله .

٢٤٧٠ – حتى يصير قلبك مرآة مليئة بالصور ، وفى كل ناحية فيه مليحة مضيئة الصدر .

– وبالرغم من أن الحديد كدر لا نور فيه ، فإن الصقال محا ذلك الكدر عنه.

– لقد عانى الحديد الصقل ، وجلا (الصقال) وجهه ، بحيث أصبح من الممكن رؤية الصور فيه .

– وهكذا الجسد الترابى بالرغم من أنه غليظ كدر ، قم بصقله فهو أيضا قابل للصقل .

– حتى تنعكس فيه أشكال الغيب وتشاهد فيه صور الحور الملائكة .

٢٤٧٥ – لقد أعطاك الله صيقل العقل ، حتى تنجلى به صفحات القلب .

– فقيدت هذا الصقال يا أيها الجنب ، لكنك أطلقت كلتى يدى الهوى والهوس

– ولو أنك قيدت الهوى ، لأصبح الصقال مطلق اليد .

– ولكان الحديد مرآة للغيب ، ولانعكست فيه كل الصور .

– لكنك جعلته كدرا وران عليه الصدأ من الأساس ، وهذا هو معنى يسعون فى الأرض الفساد .

٢٤٨٠ – وهكذا هو فعلك وديدنك فاقلع عن هذا الأمر الآن ، لقد عكرت الماء فلا تزد فى تعكره.

– لا تعكره ، حتى يظل هذا الماء صافيا ، حتى ترى القمر والكواكب سابحة فيه .

– وذلك لأن الإنسان علي مثال جدول الماء عندما يتكدر لا تبصر له قاعا .

– وقاع هذا الجدول ملىء بالجوهر وملىء بالدر فانتبه ولا تكدره فإن له وجودا صافيا وحرا .

– وأرواح الناس على مثال الهواء لكنها عندما تمتزج بالتراب تصير حجايا على السماء .

٢٤٨٥ - ويصير مانعا لرؤية الشمس ، وعندما يمضي عنه الغبار يصير صافيا حرا .

- وبرغم الكدر المطبق فإن الحق سبحانه وتعالى بين لك من الوقائع ما يجعلك تمضى فى طريق النجاة(١) .

ذكر موسى عليه السلام لأسرار فرعون وما وقع له بظهر الغيب حتى يؤمن بأن الحق خبير أو يظن ذلك .

- ومن الحديد الكدر أخذ يبدى بقدرته الوقائع التى كانت ستحدث فيما بعد.

- حتى يجعلك ذلك تكف عن الظلم والأذى ، لكنك كنت ترى كل ذلك فتزداد سوءا وعتوا .

- لقد كان يبدى ذلك الصور المفزعة فى نومك ، وكنت تفر منها وهى صورك أنت .

٢٤٩٠ - مثل ذلك الزنجى الذى رأى وجهه قبيحا فى المرآة فغاط عليها (قائلا) :

- يالك من قبيحة إنك جديرة بهذا فحسب ، (وهى تقول) : إن قبحى هو فيك أيها الأعمى الخسيس .

- إنك تغوط على وجهك القبيح لاعلى ، فأنا مضيئة منيرة .

- أحيانا كنت ترى (فى النوم) أن ملابسك تشتعل نارا وأحيانا كنت ترى أن عينيك وفمك قد خيطا .

- واحياناً تري وحشاً يهم بسفك دمك ، أو ترى رأسك بين أنياب حيوان مفترس .

٢٤٩٥ - حينا ترى نفسك متقلباً فى مرحاض أو غريقا فى سيل عرم من الدم(٢)

---

(١) هذا البيت فى نسخة جعفرى (جـ ١٠ / ٤٣٣) بعد العنوان وبدلامنه يوجد بيت (٤٣٨/١٠) والنتيجة ياخاليا من السرور لا تقلل الصقل والجلاء والله أعلم بالصدور .

(٢) ج /١٠ - ٤٣٣ :

أحيانا ترى بنفسك ساقطا منقلبا حقيرا ، احيانا ترى نفسك مقيد اليدين تحت التعذيب - أحيانا ترى نفسك مغلولا فى القيد ، واحيانا يدق على جمجمتك كأنها الطبل !!

– وأحياناً يهتف بك هاتف من هذا الفلك النقى : إنك شقى شقى شقى .

– وأحيانا يهتف بك هاتف صراحة من الجبال قائلا لك : إمض إنك من أصحب الشمال.

– وحينا يأتيك النداء من كل جماد هاتفاً سقطت فرعون فى الجحيم إلى أبد الآباد(١) .

– وهناك ما أسوأ ولا أذكره لك حياء ، حتى لايزداد طبعك المعكوس سوءا.

٢٥٠٠ – لقد ذكرت لك قليلا يا من لست تقبل وتعلم من هذا القليل أننى على علم (بما خفى من أمرك) .

– ولقد جعلت من نفسك أعمى ومذهولا حتى لاتفكر فى الأحلام وهذه الوقائع !

– وحتام تهرب ؟ ها هو قد حل إمامك برغم إداركك الذى يفكر فى المكر .

بيان أن باب التوبة مفتوح

– هيا لاتقم على ما أنت فيه واحترز فمن العفو (الإلهى) باب التوبة مفتوح (دائماً) (٢).

– وهناك فى الطرف الغربى باب للتوبة يكون مفتوحًا أمام الورى حتى القيامة .

٢٥٠٥ – وإلى أن تطلع الشمس من المغرب يظل هذا الباب مفتوحًا فلا تحول الوجه عنه .

– ومن الرحمة (الإلهية) توجد للجنة ثمانية أبواب ، منها باب التوبة يابنى .

---

(١) ج / ١٠ – ٤٣٣ .
وأحيانا يأتيك النداء من كل نبات لقد صار فرعون طريد الأبد مهزوماً .

(٢) هذا البيت فى نسخة جعفرى (جـ ١٠ – صـ ٤٣٣) قبل العنوان والأصح أن يكون بعده .

– تكون كلها حيناً مفتوحة وحيناً مغلقة إلا باب التوبة فهو دائماً مفتوح .

– هيا واغتنم سريعا ذلك الباب المفتوح ، وارحل إلى ذلك المكان بالرغم من حسادك وأعدائك(١) .

قول موسى – عليه السلام – لفرعون : إقبل منى نصيحة واحدة وخذ عوضا عنها أربع فضائل

– هيا اقبل منى نصيحة واحدة ، واعمل بها ، وخذ فى مقابلها أربع فضائل .

٢٥١٠ – قال له : يا موسى ماهذا الشيء الواحد حدثني مفسراً نبذة عنه .

– قال : هو أن تقول على الملأ لا إله الا الله .

– خالق الأفلاك والأنجم فى طباق السموات (وخالق) البشر والشياطين والجن والطير.

– خالق البحار والأودية والجبال والصحاري ، ملكه بلاحد ولاشبيه(٢).

– قال : ياموسى ماهذه الفضائل الأربعة التى سوف أنالها فى المقابل هيا قل وهاتها .

٢٥١٥ – فلعله من لطف هذا الوعد الحسن ، تهن أوتاد كفرى الأربعة .

– وربا من هذه الوعود الطيبة ، ينفتح قفل كفرى (الذى يزن) مائة مَن.

---

(٢) ج / ١٠ – ٤٣٦ : وذلك قبل أن يغلق الباب من الغضب ولايسمع أحد بعدها ضراعتك واستغاثتك أقلع عن الكفر وأعثر على الباب ثانية : حتى لاتكون من شقائك مطرودا من الباب .

(١) ج / ١٠ – ٤٣٨ :

هو الحافظ لكل شيء وكل إنسان وكل مكان وهو رازق كل حى فى الدنيا وهو الحافظ للأرض والسماء وهو المبدع للورود من النبات – وهو المطلع على ضمير عبده وهو الحاكم الجبار على المتكبر وهو الملك فوق كل ملك وحكمه أن « يفعل ما يشاء » .

– وربما من تأثير نهر العسل ، يتحول سم الحقد الموجود فى جسدى إلى شهد .

– أو من صورة جدول ذلك اللبن الطاهر ، يجد العقل الأسير التربية لحظة واحدة .

– وربما من انعكاس أنهار الخمر تلك أثمل وأشم رائحة من لذة الأمر .

٢٥٢٠ – وربما من لطف أنهار الماء تلك ، يجد النضرة جسدى البور الخراب .

– وتنبثق الخضرة من الأرض الخراب فى ، وتتحول أجمة الشوك الموجودة فى إلى جنة المأوى .

– وربما من تجلى الجنة والأنهار الأربعة ، تصبح الروح بعون الحق طالبة للحق .

– فإننى قد انقلبت من انعكاس نار الجحيم علىَّ إلى نار ، وصرت غريقاً فى غضب الله .

– أحيانا من انعكاس غاشية الجحيم علىّ صرت كالحية ، ممطراً للسم على أهل الجنة .

٢٥٢٥ – وأحيانا من انعكاس غليان ماء الحميم ، جعل ماء ظلمى الخلق كالرميم.

– فأنا من انعكاس الزمهرير زمهرير ، أو من انعكاس ذلك السعير على سعير .

– فأنا جهنم على الدرويش والمظلوم الآن وويل لذلك الذى أجده ضعيفًا فجأة[1] .

---

(١) ج / ١٠ – ٢٣٩:

ياموسى : ربما يفتح لى الباب وأصير على علم بالفضائل – وعلنى أجد الإيمان ياموسى وانجو من كثرة الأنية والكبرياء – هيا قل لى ماهذه الأربعة التى ستهبها لى عوضاً وعددها !!

تفسير موسى - عليه السلام - لهذه الفضائل الأربعة

كثمن لإيمان فرعون

– قال موسى : أول تلك الأربعة أن يتمتع جسدك بصحة ثابتة (لاتزول) .

– وتبتعد عن جسدك كل تلك العلل التى تحدثوا عنها فى كتب الطب أيها العظيم .

٢٥٣٠ – والثانية : أن تعمر طويلا فإن الأجل سوف يخشى المجىء إليك .

– ولن يحدث لك بعد أن تعيش عمراً عادياً ، أن تغادر هذه الدنيا محروماً .

– بل تكون أنت نفسك طالباً للأجل كما يطلب الرضيع اللبن ، ليس لأنك أصبحت فريسة لمرض أو تعب .

– إنك تكون باحثًا عن الموت ، لكن ليس (هرباً) من عجز المرض ، بل لأنك (بت) ترى فى الخرابة كنزاً .

– فتحمل البلطة بيديك أنت وتأخذ فى هدم المنزل دون تردد أو تفكير .

٢٥٣٥ – ذلك ترى المنزل حجاباً (وعائقًا) أمام الكنز ، فتلقى بهذه الحبة فى النار وتحترف حرف الرجال(١) .

– فيا من قعدت عن الروضة من أجل ورقة واحدة وكأنك دودة أقعدتها ورقة واحدة عن (تلك) الكرمة .

– لكن الكرم (الإلهى عندما أيقظ هذه الدودة ، ابتلعت هذه الدودة أفاعى الجهل .

– وصارت الدودة الحقيرة كرمة مليئة بالثمار والأشجار ، وهكذا يتبدل السعيد (بالإقبال الإلهى) .

---

(١) هنا بيت زائد فى نسخة جعفوى ج / ١٠ – ٤٤١ :
قتهدم منزل الجسد بلا إمهال حتى يسطع قمرك من خلف السحاب .

تفسير كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف

٢٥٤٠ – اهدم المنزل ، فمن عقيق هذا اليمن ، يمكن بناء مئات الآلاف من المنازل[١] .

– فالكنز تحت المنزل ولامحيص من هذا ، لاتتوقف ولاتظن أن (الأمر) خراب .

– فإنك إن حصلت على هذا الكنز ، تستطيع أن تبنى آلاف المنازل بلانصب أو تعب .

– ثم إن هذا المنزل سوف يتهدم فى النهاية من تلقاء نفسه وعلى وجه اليقين سوف ينكشف الكنز من تحته .

– لكنه (آنذاك) لن يكون لك ، فإن الروح جعلت الهدم هو الثمن لهذا الفتوح .

٢٥٤٥ – ومالم يقم أحد بهذا العمل فلا أجر له ، إذ « ليس للإنسان إلاما سعى » .

– حينذاك سوف تعض بنان الندم قائلاً : وا أسفاه ، لقد كان مثل هذا القمر مخفيا خلف السحاب .

– إننى لم أفعل ما أخبرونى به من خير فضاع المنزل وضاع الكنز وأصبحت خاوى اليد[١].

– لقد اتخذت منزلاً بالأجر والكراء فهو ليس لك ببيع أو شراء .

– وهذا الكراء مدته حتى الأجل ، وحتى تقوم خلال هذه الفترة بالعمل فيه .

٢٥٥٠ – إنك تقوم بخصف النعال فى دكان وتحت هذا الدكان منجمان .

---

(١) البيت فى نسخة جعفرى قبل العنوان (جـ ١٠ / ٤٤١) .

– وهذا الدكان بالكراء فأسرع وخذ بلطتك وداوم على حفر قاعه .

– حتى تدق البلطة فجأة على المنجم والكنز ، فتتخلص من (العكوف) على الدكان وعلى خصف النعال .

– فما هر خصف النعال وترقيعها ؟! أنه أكل الخبز وشرب الماء ، إنك تضع هذه الرقعة على خرقة مثقلة (بالرقع) .

– إن خرقة جسدك تتمزق فى كل لحظة ، فتضع ، عليها رقعة من طعامك هذا .

٢٥٥٥ – ويامن أنت من نسل الملك الموفق ، عد إلى نفسك واشعر بالعار من وضع الرقع !

– واقتلع قطعة من قاع الدكان ، حتى يطل عليك المنجمان ! .

– وذلك قبل أن تنتهى فترة الايجار ولاتكون قد نلت منه أى ثمرة .

– ثم يخرجك صاحب الدكان منه ، ويهدم هذا الدكان من فوق المنجم .

– وحينذاك تضرب من الحسرة رأسك بيدك .. وتأخذ حيناً فى اقتلاع لحيتك الساذجة .

٢٥٦٠ – صائحا : وا أسفاه لقد كان هذا الدكان لى وكنت أعمى فلم أستفد من هذا المكان(١) .

– وا أسفاه ، إن وجودنا قد ضاع أدراج الرياح .. وصار (وردنا) إلى الأبد ياحسرتا على العباد(٢)

---

(١) ج / ١٠ – ٤٣٣ :

لقد كان هذا المنزل حائلا دون الكنز وحجابا عليه وكانت هذه الحبة مانعة لمائة بدر .

(٢) ج / ١٠ – ٤٤٤ :

وأسفاه لقد فرطت فى الكنز ، وردمت ماء الحيوان بالتراب .

اغترار الإنسان بذكائه وما يصوره له طبعه وعدم طلبه لعلم الغيب وهو علم الأنبياء

– (وأسفاه) لقد رأيت فى هذا المنزل صوراً ورسوماً ، وصرت من عشقى إياه (دنفا) لايقر لى قرار .(1)

– وكنت جاهلاً بأمر الكنز الخفى وإلا لمافرطت يدي فى الطبر .

– آه لو كنت قد أعطيت للطبر حقه ، لبرئت هذه اللحظة من الأحزان (والندم) .

٢٥٦٥ – كنت ألقى بأنظارى على الصور والنقوش ، كنت أزاول معها ألوان العشق كالأطفال .

– وما أحسن ما قاله أذن ذلك الحكيم العظيم ، إنك طفل والمنزل ملىء بالصور والزخارف .

– لقد ساق كثيراً من النصائح فى « الهى نامه » وقال : فلتضح (فى هذه الدار) بنسلك واهلك .

– كفاك ياموسى هيا وحدثنى عن الوعد الثالث فقد ضاع منى القلب شعاعاً .

– قال موسى : الفضيلة الثالثة أن يكون لك ملك الدارين خالصًا (خاليا) من الخصوم والأعداء .

٢٥٧٠ – إنه أكثر من الملك الذى أنت فيه ، فهذا حرب وخصومه أما ذلك فهو سلام وصفاء .

– وذلك الذى يهبك وأنت خصم له مثل هذا الملك (تصور) أية مائدة يمدها إليك وأنت فى صلح معه .

---

(1) ج / ١ – ٤٤٤ :

وا أسفاه وا أسفاه لقد اختبأ قمرى تحت السحاب .

- وذلك الذى وهبك كل هذا الكرم وأنت فى جفاء (معه) تصور إن وفيت معه أثمة شيىء واحد ينقصك .

- قال : ياموسى .. ماهى الرابعة ؟ ! قلها سريعا .. لقد نفد صبرى ، وزاد حرصى .

- قال : الرابعة إنك تظل دائم الشباب ، شعرك (فى سواد) القار ووجهك (فى حمرة) الأرجوان .

٢٥٧٥ - إن (سوق) الألوان والروائح شديد الكساد عندنا ، ولاقيمة لها .. لكنك دنى .. وجعلت الكلام دنياً .

- إن الفخر بالألوان والروائح والمكانة هو سرور للأطفال وخداع لهم .

تفسير هذا الخبر القائل : كلموا الناس على قدر عقولهم لا على قدر عقولكم حتى لايكذب الله ورسوله

- مادمت أتعامل مع طفل ، فينبغى على أن أطلق لسان الأطفال (وأتحدث بلغتهم).

- قائلاً : هيا ، اذهب إلى الكتاب واشترى لك طيراً وأتيك بالزبيب والجوز والفسدق .

- إنك لاتعرف إلاشباب الجسد فخذه ... خذ هذا الشباب كما يأخذ الحمار الشعير .

٢٥٨٠ - فلاغضون تقع على وجهك أبدا .. يبقي نضرا دائما شبابك الغض .

- فلاوهن من الشيخوخة يحيق بك ، ولا قامتك الممشوقة كالسرو تنحنى.

- ولاتضعف فيك حميا الشباب ، ولايطرأ على اسنانك خلل أو ألم .

- ولافى الشهوة والجماع والبعال ، يتأتى للنساء من ضعفك الضيق والملال .

– كذلك تتفتح لك نضرة الشباب ، كما فتحت تلك البشرى لعكاشة الباب.

قوله – عليه السلام – من بشرنى بخروج صفر بشرته بالجنة

٢٥٨٥ – كان انتقال أحمد نبى آخر الزمان (إلى بارئه) (معلوماً لديه) أنه يحل فى ربيع الأول بلاجدال .

– وعندما علم قلبه بخبر انتقاله ، صار عاشقاً لهذا الوقت بكل عقله . .

– وعندما حل صفر .. سُرَّ من صفر ، قائلاً : بعد هذا الشهر يكون السفر.

– وكل ليلة كان يظل حتى طلوع الصباح من شوقه إلى الهدى يصيح يا رفيق الطريق الأعلى (من الجنة) .

– قال : من بشرنى بانقضاء شهر صفر وخروجه من هذه الدنيا ،

٢٥٩٠ – وأن صفر قد ولى وحل شهر ربيع أكون مبشره (بالجنة) وشفيعه (يوم القيامة) .

– فقال عكاشة : لقد مر صفر وولي ، فقال له – عليه السلام – : لك الجنة أيها الهزبر الورد .

– فجاء آخر : لقد مضى صفر وانقضى ، فقال له عليه السلام : سبقك بها عكاشة .

– إذن فالرجال يفرحون من الانتقال من هذا العالم ، ومن البقاء فيه يفرح أولئك الأطفال .

– ومادام ذلك الطائر الأعمى لم ير الماء العذب يبدو أمامه الماء المالح كالكوثر .

٢٥٩٥ – وهكذا أخذ موسي – عليه السلام – يعدد له الكرامات قائلاً له : إن صفو اقبالك لن يتحول إلى كدر[1] .

– قال فرعون : أحسنت وقلت خيراً .. لكن على (أولا) أن استشير صديقاً طيباً .

مشورة فرعون مع آسية فى الإيمان بموسى – عليه السلام –

– لقد قص على آسية ماحدث ... فقال : جد بروحك من أجل هذا يا أسود القلب .

– إن هذا المقال يحتوى على كثير من ألوان العناية ، فأدركه سريعاً ياملكاً طيب الخصال .

– لقد آن أوان الغراس فياله من غراس كثير النفع ، قالت هذا وانخرطت فى البكاء وحل بها الوجد .

٢٦٠٠ – ثم قفزت من مكانها وقالت : بخ لك ، لقد صارت شمس تاجا لك أيها الأقرع .

– وعيب الأقرع يخفيه التاج ، خاصة عندما يكون التاج هو الشمس والقمر .

– فكيف لم تجب بالإيجاب ولم تردد مائة مرحى فى نفس المجلس الذى سمعت فيه هذا (الحديث) ؟.

– فلو كان هذا الكلام قيل فى إذن الشمس لهبطت منقلبة بتأثير شذاه .

– الست تدرى أبدا أى وعد هذا وأى عطاء ؟! إنه أشبه بإحساس الحق بافتقاد إبليس.

---

(١) ج / ١٠ – ٤٥٥ :

ان لن ينقلب صافى اقبالك كدر ولن يتحول أطلس حظك إلى بردة ، وكل ماتريده تجده من الإقبال الفتى تبقى مسروراً ولا تنقلب عاجزاً .

٢٦٠٥ – ومادام الكريم قد دعاك بهذا اللطف ، فوا عجبا أن قلبك[١] . ظل فى موضعه ولم يتمزق .

– لم يتمزق قلبك .. حتى يكون لك من ذلك القلب نصيب فى الدارين .

– والقلب الذى يتمزق من أجل الله ، يكون صاحبه كالشهداء ذا نصيب في الدارين .

– إن الغفلة أيضاً من الحكمة ، وهذا العمى يبقى لكن لماذا إلى هذا الحد ؟!

– إن الغفلة حكمة ونعمة.. وذلك حتى لايطير رأس المال سريعاً من البد ..

٢٦١٠ – لكن ليس إلى ذلك الحد الذى تصبح فيه مرضا مستعصيا ، وتصبح مرضا للعقل وسما للروح .

– وياترى .... من الذى يجد مثل هذا السوق الذى تُشترى به روضة بوردة واحدة ؟!

– والذى تعرض فيه الحبة الواحدة بمئات من أجمات الأشجار ، ومثقال حبة من ذهب تجازى عليها بمائة منجم ؟.

– إن هذه الحبة إن أعطيت (فى سبيل الله) وكانت لله ، فإن حاصلها أن يكون الله للعاطى .

٢٦١٥ – وهذه الهوية الفانية عندما أودعت نفسها إياه ، صارت باقية دائمة ولم تمت قط .

– مثل قطرة الماء الخائفة من الريح والتراب .. إذ إن هلاكها يكون منها .

– عندما أهرعت إلى أصلها أى البحر ، نجت من حرارة الشمس ومن الرياح والتراب .

– لقد تاه ظاهرها فى البحر فحسب ، لكنها ذاتها (بقيت) معصومة طاهرة طيبة .

---

(١) حرفيا : مرارتك .

- هيا فلتسلمى نفسك أيتها القطرة بلاندم ، وفى مقابل القطرة تحصلين على بحر عباب.

٢٦٢٠ - هيا أيتها القطرة وامنحى نفسك هذا الشرف ، وصيرى فى كف البحر آمنة من التلف!

- ترى من حصل على مثل هذا الإقبال بحيث أنه فى مقابل قطرة واحدة صار مطالباً ببحر .

- بالله عليك ، بالله عليك قم سريعا بهذا البيع والشراء ، اعط قطرة واحدة وخذ بحرا مليئاً بالجوهر .

- بالله عليك بالله عليك لاتتمهل لحظة واحدة فان هذا الحديث جاءك من بحر اللطف(١).

- ان اللطف (الأرضى) ليتوه فى لطف هذا (البارى) ، (فمنه) يتسامى (المخلوق) إلى الفلك السابع .

٢٦٢٥ - هيا ، لقد وقع أمر عجيب ولايجد طالب مثله ، فاطلبه أبدا(٢) .

---

(١) ج / ١٠ - ٤٦٠ :

- بالله عليك عليك أسرع وابحث أن هذا هو بحر الرحمة وليس جدولاً .
- بالله عليك كن كرة بلا رأس ولاقدم وحتى يصبح صولجان موسى قدماً لك .
- بالله عليك لاتسىء الظن بهذا اللطف العام أيها الغافل .
- بالله عليك أدركه سريعا يافتى حتى لاتفنى فى رؤيتك الخاطئة .
- بالله عليك فلتترك وجودك فمادام قد عاد فاذهب أيها المعتمد .
- بالله عليك اذهب متعجلاً مع هذه الإشارة دون أن تبتئس !!
- بالله عليك لقد تصرفت باعوجاج حتى الآن ورفعت عنقك فى المعصية .
- بالله عليك لقد وصلت العناية نفسها وخالقها دون إمهال أيها الفتى .
- بالله عليك مادام لم يرد ألوان عصيانك ويصك بها وجهك اشكره
- بالله عليك مادام قد أعطاك طريق من الفضل ينبغى أن تضع رأسك على موطىء قدمه .

(٢) ج / ١٠ - ٤٦٠ :

فلتقبل هذه الخلع الأربعة بأسرع ما تستطيع حتى ترى عوضاً عنها مائة عز ونفع .

– قال (فرعون) : بل عليّ أن أخبر هامان أيتها السيدة ، فلابد للملك من رأى الوزير.

– قالت : إياك أن تبوح بهذا السر لهامان ، فأى علم للعجوز المهدمة (بتربية) البازى ؟!

قصة بازى الملك والعجوز

– إنك (بهدا) تسلم البازى الأبيض لامرأة عجوز ، فتقلم أظافره زاعمة أنها ترعاه .

– هذه المخالب التى هى أساس العمل والصيد ، تقلمها العجوز العمياء من عماها .

٢٦٣٠ – تقول له : أين كانت أمك بحيث طالت مخالبك هكذا أيها العزيز .

– لقد قلمت أظافره وقطعت منقاره ، لقد فعلت هذا عن حب هذه العجوز الدنسة .

– وعندما تقدم له عصيدة الدقيق (وتراه) يأكل قليلا ، يشتعل غضبها ، وتصرف محبتها عنه .

قائله له : لقد طبخت مثل هذه العصيدة من أجلك ، ثم تبدى التكبر والعتو ،

– إنك جدير بماكنت فيه من تعب وبلاء ... فمتى كنت خليقاً بهذه النعمة وهذا الاقبال،

٢٦٣٥ – فتعطيه حساء العصيدة قائله له : إذن فخذ هذا إن كنت لاتريد العصيدة .

– وحساء العصيدة لايوافق طبع البازى فتنفجر العجوز ويزداد غضبها .

– وتصب الحساء المغلى غضباً على رأسه فتصيب مفرق رأسه بالقراع...

- ومن الحرارة يسيل الدمع من عينيه وهو يتذكر لطف الملك الذى يضىء القلب .
- من هاتين العينين الجميلتين ذواتي الدلال ..... والتى تجد من (النظر) إلى وجه الملك ألف كمال .

٢٦٤٠ - إن عينيه اللتين كان يصدق عليهما (مازاغ البصر) صارتا من نقر الغربان كليلتين، وهكذا العين الجميلة تصيبها مئات الجراح من عين السوء .
- كان انبساط البحر من بسط تلك العينين ، وكان العالمان يبدوان أمامها كشعرة واحدة .
- تلك العين التى لو أن الأفلاك وقعت فى مرمى نظرها ، لبدت كعين حقيرة فى مقابل البحر العباب .
- وإنها عين تجاوزت هذه المحسوسات ، فكان أن وجدت القبل من بصيرة الغيب .
- وأنا لاأجد أذنا (جديرة مستحقة) حتى أبسط القول عن تلك العين الحسناء .

٢٦٤٥ - لقد كان ذلك الدمع المحمود الجليل سائلاً وكان جبريل يلتقط قطرات الدمع .
- وذلك لكى يضمخ به جناحه ومنقاره ، لوسمح له بذلك ذلك المحمود المذهب .
- ويقول البازى : إن غضب العجوز وإن اشتعل فإنه لم يحرق مجدى ونورى وصبرى وعلمى .
- ومرة أخرى تنسج روحى مائة صورة إنها تصيب الناقة بالجراح ولاتصيب صالحا .

– وصالح بنفس واحد يطلقه بعظمه (يجعل) متن الجبل يلد مائة من أمثال تلك الناقة.

٢٦٥٠ – إن قلبى يقول لى اصمت وحذار ، وإلامزقت منك الغيرة السدى واللحمة .

– إن لغيرته مائة حلم في الخفاء ، والا لأحرق نفس واحد منه مائة دنيا .

– لقد سدت نخوة الملك (من فرعون) موضع النصيحة ، حتى صرف قلبه عن قيد النصح .

– قائلاً : على أن أطلب من هامان الرأى والمشورة ، ظهير الملك وقطب السلطة .

– لقد كان مستشار المصطفى هو صديق الرب ، لكن مستشار أبى جهل كان أبو لهب.

٢٦٥٥ – لقد اجتذبه عرق المجانسة ، بحيث أصبحت تلك النصائح بالنسبة إليه باردة (بلاطعم) .

– إن كل طائر يطير بمائة جناح مع من هو من جنسه ، ويمزق القيود عندما يعن له خياله.

قصة تلك المرأة التى زحف طفلها على رأس قناة وكان فى خطر السقوط فيها وطلبها حلا من على كرم الله وجهه

– جاءت امرأة إلى المرتضى وقالت له : إن طفلى صعد إلى حافة الميزاب .

– وإن دعوته لايأتى وإن تركته أخشى عليه أن يسقط فى الهاوية .

– وهو ليس بعاقل لكى يدرك مثلنا إن ناديته أن يأتى نحوى (هربا) من الخطر .

٢٦٦٠ – كما أنه لا يفهم الإشارة باليد ، وحتى إن كان يعرف فلن يستجيب ... والوضع سيء تماماً .

– وقد أبديت له ثديي ولبني .. لكنه يحول وجهه وبصره عني .

– وأنتم أيها العظماء عطية الحق من أجل أن تكونوا عونا لنا على الدنيا والآخرة .

– فعالج هذا الأمر سريعاً فإن قلبي يرتعد وأخشى ما أخشاه أن (تضيع مني) ثمرة القلب .

– قال (الإمام) : أحضري أحد الأطفال سريعاً إلى السطح حتى يرى ذلك الطفل من هو من جنسه .

٢٦٦٥ – فيأتي سريعاً نحو من هو من جنسه من ذلك الميزاب فان الجنس عاشق لجنسه على الدوام ..

– وهكذا فعلت المرأة ، وعندما رأى طفلها من هو في جنسه هش له وبش واتجه إليه .

– وجاء إلى السطح من فوق الميزاب ، فأعلم أن كل شيء يجذبه من هو من جنسه .

– لقد أتى ذلك الطفل زاحفاً نحو الطفل (الآخر) ونجا من السقوط في الهاوية .

– ومن هنا كان الأنبياء والرسول من جنس البشر ، حتى « يقوموا » بانقاذ جنسهم من حافة الميزاب .

٢٦٧٠ – ومن هنا قال (الرسول) : إنني بشر مثلكم حتى تنجذبوا إلى من هو من جنسكم وتكفوا عن الضلال .

– وذلك أن علاقة التجانس ذات جاذبية عجيبة ، وكل من هو طالب إنما يكون منجذبا نحو جنسه .

– لقد صعد عيسى وإدريس – عليهما السلام – إلى الفلك مع الملائكة لأنهما كانا من جنسهم .

– ثم إن هاروت وماروت هبطا من الأعالي فقد كانا من جنس الجسد (فهبطا) إلى حضيض الأرض .

– والكفار من جنس الشياطين وقد صارت أرواحهم تلاميذ للشياطين .

٢٦٧٥ – لقد تعلموا مئات الآلاف من الخصال السيئة وخاطوا بصائر العقل والقلب .

– وأقل خصالهم قبحاً هو الحسد وذلك الحسد الذي دق عنق إبليس .

– لقد تعلموا الحقد والحسد من أولئك الكلاب الذين لايريدون للخلق ملك الابد .

– فكلما رأي (ذلك الشيطان) أحداً ذا كمال على يمينه أو يساره . تحرك ألم القولنج عنده من الحسد .

– وذلك أن كل شقى محترق البيدر لايريد لأحد أن يكون شمعه مشتعلا .

٢٦٨٠ – فاذهب واحصل على الكمال حتى لاتسقط فى الغم من جراء كمال الآخرين .

– واطلب من الله تعالى دائماً دفع هذا الحسد ، حتي يخلصك سبحانه من الحسد .

– أو يهبك انشغالا بباطنك ، بحيث لايشغلنك هذا الظاهر .

– إن الله سبحانه وتعالى يهب جرعة من الخمر يثمل بها المرء فيتخلص من العالمين .

– ويضع فى قطعة من الحشيش خاصية ، يخلص المرء بها فى نفسه برهة من الزمن .

٢٦٨٥ - كما يجعل الله سبحانه وتعالى النوم على هذا النسق بحيث يجعل (المرء) ينصرف عن التفكير فى الدارين .

- ولقد جعل المجنون من عشقه لجسد .. (ذاهلا) لايعرف عدوه من حبيبه .

- كما أن لديه مئات الألاف من أمثال هذه الخمر يسلطها جل شأنه على إدراكك .

- وهناك خمور هى شقاء للنفس بحيث تصيب بالهلاك تلك المشئومة .

- وهناك خمور هى سعادة للعقل ، بحيث يجد المرء المنزل (المقصود) دون انتقال .

٢٦٩٠ - بل إن خيمة الفلك ولهاخمرها التى تسكرها وتقتلعها ... ومن تلك الناحية تجعلها تتقدم فى الطريق .

- فانتبه أيها القلب ولاتغتر بكل سكر ، فعيسى - عليه السلام - ثمل بالحق والحمار ثمل بالشعير .

- فابحث عن مثل هذه الخمر من هذه الدنان والتى لايكون سكرها مؤقتاً مقطوع الذيل.

- وذلك أن كل معشوق كالدن الممتلىء لكن أحدها ملىء بالثفل وآخر ملىء بالدر .

- ويا عالماً بالخمر انتبه وتذوق بحذر ، حتى تجد خمراً خالية من الشوائب[1] .

٢٦٩٥ - إن كلتيهما تصيبك بالسكر لكن هذه يجرك السكر بها منجذبا حتى رب الدين .

---

(١) ج / ١٠ - ٤٧٢ :

ياعالما بالخمر هيا وتذوق أيها العبوس فى تلك الخمر الصافية التى تصمت من جرائها !!

- وحتى تنجو من الفكر والوسواس والحيل وبدون احتياج إلى عقل العقل تنجيك فى رقص الجمل (١) .

- ولما كان الأنبياء من جنس الروح (الأمين) والملائكة ، فإنهم قد جذبوا الملائكة من الفلك .

- والريح من جنس النار ورفيقة لها ومن ثم فإن اتجاه كليها إلى العلو .

- وأنت عندما تسد فوهة آنية خالية ، وتضعها فى حوض ماء أو جدول .

٢٧٠٠ - فإنها حتى القيامة لاتغوص فى القاع فإنها خالية القلب مملوءة بالريح .

- وميل الريح يجذبها إلى أعلى .. فيجذب الآنية بالتالى إلى أعلى .

- ومن ثم فتلك الأرواح التى من جنس الأنبياء منجذبة إليها كأنها الظلال.

- وذلك لأن العقل غالب عليها وبلاشك ، فإن العقل متجانس فى خلقه مع الملك .

- وهوى النفس غالب على العدو ، فقد تجانس مع النفس وهوى بها إلى الحضيض .

٢٧٠٥ - كان آل فرعون من جنس فرعون الذميم وكان بنو إسرائيل من جنس موسى .

- وكان هامان أكثر تجانسا مع فرعون فاختاره فرعون وحمله إلى صدر القصر .

- فلاجرم أنه جره من القصر إلى الدرك الأسفل (من النار) ، وكلاهما من جنس الجحيم هذان الدنسان .

---

(١) رقص الجمل كناية عن العمل غير المتوازن الذى لايتناسب مع الوقار أو الفعل العجيب الغريب المستبعد (حواشى فروزانفر على معارف بها ولد ٢/٢٦٣ - ٢٦٤)

- كلاهما محرق كالجحيم ، مضاد للنور ، كلاهما كالجحيم نفور من نور القلب[1] .

- وذلك أن الجحيم يقول : أيها المؤمن جز سريعاً فإن نورك قد اطفأ النار .

٢٧١٠ - هيا جز أيها المؤمن فإن نورك يقتل ناري عندما يبسط رداءه .

- وذلك الناري يفزع أيضا من النور ، ذلك أن له طبعا جهنميا أيها الطيب!

- والجحيم يهرب من المؤمن كما يهرب المؤمن من الجحيم بكل ماأوتى من قوة .

- وذلك أن نوره لايكون من جنس النار ... فهو مضاد للنار باحث عن النور فى الحقيقة.

- وقد ورد فى الحديث أن المؤمن عندما يدعو الله سبحانه وتعالى أن ينجيه من النار .

٢٧١٥ - تدعوه النار أيضا بكل ماأوتيت من قوة قائلة : يا إلهى أبعدنى عن فلان.

- فانظر إلى جاذبية التجانس عندك الآن ، من جنس من تكون ... من جنس الكفر أو من جنس الدين .

- فاذا كنت ميالا إلى هامان فأنت هامانى (الطبع) .. وإن كنت ميالا إلى موسى فأنت الهى .

- وإذا كنت تنطوى على ميل لكليهما معا فالنفس والعقل كلاهما ممتزج عندك .

- وهما معا فى حرب ... فهيا جاهد ، حتى تتغلب فيك المعانى على الصور والنقوش.

٢٧٢٠ - وفى عالم الحرب ، حسبك فرحا أن ترى الهزيمة فى كل لحظة تحيق

(١) هنا عنوان نسخة جعفرى (جـ ١٠ - صـ ٤٩٢) فى بيان حديث « جزيا مؤمن فإن نورك اطفأ نارى » على لسان النار .

بالخصم [1] ...

– وذلك الصفيق الوجه ، فى شدته ، تحدث فى النهاية مع هامان مستشيرا اياه .

– لقد تحدث إليه بوعود كليم الله وجعل من ذلك الضال نجيا وموضعا للسر .

مشورة فرعون مع وزيره هامان فى الإيمان بموسى عليه السلام

– لقد تحدث إلى هامان عندما إنفرد به ، فقفز هامان وشق جيبه .

– وأخذ يصرخ ويبكى ذلك اللعين والقى بالعمامة والتاج على الأرض .

٢٧٢٥ – قال : كيف قال مثل ذلك الوقح كلاما فارغا كهذا فى حضور الملك ؟!

– لقد اخضعت العالم بأجمعه ، وسويت الأمور بإقبالك الذهبى !

– ودون أى عناد يأتى إليك من الملوك من المشارق والمغارب يؤدون إليك الجزية (عن يد وهم صاغرون) .

– والملوك يمرغون شفاههم على عتبة بابك فرحين أيها الملك العظيم .

– وجواد كل متمرد عندما يرى جيادنا يحول وجهه ويلوذ بالفرار دون عصا منا .

٢٧٣٠ – وكنت حتى الآن معبودا للدنيا وموضع سجودها فتحولت إلى احقر العبيد .

– إن الدخول فى لهيب ألف نار أفضل من أن يصير سيد مولى لعبد !

– لا أقتلنى أولا يا (غالبا) ملك الصين حتى لاتبصر عينى هذا الأمر

(١) ج / ١٠ – ٤٩٢ : فجاهد حتى يهزم خصمك بالرغم من أن فرعون لم يستمع إلى هذا ولقد طال الحديث أيها المضطر فتحدث ثانية عن ضلال فرعون ومستشاره كما أن البيتين التاليين بعد العنوان (جـ ١٠ / صـ ٤٩٤) .

(يجرى على) الملك .

– واضرب عنقى أولا ياسيدى حتى لاتبصر عيناى هنا المذلة .

– إن هذا الأمر لم يحدث من قبل ، ولاحدث ولاكان .. أن تنقلب الأرض سماء والسماء أرضا .

٢٧٣٥ – وأن يصير عبيدنا شركاء لنا وأن يصير الخائفون منا أذى على قلوبنا .

– وأن تضىء عيون الأعداء فرحا بينما يعمى الأصدقاء ، إذن فقد صارت لنا بطن الأرض خيرا من ظهرها .(١)

زيف كلام هامان عليه اللعنة

– أنه لم يكن يعرف العدو من الصديق ، كان يلعب نرد (حياته) بعمى وبشكل معوج .

– فلا يوجد سواك أنت عدو لك فلاتتهم الأبرياء بعدائك حقدا .

– أن وضعك الشىء هو فى رأيك الدولة (دولت) بينما أولها سعى وكدح (دو) وأخرها سقوط وانهيار (لت)(٢)

٢٧٤٠ – وأن لم تفر من هذه الدولة زاحفا ، فإن ربيعك هذا ينقلب عليك خريفا .

– والمشرق والمغرب رأيا كثيرين من امثالك ، وقد فصلت رؤوسهم عن أجسادهم .

– والمشرق والمغرب كلاهما لايقر له قرار ، فكيف يكون لأحد يعيش (فوقهما) قرار ؟!

– إنك تفخر بأنك بالتخويف والقيود ، جعلت الناس ينافقونك عدة أيام !

– وكل من يسجد الناس له ، إنما يقومون بدس السم الزعاف لروحه .

٢٧٤٥ – وعندما ينفض عنه ذلك الذى سجد له ، يعلم أنه كان سما قاضيا عليه .

---

(١) حرفيا : فروضتنا هى قاع القبر .

(٢) يتلاعب بين اللفظين دو بمعنى سعى ولت بمعنى انهيار وسقوط .

– فما أسعد ذلك الذى ذلت نفسه ، وويل لذلك يبدو كالجبل من العصيان (والتكبر).

– وأعلم أن هذا التكبر سم قاتل ، وأن هذا المذهول قد ثمل بكأس خمر ملىء بالسم .

– وعندما يشرب أحد الأشقياء خمرا مسمومة فإنه يحرك رأسه طربا لكن للحظة واحدة.

– وبعد هذه اللحظة يسرى السم فى كيانه ويبدأ فى السيطرة على (حياته) وروحه .

٢٧٥٠ – وإن لم تؤمن بأن (الكبرياء) سم ، وبما يتأتى منه ، فانظر إلى قوم عاد .

– وعندما يجد أحد الملوك القدرة على ملك آخر يقتله ، أو يسجنه فى (قاع) جب .

– لكنه إن وجد متعبا عاجزا ، فإن الملك يقدم له الدواء ويبذل له العطاء .

– فان لم يكن الكبرياء سما فلماذا قتل الملك البرىء ومن لم يرتكب ذنبا .

– وكيف أكرم ذلك الآخر دون سابق خدمة ؟ من هذين الطرفين يمكن أن تعرف سم (الكبرياء) .

٢٧٥٥ – إن قاطع الطريق لم يضرب معدما قط ؟ وهل عض ذئب ذئبا ميتا قط؟!

– لقد خرق الخضر السفينة وذلك من أجل أن ينقذها من المغتصبين !

– ومادام الكسير ينجو فكن كسيرا والأمان فى الفقر فكن فقيرا .

– وذلك الجبل الذى يحتوى على عدد من المناجم الحاضرة قد مزق إربا من ضربات المعاول .

– والسيف (موجود) من أجل ذلك الذى له عنق ، والظل الملقى ارضا لايلتقى الطعنات .

٢٧٦٠ – والسيادة نفط ونار إيها الغوىّ .. فكيف تمشى على النار أيها الأخ .

– وكل شيء يكون مسوى بالأرض متى يكون هدفا للسهام ، ألا فلتنظر بامعان .

– لكن نفس ذلك الشيء بمجـــرد أن يرتفع عن سطح الأرض ، يكون كالأهداف تنهال عليه طعنات لاتقبل الشفاء .

– إن هذه الأنية بمثابة درجات السلم بالنسبة للخلق ، والنهاية (المؤكدة) هي السقوط من فوق هذه الدرجات .

– وكل من صعد إلى أعلى (أكثر) يكون أكثر بلها ، فان عظامه (عند السقوط) سوف تتحطم بدرجة اسوأ .

٢٧٦٥ – هذه هي فروع (الكبرياء) أما أصوله فهي أنه إشراك بالله .

– ومادمت لم تمت ثم ترتد حيا منه هو ، تكون عاصيا طالبا للمشاركة في الملك .

– ومادمت قد صرت حيا به ... فأنت هو ... في وحدة محضة فمتى تكون مشاركة ؟!

– فاطلب شرح هذا (المعنى) في مرآة الأعمال فإنك لن تستطيع أن تفهمه من مجرد المقال .

– ولو بحت بكل ما هو موجود في باطني ، ما أكثر الأكباد التي كانت سوف تتحول في الحال إلى دم .

٢٧٧٠ – فلأقصر .. فإن هذا القدر يكفي ذوي الالباب لقد صحت صيحة أو صيحتين إن كان ثم أحد في القرية .

– الخلاصة أن هامان بذلك القول الشيء ، قد قطع مثل هذا الطريق على فرعون .

– لقد وصلت لقمة الحظ إلي الفم .. ثم قطعت عن (النزول) فى حلقة فجأة .

– وذرى بيدر فرعون ادارج الرياح ، فلا ابتلى ملك أبدا بمثل هذا الوزير [1] .

يأس موسي من إيمان فرعون لتأثير قول هامان في قلب فرعون

– قال موسى : لقد أبدينا اللطف والجود لكن السيادة (الحقيقية) لم تكن رزقا لك ..

٢٧٧٥ – وذلك السلطان الذى لا يكون حقيقيا ، إعلم أنه لايد له ولاكم (خال من اليد)

– وذلك السلطان الذى يكون مسروقا هو بلا قلب ولا روح ولا بصر .

– وذلك السلطان الذى يمنحك إياه العوام ، يستردونه منك ثانية كأنه الدين .

– فرد السلطان المستعار إلى الحق ، حتى يهبك سلطانا متفقا عليه .

تنازع امراء العرب مع المصطفي عليه السلام قائلين : قاسمنا الملك حتي لا يكون نزاع وجواب المصطفي إنني في هذه الإمارة مأمور وقيام الجدل بين الطرفين

– لقد اجتمع امراء العرب وذهبوا إلى الرسول عليه السلام منازعين .

٢٧٨٠ – قالوا له : إنك أمير لكن لكل واحد منا بدوره أمير فقسم هذا الملك وخذ نصيبك منه .

---

(١) ج / ١٠- ٤٩٧ :

فابتعد عن مثل قرين السوء هذا واحذر والله أعلم باليقين .

– وليكن كل منا عادلا منصفا فى منطقته .. فلا تتدخل أنت إذن فى مناطقنا .

– قال (الرسول) : لقد أعطانى الحق الإمارة ، إنه هو الذى منحنى الرئاسة والحكم المطلق .

– قال له القوم : نفس القضاء الالهى الذى منحك الامارة ، قد منحنا الحكم فنحن أيضا حكام

٢٧٨٥ – قال : لكن الله قد اعطانى ملك (الأبد) وهو لكم عارية من أجل الإرتزاق (والحياة الدنيا) ![1]

– وأن أمارتى لباقية حتى يوم القيامة – لكن الأمارة العارية سرعان ما تتحطم !

– قال القوم : أيها الأمير لا تتعال علينا فما هى حجتك على تعاليك هذا ؟ !

– وفى التو واللحظة أزجى سحاب بالأمر الإلهى القاطع .. ونزل السيل فملأ تلك النواحى ..

– واتجه السيل المهول إلى المدينة فاصبح أهل المدينة فى عويل ورعب !

٢٧٩٠ – فقال الرسول عليه السلام : لقد حل الآن أوان الامتحان وذلك حتى ينقلب الظن إلى عيان .

– وألقى كل امير بحريته إمتحانا لكى تصير سدا أمام هذا السيل .

– ثم ألقى المصطفى بقضيبه فيه ، وذلك القضيب المعجز نافذ الأمر .

---

(١) الكلمة هنا زاد وهكذا ترجمها نيكلسون (VOL 4. P . 426) وهكذا فسرها جعفرى (جـ ١٠ صـ ٥٠٨) وأن كنت أميل إلى ترجمتها بالميلاد أى ملك بالإرث أنظر الشرح .

– لقـد اخـتطف السيل الحـراب كـأنهـا الغـثـاء (إختطفـها) مـاء السـيل ذاك المندفع الهادر العنود .

– وضـاعت كل الحراب أما ذلك القضيب ، وقف فوق الماء كأنه الرقيب .

٢٧٩٥ – ومن احترام السيل العرم لذلك القضيب ، حول وجهته ، وانتهى ...

– وعندمـا رأوا منـه عليـه السـلام هذا الأمـر العظيم أقـر هـؤلاء الأمـراء واعترفوا من الخوف .

– إلا ثلاثة منهم كان الحقد قد سيطر عليهم ، جحدوا به وسـموه سـاحرا وكاهنا .

– وهكذا فـالملك الذى يصطنعه الإنسـان لنفسـه يكون ضعيفا ، أمـا الملك الأصلى الحقيقى فهكذا يكون شـريفا .

– فـإن لم تكن قد رأيت الحـراب مع القضـيب فـانظر إلى اسمـه وانظر إلى أسمائهم أيها النجيب .

٢٨٠٠ – لقـد جرف سـيل الموت الطامى اسـمـاءهم لكن اسـمـه لم يمت لا (ولم تنقض) دولته المظفرة .

– انهم يدقـون لـه (الطبـول) خـمس مـرات فى اليـوم عـلى الدوام وهـكذا حتى تقوم الساعة .[١]

– فإن كان لك (أيهـا الفرعون) عقل فقـد عرضت عليك أنواع اللطف وإن كنت حمارا فقد جئت للحمار بالعصا .

– وكذلك أخرجك بالعصا من حظيرتك هذه بحيث أدمى رأسك وأذنك .

– فإن الناس والدواب فى هذه الحظيرة لا يجدون الأمن من غلظتك .

---

(١) في نسخة جعفري (١٠ / ٥٠٩) يوجد عنوان بعد هذا البيت :
تكمله حديث موسى عليه السلام فى توبيخ فرهون وتقريحه .

٢٨٠٥ – هـا أنا قد أتيت بالعصا لتأديب كل حمار لا يكون مستجيبا متحليا بالصفات الحسنة .

– وهذه العصا من أجل أن تقوم بتأديبك تنقلب إلى أفعى ، ذلك أنك قد انقلبت إلى أفعى فى فعلك وطبعك .

– إنك أفعى بالجبلة لا ترحم .. لكن انظر اذن إلى أفاعى السماء .

– وهذه العصا جاءت إليك أخذت من الجحيم مذاقا .. فهيا واهرع منها إلى النور .

– وإلا صرت عاجزا بين أسنانى ، ولا يكون لك أى خلاص من سبلى وطرقى[1]

٢٨١٠ – لقد كانت عصا وهى الآن افعى حتى لا تقول : اين جحيم الله ؟ ![2]

فى بيان أن من يعرف قدرة الحق لا يسأل : أين الجنة وأين النار

– حينما يريد الله يجعل عليك هذا المكان جحيما ، ويجعل الأوج فخا وشباكا على الطائر .

– فتحس بالألم فى أسنانك ، حتى تجأر بالصياح : إن الألم كنار الله الموقدة أو كالأفعى .

– أو يجعل ريقك (فى حلاوة) العسل حتى تقول إنها جنة (ذات) حلل .

– وينبت من جذور اسنانك السكر حتى تعلم قوة حكم القدر .

---

(١) ج / ١٠ – ١٠٥ :
فعد من الكفر إلى دين الحق والابقيت ممزقا فى النار إلى الابد – عد أيها الضال الشقى الدنى والانكست فى الجحيم والبيت التالى فى نسخة جعفرى بعد العنوان

(٢) ج / ١٠ – ١١٥ : إن هذا الجحيم ظاهر لكنه مستور عن قلبك يقينا من تأثير جسدك .

٢٨١٥ – إذن فلا تعض الضعفاء بأسنانك وفكر فى ضربة (القدر) الذى لا يحترز .

– إن الحق يجعل النيل دما على قوم فرعون ، ويجعل قوم موسى محصنين من البلاء !

– وذلك لكى تعلم أن هناك عند الحق تمييزا بين اليقظ فى الطريق والثمل .

– وان النيل قد تعلم التمييز من الله فهو لهذا بسط ولذاك قبض شديد .

– إن لطفه يجعل النيل ذا عقل ، لكن قهره يجعل من قابيل جاهلا أبله .

٢٨٢٠ – لقد خلق من كرمه فى الجماد عقلا وبقهره طار العقل من (وجود) العاقل .

– لقد ظهر العقل من اللطف فى الجماد ، ومن النكال (والقهر) هرب العلم من العقلاء .

– لقد انصب عقل كالمطر فى هذا الموضع بالأمر الإلهى والعقل من الناحية الأخرى أبصر قهر الحق وهرب .

– والسحاب والشمس والقمر والنجوم العالية ، كلها تأتى وتمضى بنظام وترتيب .

– ولا يطلع أى منها إلا فى وقته وأوانه ، ولا هى تتأخر لحظة أو تتقدم أخرى .

٢٨٢٥ – ولانك لم تفهم هذا من الأنبياء وضع الله سبحانه وتعالى المعرفة والتمييز فى الحجر والعصا (١)

– وتبدو لك واضحة عيانا طاعة العصا والحجر وهى تخبر عن أحوال الجمادات الأخرى .

---

(١) ج/ ١٠ / ٥١١٠١٠ :

حتى تقيس الجمادات الأخرى بلا التباس على الحجر وعلى العصا .

- (فهى تقول لك) : إننا جميعا على علم من الله ووعى ولسنا هملا ضياعا وبالمصادفة .

- وها أنت تعلم أن ماء النيل عندما آن أوان غرق (فرعون) فرق وميز بين أمتين .

٢٨٣٠ - أو كالأرض فهى عالمة فى وقت الخسف الذى حاق بقارون فقهرته ونسفته .

- ومثل القمر الذى سمع الأمر وأسرع (فى سيره) ثم إنشق على الفلك وصار قسمين (١) .

- مثل الشجر والحصى وهى فى كل مقام أبدت عيانا بيانا رسالة المصطفى .. والسلام

الجواب علي الدهري المنكر للألوهية والذي يقول إن العالم قديم

- كان أحدهم يقول بالأمس إن العالم حادث وأن هذا الفلك فان والحق وارثه .

- فقال له مشتغل بالفلسفة أى علم لك بالحدوث ؟ ! وكيف تعلم الأمطار ان السحاب حادث ؟!

٢٨٣٥ - وأنت نفسك ذرة فى (دوران الافلاك) وانقلابها ، فأى علم لك بحدوث الشمس ؟.

- وتلك الدودة الحقيرة التى تكون مدفونة فى الغائط أى علم لها ببداية الأرض ونهايتها ؟!

- لقد سمعت هذا تقليدا من أبيك ، ومن حماقتك تمسكت به .

---

(١) ج / ١٠ - ٥١٢ : :

مثل الجذع الذى أن لفراق النبى وعلم بذلك العجوز والصبى .

– فأى برهان لديك على حدوث هذا ؟ هيا قله والافاصمت ولا تزد فى القول .

– قال : رأيت فريقين ذات يوم يتجادلان حول هذا البحر العميق .

٢٨٤٠ – كانوا فى تخاصم وجدل وتحد ، وقد تجمع حولهم جماعة من الناس .

– وتقدمت أنا بدورى نحو هذا الجمع لكى أتعرف على أحوالهم .

– كان أحدهم يقول : هذا العالم إلى فناء لكن لابد لهذا البناء من بان !

– فقال آخر : بل هو قديم وبلا زمان وليس له خالق ، بل الخالق هو ذاته .

– قال (الأول) : لقد اصبحت منكرا للخلاق ، مبدع الليل والنهار الرزاق

٢٨٤٥ – قال (الثانى) : لن أسمع منك بلا برهان إن ما تؤمن به عن جهل وتقليد .

– فهيا قدم الحجة والبرهان فإنى لا أسمع إلى هذا بلا برهان فى التو واللحظة .

– قال (الأول) : ان الحجة مرجودة داخل روحى .. لقد وضع لى البرهان داخل الروح .

– انك لا ترى الهلال من ضعف بصرك .. لكنى أراه فلا تغضب على .

– لقد كثر الجدل والخلق حائرون .. حول مبدأ هذا الفلك المزدان ومنتهاه

٢٨٥٠ – قال (الأول) أيها الرفيق إن فى داخلى برهانا وهو حجة على حدوث السماء .

– وأنا موقن بهذا الدليل يقينا شديدا والمتيقن هو الذى يمضى (بيقينه) إلى داخل النار .

– أعلم أن هذه الحجة لا تتأتى على اللسان ، أن مثلها هو مثل حال سر العاشقين .

– فلا يبدو مفسر لقولى على العيان ، اللهم إلا فى اصفرار وجهى ونحولى .

– فالدمع والدم الجاريان على الوجه يصبحان دليلا على حسنه وجماله .

٢٨٥٥ – قال (الثانى) : إننى لا أعتبر هذه الأمور من قبيل البرهان ، هات برهانا يكون مقبولا لدى الجميع .

– قال (الأول) : عندما يتحدث الزيف والصراح النضار ، ويقول كل منهما للآخر : إنك أنت الزائف .. وأنا الصحيح السليم .

– تكون النار هى الامتحان الأخير فعلى كل منها أن يدخل النار .

– ويصبح العامى ومن هو من الخواص على علم بحاليهما ويمضيان من الشك والريب إلى اليقين والتأكيد .

– إن الماء والنار هما أيها الحبيب ، الامتحان بين الصحيح والزائف اللذين يكونا خفيين

٢٨٦٠ – فلنمض أنا وأنت داخل النار ولتقدم الحجة لبقية الحائرين .

– وليسقط كلانا فى اللهيب ليصبح كل منا آية لهؤلاء الخلق .

– وهكذا فعلا ومضيا إلى النار وكلاهما عرض نفسه للهيب النار [(١)]

– ان المدعى المتحدث بالله قد نجا ، اما ذلك المدعى فقد احترق فى النار .

– واستمع إلى المؤذن إنه دائم الإعلان عن هذا الأمر برغم أنف تزيد نفس هذا الساذج الغمر .

٢٨٦٥ – إن هذا الاسم لم يحترق من الآجال والآماد فقد كان المسمى به صدرا أجلا [(٢)]

---

(١) هنا بيت زائد عند يوسف بن أحمد (٤ / ٣٨٤) وعند جعفرى (١٠ / ٥١٥) :
فأحرقت النار المتفلسف وجعلته رمادا لكنها ربت المتقى وجعله أكثر نضره .

(٢) ج / ١٠ – ٥١٥ :
ومئات الالاف من الأرواح وهبت حياتها له وفى سبيله سقطت فى الطريق بأجمعها !!

– ومئـات الالآف مـن أمثـال هذا البرهان قـد كانت طوال القرون بتمزيق حجب المنكرين (وفضحتهم) !

– وعندما تراهنوا (مع العارفين بـالله) غلب الصواب ، دعمته المعجزة وقام دليلا على صدقه دوامه .

– ومن هنا فهمت أن كل من آمن بحدوث العـالم وتحدث عن سـبق وجود الله قد انتصر وهو على حق .

– وحجـة المنكـر دائما مـا هى باهته وداحضة ، فـأين علامة واحـدة على صدق هذا الانكار ؟.

٢٨٧٠ – واين توجـد مئذنة واحدة فى هذا العـالم تثنى على المنكرين حـتى تكون دليلا .

– واين منبر واحد يعتليه مخبر ومذكر يقوم بذكر ايام الإلحاد والإنكار .

– أن وجـوه الدراهم والدنانيـر المزدانة بأسـمـاء (المؤمنين) تـعـد حـتى القيامة دليلا على صدقهم .

– وان عـمله الملوك تتغـيـر وتتبـدل وأنظر إلى سكة أحـمـد عليـه السـلام قائمة وثابتة فى مكانها .

– فأبد لى اسم منكر واحد سكت به عملة ذهبية أو عملة فضية واحدة .

٢٨٧٥ – ودعك من هـذه المعـجـزة الواضـحـة وضـوح الشـمـس وانظـر إلى الذى يتحدث معك بمائة لسان واسمه أم الكتاب !

– ولا أحد يجترىء إلى إسقاط حـرف واحد منه أو إضافة حرف واحد على تلاوته .

– فكن رفيقا للغالبين لكى تصير غـالبا ولا تصاحب المغلوبين وانتبه ايها الغوى .

- وإن حجة المنكر لا تتعدى قوله .. اننى لا أعترف إلا بهذا الظاهر لى فحسب .

- ولم يفكر قط أنه حينما يكون ظاهر فإنه يكون مخبرا عن حكم خفية .

٢٨٨٠ - وإن فائدة كل ظاهر هو الباطن فحسب ، مثلها يكون النفع كامنا فى الدواء [١] .

تفسير الآية الكريمة : وما خلقنا السموات والأرض وما بينها إلا بالحق أى لم نخلقها من أجل ما ترون بل لمعنى وحكمة باقية لا ترونها .

- لا يوجد رسام قط يرسم زينة الصور دون رجاء النفع .. ولمجرد الصورة فى حد ذاتها .

- بل من أجل أن يتخلص الاحباب [٢] والصغار من الهموم عند مشاهدتهم لها .

- بل على الأقل يهدف بها سعادة الأطفال وذكر الأصدقاء لاصدقائهم الماضيين عند رؤية الصورة .

- ولا يوجد فخارى قط يسرع فى صنع آنية .... من أجل الآنية فى حد ذاتها وليس على رجاء الماء .

---

(١) ج / ١٠ - ٥١٤ :

- لقد وضع الله جل وعلا هذا الفرق (بين الظاهر والباطن) حتى يعرفه أهل العرفان فى الدنيا !!

- وإن النسر ليعمر ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة فأى علم للحمامة بذلك ؟!

- ومن الحمام يموت مئات الآلاف ودون أن ترى موت نسر واحد !!

- فهى تظن بأجمعها أن النسر باق لقد أخطأت وظنت ببقاء أحد .

- عندما صاروا ناظرين إلى الظاهر من جهلهم لا يرون من العمى ما قدامهم ووراءهم .

- فلا شعرة واحدة تبقى فى هذا العالم « كل شئ هالك إلا وجهه »

- أن كل ما هو ظاهر من أجل معنى (باطن) فانظر إلى باطنه ولا تقف عند الظاهر !!

(٢) حر : الضيوف .

٢٨٨٥ – ولا يوجد صانع أطباق يتم صنع طبقة من أجل الطبق .. لا من أجل الطعام .

– ولا يوجد خطاط يكتب الخط بفن من أجل الخط فى حد ذاته لا من أجل أن يقرأ (هذا الخط) .

– إن الصورة الظاهرة الحاضرة تكون من أجل صورة غائبة ، وهذه فى حد ذاتها مرتبطة بغائب أخر .

– وهكذا حتى الغائب الثالث والرابع بل العاشر وهذه الفوائد تكون بقدر النظر .

– مثل ألعاب الشطرنج يابنى ، أنظر إلى فائدة كل لعبة فى اللعبة التى تليها .

٢٨٩٠ – لقد وضعوا (هذه القطعة) من أجل تلك الخطة الخفية وتلك من أجل أخرى ، والأخرى من أجل الثالثة .

– وهكذا رأيت الأدوار تكون متداخله ومتصلة ببعضها حتى تصل إلى القضاء على الملك .

– وتكون الأولى من أجل الثانية كالصعود على درجات السلم .

– واعلم أن الثانية تكون بالطبع من أجل الثالثة لكى تصل درجة بدرجة إلى السطح .

– وشهوة الطعام والأكل من أجل (تكثير) المنى .. ذلك المنى الذى يكون من أجل الولد ... الذى هو ضياء (للعين) .

٢٨٩٥ – وكليل الصبر لا يرى غير هذا (الذى هو حاضر) ، وعقله لا انطلاق له .. كأنه نبات الأرض .

– فالنبات ثابت القدم مغروس فى الطين .. سواء دعوته اليك أم لم تدعه .

- ولو تحركت رأسه وفق حركة الريح .. لا تنخدع أنت لتحريكه لرأسه !
- فرأسه تقول : لقد سمعنا أيها الصبا .. لكن قدمه تقول : عصينا ، خلنا
- وهو (أى كليل البصر) لا يعرف الانطلاق فهو يساق كالعامى ويخطو بقدمه على التوكل كالأعمى .

٢٩٠٠ - أنه على التوكل (منتظر) ما تسفر عنه المعركة ، إنه يكون مثل توكل لاعبى النرد .
- وتلك الأنظار التى لا تكون ذابلة جامدة ، ليست الانافذة ممزقة للحجب
- فيبدو لها ما سوف يحدث بعد عشرة سنوات ، وتراه العين فى التو واللحظة .
- وكل انسان بقدر نظره ، يرى الغيب والمستقبل بخيره وشره .
- إذ لم يبق هناك سد من بين يديه أو من خلفه ، لقد صارت العين نفاذة وقرأت لوح الغيب .

٢٩٠٥ - وعندما عاد بنظره إلى بداية الوجود ، ظهرت الوقائع وأسفرت بداية الوجود عن وجهها .
- كمناقشة الملائكة الأرضيين الله سبحانه وتعالى حول تنصيب آدم أبينا خليفة (فى الأرض) .
- وعندما القى نظره إلى الامام ... رأى ما سوف يكون حتى الحشر عيانا
- عندما يعود إلى الوراء تدريجيا يرى أصل الأصل ، ويرى ما سوف يحدث حتى يوم الفصل .
- وكل امرىء بقدر نور قلبه ، يرى الغيب بقدر صفائه وجلاء قلبه .

٢٩١٠ – فكل من صقل قلبه أكثر يرى أكثر وتبدو له الصور (فى هذا القلب) أشد وضوحا .

– فاذا قلت أن هذا الصفاء هو أيضا فضل فى الله وأن التوفيق فى صقل القلب من عطائه تعالى .

– (ينبغى أن أقول) : أن ذلك الجهد والدعاء يكون بقدر الهمة ، « وليس للانسان إلا ما سعى » .

– وإن كان واهب الهمة هو الله سبحانه وتعالى ، فان كل خسيس لا تكون له همة الملوكية .

– وليس هناك تخصيص من الله للإنسان بعمل مانع للحرية والمراد والاختيار .

٢٩١٥ – لكنه عندما يبتلى سيئا بمحنة ما ، فانه سرعان ما يهرع إلى الكفران .

– لكن السعيد عندما يبتليه الله ، يزداد تقربا منه سبحانه وتعالى .

– ولقد إختار الجبناء أسباب الهزيمة فى القتال ، عندما خافوا على أرواحهم .

– بينما هاجم الشجعان الصفوف فى الحرب لنفس السبب وهو الخوف على أرواحهم .

– ولأمثال رستم يكون الخوف والحزن (على الروح) دافعا إلى التقدم ، ومن الخوف أيضا مات ذلك الجبان فى جلده .

٢٩٢٠ – وهكذا فإن البلاء والخوف على الروح من قبيل المحك فمنه يظهر الشجاع من الجبان [1] .

---

(١) ج / ١٠ – ٥٣٠ : والنتيجة أن كل من هرب نتيجة لوسوسة فى كل صوب انما فر من القضاء إلى القضاء .

وحى الحق لموسي عليه السلام : يا موسى

أنا الخالق أحبك

– لقد قال الله تعالى لموسى بوحى القلب : ايها المختار المصطفى إننى أحبك .

– قال : اية خصلة فى ياذا الكرم سببت (هذا الحب) حتى أزيد فيها .

– قال الله سبحانه وتعالى : قال لأنك معى كالطفل مع والدته يتشبث بها حتى عند غضبها عليه .

– ولا يعلم لأحد وجودا سواها ، فهو ثمل بها ... وهو فى خمار منها .

٢٩٢٥ – وإن قامت أمة بصفعه ، فهو يهرع إليها أيضا ويتمسك بها .

– ولا يطلب عونا من أحد إلا منها ، فهى كل خيره وكل شره .

– وأنت أيضا متعلق الخاطر بنا فى الخير والشر ولا يلتفت هذا الخاطر إلى أى موضع آخر .

– وما سواى بالنسبة لك كالحجر والمدر .. سواء كان صبيا أو شابا أو شيخا .

– ومن ثم فإنك عندما تقول « اياك نعبد » متضرعا فانك تعنى اننا « لا نستعين » بغيرك فى البلاء .

٢٩٣٠ – وإياك نعبد هى لغة للحصر وهى من أجل نفى الرياء .

– وإياك نستعين هى ايضا للحصر ، فقد حصرت الاستعانة وقصرتها (على الله) .

– وهى تعنى : أننا نعبدك أنت فحسب وننتظر منك – لاسواك – العون .

غضب الملك علي النديم وشفاعة أحد الشفعاء له وقبول الملك شفاعته وتألم النديم من الشفيع قائلا له : لماذا شفعت ؟

– لقد غضب أحد الملوك على أحد الندماء ، فهم بعقابه وإهلاكه .

– وسل الملك السيف من غمده ، حتى يضربه به جزاء لما بدر منه من خطأ .

٢٩٣٥ – ولم يكن أحد يجرؤ على الحديث ، وأن يقوم أحد الشفعاء بالشفاعة .

– اللهم إلا أحد الخواص وكان اسمه عماد الملك .. كان ذا مكانه خاصة فى الشفاعة كالمصطفى .

– فنهض (من مجلسه) وأسرع بالسجود ، فوضع الملك سيف الغضب من يده فى التو واللحظة .

– وقال : لقد عفونا عنه حتى وإن كان شيطانا وتجاوزت عن جرمه وإن كان فى حجم جرم إبليس .

– ومادمت أنت قد تشفعت فانني رضيت ، حتى وإن كان المجرم قد أحدث خسارة فادحة .

٢٩٤٠ – وأستطيع أن أكظم مئات الآلاف (من أنواع) الغضب فان لك عندى هذا القدر وهذا الفضل .

– ولا استطيع أبدا أن أرد لك ضراعة ، فإن ضراعتك هى ضراعتى على وجه اليقين .

– هذا بالرغم من أنه لو كانت السماء والأرض قد انقلبت رأسا على عقب لما أنصرفت عن الانتقام من هذا الرجل .

– ولو كل ذرة منه قد صارت متضرعة لى ، لما نجا برأسه من حد هذا السيف .

– ونحن لانمن عليك بهذا أيها الكريم ، لكن هذا إعلان لعزتك عندنا أيها النديم .

٢٩٤٥ – فانت لم تقم بهذه الشفاعة بل قمت بها أنا يقينا ، يامن صفاتك قد فنيت فى صفاتى

– انك مستعمل فى هذا ولست عاملا ، إنك محمول على وجودى ولست حاملا لوجودك .

– لقد صرت مصداقا لـ « مارميت إذ رميت » وتركت نفسك فوق الأمواج كأنك الزبد .

– لقد صرت فناء ، فاتخذ لك مكانا إلى جوار الوجود .. فواعجباه إنك أمير (بى) أسير (بنفسك) فى نفس الوقت .

– إن ما أعطيته أنت لم تعطه بل أعطاه الملك ، وهو كاف والله أعلم بالرشاد .

٢٩٥٠ – لكن ذلك النديم الذى نجا من الضرب بالسيف والبلاء ، تضايق من ذلك الشفيع وارتد عن ولائه له .

– وقطع صداقته عن ذلك المخلص تماما ووجه وجهه إلى الحائط كى لا يقرؤه السلام .

– صار كالغريب تماما عن شفيعه هذا ، وتحير الخلق من هذا الأمر وإزدادت دهشتهم .

– وصار يتساءلون : إنه ليس مجنونا ... فكيف قطع وده عن ذلك الإنسان الذى اشترى روحه .

– لقد شراه تلك اللحظة من ضرب العنق ، وكان ينبغى فى مقابل هذا أن يكون ترابا لحذائه .

٢٩٥٥ – لكنه تصرف عكس ما كان ينبغي وغضب عليه وزادت حفيظته على مثل هذا المواسى العطوف .

– لقد لامه أحد الساعين بالصلح فى هذا الأمر قائلا له : كيف تقابل ناصحاً لك مشفقا عليك بهذا الجفاء .

– إن ذلك العطوف المقرب (من الملك) قد اشترى روحك ، ونجاك فى تلك اللحظة من ضرب العنق .

– فان كان قد أساء لا يجب أن تقاطعه ، فما بالك وقد احسن إليك هذا الصديق الحميد .

– فأجاب : إن الروح مبذولة من أجل الملك ، فلماذا يقوم هو بالشفاعة .

٢٩٦٠ – فى نفس تلك اللحظة ، كان « لى مع الله وقت » لا يسعنى فيه نبى مجتبى .

– فانا لا أريد رحمة إلا أن يطعننى الملك (بالسيف) وليس لى سوى هذا الملك ملاذا .

– ومن أجل هذا نفيت كل ما سوى الملك ... ذلك أن ولائى كله للملك فحسب .

– فلو قام بقطع رأسى غضبا منه على ، لوهبنى بدلا من روحى ستين روحا .

– ولاعمل لى إلا التضحية والانسلاخ عن الذات ، وعمل مليكى ليس إلا منحى الروح .

٢٩٦٥ – والفخر لتلك الرؤوس التى قطعها كف مليكى والعار لتلك الرأس التى تحيا بالغير .

– والليل الذى سوده المليك بالقار غضبا منه عليه يزرى بآلاف أصباح الاعياد .

– وطواف ذلك الذى يكون ناظرا للمليك ، يكون فوق القهر واللطف والكفر والدين .

– ولا توجد عبارة فى الدنيا قد عبرت عن هذا الطواف العلوى ، ذلك لأنه شديد الخفاء .

– وذلك لأن هذه الأسماء والألفاظ الحميدة إنما ظهرت مناسبة لجسد آدم

٢٩٧٠ – لقد كانت « علم الاسماء » إماما ودليلا لآدم ، لكن هذا التعليم لم يكن فى لباس الحروف .

– لقد وضع آدم من الماء والطين تاجا على رأسه ، وكانت تلك الأسماء روحية طاهرة – فضاقت ذرعا .

– فاتخذت هى الأخرى من الحروف والنطق نقابا ، حتى تصير المعانى واضحة للماء والطين (١) .

– وإذا كان المنطق كاشفا من وجه واحد لكنه حجاب ساتر من عشرة وجوه .

قول الخليل لجبريل : أما اليك فلا
عندما سأله عن حاجته

– إننى خليل الوقت وهذا (الشفيع بمثابة)جبريل ، وانا لا أريده دليلا لى (للخروج) من البلاء (٢) .

٢٩٧٥ – إنه لم يتعلم الأدب من جبريل العظيم لقد سأل الخليل فى البداية عن مراده .

---

(١) ج / ١٠ – ٥٤٧ :
وإذا كان قد خلصنى من غضب الملك ، فان الملك نفسه هو موئلى وملاذى . وواضح أنه فى غير موضعه .

(٢) هذا البيت قبل العنوان عند جعفرى : (١٠ / ٥٤٧) .

- قـائـلا : مـاذا تـريـد حـتـى أمد إليك يد العون ، وإلا مضـيت إلى حال سبيلى ولم أثقل عليك .

- قال إبراهيم : لا ... إمض إلى حال سبيلك ، فالواسطة تكون تكلفا بعد العيان .

- والرسول هو الواسطة فى هـذه الدنيا بالنسبة للمؤمنين فهو الرابطة (بينهم وبين الله) .

- ولو كان كل قلب سامعا للوحى الخفى ... فمتى كان الصوت والكلام يخلقان فى الدنيا ؟ !

٢٩٨٠ - وبالرغم من أنه (أى عماد الملك) ممحو من الحق فاقد لرأسه ، فان امرى أنا أدق من هذا !

- أن فعله هو فعل المليك لكن الذى أبداه ، بدا شرا أمام ضعفى وتسليمى

- وما يكون اللطف بعينه على العوام ، يصبح قهرا بالنسبة للمدللين الكرام .

- ومن ثم ينبغى على العوام أن يتعجلوا العناء والبلاء حتى يمكن لهم رؤية الفرق (بين اللطف والقهر) .

- فإن هذه الكلمات التى تعد واسطة أيها الصديق الحميم ، هى بالنسبة للواصل تكون بالتأكيد شوكا (فى الطريق) .

٢٩٨٥ - ومن ثم وجب البلاء والعناء والتحير ، حتى تتخلص هذه الروح الصافية من (واسطة) الكلمات .

- ذلك أن بعضهم قد صاروا أكثر إعوجاجا من هذه الكلمات ، وبعضهم أيضا صار أكثر صفاء وسموا .

- أن هذا البلاء مثل ماء النيل ، هو ماء للسعداء ودم للأشقياء .

– وكل من هو أكثر رؤية للعواقب أكثر سعادة ، وذلك الذى حصل على ثمر أكثر يزرع بجد أكثر .

– وذلك لأنه يعلم أن هذه الدنيا مزرعة ، (نعم مزرعة) بخيرها وشرها .

٢٩٩٠ – ولا يكتب عقد قط من أجل ذاته ، بل يكتب فى موضع الربح والنفع .

– وإذا نظرت لن تجد منكرا قط يكون إنكاره من أجل الإنكار فى حد ذاته

– بل من أجل الانتصار على خصم يحمل له حسدا ، أو من أجل طلب الزيادة وإظهار النفس .

– وطلب الزيادة بدوره من أجل الطمع فى شىء آخر .. ولا طعم للصور إن لم يكن ثم معنى .

– ومن هنا تسأل لماذا (رسمت) هذه الصورة ؟ ! فالصورة كالزيت بالنسبة للمصباح والمعنى هو النور .

٢٩٩٥ – وإلا فلماذا التساؤل عن السبب ... إن كانت الصورة من أجل الصورة فى حد ذاتها ؟.

– فالتساؤل بـ « لماذا » هو من أجل البحث عن الفائدة ، وفى غير هذه المواضع يكون استخدامها سيئا .

– فمن أجل أى شىء تبحث عن الفائدة أيها الأمين ، أن كانت فائدة الشىء هى الشىء فى حد ذاته ؟.

– وليس من الحكمة إذن صور السماء وأهل الأرض ، إن كانت قد خلقت من أجل ذاتها

– فان لم يكن سبحانه وتعالى حكيما فما هذا النظام ؟. وإذا كان حكيما فكيف يكون فعله عبثا .

٣٠٠٠ – وهل ثم أحد يزين حمامه ويتخضب إلا من أجل هدف سواء كان هذا الهدف صوابا أو غير صواب .[١] .

سؤال موسى عليه السلام الخالق سبحانه وتعالى :
خلقت خلقا وأهلكتهم وتلقيه الجواب

– قال موسى : ياإله (يوم) الحساب .. لقد صورت فلم هدمت ما قد صورته ثانية ؟!

– لقد صورت الذكر والأنثى فى صورة تشرح الصدور ولم تلبث أن أهلكتهم فلماذا ؟!

– قال الحق : انني أعلم أن هذا السؤال منك ، ليس دافعه الإنكار والغفلة والهوى ..

– وإلا لقمت بتأديبك وعقابك .. ولقمت بإيذائك من جراء هذا السؤال .

٣٠٠٥ – لكنك تريد أن تبحث عن الحكمة فى أفعالنا ، وتريد أن تصل إلى سر البقاء .

– وذلك حتى تنقل معرفتك بها إلى كل عامى ، وحتى تحول السذج من الناس إلى محنكين ناضجين .

– أيها الطالب ، أنك تسأل من أجل أن يكشف الأمر للعوام بالرغم من أنك واقف (على كل الأسرار) .

– وذلك لأن السؤال هو نصف العلم ، وليس لكل ناظر إلى ظواهر الأمور مجال (مثل هذا السؤال) .

– وكلاهما ينبعان من العلم ، أى السؤال والجواب ، كما ينبت الشوك والورد كلاهما من الماء والتراب .

---

(١) ج / ١٠ – ٥٥٣ :

وكل ما تراه فى الدنيا من آيات هى من أجل معنى ومن أجل حكمة !!

٣٠١٠ – وكلاهما : أى الضلال والهدى ينبعان من العلم ، كما يظهر الحلو والمر من تأثير الندى .

– ومن التعارف (بين الناس) ينبع البغض وينبع الولاء . مثلما تتأتى الصحة ويتأتى السقم من الغذاء الجيد .

– لقد تظاهر الكليم بطلب الفائدة وتظاهر بالجهل وذلك حتى يجعل الجهلاء علماء بهذا السر .

– ولنجعل أنفسنا بدورنا جهالا أمامه لنضع الجواب الذى جاءه أمامنا وكأننا على غير علم به .

– لقد تظاهر باعة الحمير بالخصومة بينهم وبين أنفسهم وذلك حتى تتم الصفقة التى هم بسبيلها .

٣٠١٥ – ثم قال الله تعالى ياذا اللباب مادمت قد سألت ، فتعال واسمع الجواب .

– وازرع يا موسى بذرة فى باطن الأرض حتى تصل بنفسك إلى الجواب فى هذا الأمر .

– وعندما رزع موسى .. وتمت زراعته .. استوت سنابلها طيبة منتظمه .

– فتناول المنجل وطفق يحصدها ، فبلغ مسمعه نداه من الغيب .

– قائلا : لماذا تقوم بالغراس وترعى زرعك .. قم تقوم بقطعه وحصاده عندما يكتمل ؟!

٣٠٢٠ – قال : يا إلهى .. إننى أقطع وأحصد وأدرس .. ذلك لأن الحصاد يحتوى على الحبوب والتبن .

– والحبوب لا تليق بمخزن التبن .. كما أن وجود التبن فى مخزن القمح من قبيل الفساد .

– ولا يكون من الحكمة أن يوضعا معا بل ينبغى أن يفصل كل منها عن الاخر عند التذرية والغربلة .

– فقال الله تعالى : من أين وجدت هذه المعرفة حتى أملت عليك حكمتك أن تقيم بيدرا .

– قال لقد وهبتنى التمييز يا الله فأجابه : فكيف لا يكون لدى أنا تمييز ؟!

٣٠٢٥ – إن هناك من بين الخلائق أرواحا طاهرة ، كما أن من بينها أرواحا كدرة علاها الطين .

– وهذه الاصداف ليست كلها فى مرتبة واحدة ، فبعضها يحتوى الدر وبعضها الأخر ليس فيه إلا « سبه » (١) .

– ومن الواجب أن تفصل بين هذا الصالح والطالح ، مثلها تقوم أنت بفصل القمح عن التبن .

– لقد خلق هذا العالم من أجل إظهار (هذه الحكمة) وذلك حتى لا تبقى كنوزها مدفونة مخفية .

– فاستمع إلى كنت كنزا مخفيا .. ولا تفقد جوهرك وقم بإظهاره .

بيان أن الروح الحيوانية والعقل الجزئي والوهم والخيال مثل المخيض ، والروح الباقية مخفية كما يختفي الزيت في هذا المخيض

٣٠٣٠ – لقد اختفى جوهر الصدق منك فى باطلك ، كما يختفى طعم الزيت فى طعم المخيض .

– وباطلك هو جسدك الفانى ، أما صدقك فهو تلك الروح الربانية .

– ولسنوات طويلة ومخيض الجسد هذا ظاهر ومعلن ، لكن زيت الروح مخفى فيها ومتلاش .

---

(١) فى النص الفارسى « شبه وهو نوع من الحجر أسود اللون عديم القيمة .

– حتى يرسل الله سبحانه وتعالى عبدا رسولا ، يكون محركا للمخيض في قريته .

– وحتى يحرك بنسق ونظام وفن ، حتى أعلم « أنا » أن هناك « أنا » أخرى محفية داخلى .

٣٠٣٥ – أو (يرسل) كلاما من عبد يكون بضعه منه ، فيتسلل إلى أذن ذلك الذى يكون باحثا عن الوحى .

– وإن أذن المؤمن تكون واعية لوحينا ... ومثل هذه الأذن تكون مقترنة مع الداعى !

– كأذن الطفل بالنسبة لكلام أمه ، تمتلىء به ، فلا يلبث أن ينطق هو بالكلام .

– وإن لم يكن لدى الطفل أذن راشدة ، فإنه لا يستمع إلى كلام أمه ويتحول إلى أخرس .

– وكل أصم بالميلاد يصبح أخرس والناطق هو ذلك الذى ولد سميعا .

٣٠٤٠ – فاعلم أن الأصم والأخرس كليهما عنده آفة ، فلا يكون قابلا لأنفاس الشيخ وتعليمه (١) .

– والذى يكون ناطقا بلا تعليم هو الله سبحانه وتعالى ، ذلك ان صفاته غير مرتبطة بأسباب أو علل .

– أو يكون كآدم لقنه الله سبحانه وتعالى ، دون وجود واسطة الأم والحاضنة وما إلى ذلك .

---

(١) فى نسخة جعفرى : (١٠ / ٥٦٣) بيتان يحتويان على معنى هذا البيت :
ومن تكون إذنه صماء ويكون أخرس من آفة ، كأن تكون اذناه اصيبتا بعله ما يكن غير قابل للتعليم وأنفاس (الشيخ) فلا جرم الا يسلم له بالنطق .

– أو يكون كالمسيح الذى من تعليم الودود ، كان ناطقا منذ أن جىء به إلى الوجود .

– وذلك من أجل أن يدفع التهمة عن والدته ، ومن أجل أن يبين أنه لم يولد من زنا أو فساد .

٣٠٤٥ – ومن ثم تنبغى حركة ويلزم جهد ، حتى يرد المخيض ذلك الزيت من داخله .

– فالزيت موجود فى المخيض لكنه كالعدم ، ذلك أن المخيض هو الظاهر المعلن فى الوجود .

– فما يبديه وجودك اذن هو القشر ، لكن ما يبدو فانيا هو اللب والأصل .

– وهذا المخيض الذى لم يفصل زيته عنه وصار قديما ، لا تستخدم دون أن تنقى الزيت منه .

– فهيا أدره يدا بيد بمعرفة وفن ، حتى لا يبقى داخله ما قد أخفاه عنك :

٣٠٥٠ – ذلك أن الفانى يكون دليلا على الباقى ، وصياح السكارى دليل على وجود الساقى(١) .

مثال آخر ايضا في هذا المعنى

– إن الألعاب التى يقوم بها ذلك الأسد المرسوم على العلم ، تخبر عن وجود رياح خفية

– وإن لم توجد ثم حركة من الرياح ، متى كان الأسد الميت يتحرك فى الهواء ؟!

– ومن ذلك تعلم أن تلك الرياح سواء كانت صبا أو دبورا ، هى التى تفسر هذا الامر الخفى .

---

(١) ج / ١٠ – ٥٦٤ : والزيت مختفى فى المخيض ، يكون لك ما تصنعه منه !!

– أن هذا البدن يشبه أسد العلم ، يحركه الفكر لحظة بعد لحظة .

٣٠٥٥ – والفكر الذى يتأتى من المشرق هوالصبا ، لكن الفكر الذى يأتى من المغرب هو الدبور والوباء .

– إن مشرق ريح الفكر هو مشرق آخر ، ومغربها إنما يكون من الناحية الأخرى .

– إن القمر جماد ويكون مشرقه جمادا ومشرق روح الروح هو الفؤاد .

– ومشرق تلك الشمس التى صارت مضيئة للباطن ، إنعكاسه القشرى الظاهر هو شمس النهار هذه .

– ذلك أن الجسد عندما يكون ميتا لالهب (للحياة) فيه ، لا يبدو أمامه ليل أو نهار .

٣٠٦٠ – وإن لم يوجد هذا الشعاع فما دامت شمس الروح موجودة ، فانها تنتظم دون ليل أو نهار .

– مثلما تبصر العين فى النوم الشمس والقمر ، دون أن يكون هناك شمس أو قمر .

– فإذا كان نومنا قد صار أخ الموت يافلان ، فاعلم ذلك الأخ من هذا الأخ .

– وإذا قيل لك أن ذلك النوم هو فرع لهذا النوم ، فلا تستمع إلى هذا ايها المقلد الذى لا يقين لديه ...

– إن روحك ترى فى النوم وصف حال لاتراه فى اليقظة خلال عشرين عاما .

٣٠٦٥ – وفى أثر تعبير هذا الحلم تسعى لأعمار متسائلا من سلاطين الدهاء .

– قائلا : بينوا لى تفسير هذا الحلم ، ومن الكلبية اذن أن يسمى مثل هذا السر فرعا .

– إنه حلم العوام (الذى يمكن اعتباره فرعا) لكن أحلام الخواص تكون فى حد ذاتها إجتباء واختصاصا .

– فينبغى أن يكون هناك فيل حتى يرى فى الحلم عندما يغفو واقفا أرض الهند .

– فالحمار لا يرى الهند فى نومه على الإطلاق ، فإن الحمار لم يغترب عن الهند .

٣٠٧٠ – فينبغى أن تكون الروح شديدة العظمة كأنها الفيل ، حتى تستطيع أن تسرع إلى الهند أثناء النوم .

– إن الفيل يذكر الهند أطراف النهار وذكره هذا يتخلق فى الرؤى أثناء الليل .

– إن ذكر الله سبحانه وتعالى ليس عمل كل حثالة دعى ، أما خطاب (ارجعى) فليس موجها إلى قدم كل محتال فدم .

– لكن مع هذا لاتقنط من رحمة الله ... وكن فيلا ، وان لم تكن فيلا فاسع فى أثر التبديل .

– وانظر إلى صناع كيمياء (تبديل) الفلك ، واستمع من صناع الميناء كل كل لحظة إلى طنين (العمل) .

٣٠٧٥ – وهناك مصورون فى جو الفلك ، يهيئون الأمور من أجلى ومن أجلك .

– وإذا لم تكن ترى الخلق ذوى الجيوب المسكية ، فانظر أيها الاعشى هذا المرض .

– وهناك أذى فى كل لحظة على إدراكك .. وانظر إلى النبات ينمو من ترابك أولا بأول .

– ومن هذا القبيل رأى إبراهيم بن أدم أثناء النوم ، ابنساط هند القلب بلا حجاب .

– فلا جرم أنه حطم القيوم ، وهجر المملكة واختفى .

٣٠٨٠ – إن أمارة مشاهدة الهند فى النوم ، أن يفزع المرء من النوم ، ويصير مجنونا .

– ويذرو التدابير بالتراب ، ويمزق حلقات القيود .

– كما قال رسول الله عن النور ، أن أمارته تكون موجودة فى الصدور .

– بحيث يتجافى المرء عن دار الغرور ، وينيب إلى دار السرور .

– ومن أجل تفسير حديث المصطفى هذا ، استمع إلى حكاية يا رفيق الصفاء .

حكاية ذلك الأمير الذي اتجه اليه الملك الحقيقي ، فصارت الآية الكريمة « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه » نقد وقته ، فهذا التل من التراب ملوكية عند من هم في طبع الأطفال وما يسمونه الاستيلاء على القلاع ، فذلك الطفل الذي يتغلب (فى اللعب) يصعد على تل من تراب .. ويصيح : هذه القلعة لي .. ويحسده الأطفال الآخرون مصداقا لـ « التراب ربيع الصبيان » وعندما تخلص ذلك الأمير من قيد الألوان قال : إنني إرى هذا التراب الملون هو نفس هذا التراب الوضيع ولا أعتبره حريرا واطلس وطيلسان ، لقد نجوي من هذا الطلب ومضيت إلي الناحية ذات الطرف الواحد « وآتيناه الحكم صبيا » فلا حاجة لإرشاد الحق بمرور السنين وفي قدرة « كن فيكون » لا يتحدث أحد عن القابلية .

٣٠٨٥ – كان لأحد الملوك ابن صبى ، مزدان بالفضل ظاهرا وباطنا .

– فرأى فيما يرى النائم أن هذا الابن قد مات فجأة ، فتكدر صفو العالم على ذلك الملك .

– لقد تيبست قربته من حرارة النار ، بحيث لم يبق لديه دمع من حرارة نار (الحزن) .

- وامتلأ الملك بالدخان والألم ، بحيث لم تكن الآهة تجد طريقا من داخله .

- وأوشك على الهلاك .. وهد جسده ، لكن العمر كانت فيه بقية فعوفى من مرضه .

٣٠٩٠ - وأحس بفرحة عند يقظته ... لم يكن قد أحسن بمثلها طوال عمره .

- بحيث كان سيهلك من الفرح ، إن هذه الروح وهذا الجسد محاصران بهما دائما .

- إن هذا المصباح يموت بنفخة حزن ، ويموت أيضا بنفخة فرح ، وما أعجبه من أمر .

- وهو حى بين هذين الموتين ، فياله من حصار هذا مضحك مثير للسخرية .

- فحدث الملك نفسه قائلا : لابد أن لهذا السرور سببا ، لقد كان سببه ذلك الحزن الذى ابتلانى به الله .

٣٠٩٥ - فواعجباه من شىء يكون أحد وجهيه موتا ، لكن وجهه الآخر يكون إحياء وزادا .

- وهذه الحال تكون هلاكا بالنسبة لأحدهم ، ثم تكون فى وجهه أخرى حياة .

- إن السرور بالنسبة للحياة الدنيا كمال ، ولكنه فى الآخرة نقص وزوال

- فاقرأ عن تعبير الضحك فى النوم ، إنه البكاء بأسف وأحزان .

- وتعبير البكاء فى النوم هو السرور والفرح ، هكذا فى (كتب) التفسير يا صاحب المرح .

٣١٠٠ - لقد فكر الملك : لقد مضى هذا الحزن بدوره ، لكن الروح صارت سيئة الظن من حال كهذا الحال .

– فإن أصابت القدم شوكة كهذى ، وتمضى عن زهرتى .. فينبغى لى ذكرى منها .

– ولما كان للفناء أسباب لا نهاية لها ، فأى طريق من طرقه نسد يا ترى ؟!

– وهناك مائة كوة وباب تفضى إلى لدغة الموت ، تصر صريرا أثناء فتحها .

– وأذن الحريص من حرصها على الزاد ، لا تسمع الصرير المر لأبواب الموت .

٣١٠٥ – فآلام الجسد هى صرير الأبواب ، والعداوة من ناحية الخصوم هى صرير الأبواب .

– فاذهب أيها الأخ الحبيب واقرأ فهرست كتب الطب لحظة ، وانظر إلى نيران العلل الملتهبة .

– ذلك أن لكل هذه الأمراض طريقا إلى هذه الدار ، وكل خطوة فى هذا الطريق أو خطوتين مليئة بالعقارب النشطة .

– إن الإعصار شديد ومصباحى ضعيف خافت فلأسرع ولأضىء منه مصباحا آخر .

– ربما يفى أحد المصباحين ، لو أن الريح اقتلعت ذلك المصباح الآخر .

٣١١٠ – مثل العارف الذى أضاء من مصباح الجسد الناقص شمع القلب ، من أجل فراغ فؤاده .

– بحيث إن مات مصباح الجسد ذات يوم فجأة ، يضع أمام عينه شمس الروح .

– لكن (الملك) لم يفهم هذا من غروره ، فاستبدل شمعه فانية بشمعه أخرى فانية (١)

---

(١) ج / ١٠ – ٥٧٨ :

لقد فكر فى حيلة ولا حيلة فقال : إن الخروج (من هذا الورطة) لا يتأتى فى المراد .

تزويج الملك ابنه خوف انقطاع نسله

– إذن ينبغى البحث عن عروس له ، حتى يكون له نسل من هذا الزواج .

– فإذا مضى هذا البازى ثانية نحو الفناء ، يصبح فرخه من بعده بازيا مرة ثانية .

٣١١٥ – وإن مضت صورة هذا البازى من هذا المكان ، فإن معناه يبقى فى ولده .

– ومن هنا قال ذلك الملك النبيه أى المصطفى : إن الولد سر أبيه .

– ومن أجل هذا المعنى أيضا فإن كل الخلق يشغفون بتعليم أولادهم حرفهم .

– حتى تبقى معانيهم فى الدنيا ، عندما تغيب أجسادهم وتختفى (تحت التراب) .

– ولقد ألبس الله تعالى بحكمته حرصهم هذا لباس الجد ، وذلك من أجل رشد كل صغير مستعد .

٣١٢٠ – وأنا أيضا من أجل دوام نسلى ، أريد لابنى زوجة حسنة الدين .

– إننى أريدها فتاه من نسل أحد الصالحين لامن نسل أحد الطالحين حتى وإن كان ملكا .

– وإن السلطان على وجه الحقيقة هو ذلك الصالح الحر وليس ذلك الأسير (لشهوة) الفرج والحلق .

– لقد لقبوا أسرى (الدنيا) بالملوك ، ومن قبيل تسمية الضد مثلما كان اسم ذلك الأسود كافور .

– وصارت المفازة اسما على البادية المهلكة وسمى العوام ذلك الأبرص بمسعود الخظ .

٣١٢٥ – ومن أجل أسير الشهوة والغضب والأمل وضعوا ألقابا وكتبوها : الأمير أو الصدر الأجل .

– لقد سمى العامى أسرى الأمل أولئك بالأمراء الأجلاء فى البلاد .

– وينادون بالصدر من هو فى صف النعال وروحه دنية على أساس من الجاه والمال .

– وعندما اختار الملك أحد الزاهدين ، بلغ هذا النبأ مسامع الحريم[1] .

اختيار الملك ابنة درويش زاهد لابنه واعترض الحريم وشعورهن بالعار من مصاهرة درويش

– لقد قالت أم الأمير من نقص عقلها إن شرط الكفاءة موجود فى العقل والنقل !

٣١٣٠ – وإنك من البخل والشح والدهاء ، تريد أن تربط ولدنا بأحد الشحاذين .

– قال (الملك) : إن تسمية الصالح بالشحاذ خطأ ، فهو غنى القلب بعطاء الله .

– أنه يلجأ إلى القناعة من تقواه ، لا من اللؤم والكسل كما يفعل الشحاذون .

– وإن القلة التى تكون من القناعة والتقى ، تكون مختلفة عن القلة عند الأدنياء وفقرهم .

– فإن « الدنى » إن وجد حبة واحدة (من الذهب) يطأطىء رأسه لكنه « القانع التقى » يفر بهمته من كنز الذهب .

٣١٣٥ – وإن الملك الذى يرتكب من الحرص كل حرام لا بد وأن يسميه كل ذى همة شحاذا .

– قالت : أين المدن والقلاع التى تكون ضمن جهازها وأين الجواهر التى سوف تنثرها واين (بدرة) الدنانير ؟

---

(١) هذا البيت بعد العنوان عند جعفري (١٠ / ٥٨٥) .

– قال : اذهبى ، فكل من اختار هم الدين ، فقد كفاه الله بقية هموم (الدنيا) .

– لقد تغلب (رأى) الملك وزوجه فتاة من نسل أحد الصالحين حسنى الأصل .

– ولم يكن لها نظير فى جمالها ، لقد كان وجهها أكثر تألقا من شمس الضحى .

٣١٤٠ – هذا عن حسن الفتاة أما خصالها ففيها من الحسن ما لا يستوعبه بيان .

– فصد ذات الدين حتى يصل إليك تبعا له : الحسن والمال والجاه والحظ والسعيد .

– وأعلم أن اختيار الآخرة مثله كأنك تختار قافلة من الإبل ، تكون الدنيا لها تبعا ، كما يتبع امتلاك القافلة امتلاك الشعر والصوف والبعر .

– لقد اخترت الصوف ولا إبل لك ، فإن وجدت الإبل ما قيمة الشعر ؟ !

– وعندما أتم الملك عقد ذلك النكاح .. مع نسل الصالحين الذين لا شك (فى صلاحهم) .

٣١٤٥ – شاء القضاء أن تكون هناك ساحرة عجوز ، كانت عاشقة للأمير صاحب الحسن والجود .

– لقد سحرته تلك العجوز الكابلية ، فهى بسحرها تبز ذلك السحر البابلى .

– فعشق الأمير العجوز القبيحة ، فانصرف عن العروس وعن ذلك العرس .

– لقد قطع شيطان أسود وعجوز كابلية الطريق على الأمير على حين غرة .

– وتلك العجوز ذات التسعين خريفا نتنة الفرج ، لم تترك لذلك الأمير عقلا أو تدبيرا .

٣١٥٠ – وظل الامير أسيرا لها طيلة عام ، وكان موضع قبله نعل حذاء تلك العجوز النتنة .

– كانت معاشرة العجوز تحصده حصدا ، حتى صار من النحول ذا نصف روح .

– لقد كان الآخرون من نحوله من قلق بالغ ، بينما هو فى غفلة عن نفسه من سكر السحر .

– وصارت هذه الدنيا على الملك كأنها السجن ، وذلك الابن ضاحك (سخرية) من بكائهم .

– لقد صار الملك بلا حيلة فى هذا النزال ، فأخذ يقدم ليل نهار الأضاحى والزكاة .

٣١٥٥ – ذلك أن كل حيلة كان يقوم بها ذلك الأب ، كان تجعل عشق العجوز يزداد (عند الأمير) .

– فتيقن أن فى هذا الأمر سرا مطلقا ولا حيلة له بعد هذا الضراعة والدعاء .

– فكان يسجد متضرعا قائلا : أمرك نافذ .. فلمن الأمر لغير الحق على ملكه الحق .

– لكن هذا المسكين يحترق كالعود ، فخذ بيده أيها الرحيم وأيها الودود .

– ومن دعاء الملك ومن صراخة (على باب الله) وصل ساحر استاذ من الطريق [١] .

---

(١) هذا البيت بعد العنوان في نسخة جعفري (١٠ / ٥٨٩) .

استجابة دعاء الملك فى خلاص ابنه من الساحرة الكابلية

٣١٦٠ – كان الساحر قد سمع منى على البعد خبرا بأن الأمير صار أسيرا لعجوز .

– وأن تلك العجوز كانت فى السحر بلا نظير ، وآمنة فى هذا المجال من الند والشريك .

– وهناك يد فوق يد أيها الفتى فى الفن وفى القوة حتى ذات الله .

– ويد الله هى منتهى كل هذه الأيدى ، والبحر بلا شك هو منتهى السيول .

– فمنه تستمد السحب ما تجود به ، وإليه تكون نهاية السيل .

٣١٦٥ – قال له الملك : لقد ضاع ولدى .. فقال له : ها أنا قد جئت إليك علاجا شافيا ناجعا .

– فليس هناك ند لهذا العجوز فى السحر ، سواى أنا الداهية القادم من تلك الناحية .

– وبأمر الخالق الفرد فإننى مثل كف موسى .. أدمر الآن سحرها تدميرا تاما وأبطله .

– فإن لى علما قادما من ذلك الطرف ، لا من التتلمذ على سحر يستخف (بعقول الناس) .

– لقد جئت حتى أبطل سحرها وحتى لا يبقى الأمير (عليلا) أصفر الوجه .

٣١٧٠ – فاذهب إلى الجبانة وقت السحور وهناك إلى جوار السور قبر أبيض .

– واحفر ذلك القبر ثانية ناحية القبلة ، حتى ترى قدرة الله وصنعه .

- إن هذه الحكاية طويلة جدا وأنت أيها السامع ملول فلأ قصن عليك زبدتها وأترك الفضول [1] .

- وأخذ يفك هذه العقد الثقيلة وأعطى للأمير طريقا (للخروج) من هذه المحنة .

- فعاد الابن إلى وعيه .. وانطلق سريعا إلى عرش الملك ، وهو شديد الاضطراب .

٣١٧٥ - وسجد ، وأخذ يحك ذقنه بالأرض ، وكان يحمل تحت إبطه السيف والكفن .

- فأقام الملك الزينات هو وأهل المدينة فرحين ، وتلك العروس القانطة التى خاب مسعاها .

- وصار عالم بأجمعه حيا من جديد مليئا بالضياء ، فوا عجبا لذلك اليوم إنه يوم واليوم أيضا يوم (وشتان بينهما)

- وأقام له الملك عرسا .. بحيث وضع ماء الورد والسكر أمام الكلاب .

- وماتت العجوز الساحرة حزنا وأسلمت وجهها القبيح وخصالها القبيحة إلى مالك (خازن النار) .

٣١٨٠ - وبقى الأمير مندهشا متسائلا :كيف اختطفت منى العقل والنظر .

- ورأى عروسا شابة كأنها القمر حسنا ، بحيث كانت تقطع الطريق من حسنها على الحسان .

- فقد رشده وسقط على وجهه ، ولأيام ثلاثة سلب الفؤاد من جسده .

---

(١) ج / ١٠ - ٥٨٩:

لقد ذهب الملك سريعا نحو الجبانة ، وفتح الملك القبر في تلك اللحظة
فرأى سحرا مدفونها فيها ، مائة عقدة معقودة على شعرة واحدة

– وفقد وعيه ثلاثة أيام بلياليها . حتى ضج الخلق (حزنا) من فقدانه الوعى .

– ومن ماء الورد والأدوية عاد إلى وعيه ، ورويدا رويدا عاد إليه حس التمييز بين الخير والشر .

٣١٨٥ – وبعد عام قال الملك (مازحا) أثناء السمر ، تذكر يا بنى ذلك الرفيق القديم .

– واذكر ذلك الضجيع وذلك الفراش ، ولا تكن إلى هذا الحد جاحدا عديم الوفاء .

– قال : دعك من هذا ، لقد وجدت دار السرور ، ونجوت من بئر دار الغرور .

– وهكذا يكون المؤمن عندما يجد الطريق إلى نور الحق ، إنه يشيح بالوجه عن الظلمة .

في بيان أن أمير هو ابن آدم خليفة الله : أما أبوه فهو آدم الصفي خليفة الله الذي سجدت له الملائكة وتلك العجوز الكابلية هي الدنيا التى قطعت ابن آدم عن أبيه بسحرها والأنبياء والأولياء هم أولئك الطبيب الذى تدارك الأمر .

– أيها الأخ إعلم أنك أنت أمير قد ولدت فى هذا العالم القديم من جديد (١)

٣١٩٠ – أما العجوز الكابلية الساحرة فهى الدنيا ، وهى التى جعلت الرجال أسرى للألوان والروائح .

---

(١) الشطرة الثانية في نسخة جعفري (جـ ١٠ / صـ ٥٩٣) وأنت مهيأ من أجل الطريق المستقيم .

– وما دامت قد ألقت بك فى هذا النهر الأسود ، فداوم على قراءة (قل أعوذ » لحظة بلحظة وتنفس بها .

– ربما تنجو من هذا السحر وهذا الاضطراب ، فاطلب الاستعاذة من رب الفلق .

– ذلك أن النبى سمى دنياك بالسحارة ، تلقى بسحرها البشر فى بئر (الغرور) .

– وهذا فإن عندها تعويذة قوية تلك العجوز النتنة ونفسها الحار جعل الملوك أسرى .

٣١٩٥ – ونفثاتها موجودة داخل الصدور ، تقوم بإثبات عقد السحر من أجلها .

– وإن الدنيا الساحرة أمرأة عالمة قوية ، وليس إبطال سحرها فى قدرة العوام .

– ولو كانت العقول قد حلت عقدها ، فمتى كان الله سبحانه وتعالى يرسل الأنبياء ؟!

– هيا واطلب ذا نفس حلو مبارك حلال للعقد ، عالم بسر « يفعل الله ما يشاء » .

– لقد بقى الأمير معلقا كسمكة فى شص لسنة واحدة وأنت بقيت على هذا الحال ستين سنة .

٣٢٠٠ – ستون سنة وأنت فى محنة من شصها لا أنت بالطيب ولا أنت على طريق السنة .

– فأنت فاسق سيء الحظ لا الدنيا حسنة معك ولا أنت بناج من الوبال والذنوب .

– لقد جعلت نفثاتها تلك العقد أكثر إحكاما ، فاطلب إذن نفثة الخلاق الفرد .

– حتى تكون تلك النفخة (التى وردت فى) نفخت فيه من روحى هى التى تخلصك من هذا المصير وتقول لك : ارتفع .

– وليس الإبنفخة الحق تحترق نفخة السحر ، فهذا هى نفحة القهر وهذه نفحة الحب واللطف .

٣٢٠٥ – إن رحمته قد سبقت غضبه ، فإذا كنت تريد الرحمة اذهب وابحث عنها .

– حتى تصل إلى مصداق « نفوس زوجت » ، ويا أيها الملك المسحور هذا مخرجك .

– ومع وجود العجوز لا يمكن أن تتخلص من الشبكة وتصل إلى أحضان تلك الزائدة فى الدلال .

– ألم يقل لك مصباح الأمة المنير إن الدنيا والآخرة ضرتان !

– ومن ثم فوصال هذه يكون فراقا لتلك ، وصحة هذا الجسد تكون سقاما على الروح .

٣١٢٠ – وإذا كان فراق هذا الممر يبدو لك صعبا ، فاعلم أن فراق هذا المقر يكون أصعب .

– وإذا كان فراق الصورة يشق عليك ، فما بالك بمشقة الفراق عن المصور

– ويا من لا صبر لك عن الدنيا الدنية .. كيف يكون صبرك عن الله أيها الصديق كيف .

– وإن لم يكن لك صبر عن هذا الماء الأسود ، فكيف تصبر عن نبع الإله ؟!

– وما دمت بدون هذا الشرب قليلا ما تركن إلى السكون فكيف وأنت منفصل عن الأبرار وعن ما يشربون ؟.

٣٢١٥ – وإنك إن أبصرت لحظة واحدة حسن الودود ، لألقيت فى النار بالروح والوجود .

– وسوف ترى هذا الشرب جيفة فيما بعد ، عندما ترى عظمة القرب ومجده .

– تصل مثل الأمير إلى محبوبك الأصلى ، وتخرج من بعد ذلك الأشواك من قدمك .

– فجاهد حتى تحصل على ذاتك عن طريق التخلى عن ذاتك ، وذلك على وجه السرعة والله أعلم بالصواب .

– وانتبه كل لحظة ولا تكن قرين نفسك ولا تسقط كالحمار كل لحظة فى الطين والماء .

٣٢٢٠ – فإن هذا العثار يكون من قصور العين ، فهى لا ترى المرتفعات والمنخفضات وكأنها عمياء .

– واجعل رائحة قميص يوسف سندا لك ، فإن رائحته تضىء العين .

– إن الصورة الخفية وذلك النور فى الجبين ، جعلت عيون الأنبياء حادة النظر .

– ونور تلك الوجنة ينجى من النار ، فانتبه ولا تصر قانعا بنور مستعار .

– وهذا النور (المستعار) يجعل العين ناظرة (فحسب) إلى الحال ، ويجعل الجسد والعقل والروح مصابة بالجرب .

٣٢٢٥ – إن صورته نور لكنه فى الحقيقة نار ، فاذا كنت تريد الضياء فارفع كلتا يديك عنه .

– والبصيرة والروح اللتان تكونان ناظرتين فحسب إلى الحال يكب (صاحبها) على وجهه كل لحظة حينما يذهب .

– أما حاد البصـر الذى لا فضل لديه فيرى البعيد ، لكن رؤيتة هذه تشبه رؤيه البعيد فى النوم .

– إنك تكون نائما إلى جوار نهر لكنك متيبس الشفة (من الظمأ) وتجد مسرعا فى طلب سراب .

– إنك ترى السراب من على البعد وتسرع (فى أثره) وتنقلب عاشقا إلى رؤيتك هذه .

٣٢٣٠ – ولا تفتأ فى نومك فى نفاج مع أصحابك ، قائلا : إننى مبصر القلب مكشوف الحجب .

– إننى أرى الآن ماء فى تلك الناحية فاسرعوا ، حتى نمضى إليه ويكون (ما تراه) سرابا .

– ومهما تهرول تكون أكثر بعدا عن ذلك الماء ، تكون مسرعا نحو السراب بغرور .

– لقد صار عزمك وشوقك فى حد ذاته حجابا لك ، فهو معك دائما ومقبل إليك .

– وما أكثر الذين يمضون إلى مكان ما من مقام يكون الغرض (المطلوب) فيه .

٣٢٣٥ – إن رؤية النائم ونفاجه لا يجديان نفعا ، فهى ليست إلا خيال ، أقلع عنه .

– وأن كان النوم قد غلب فنم فى طريقه ، فبالله عليك ، بالله عليك نم فى طريق الله .

– ربما يمر بك أحد السالكين ، فيخلصك من الخيالات التى جلبها النعاس إليك .

– والنائم وإن كان دقيق الفكر عميقه فإنه لا يستطيع بهذه الدقة أن يجد الطريق إلى الحى .

– وفكر النائم وإن ضوعف مرتين أو ثلاثة فهو خطأ فى خطأ فى خطأ .

٣٢٤٠ – إن الأمواج تضربه بلا خشية أو احتراز ، بينما يكون النائم ساعيا فى صحراء قاحلة شاسعة .

– وبينما يكون ذلك النائم يعانى من العطش الشديد ، يكون الماء أقرب إليه من حبل الوريد .

حكاية ذلك الزاهد الذي كان في سنة قحط سعيد وضاحكا برغم إفلاسه وكثرة عياله ، وكان الخلق يموتون جوعا .

وقيل له : أهذا أوان السرور ؟! إنه أوان مائة حداد ،

فقال : ليس بالنسبة لى

– مثل ذلك الزاهد فى سنة قحط ، كان ضاحكا بينما كان كل الناس باكين .

– فقالوا له : أى موضع للضحك هذا ، ولقد قطع القحط حلوق المؤمنين ؟!

– لقد صرفت رحمة الله عينها عن النظر إلينا ، واحترقت الصحراء فى الشمس الحارقة .

٣٢٤٥ – واحترقت المزارع والبساتين والكروم ولا قطرة طل على الأرض لا أعلاها ولا أسفلها .

– والخلق يموتون من هذا القحط والعذاب ، (يموتون) بالعشرات والمئات كالأسماك حين تبتعد عن المياه .

– إنك لا تشعر بالرحمة تجاه المسلمين ، فى حين أن المؤمنين إخوة ، وجسد واحد بشحمه ولحمه .

– وإذا تألم عضو واحد من هذا الجسد تألمت بقية الأعضاء ، سواء كان ذلك فى وقت السلام أو عند احتدام القتال .

– قال : إنه يبدو لكم قحطا ، لكن هذه الأرض تبدو أمام عينى كالجنة .

٣٢٥٠ – وفى كل واد وفى كل مكان أرى السنابل المتكاثفة وقد وصلت حتى أواسط أجسادنا .

– وأرى تلك السنابل متموجة من رياح الصبا والصحراء ملأى وأكثر خضرة من نبات الكراث .

– وأنا ألمسها بيدى مجربا وأراها بعينى ، فكيف إذن أقتلع عينى ويدى ؟!

– إنكم أعوان فرعون الجسد أيها القوم الأدنياء ، ومن هنا يبدو لكم النيل دما .

– فتحولوا إى أعوان موسى العقل على وجه السرعة ، حتى لا يبقى ما فى النهر دما وترون ماءه .

٣٢٥٥ – إنك تحس ببعض الجفاء تجاه أبيك ، فيبدو لك ذلك الأب كلبا .

– وذلك الأب ليس كلبا بل هو تأثير الجفاء ، بحيث يبدو عطفه للنظر من (صفات) الكلاب .

– لقد كان إخوة يوسف يرونه ذئبا أمام أعينهم ، مادموا كانوا ينظرون اليه بعيون الحسد والكراهية .

– إنك عندما تصالحت مع ابيك وذهب الغضب ، مضى عنك ذلك الكلب وصار أبا شديد العطف والمحبة .

بيان أن مجموع العالم هو صورة العقل الكلى وعندما تسيرمعوجا مع العقل الكلي وتجفو ، تزيد صورة العالم في حزنك أغلب الأحوال ، مثلما يحدث إذاجفا القلب مع الأب تزيدك صورة الأب حزنا ولا تستطيع النظر إلى وجهه بالرغم من أنه كان قبل ذلك نور العين وراحة الروح

– إن كل العالم هو صورة من العقل الكلى ، فهو والد لكل من هو ناطق .

٣٢٦٠ – وعندما يزيد أحد كفرانه بالعقل الكلى ، تبدو الصورة الكلية أمامه وكأنها كلب .

– فتصالح مع هذا الأب واترك العقوق حتى يبدو الماء والطين بالنسبة لك بساطا من ذهب .

– ثم يحدث لك ما لا يحدث لك إلا فى القيامة وتتبدل الأرض والسموات أمامك .

– وأنا (الدرويش) لأننى فى سلام دائم مع هذا الأب ، تبدو هذه الدنيا مثل الجنة فى ناظرى .

– وفى كل لحظة صورة جديدة وجمال جديد ، وذلك حتى يموت داخلى الملل من رؤية الجديد .

٣٢٦٥ – إننى أرى الدنيا ملأى بالنعيم ، والمياه تفور من العيون دائما .

– إن خرير مائها يصل إلى أسماعى ، فيسكر بها وعيى ووجدانى .

– (إننى أرى) الأغصان راقصة كأنها من التائبين والأوراق مصفقة كالمطربين .

– والبرق مرآة لامعة تحت نقاب « الغمام » ، فما بالك إن تجلت من وراء الغمام ؟!

– إننى أقص جزءا واحدا من آلاف الأجزاء التى أراها ، ذلك أن كل أذن ممتلئة شكا .

٣٢٧٠ – إن هذا القول يبدو أمام الوهم من قبيل البشارة لكن العقل يقول : إنها حال حاضرة .

قصة أبناء عزير عليه السلام الذين كانوا يسألون عن أحوال أبيهم ، وكان هو يقول لهم : نعم رأيته وهو آت

فعرفه بعضهم ففقدوا وعيهم ولو يعرفه بعضهم فأخذوا

يقولون : لقد بشرنا .. فما سبب هذا الإغماء ؟!

– إن هذا يشبه ما حدث لأولاد عزير عندما كانوا يسيرون في الطريق يسألون عن أحوال أبيهم .

– لقد صاروا شيوخا بينما كان أبوهم لا يزال شابا ، فتقدم أبوهم منهم فجأة .

– فسألوه قائلين : يا عابر السبيل هل لديك خبر عن أبينا عزير ؟!

– لقد قال لنا أحدهم أن ذلك السيد السند سوف يصل اليوم من غيبته بعد يأس .

٣٢٧٥ – قال : نعم ، سوف يأتي بعدى ، فسر أحدهم عندما سمع هذه البشرى .

– فأخذ يصيح : أسعدك الله أيها المبشر بينما عرفه آخر فسقط مغشيا عليه .

– أية بشارة هذه يا دائر الرأس ، لقد وقعنا على منجم ذهب .

– إنها بشرى بالنسبة للوهم لكنها بالنسبة للعقل حال حاضرة ، ذلك أن عين الوهم محجوبة بالفقد .

– إنها ألم للكفار وبشرى للمؤمنين ، لكنها حال حاضرة لعين البصير.

٣٢٨٠ – ذلك أن العاشق حاضر لحظة بلحظة وثمل فلا جرم أنه أسمى (مرتبة) من الكفر والإيمان .

– إن الكفر والإيمان دائما واقفان على بابه ، إنه لب والكفر والدين قشران بالنسبة له .

– فالكفر قشر جاف في سبيله إلى الزوال ، والإيمان قشر أيضا لكن به شيئا من حلاوة اللب .

- إن النار هى موضع القشور الجافة لكن القشور المتصلة بلب الروح حلوة .

- أما اللب نفسه فقد جاوز مرحلة الحلاوة إنه أعلى منها لأنه باسط للذة .

٣٢٨٥ - وهذا الكلام لا نهاية له فعد ، حتى يثير موسى (بيانى) الغبار من قلب البحر .

- لقد قيل هذا الكلام مناسبا لعقول العوام ، لكن باقيه خبىء وصار مضنونا به .

- فإن ذهب عقلك مجرد برادة أيها المتهم ، وكيف أضع على البرادة ختم السكة ؟!

- قد وزع عقلك على مئات المشاغل وآلاف الرغبات والمهام والوساوس .

- وينبغى جمع كل هذه الأجزاء بالعشق ، حتى تصير حلوا كسمرقند ودمشق .

٣٢٩٠ - إنك كحبات الشعير المبعثرة وعندما تتجمع من هذا الشتات ، يمكن أن تضرب عليك سكة المليك .

- وإن أخذت أيها الساذج تجمع مثقالا فوق مثقال ، لصنع منك المليك كأسا ذهبيا .

- وتصبح (على هذا الكأس) أسماء الملك وألقابه بل وصورته ياطالبا للوصل .

- فحتام يكون معشوقك هو الخبز وهو الماء وهو المصباح والحسناء والنقل والشراب ؟.

- اجمع (شتات) نفسك فالجماعة رحمة ، حتى أستطيع أن أنقل إليك كل ما لدى .

٣٢٩٥ – ذلك أن القول يكون من أجل التصديق ، وروح الشرك بريئة من تصديق الحق .

– والروح التى قسمت على ظواهر الفلك ، تكون موزعة على ستين شهوة .

– ثم إن الصمت (أمامها) يهبها بعض الثبات ، ومن ثم كان جواب الأحمق السكوت .

– وهذا أمر أعرفه ، لكن سكر الجسد ، يفتح فمى بالرغم منى .

– مثلما يفتح فمك بالرغم منك عندما يعتريك تثاؤب أو عطس .

تفسير هذا الحديث أني لأستغفر ربي في كل يوم سبعين مرة

٣٣٠٠ – إننى أتوب مثل الرسول عليه السلام فى اليوم سبعين مرة عن القول وعن نثار (الدر) .

– لكن ذلك السكر يحطم التوبة ، إن سكر الجسد هذا منسى ممزق للثباب .

– إن حكمة إظهار الأسرار ظلت لفترة طويلة من الزمن ، تصيب بالسكر ذلك العالم بالأسرار .

– أيكون السر مخفيا مع مثل هذه الطبول والأعلام ؟! إنها جياشه كالمياه منذ « جف القلم » .

– إن رحمة (الله) التى لا حد لها جارية فى كل آن وأنتم نائمون عن إدراكها إيها الناس .

٣٣٠٥ – وإن لباس النائم يشرب من نهر الماء ، والنائم مستغرق فى النوم باحث عن السراب .

– إنه يسرع قائلا : هناك بعض الماء ومن هذا التفكر سد الطريق على نفسه .

– ولأنه قال « هناك » ابتعد عن « هنا » وأصبح مهجورا عن الحق من أجل خيال !

– انهم يتميزون بحدة البصر لكنهم نيام الأرواح تماما ، فارحموهم قليلا أيها السالكون فى هذا الطريق !

– اننى لم أر ظمأ يأتى بالنوم ، بل أن ظمأ من لا عقل له هو الذى يأتيه بالنوم .

٣٣١٠ – إن العقل الحقيقى هو الذى أطعمه الحق وليس ذلك العقل الذى يستند على عطارد [(١)] .

بيان أن العقل الجزئي لا يرى أكثر مما حتى القبر وهو فيما تبقى مقلد للأولياء والأنبياء

– إن نبوءة هذا العقل تكون حتى القبر ، لكن عقل صاحب القلب (يتنبأ) حتى نفخ الصور .

– وهذا العقل لا يتجاوز القبر والتراب ، وهذه القدم لاتطأ ساحة العجائب

– فامض عن هذا العقل وعن هذا القدم وضق بهما ، وابحث عن عين الغيب وكن ذا نصيب منها .

– فمتى يجد مثل موسى النور من الجيب ، ذلك المسخر للأستاذ وتلميذ الكتاب ؟.

٣٣١٥ – فمن هذا النظر ومن هذا العقل لا يتأتى سوى الدوار ، دعك من النظر ، وتخير الأنظار .

– ولا تطلب الرفعة عن طريق الكلام ، فالاستماع للمنتظر أفضل من الكلام .

---

(١) هذا البيت في نسخه جعفرى (١٠ / ٦٢٤) بعد العنوان التالي .

- ومنصب التعليم نوع من الشهوة وكل خيال من الشهوة صنم فى الطريق .

- وإذا كان كل فضولى قد أدرك فضله تعالى ، فمتى كان الله قد أرسل عددا من الأنبياء ؟!

- إن العقل الجزئى مثل البرق ولمعانه ، وكيف يمكن الذهاب على ضوء البرق إلى « وخش » [1] .

٣٣٢٠ - وليس نور البرق من أجل أن يطوى الطريق ، بل هو أمر للسحب بمداومة البكاء .

- وهكذا برق عقولنا من أجل البكاء .. وذلك من أجل أن يبكى العدم شوقا إلى الوجود .

- وان عقل الطفل ليأمره بمداومة الذهاب إلى « الكتاب » لكنه لا يستطيع أن يعلمه بنفسه .

- وعقل المريض يأتى به إلى الطبيب ، ولكنه لا يستطيع أن يصيب فى وصف الدواء .

- ألم يكن الشياطين يصعدون إلى أجواز الفلك ، وكانوا يسترقون السمع على الأسرار العالية .

٣٣٢٥ - وكانوا يختطفون قليلا من تلك الأسرار حتى تطردها الشهب سريعا من السماء .

- قائلة لها : امضوا من هنا .. فقد جاء رسول ، وكل ماتريدونه تحصلون منه عليه .

- وإذا كنتم تبحثون عن الدر الذى لا يقدر بثمن ، « أدخلوا الأبيات من أبوابها » [2]

---

(١) اسم بلدة بالقرب من بدخشان في ما وراء النهر .

(٢) بالعربية في المتن .

- وداوموا على قرع حلقة الباب وقفوا على الباب ، فليس لكم طريق إلى الفلك من ناحية السطح .

- ولا حاجة لكم إلى هذا الطريق الطويل ، لقد وهبنا المخلوق من تراب الأسرار .

٣٣٣٠ - فهلموا إليه إن لم تكونوا خونة (بطبعكم) ، فمنه تصيرون قصب سكر وان كنتم بوصا .

- فإن ذلك الدليل ينبت الخضرة من ترابك ، فإنه ليس أقل (شأنا) من سنبك جواد جبرايل .

- إنك تصير نضرا أخضر ذا جدة وطراوة إذا صرت ترابا لجواد جبريل .

- خضرة واهبة للروح والحياة جعلها السامرى فى العجل حتى صار جوهرا (ذا حياة) .

- فنفثت فيه الروح وصار له خوار من تلك الخضرة وصار خواره فتنة للعدو .

٣٣٣٥ - فإن تقدمتم بأمانة نحو أهل السر ، فاخلعوا الغمامة من فوق رؤوسم كالبازى .

- فإن هذه الغمامة حجاب على العين والأذن لقد ضاق البازى منها ذرعا وانعدمت حيلته .

- فهذه الغمامة سد أمام أعين البزاة لأن كل ميلهم يكون نحو جنسهم .

- لكن البازى عندما انقطع عن جنسه صار رفيقا للملك ، ففتح مدرب البازى عينه .

- لقد طرد الله الشياطين من مكمن أسراره ، مثلما يطرد العقل الجزئى من إستبداده .

٣٣٤٠ – قائلا له : كفاك رئاسة ، فلست حاكما مطلق العنان ، لكنك مجرد تلميذ للقلب ذا استعداد .

– فامض نحو القلب امض نحوه فأنت جزء منه وانتبه فأنت عبد لمليك عادل .

– والعبودية لهذا المليك أفضل من السلطنة ، فإن قول « أنا خير منه » من النفس الشيطانى .

– فانظر إلى الفرق ، واختر أيها الحبيس ، بين عبودية ادم وكبر إبليس .

– ولقد قال ذلك الذى هو شمس الطريق : « طوبى لمن ذلت نفسه »

٣٣٤٥ – فانظر إلى ظل طوبى ونم هنيئا ، ضع رأسك فى ظل لا ينحسر ونم .

– إن ظل « ذلت نفسه » مضجع حسن ، إنه مهجع للمستعد لذلك الصفاء .

– وإنك إن توليت عن هذا الظل نحو « الأنية » والكبر فأنت تنقلب سريعا إلى طاغية وتضل الطريق .

تفسير : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله »

مادمت لست بالنبي فلتكن من الأمة..

ومالم تكن سلطانا فلتكن في الرعية

– إذن فامض وكن صامتا منقادا تحت ظل أمر الشيخ أو (المرشد) الأستاذ [(١)] .

– وإلا انقلبت إلى مسخ مهما كنت مستعدا وقابلا وذلك من كثرة تنفجك بالكمال .

٣٣٥٠ – بل إنك تفقد الاستعداد نفسه إذا تمردت على الأستاذ الخبير بالأسرار .

---

(١) ج / ١٠ – ٦٣٢ : ولاتجعل من وجودك الوضيع واليا وكن تابعا صامتا .

– فاصبر فى حياكة النعال فلايزال (متسع) وإلا إنقلبت لانعدام صبرك إلى مجرد إسكاف .

– فإن كان عند من يرتقون القديم صبر وحلم ، لصاروا جميعا من الذين يقومون بحياكة الجديد ... من علمهم

– انك تجاهد كثيرا وفى النهاية تقول أنت نفسك نتيجة للكلال : إن العقل عقال .

– مثل ذلك الرجل المتفلسف يوم موته ، كان يرى العقل عاجزا بلا مئونة إلى ذلك الحد .

٣٣٥٥ – فأخذ يعترف فى تلك اللحظة بلا غرض ، قائلا إننا سقنا الجواد جزافا من ذكائنا .

– ومن الغرور حولنا رؤوسنا عن الرجال وزاولنا السباحة فى بحور الخيال .

– ولا قيمة لهذه السباحة فى بحر الروح ، ولا وسيلة هنا إلا سفينة نوح .

– وهكذا قال سيد الانبياء والمرسلين إننى أنا السفينة فى هذا البحر الكلى .

– أو ذلك الذى يكون على بصيرة منى ويكون خليفة الصدق فى موضعى .

٣٣٦٠ – إننى أنا سفينة نوح فى البحر أيها الفتى حتى لا تحولن وجهك عن السفينة .

– ولا تمض صوب كل جبل مثل كنعان ، واستمع من القرآن « لا عاصم اليوم من أمر الله »

– ومن القيد (الذى على قلبك) تبدو لك هذه السفينة وضيعة حقيرة ، ويبدو لك جبل فكرك سامق العلو .

– فلا تنظرن باحتقار إلى هذه (السفينة) الضئيلة ، انظر إلى فضل الحق المتصل بها (على الدوام) !

– وقلل النظر إلى علو جبل الفكر فإن موجة واحدة تجعل عاليه سافله !

٣٣٦٥ – ولن تصدقنى إن كنت (مثل) كنعان ، حتى ولو ضاعفت لك نصائحى مائتى مرة .

– ومتى تقبل إذن كنعان هذا الكلام فإن الله سبحانه وتعالى قد ختم عليها غشاوة .

– ومتى تؤثر الموعظة على ختم الحق ، ومتى يحول الحدث ما سبق من حكم .

– لكنى أحدثك يا مبارك الخطى ، أملا ألا تكون مثل كنعان .

– وإنك فى النهاية سوف تعترف (بانحرافك) فانتبه ، وانظر من البداية إلى عاقبة أمرك .

٣٣٧٠– انك تستطيع أن تكون مقدراً للعواقب ، فلا تجعل عينيك التى ترى العاقبة عمياء مهترئة .

– إن كل من يرى العاقبة يكون كالسعيد ، لا يتعثر كل لحظة عند سيره .

– وان لم ترد هذا العثار فى كل لحظة ، فقو بصرك بتراب قدم أحد الأولياء .

– واجعل من تراب قدمه كحلا للبصر ، حتى تستطيع آنذاك أن تطيح برؤوس الأوباش .

– فإنك من هذه التلمذة ومن هذا الافتقار ، حتى ولو كنت إبرة لاقيمة لها تتحول إلى سيف كذى الفقار .

٣٣٧٥ – فاجعل تراب قدم كل مختار (من الله) كحلا لك ، تحترق العين وتجلى في نفس الوقت[1] .

قصة شكوي البغل للجمل وفحواها : إننى أسقط كثيرا فى الطريق عند السير وأنت قليلا ما تكب على وجهك فما السبب ؟ وجواب الجمل عليه

– رأى بغل جملا ذات يوم عندما اجتمعا معا ذات يوم فى اصطبل .

– فقال له : إننى كثيرا ما أتعثر فى الأرض الوعرة وفى الطريق وفى السوق وفى الحى !

– وخاصة عندما أكون هابطا من قمة الجبل إلى سفحه ، أسقط كل لحظة على رأسى من شدة الخوف .

٣٣٨٠ – وأنت قليلا ما تنكب على وجهك فما السبب ؟.ألروحك الطاهرة فى حد ذاتها حظ وإقبال ؟.

– إننى أسقط على رأسى كل لحظة وعلى ركبتى ، وفى ذلك العار أدمى وجهى وركبتى .

– ويميل السرج والحمل من فوق ظهرى وأتعرض للضرب من المكارى فى كل لحظة .

– وهذا مثل أبله يعود عن توبته كل لحظة وينغمس فى الذنب من عقله الفاسد .

– ويصير أضحوكة لابليس فى زمنه ، ذلك المحطم لتوبته من ضعف رأيه

٣٣٨٥ – إنه ينكب على وجهه فى كل لحظة كالجواد الأعرج الذى يكون حمله ثقيلا وطريقه صخريا .

---

(١) ج / ١٠ – ٦٣٣٠ : اضيء عينيك من تراب الأولياء في حتي تري كل شيء من المبدأ إلي المنتهي .

- وهو يتلقى من الغيب الضربات فوق رأسه من جراء عودته عن التوبة ، ذلك المعتاد على الإدبار .

- فيتوب مرة ثانية بعزم واهن ، ويبصق عليه الشيطان ، وتتحطم توبته

- إنه ضعف مركب ، لكن كبره . يدفعه إلى النظر إلى الواصلين باحتقار

- أيها الجمل ، إنك تشبه المؤمن ، قلما تسقط في الطريق وتنكب على أنفك .

٣٣٩٠ - فماذا لديك يمنع عنك الآفات إلى هذا الحد ؟ وينجيك من العثار فقلما تسقط على وجهك ؟!

- قال (الجمل) بالرغم من أن كل سعادة من الله تعالى ، فإن هناك فروقا كثيرة بينى وبينك .

- إننى مرفوع الرأس وعيناى مرفوعتان والرؤية التى تشرف من عل أمان من الضرر .

- وإننى لأرى سفح الجهل وأنا فى قمته وأرى كل أرض مستوية وكل حفرة ، مرحلة بعد مرحلة .

- مثلما رأى ذلك الصدر الأجل ، أمره مسبقا حتى يوم (يحين) الأجل .

٣٣٩٥ - ويعرف فى الحال ما سوف يحدث بعد عشرين سنة ، ذلك الطيب الخصال !

- إنه لا يرى حاله وحده فحسب ذلك المتقى ، بل (ويرى أيضا) أحوال كل أهل المشرق والمغرب .

- إن النور مستقر فى عينه وقلبه .. ومن أى شيء يستقر بينهما ؟! من أجل « حب الوطن » .

- مثل يوسف عليه السلام .. الذى رأى من البداية فى المنام أن الشمس والقمر قد سجدا له .

– ومن بعد عشرة سنوات أو ما يزيد ، تحقق ما كان يوسف عليه السلام قد رآه فى النوم .

٣٤٠٠ – وليست « ينظر بنور الله » من قبيل جزاف العقول ، بل يكون النور الربانى نافذا فى أجواز الفلك .

– ولا يوجد هذا النور فى عينيك قامض ، ذلك أنك رهين للحس الحيوانى .

– إنك من ضعف عينيك ترى (فحسب) ما تحت قدميك ، إنك ضعيف عاجز ودليلك أيضا ضعيف وعاجز .

– إن العين هى الدليل والقائد لليد والقدم والتى ترى الموضع الطيب والموضع السيء .

٣٤٠٥ – ذلك لأنى من أولاد الحلال ، ولست من أبناء الخنا وأهل الضلال .

– وأنت من أولاد الزنا لا شك فى ذلك ، فالسهم ينطلق معوجا عندما يكون القوس معيوبا [١] .

موافقة البغل على أجوبة الجمل ، وإقراره بأفضليته عليه ، وطلبه العون فيه ، واللجوء إليه بصدق وإكرام الجمل له ، وبيانه الطريق له ، ومعاونته إياه بأبوة عظيمة

– قال البغل : صدقت أيها الجمل ، قالها وامتلأت عيناه بالدموع .

– وبكى ساعة وسقط على قدميه ، قائلا له : يا من اختارك رب العباد .

– أي ضرر لو أنك فى السعادة والاقبال قبلتنى عبدا لك ؟!

---

(١) ج / ١٠ – ٦٣٨ :

إن السيء لا يتأتي منه إلا السوء بأجمعه في الوجود ، مثلما تأتي من فرعون العنود وابليس وإن قام بمائة طاعة ، فإنها لا تجديه نفعا فهو من الأصل فاقد الرجولة .

٣٤١٠ – قال له : مادمت قد أقررت بهذا أمامى فامض ، لقد نجوت من آفات الزمن .

– لقد انصفت ونجوت من البلاء ، وكنت خصما فصرت من أهل الولاء .

– إن الخصال السيئة لم تكن أصلا فى ذاتك ، فمن السوء الأصيل لا يتأتى سوى الجحود .

– وهذا السوء العارض والطارئ (العارية) .. هو الذى لا يلبث أن يجعل صاحب الذنب يقر بالذنب ويبحث عن التوبة .

– مثل آدم الذى كانت زلته عارية ، فلا جرم أنه تاب فى التو واللحظة .

٣٤١٥ – لكن جرم ابليس لما كان أصليا وفى ذاته ، لم يكن له طريق إلى التوبة النفيسة الغالية .

– فامض ، لقد نجوت من ذلك ومن الخصال السيئة ، ومن ألسنة النيران ومن أنياب الوحوش .

– امض فقد تعلقت الآن بالحظ والاقبال ، وألقيت بنفسك فى الاقبال السرمدى :

– لقد وجدت مصداق « أدخلى فى عبادى » وأدركت مصداق « أدخلى جنتى » .

– لقد اتخذت بنفسك طريقا بين عباده ، وذهبت إلى الخلد من طريق خفى .

٣٤٢٠ – وقلت « اهدنا إلى الصراط المستقيم » ، فأخذ بيدك وحملك إلى النعيم .

– كنت نارا فصرت نورا أيها العزيز ، كنت حصرما (فجا) فصرت عنبا وزبيبا (ناضجا) .

– وكنت نجمة فصرت شمسا ، فلتسعد ولتهنأ والله أعلم بالصواب .

– ويا ضياء الحق ياحسام الدين ، تعال وخذ العسل الصافى وألق به فى حوض اللبن .

– حتى يتخلص ذلك اللبن من تغيير الطعم ، ويجد من بحر اللذة طعما فائق اللذة .

٣٤٢٥ – ويصير متصلا ببحر « ألست » ، وما دام قد اتصل بهذا البحر ، فقد نجا من كل تغيير .

– ويجد منفذا فى بحر الشهد ذاك ، ولا يكون لأى آفة أدنى تأثير فيه .

– وازأر كالأسد يا أسد الحق ، حتى يصل ذلك الزئير إلى السماء السابعة .

– لكن أى علم لروح الملول الضائق ، وأى علم للفأر بزئير الأسد ؟!

– فاكتب أحوالك بماء الذهب ، من أجل كل من قلبه (فى سعة) البحر ... حسن الأصل .

٣٤٣٠ – إن هـــذا الحـــديث كماء النيل منعش للأرواح ، فاجعله يارب دما أمام أنظار قوم فرعون .

تضرع أحد آل فرعون لواحد من بنى إسرائيل قائلا املأ من ماء النيل قدرا على نيتك ، وضعه على شفتى حتى أشرب ، بحق الصداقة والأخوة ، فإن القدر الذى نملأونه يابنى إسرائيل من أجل أنفسكم ماء صاف والقدر الذى نملؤه نحن آل فرعون من نفس النيل دم خالص .

– سمعت أن واحدا من قوم فرعون، قد دفعه العطش إلى منزل واحد من بنى إسرائيل .

– وقال له : إننى صديقك الحميم المقرب ، وصرت اليوم فى حاجة إليك .

– لقد قام موسى بسحره ، وتلا تعاويذه ، حتى صار ماء النيل علينا دما

– وأتباع موسى يشربون منه نفسه المـــاء الصافى ، لكنه ينقلب إلى دم بالنسبة لقوم فرعون ... من جراء السحر .

٣٤٣٥ - إن قوم فرعون يموتون الآن من الظمأ ، ربما من إدبارهم أو من سوء جبلتهم .

- فاملأ لنفسك وعاء من الماء ، لكى يشرب صاحبك القديم من مائك .

- إنك عندما تملأ هذا الوعاء من أجل نفسك ، لا يكون دما بل يكون ماء صافيا طاهرا .

- إننى متطفل عليك : فلأشرب الماء « تطفلا » ، فإن المتطفل يتخلص بالتبعية من همومه .

- قال : ياروحى ودنياى السمع والطاعة ، فلأقم برعايتك ياعينيّ المضيئتين .

٣٤٤٠ - ولأقم بما يمليه مرادك وأنا فى غاية السعادة ، وأعتبر عبوديتى لك حرية لى .

- ثم ملأ وعاء من ماء النيل ، ورفعه إلى فمه وشرب نصفه .

- ثم أدار الوعاء إلى طالب الماء ، قائلا له : اشرب أنت أيضا ، فصار دما أسود .

- ثم حوله ناحيته ، فصار الدم ماء ، فانفجر الفرعونى غيظا وكدرا وغضبا .

- وظل برهة من الزمن حتى سكن غضبه ، ثم قال أيها البطل العظيم :

٣٤٤٥ - أى حل لهذه العقدة أيها الأخ العزيز ، فقال : إنما يشرب هذا الماء من كان تقيا .

- والتقى هو الذى صار ضائقا من طريق فرعون وصار مثل موسى .

- فصر أولا من قوم موسى ثم أشرب هذا الماء ، وتصالح فى البداية مع القمر ، ثم انظر إلى ضوء القمر .

- وهناك من غضبك مئات الآلاف من (الحجب) المظلمة تقف بينك وبين النظر إلى عباد الله .

- فسكن غضبك وافتح عينيك وكن بشوشا ، وخذ العبرة من رفاقك وكن أستاذا .

٣٤٥٠ - فكيف تكون شريكا لى فى اغتراف (الماء) ولديك من الكفر مافى (ضخامة) جبل قاف .

- ومتى يلج الجمل فى سم الخياط ؟ ! ، اللهم إلا صار ذلك (الجبل) (فى نحول) الخيط المفرد .

- فاجعل جمل كفرك بالاستغفار فى نحول « القشة » ،، وخذ كأس المغفورين لهم واشرب منها سعيدا .

- وكيف تستطيع أن تشرب منه بهذا الاحتيال والمكر ، إذا كان الحق قد حرمه على الكافرين .

- ومتى يخيل مكرك هذا على خالق المكر،(خير الماكرين)؟ !، أيها المفترى عليه.

٣٤٥٥ - فكن من قوم موسى إذ لانفع فى المكر ، وليس مكرك هذا إلا من قبيل كيل الريح ، لا طائل من ورائه ! !

- فهل يجرؤ الماء على عصيان أمر الفرد الصمد ، وتكون له خواص الماء مع الكافرين ؟!

- أو هل تظنن أن ما تأكله هذا خبز ؟! إنك تأكل السم الزعاف الذى ينقص العمر (ولا يزيده) .

- وكيف للخبز أن يصلح تلك الروح التى تصرف القلب عن أمر الأحبة ؟.

- أو هل تظنن أنت (الآخر) أنك عندما تقرأ ألفاظ المثنوى أنك تدرك معانيها بالمجان ؟.

٣٤٦٠ – أو أن فيض الحكمة والأسرار الخفية .. يدخل الآذان رغبة وبأدنى قيمة (وتتداوله) الأفواه ؟!

– إنه (حقيقة) ينفذ إليها لكن كالأساطير ، إنه يبدى قشره ليس لبابه القيم .

– إن ذلك الحبيب وضع حجابا على وجهه ورأسه ، وأخفى نفسه عن عينيك .

– وهكذا فمن عتوك فإن كتابا كالشاهنامه أو كليلة ودمنة ، يبدوان أمامك كأنهما القرآن .

– وتتميز الحقيقة عن المجاز ، عندما يفتح كحل العناية عينيك (عن آخرهما) !

٣٤٦٥ – وإلا فإن البعر والمسك أمام الأخشم سيان ، ما لم يكن هناك (حس) شم .

– وإنما يكون هدفه من كلام ذى الجلال (المجيد) هو أن يدفع عن نفسه الملال فحسب .

– إنه يطفيء بذلك الكلام نار الوساوس والأحزان ، ويجعل منه (مجرد) دواء .

– ومن أجل إطفاء مثل هذه النار (الواهية) ، يمكن بقدر من الحيلة أن يكون الماء الطاهر والبول سيين .

– إن نار الوسواس يمكن أن تطفأ بالماء والبول ، تماماً كما (يقضى) قليل من النوم (على الأحزان) .

٣٤٧٠ – لكنك إن ادركت هذا الماء الطاهر ، وهو كلام الله المنعش للأرواح !

– فإن الوسوسة تنعدم تماما من الروح ، ويجد القلب طريقه إلى رياض (الجنة) .

- إنه يحلق عاليا فى رياض تجرى من تحتها الأنهار ، ذلك الذى يدرك قبسا من سر الصحف .

- أو أنك تظنن أن وجوه أولياء الله ، هى على نفس ذلك النسق الذى نراها عليه .

- إن الرسول عليه السلام مافتيء يتعجب من هذا الأمر متسائلا : كيف لا يبصر المؤمنون وجهى ؟.

٣٤٧٥ - كيف لا يبصر الخلق وجهى ؟ ذلك الوجه الذى فاق شمس المشرق (نورا وبهاءا) ؟.

- وإذا كانوا يبصرونه فلماذا هذه الحيرة (والتردد) ومن ثم نزل الوحى قائلا : إن هذا الوجه مخفى عنهم .

- إنه بالنسبة لك قمر وبالنسبة للناس سحاب ، حتى لا يرى من لا يؤمن بك وجهك بالمجان .

- إنه بالنسبة لك حب لكنه بالنسبة للآخرين فخ ، حتى لا يشرب العوام من هذا الشراب الخاص .

- قال الله تعالى : « تراهم ينظرون إليك » ، لكنهم نقوش على حمام ، وهم « لا يبصرون » .

٣٤٨٠ - وهكذا تبدو لك الصورة ياعابد الصورة ، وكأن هاتين العينين الميتتين فيها تنظران .

- وأنت أمام عين الصورة هذه تراعى الأدب ، وتتساءل : كيف لا تهتم بى ويا للعجب .

- لماذا هى صامته تماما هذه الصورة الطيبة بحيث لا ترد السلام على ؟!

- لماذا لا تحرك رأسها وشاربها جودا ، شكرا على ما قدمته لها من سجود (كثير) .

– وإن الحق وإن لم يبد جوابا لعبادته فى الظاهر [1] ، فإنه يعطى فى مقابلها لذة فى الباطن .

٣٤٨٥ – فإن تحريك العقل والروح رأسيهما (جوابا على العبارة) ، تساوى الاستجابة التى تريدها مائتى مرة .

– وأنت إن قمت بخدمة العقل باجتهاد ، فإن جواب العقل هو أن تزداد رشاداً .

– إن الحق لا يحرك رأسه استجابة فى الظاهر ، لكنه يجعلك رئيسا على كل الرؤساء .

– ويهبك الله سبحانه وتعالى عطية فى الخفاء ، بحيث يسجد لك الناس أجمعون .

– مثلما جاد على حجر بالعقل ، بحيث صار جوهرا ، وأقصد به الذهب .

٣٤٩٠ – وإن قطرة من المـاء لتجد لطف الحق ، فتصير درة تفوق الذهب قيمة .

– والجسم بضعة من تراب وعندما نفخ الله فيه من نوره ، صار فى الاستيلاء على الدنيا أستاذا كالقمر .

– وانتبه فإن (هذه الدنيا) طلسم وصورة ميتة ، أضلت عينها الحمقى عن الطريق .

– إنها تبدو كما لو كانت تغمز بعينيها ، فيجعلها الحمقى والبلهاء سندا لهم .

طلب الفرعونى دعاء الخير والهداية من الموسوى ودعاء الموسوى له بالخير واستجابة الدعاء فى الكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

– قال الفرعونى . أدع لى ، فلست أملك فما (للدعاء) من السواد الذى ران على قلبى .

---

(١) حرفيا : تحريك الرأس : إن لم يحرك رأسه استجابة .

٣٤٩٥ – ربما يفتح قفل هذا القلب ، ويصبح للقبيح موضع فى محفل الحسان .

– إن المسخ ينقلب منك إلى صاحب جمال ، ويصبح إبليس مرة ثانية فى الملائكة المقربين .

– وببركة يد مريم – عليها السلام – يجد الغصن الجاف رائحة المسك والنضرة والإثمار .

– فسجد الموسوى فى تلك اللحظة ... وتضرع قائلا : يا إلهى يا عالما بالعلن وبالسر .

– وأمام من يرفع العبد يده بالدعاء إلا أمامك .. الدعاء منك والاستجابة منك يالله .

٣٥٠٠ – إنك فى البداية تهب « العبد » الميل إلى الدعاء ، وأنت فى النهاية تجازى أيضا على الدعاء .

– إنك الأول والآخر .. ونحن بينهما هباء ... هباء . لا يتأتى فى حديث أو بيان .

– وأخذ يردد هذا الدعاء حتى خارت قواه (١) ... وفقد وعيه .

– ثم عاد إلى وعيه وانطلق فى الدعاء فليس للإنسان إلا ما سعى .

– وبينما هو فى دعائه ، إذ انطلق من قلب الفرعونى صياح وصراخ وضجة عظيمة .

٣٥٠٥ – قائلا : هيا .. أسرع .. وأعرض على الإيمان ، حتى أمزق سريعا الزنار القديم .

– لقد ألقوا النار على (أعماق) روحى ، فلعلهم يكرمون إبليسا (مثلي) هذا الكرم العظيم .

---

(١) حرفيا : سقط طسته من فوق السطح .

– إنها صداقتك ... وهى لا تستبعد منك .. هى التى بحمد الله أخذت بيدى فى النهاية .

– لقد كانت أحاديثك كيمياء (تبديل) .. فلا انقطع « خطو » قدميك عن منزل القلب .

– لقد كنت غصنا من نخيل الخلد ، وعندما أمسكت به حملنى إلى الخلد .

٣٥١٠ – وكان سيلا ذلك الذى إختطف جسدى ، ووحملنى هذا السيل إلى بحر الجود .

– وأنا طلبا للماء مضيت نحو السيل ، فأدركت البحر ، ونلت الدر كيلا بكيل .

– فأتى له بالوعاء قائلا : خذ الماء إذن ، فقال له : إمض فى سبيلك فالمياه الآن أمامى لاقيمة لها .

– لقد شربت شربة فى ماء « إن الله اشترى » ولا يصيبنى من بعدها ظمأ حتى الحشر.

– وإن ذلك الذى أجرى المياه فى الأنهار والينابيع ، فتح عين ماء فى داخلي

٣٥١٥ – وتلك الكبد التى كانت حرى طالبة الماء ، صار الماء ذليلا أمام همتها !

– إنه كان « الكافى » من أجل العباد ، هو صدق لوعده فى « كهيعص » .

– أى : إننى أنا الكافى أعطيك الخير كله بلا سبب أو واسطة من عون الغير .

– إننى أنا الكافى أشبعك بلا خبز ، وأهبك الإمارة دون جيش أو عسكر .

– أهبك النرجس والنسرين بلا ربيع ، أى أعلمك بلا كتاب أو أستاذ .

٣٥٢٠ – إننى أنا الكافى أعالجك بلا دواء ، وأجعل عليك القبر والبئر (فى سعة) الميدان .

– إننى أبث فى موسى الشجاعة بعصا واحدة بحيث يضرب بسيوفه عالما بأكمله .

– وأعطى يد موسى نورا وشعاعا بحيث تزرى بنور الشمس [١] .

– وأجعل العصا حية ذات سبعة رؤوس ، لم تلدها من قبل حية من ثعبان !

– التى لا أمزج ماء النيل بالدم ، بل أحول الماء نفسه إلى دم بحولى وطولى [٢] .

٣٥٢٥ – وأجعل سرورك حزنا مثل ماء النيل ، بحيث لا تجد سبيلا إلى السرور .

– ثم إنك عندما تجدد إيمانك مرة ثانية ، وتبدى نفورك من فرعون .

– ترى موسى الرحمة وقد أقبل إليك ، وترى نيل الدم قد فاض منه الماء .

– وعندما تحتفظ بعرورة الإيمان [٣] فى داخلك ، لا ينقلب نيل ذوقك إلى دم أبدا !

– لقد ظننت (أيها الموسوى) بأننى أومن .. حتى أشرب من طوفان الدم هذا ماء !

٣٥٣٠ – فأى علم لى أنه يقوم بالتبديل ، ويجرى نيلا من داخلى .

– وهناك أمام عينى نيل جار بالماء ، بينما أنا أمام الآخرين على طبيعتى وديدنى .

---

(١) حرفيا : تصفع الشمس .

(٢) حرفيا : بفني .

(٣) حرفيا : بطرف الخيط .

- مثل هذه الدنيا ... غارقة فى التسبيح أمام النبى ، لكنها أمامنا لا تفقه حديثا .

- إنها أمام عينيه عليه السلام فياضة بالعشق ، والعطاء لكنها أمام عيون الأخرين ميتة وجماد .

- إن المرتفعات والمنخفضات أمام عينيه جادة السير ، وهو مستمع لطرائف الحكمة من حجرها ومدرها .

٣٥٣٥ - لكنها أمام العوام كلها جامدة ميتة وأنا لم أر حجابا أعجب من هذا الحجاب .

- والمقابر تبدو متساوية أمامنا ، لكنها أمام عيون الأولياء إما روضة (من رياض الجنة) أو حفرة (من حفر النار) .

- كان العوام يقولون . لماذا صار النبى عبوسا ولماذا صار قاضيا على السرور ؟!

- وكان الخواص يقولون : إنه يبدو عبوسا فحسب أمام عيونكم أيها الأميين » !

- فانظروا لحظة واحدة بعيوننا .. حتى ترون الضحكات مصداقا لـ « هل أتى » .

٣٥٤٠ - إنها تبدو لك هكذا من فوق شجرة الكمثرى ، إن الصورة منعكسة فانزل أيها الشاب .

- إن شجرة الكمثرى هذه هى شجرة الوجود ، إنك ما دمت فوقها تبدى لك الجديد قديما .

- ما دمت فوقها ترى أجمة شوك ملأى بعقارب الغضب وحيات (الحرص) .

- وعندما تهبط من فوقها ترى بالمجان عالما مليئا بالحسان وبالحواضن (الحنونات).

حكاية تلك المرأة الدنسة التى قالت لزوجها : إن تلك التصورات تبدو من قمة شجرة الكمثرى لأنها هكذا تبدو للمرء فى قمة شجرة الكمثرى فاهبط من قمة شجرة الكمثرى .. حتى تذهب عنك التصورات وإن قال أحد : إن ما كان يراه ذلك الشخص لم يكن من قبيل التصورات والوهم ، فالجواب إن هذا مثل وليس مثل وفى المثال يكفى ، ذلك أنك إن لم تتسلق قمة شجرة الكمثرى لما رأيتها قط سواء كانت حقيقة أو خيالا .

- كانت إحدى النساء تريد أن تتضاجع مع عشيقها أمام زوجها المخدوع .

٣٥٤٥ - فقالت المرأة لزوجها : يا سعيد الحظ ، سوف أصعد على الشجرة لقطف الثمار .

- وعندما صعدت تلك المرأة على الشجرة شرعت فى البكاء عندما نظرت من علٍ صوب زوجها .

- وقالت لزوجها : أيها المأبون المنبوذ .. من ذلك اللوطى الذى يواقعك ؟!

- وقد رقدت أنت تحته كالمرأة .. أكنت فى الأصل مخنثا إذن يا فلان ؟.

- فقال الزوج : (لا شيء من هذا) لعل رأسك أصابها الدوار وإلا فليس هنا غيرى أحد فى الخلاء .

٣٥٥٠ - فكررت المرأة القول من صاحب القلنسوة الحمراء إذن الذى ينام فوق ظهرك ؟.

- فقال : أيتها المرأة . هيا أهبطى من فوق الشجرة ، فلقد دار رأسك .. فخرفت تخريفا شديدا .

- وعندما هبطت صعد زوجها .. فأخذت المرأة ، ذلك العشيق فى أحضانها .

– فناداها الزوج : أيتها البغى .. من هذا الذى اعتلاك وكأنه القرد ؟.

– فقالت المرأة : لا ليس هنا غيرى ، انتبه فقد دارت رأسك ولا تخرف .

٣٥٥٥ – فكرر ذلك الكلام على المرأة .. قالت إن هذا من أوهام شجرة الكمثرى .

– وأنا من فوق شجرة الكمثرى ... كنت أراك منحرفا أيضا أيها الديوث .

– هيا إهبط حتى ترى إنه لا شيء يحدث، وأن كل هذه الخيالات من شجرة الكمثرى .

– إن الهزل تعليم فاستمع إليه بجد ، حتى لا تصبح عاكفا على ظاهر هزله .

– وإن كل جد هزل عند الهازلين ، لكن كل هزل جد عند العاقلين .

٣٥٦٠ – إن الكسالى يبحثون (فى هذه القصة) عن شجرة الكمثرى ، لكن هناك طريقا طويلا حتى شجرة الكمثرى ، (تلك) .

– فانتقل من شجرة الكمثرى فأنت الآن فوقها ، صرت أعشى العين حائر الوجه .

– إنها أنيتك ووجودك الأول .. اللذان يجعلانك أحول معوج البصر .

– وعندما تهبط من فوق شجرة الكمثرى هذه ، لا يبقى هناك إعوجاج فى فكرك وبصرك ومنطقك .

– وتراها وقد تحولت إلى شجرة إقبال ، تمتد أغصانها إلى السماء السابعة .

٣٥٦٥ – وعندما تهبط من فوقها ... وتبتعد عنها ... يبدلها الله سبحانه وتعالى برحمته .

– ولأنك هبطت من فوقها تواضعا فإن الله يهب عينيك الرؤية الصحيحة .

– وإذا كانت الرؤية الصحيحة بالشيء السهل أو اليسير ، فمتى كان المصطفى يطلبها من الله ؟.

– قائلا : إبد لى الأشياء مرتفعها ومنخفضها .. كما تبدو أمامك أنت يالله .

– وبعدها إصعد على شجرة الكمثرى تلك ، التى بدلت وصارت خضراء من أمر « كن » .

٣٥٧٠ – وصارت هذه الشجرة كالشجرة الموسوية ، ما دمت قد اتجهت بحاجياتك صوب موسى .

– إنه يجعل نارها خضراء سعيدة هانئة ، تصيح أغصانها : إنى أنا الله .

– وفى ظلها تكون كل حاجاتك مقضية .. وهكذا تكون الكيمياء الإلهية !

– وتصير أنيتك ووجودك حلالا لك ، إذ ترى فيهما صفات ذى الجلال .

– فقد صارت الشجرة المعوجة مستقيمة مظهرة للحق « أصلها ثابت وفرعها فى السماء » .

٣٥٧٥ – إذ نوديت من الوحى العظيم ، أن أتركى الإعوجاج واستقيمى الآن . (١)

بقية قصة موسى عليه السلام

– إن شجرة الجسد هذه هى عصا موسى ، لقد وصله الأمر أن ألقها من يدك .

– حتى ترى خيرها وترى شرها ، ثم إحملها بعد ذلك بالأمر الإلهى .

– إنها لم تكن سوى عصا قبل أن يلقيها ، وعندما أمسكها بأمره تعالى صارت طيبة.

– كانت فى البداية تنثر الأوراق للحملان ، فصارت معجزة لهذه الجماعة المتكبرة المغرورة .

٣٥٨٠ – صارت حاكمة مسيطرة على رؤوس قوم فرعون ، جعلت ماءهم دما وأكفهم ضارية لرؤوسهم .

---

(١) البيت في الأصل تحت العنوان الذي يليه . لكنه ضمن الأبيات التي تسبقه .

– وأنتجت مزارعهم القحط والموت ، من جحافل الجراد التى كانت تأكل أوراقهم وزادهم .

– حتى دعا موسى عليه السلام دعوة بغير وعى .. عندما ألقى بنظرة على العاقبة .

– فما جدوى هذه المعجزات والسعى والجهد ، ما دامت هذه الجماعة لن تستقيم ؟

– لقد نزل الأمر : أن اتبع أسلوب نوح : ودعك من تفصيلات العاقبة وما سوف يتأتى فيها .

٣٥٨٥ – ودعك من هذا فأنت داعى طريق ، هناك الأمر « بلغ » ولا يكون عبثا .

– فإن أقل حكمة من الحاحك هذا وإصرارك (على الدعوة) هى أن يتجلى ذلك العناد وذلك العتو ويبدوان للعيان .

– وحتى تشيع هداية الحق وإضلاله وتظهران على الملأ بالنسبة لكل الفرق .

– وإذا كان المقصود من الوجود والخلق هو إظهار (صنعه تعالى) ، فينبغى اختباره بالإنتصاح والغواية .

– فالشيطان لا يفتأ يلح فى وسوسة الغواية ، بينما يلح الشيخ فى النصح والهداية .[1]

٣٥٩٠ – وعندما توالت هذه الأمور واصبحت ذات شجون ، وأخذ النيل يجرى بأجمعه دما .

– جاء إليه فرعون بنفسه ، متوسلا إليه وقد انحنى ظهره .

---

(١) ج / ١١ – ٤٨ : عد وتحدث عن قصة الفرعوني ، وامح غبار الكفر عن باطنك ثم يليه عنوان هو : صعوبة الأمر علي آل فرعون وتشفع فرعون .

- قائلا : لا تفعل أنت ما فعلناه أيها السلطان ، وليس لنا وجه لكى نتحدث معك .

- إن كل ذرة فى ممتثلة لأمرك ، ولا تذلنى (أكثر من هذا) وأنا معتاد على العزة .

- هيا أيها الأمين وأدع لنا بالرحمة ، حتى تسد هذه الفوهة النارية .

٣٥٩٥ - قال (موسى) : يا إلهى إنه يخدعنى ، وإن كان يخدع فإنه يخدعك أنت .

- فهل أستجيب له أم أخدعه أنا بدورى ، حتى يعرف الأصل ذلك المتشبث بالفرع ؟!

- حتى يعلم أن أصل كل مكر وكل حيلة عندنا نحن ، وكل ما هو على التراب أصله فى السماء .

- قال الحق : إن ذلك الكلب لا يستحق حتى ذلك . بل إلق إليه بعظمة من على البعد .

- هيا حرك تلك العصا حتى يرد التراب كل ما كان الجراد قد أتى عليه .

٣٦٠٠ - بل ويتحول الجراد نفسه إلى لون التراب ، حتى يرى الخلق تبديل الإله.

- وأنه لا حاجة لى إلى الأسباب ، فإن تلك الأسباب مجرد حجاب وغطاء (على الفعل الإلهى) ؛

- وهى من أجلْ أن يعرض المؤمن بالطبيعة نفسه على الدواء ، ومن أجل أن يتجه المنجم إلى العلم عن طريق النجوم .

- وحتى يبكر المنافق فى الحضور إلى السوق من خوفه على كساد (تجارته) .

- وحتى يكدح من أجل اللقمة أولئك الذين لم يحققوا العبودية ولم يغسلوا وجوههم ، وهم أنفسهم طعام الجحيم .

٣٦٠٥ – إن روح العامي آكلة ومأكولة ، مثله كمثل ذلك الحمل الذى يرعى فى القمامة .

– إنه لا يفتأ يرعى ذلك الحمل ، والقصاب سعيد قائلا : إنما يرعى ذلك الحمل الأوراق والأعشاب من أجلنا .

– وها أنت تقوم بعمل الجحيم فى كل ما تراه صالحا للأكل ، ومن أجل الجحيم تقوم بتسمين نفسك .

– فاعمل من أجل نفسك واحزم أمرك وتناول رزق الحكمة ، حتى يصبح قلبك ممتلئا سمينا بعظمة الحكمة وأبهتها .

– وإن إطعام الجسد مانع لهذا الطعام ، فالروح مثلها مثل التاجر ، والجسد مثله كمثل قاطع الطريق .

٣٦١٠ – ويكون شمع التاجر مشتعلا ذا ضياء ورواء طالما كان قاطع الطريق محترقا كالحطب .

– وإنك بأجمعك عقل ووعى وما بقى فيك كله غطاء لهذا العقل والوعى ، فلا تفقد (معرفتك بكنه) نفسك ، ولا تهزل .

– وإعلم أن كل شهوة هى كالخمر وكالمخدر ، فهى حجاب على الوعى والعاقل منها فى ذهول .

– وليست الخمر وحدها هى سبب سكر العقل ، إن كل ما هو يتعلق بالشهوة ، يغلق العين ، ويذهب اللب .

– لقد كان إبليس ذاك متجنبا للخمر ، لكنه كان ثملا من التكبر والجحود .

٣٦١٥ – إن الثمل هو الذى يرى ما ليس موجودا ويبدو له ذهبا الذى هو نحاس وحديد .

– ويا موسى [1] هذا الكلام ليس له نهاية ، فهيا وحرك شفتيك (بالدعاء) حتى ينبثق النبات من الأرض .

– وهكذا فعل ، وفي نفس اللحظة ، إخضرت الأرض من السنابل ذات الغلال الثمينة الغالية .

– فتقاطرت تلك الجماعة على (الطعام) أولئك الذين أصابهم نفس موسى من البشر والدواب .

٣٦٢٠ – وعندما امتلأت البطون وتساقطوا على النعم ، وذهبت تلك المخمصة ، لجوا ثانية فى طغيانهم .

– إن النفس فرعونية فانتبه ولا تشبعها ، حتى لا تذكر كفرها السابق .

– ولا تطيب هذه النفس إلا بحرارة النار ، ومالم يصهر الحديد كقبس من نار انتبه ولا تدق عليه .

– ولا يصير الجسد متحركا دون أن يصيبه الجوع ، وإلا فاعلم أنك تدق على الحديد البارد .

– وهى وإن بكت وضجت بالنواح ، لن تصبح مسلمة ، فانتبه إلى هذا جيدا .

٣٦٢٥ – إنها مثل فرعون ، وفى القحط ، تكون كما كان فرعون مع موسى ، شاكية باكية متضرعة .

– وعندما تستغنى تطغى ، والحمار عندما يسقط الحمل عن نفسه يبرطع .

– إنها تنسى أناتها وضراعاتها السابقة ، عندما يستجاب لدعائها وتقضى حاجتها .

---

(١) هنا عنوان في نسخة جعفري (جـ ١١/صـ ٥٥) : دعاء موسي وإخضرار المزارع .

- إن المرء ليقضى سنوات من (عمره) فى إحدى المدن ، وفى لحظة واحدة عندما يروح فى النوم ؛

- يرى مدينة أخرى بخيرها وشرها ، ولا يتذكر شيئا عن مدينته التى هو فيها بالفعل.

٣٦٣٠ - ولا يقول لنفسه : لقد كنت فيها وهذه مدينة جديدة ليست مدينتى وليس لى فيها مقام .

- بل كذلك يعتبر أنه كان دائما فى هذه المدينة الجديدة المبتدعة وإن ألفته إليها .

- فأى عجب ألا تذكر الروح شيئا عن مواطنها القديمة التى كان فيها مولدهاومسكنها،

- ولا تعتبر أن هذه الدنيا كالحلم تغطى ذلك الموطن القديم كما يغطى السحاب النجوم .

- خاصة وقد طرقت مدنا جديدة ، ولم ينفض الغبار عن إدراكها .

٣٦٣٥ - ولم تجتهد اجتهادا خاصا من أجل أن يصبح القلب صافيا يرى ما حدث .

- فيرفع قلبها رأسه من موطن السر ، ويبصر البداية والنهاية بعين مفتوحة . (١)

أطوار خلق الإنسان و منازلة من البداية

- لقد جاء فى البداية إلى إقليم الجماد ، ومن الجمادية انتقل إلى (المرحلة) النباتية .

- وعمر فى المرحلة النباتية بضع سنوات ، وهو لا يذكر فى بحبوحة النباتية شيئا عن الجمادية .

(١) البيت في نسخة جعفري تحت العنوان الذي يتلوه (جـ ١١/ ص ٥٥) .

– وعندما انتقل من المرحلة النباتية إلى المرحلة الحيوانية ، لم يذكر شيئا قط من أحوال المرحلة النباتية .

٣٦٤٠ – اللهم إلا هذا الميل الموجود لديه إلى النبات ، خاصة فى وقت الربيع ، وأوان الرياحين .

– تماما كميل الأطفال إلى أمهاتهم ، دون أن يعلموا أن سر هذا الميل هو الرضاع .

– وكذلك الميل المفرط من كل مريد جديد فى الطريق ، إلى شيخه فتى الاقبال .

– فهو بمثابة العقل الجزئى والشيخ بمثابة الكلى ، وحركته منه كحركة الظل من غصن الورد .

– وفى النهاية يفنى ظله فيه ، فيعلم – من ثم – سر ميله إليه وطلبه إياه .

٣٦٤٥ – ويا أيها المقبل ، متى يتحرك هذا الغصن مرة ثانية إن لم تتحرك الشجرة من أساسها ؟.

– ثم يجذبه ذلك الخالق الذى تعلمه مرة ثانية من المرحلة الحيوانية إلى المرحلة الإنسانية .

– وهكذا ، فقد انتقل من إقليم إلى إقليم ، حتى صار الآن عاقلا عالما عظيما .

– ولا يتذكر شيئا عن عقوله الأولى وأنه قابل أيضا للتحول عن هذا العقل الذى هو فيه .

– وإنه عندما يتخلص من هذا العقل المليء بالحرص والطلب ، يرى مئات الآلاف من العقول العجيبة .

٣٦٥٠ – وإذا كان قد صار نائما وناسيا ما فات ، فمتى يترك نسيانه ذاك .

– إنه يجذب من نومه هذا إلى اليقظة ، بحيث يسخر من أحواله (السالفة) .

– متسائلا : أى حزن ذاك الذى أحسه فى النوم وكيف نسيت أحوال الصواب ؟!

– وكيف لم أعلم أن ذلك الحزن والاعتلال هو من فعل النوم . ومجرد خداع وخيال ؟.

– وكذلك الدنيا ، فهى مجرد حلم نائم ، والنائم يظن أن نومه دائم .

٣٦٥٥ – حتى ينبثق على حين غرة صبح الأجل ، فينجو من ظلمة الظن والوهم والخداع .

– فيضحك ساخرا من أحزانه تلك ، عندما يرى نفسه مستقرا فى مكانه .

– وكل ما تراه فى النوم من خير وشر ، يبدو لك يوم الحشر ظاهرا عملا عملا .

– وكل ما فعلته فى نوم الدنيا هذه ، يصبح لك عند اليقظة واضحا عيانا بيانا .

– حتى لا تظنن أن فعل الشر هذا هو مجرد رؤيا نائم ، ولا تفسير لها من أجلك .

٣٦٦٠ – بل إن ذلك الضحك يكون بكاء وعويلا فى يوم التعبير يا ظالما للأسير .

– وأعلم أن بكاءك وألمك وحزنك وعويلك ، يصير فرحا وسرورا عند يقظتك .

– وأنت يا من مزقت جلود أمثال يوسف تنهض من نومك هذا ذئبا .

- وصارت كل خصلة من خصالك ذئبا لا يفتأ ينهش أعضاءك غضبا .

- والدم لا ينام بعد موتك من القصاص ، فلا تقل : لقد مت إذن ووجدت الخلاص .

٣٦٦٥ - وأن هذا القصاص (فى الدنيا) هو جزاء احتيالك ومكرك ، وهو بالنسبة لذلك القصاص (فى الآخرة) مجرد ألعوبة .

- ومن هنا فقد سمى هذه الدنيا لهوا ولعبا ، ذلك أن هذا الجزاء مجرد لهو ولعب أمام ذلك الجزاء .

- إن هذا الجزاء مجرد تسكين للخصومة والفتنة ، إنه كالختان ، وذاك الجزاء فى الآخرة مثل الخصى .

بيان أن أهل جهنم جوعى و متضرعون إلى الحق

قائلين : أكثر أرزاقنا ، وعجل لنا فى إرسال الزاد ،

فلم يبق لدينا صبر .

- يا موسى .. هذا الكلام لا نهاية له ، هيا .. ودع هذه الحمر فى رعيها !

- حتى تسمن كلها من هذا الرعى الجيد ، هيا ، فإن عندنا ذئابا غاضبة فى إنتظارها.

٣٦٧٠ - ونحن نعلم أن ذئابنا أخذه فى العواء ، ولنجعل هذه الحمر إذن طعاماً لها .

- وإن تلك الكيمياء طيبة النفس المنبعثة من شفتيك أرادت أن تحول هذه الحمير إلى بشر .

- ولقد دعوت كثيرا باللطف والجواد ، ولم يكن لتلك الحمر طالع ورزق .

- فابسط عليهم إذن لحاف النعم مغطيا إياهم به ، وذلك حتى يخطفهم نوم الغفلة سريعا .

– وعندما تفرغ هذه الجماعة من نوم (ثقيل) كهذا يكون الشمع قد انطفأ والساقى قد مضى .

٣٦٧٥ – لقد حيرك طغيانهم ، فدعهم يشعرون بالحسرة عندما يقرأون (جزاهم) .

– فما أن يخرج عدلنا بقدمه إلى الوجود ، حتى يعطى لكل عاص الجزاء الجدير به .

– (ويعلمون) أن ذلك المليك الذى لم يكونوا يرونه عيانا ، كان موجودا معهم فى عالم المعاش مخفيا عن عيونهم .

– وما دام العقل موجودا معك مشرفا على جسدك ، لكن رؤيتك كانت قاصرة عن وجوده .

– وبسبب رؤيتك القاصرة يا هذا ، إنه دائما يمتحن حركاتك وسكناتك .

٣٦٨٠ – فأى عجب أن يكون خالق ذلك العقل موجودا معك أيضا وكيف لا تجيز هذا الأمر؟!

– ألا يكون المرء غافلا عن عقله ويحوم حول الشر ، ثم يلومه عقله فيما بعد ؟!

– لقد صرت غافلا عن عقلك ، لكن عقلك لم يغفل عنك ، فمن حضوره تكون الملامة.

– وإذا لم يكن حاضرا وكان غافلا (مثلك) ، فمتى كان يقوم بصفعك عند اللوم ؟!

– وإذا لم تكن نفسك غافلة ، فمتى كانت تقوم بكل هذا الجنون والفساد ؟.

٣٦٨٥ – إذن فعقلك بالنسبة لك (أيها الإنسان) كالإصطرلاب ، فمنه تعرف قرب (سطوع) شمس الوجود .

- وعقلك قريب منك قربا بلا كيفية ، ليس عن يمينك ولا عن يسارك ولا قدامك أو وراءك .

- فكيف لا يكون للمليك قرب بلا كيفية ، لا يستطيع العقل أن يحدد الطريق إليه أو ماهيته ؟.

- وليست هذه الحركة فى أصبعك أمام هذا الأصبع أو خلفه أو عن يساره أو عن يمينه .

- إنها تمضى عنه عند النوم والموت ، وتكون معه عند اليقظة (والحياة) .

٣٦٩٠ - فمن أى طريق تأتى هذه (الحركة) إلى إصبعك ، وبدونها لا فائدة من إصبعك

- ونور العين وإنسان العين عندك من أى طريق أتى ... غير الجهات الستة ؟.

- إن عالم الخلق ذو اتجاهات وجهات ، لكن فأعلم أن عالم الأمر هو والصفات فوق الجهات .

- وأعلم أن عالم الأمر هو بلا جهات أيها المحبوب ولا جرم أن تكون الجهات أكثر انتقاء عن الآمر .

- وبلا جهة كان العقل ، وعلام البيان أكثر عقلا من العقل وأكثر روحا من الروح .

٣٦٩٥ - ولا يوجد مخلوق قط بلا تعلق أو إتصال به ، لكن ذلك الإتصال بلا كيفية أيها العم .

- ذلك أن الروح لافصل فيها ولا وصل ، لكن الظن لا يفكر إلا فى الفصل والوصل .

- فافهم من الدليل ما هو غير الوصل وغير الفصل ، لكن هذا الفهم لايشفى الغليل .

- واسع دائما إن كنت بعيدا عن الأصل ، حتى يأتى بك عرق الرجولية إلى الوصل .

- وكيف نفهم العقل هذه الصلة وهذا العقل مرتبط بالفصل والوصل ؟!

٣٧٠٠ - ومن هنا فإن المصطفى عليه السلام قد نهانا عن البحث فى ذات الله .

- ذلك أن ما هو قابل للتفكير فى ذاته ، هو فى الحقيقة (فى ذات المفكر) ليس فى ذاته هو (جل وعلا) .

- إنه ظنه هو، ذلك أنه فى الطريق ... هناك مئات الآلاف من الحجب ... حتى الإله .

- وكل إمرىء فى حجاب ذى صلة بطبيعته وجبلته ، لكن وهمه (يملى عليه) أن هذا الحجاب هو ذات (الله) .

- ومن ثم فإن الرسول قد دفع هذا الوهم عنه ، حتى لا يتمادى فى تربية الوهم على سبيل الخطأ .

٣٧٠٥ - وذلك الذى يكون فى توهمه ترك للأدب ، فإن الله سبحانه وتعالى قد نكس من لا أدب عنده .

- وهذا النكس يكون فحواه أنه يمضى إلى الحضيض بينما يظن أنه منتصر وغالب وسام .

- ذلك أن حد الثمل هو ألا يستطيع التمييز بين السّماء والأرض .

- ففكروا إذن فى آلائه وعجائبه ، وتوهوا (عن ذواتكم) من العظمة والمهابة .

- وعندما يفقد المرء من (مشاهدة) صنعه كبرياءه وإدعاءه[1] يعرف حده ... ويقر بالصانع .

---

(١) حرفيا : لحيته وشاربه .

٣٧١٠ – ولا يهتف من أعماق روحه إلا بلا أحصي (ثناء عليك) ، فإن بيان (تلك العظمة) خارج عن الحد والحصر .

ذهاب ذى القرنين إلى جبل قاف وسؤاله إن يحدثه عن عظمة صفات الحق ، وجواب جبل قاف عليه بأن الحديث عن عظمة الحق وصفات عظمة لا تتأتى فى بيان فأمامها تفنى الأفهام وتضرع ذى القرنين إليه قائلا : حدثنى عما تذكر من صنائعه وما ترى قوله سهلا عليك .

– ذهب ذو القرنين إلى جبل قاف ، فرأى إنه من الزمرد الصافى .

– قد أحاط بالعالم إحاطة السوار بالمعصم(١) ، فتحير في ذلك الخلق اليسير (على الله تعالي) .

فقال : إذا كنت جبلا فماذا تكون تلك الجبال الأخرى ، إنها بالقياس إلي عظمتك مجرد دمى .

– قال : إن هذه الجبال هى عروقي ، ولا تكون مثلى فى الحسن والبهاء .

٣٧١٥ – إن لي عرقا خفيا فى كل مدينة ، وأطراف الدنيا مجموعة بهذه العروق .

– وعندما يريد الحق أن يبتلى إحدى المدن بزلزال ، يأمرني بأن أحرك العرق (الخاص بها) .

– فأحرك طبقا للقهر (الإلهى) ذلك العرق الذي تكون تلك المدينة متصلة به .

– وعندما يقول: كفي،تسكن عروقى، لكن هذا السكون سكون بالعقل وأكون أنا فى حركة .

– كالمرهم يكون ساكنا لكنه شديد الفعالية ، كالعقل يكون ساكنا والكلام فى حركة منه .

---

(١) حرفيا : كالحلقة .

٣٧٢٠ – وفى رأى ذلك الذى لا يستطيع عقله أن يدرك هذا الأمر ، أن الزلازل تحدث من أبخرة الأرض ! [١]

كانت نملة تسير على « ورقة » فرأت كتابة القلم ، فأخذت في مدح القلم ، فقالت نملة أحد بصرا : إمدحي الأصابع فإني أرى أن هذا فضلها ، فقالت نملة أخرى أحد بصرا منها وأنا أمدح الساعد فالأصابع فرع من الساعد .. إلى آخره

– رأت نملة صغيرة قلما (خط) على ورقة ، فباحت بهذا السر لنملة أخرى .

– قائلة : لقد قام هذا القلم بعجائب الصور والنقوش ، لقد نقش الريحان ومزرعة السوسن .. والورود .

– فقالت تلك النملة : إن الإصبع هى التى قامت بكل هذا الصنع ، والقلم فى فعله مجرد فرع وأثر .

– فقالت النملة الثالثة : إن هذا (من فعل) الساعد ، فإن الإصبع النحيلة قامت بالتصوير بقوته .

٣٧٢٥ – وهكذا أخذت (كل نملة) تمضي إلى (علة) أعلى .. حتي رئيسة النمل التي كانت أكثر فطنة بقليل .

– قالت : لا تنظروا إلى هذا الفن من مجرد الصورة فإن هذه الصورة تفقد حسها بالنوم والموت !

– فالصورة كأنها اللباس وكأنها العصا ، وليس إلا بالعقل والروح تتحرك الصور .

---

(١) (٢) ج / ١١– ٧٦ : ليس من أبخرة الأرض ، إنه من أمر الحق ومن هذا الجبل المرسل !!

- لقد كانت (تلك النملة الذكية) غافلة أيضا عن أن ذلك العقل والفؤاد هما أيضا دون تقليب الله مجرد جماد .

- وأنه إن صرف عنايته عنه لحظة واحدة ، فإن عقل الذكى يقوم بكثير من البلاهات .

٣٧٣٠ - [١] وعندما وجد ذو القرنين (الجبل) ناطقا ، قال عندما ثقب جبل قاف در النطق .

- أيها المتحدث الخبير العالم بالسير ، حدثنى ببيان (فصيح) عن صفات الحق .

- قال : إمض ، فإن هذا الوصف أعظم من أن يستطيع بيان أن يتحدث عنه ،

- أو تكون للقلم جرأه أن يكتب بسنه علي الصحف خبرا (عن) هذه الصفات .

- قال : حدثنى عن نبذة من عجائب الحق أيها الحبر الطيب .

٣٧٣٥ - قال : هذه صحراء تقطع في ثلاثمائة سنة،ولقد ملأها المليك بجبال من الثلج .

- جبال من الثلج متراكمة فوق بعضها لا يحدها عد أو حصر ، يصل إليها في كل لحظة مدد من الثلج ،

- يحف جبل من الثلج بجبل آخر من الثلج ، ويوصل الثلج البرودة حتي الثري.

- ولحظة بلحظة يطامن جبل من الثلج جبلا آخر من الثلج ، لحظة بعد أخري في المخزن العجيب الذي لا حد له .

- ولو لم يكن مثل هذا الوادي موجودا أيها العظيم ، لكانت حرارة الجحيم قد قامت بمحوى والقضاء علي .

---

(١) هنا عنوان في نسخة جعفري (جـ ١١/ ٨٠) التماس ذي القرنين لجبل قاف ليبن له صنعا من صنائع الله .

٣٧٤٠ – فأعلم أن الغافلين هم بمثابة جبال الثلج ، ذلك لكي لا تحترق حجب العاقلين .

– ولو لم تكن صورة الجهل الناسجة للثلوج ، لاحترق جبل قاف هذا من نار الشوق .

– إن النار في حد ذاتها ذرة من غضب الله وقهره ، وهي بمثابة الدرة من أجل ردع اللؤماء .

– ومع مثل هذا القهر الذي هو مهول ويفوق الحد ، أنظر إلي برد لطفه الذي سبقه .

– إنه سبق معنوي لا مثال له ، ولقد رأيت السابق والمسبوق دون أن تكون هناك إثنينية .

٣٧٤٥ – وإن لم تر هذا فالسبب هو الفهم الدني ، فإن عقول الخلق بالنسبة لهذا المنجم كحبة شعير .

– فاعتبر أن العيب من نفسك لا من أيات الدين، فمتي يحلق في أفلاك الدين طائر الطين؟!

– إن هذه الطيور لا تحلق في مكان أعلي من هذا الفضاء ، ذلك لأن نشأتها ونموها من الشهوة ومن الهوي ..

– فكن حائرا إذن دون إنكار أو إقرار ، ربما يتقدمك عون من الرحمة ومحمل .

– فما دمت غبيا و (دون) فهم هذه العجائب ، تكون قد تكلفت .. إذا أقررت أو أنكرت .

٣٧٥٠ – وإن قلت لا ، فإن لا هذه تضرب عنقك ، ويسد القهر بـ « لا » هذه كوة (الرحمة) أمامك .

– إذن فكن حائرا ووالها فحسب ، حتي يأتيك نصر الحق من قدام ومن وراء .

- وما دمت قد أصبحت حائرا مندهشا فانيا فقد قلت بلسان الحال :
إهدنا .

- إنها (حقيقة) شديدة العظمة وعندما ترتعد أمامها ، تصير تلك العظمة رقيقة مستوية .

- ذلك أن السحنة العظيمة المهابة تكون من أجل المنكر ، لكنك إن أبديت العجز تكون لك لطفا وبرا .

إظهار جبريل عليه السلام للمصطفى صلى الله عليه وسلم لصورته ، وعندما ظهر جناح واحد من أجنحته السبعمائة سد الأفق وحجب الشمس بكل أشعتها

٣٧٥٥ - أخذ المصطفي يقول لجبريل ، أظهر لي صورتك كما هي أيها الخليل .

- بحيث تكون محسوسة وظاهرة ، حتي أراك رأي العين .

- قال : إنك لن تتحمل ، فلا طاقة لك بهذا ، فالحس ضعيف ودقيق ، ويشق الأمر عليك .

- قال (المصطفي) : فلتبد لي حتي يري هذا الجسد إلي أي مدي هو رقيق ضعيف وبلا مدد .

- فإن حس الجسد في الإنسان سقيم ضعيف ، لكنه ببساطة خلق عظيم

٣٧٦٠ - إن هذا الجسد علي مثال الحجر والحديد ، لكن فيه صفة الزند (يولد النار) .

- والحديد والنار هما منشأ إيجاد النار ، ومولد النار القاهرة من هذين الوالدين .

- ثم إن النار مسلطة علي صفة البدن ، فهي قاهرة له مضرمة لهبها فيه !

– ثم إن في بدن الإنسان شعلة كإبراهيم الخليل ، بصير برج النار مقهورا منها[1] .

– فلا جرم أن قال ذلك الرسول صاحب الفضائل رمز « نحن الآخرون السابقون » .

٣٧٦٥ – إن ظاهر هذين أي الجسد والحديد أن كليهما ضعيف أمام السندان ، لكنهما في الصفة يزيدان (في القوة) عن مناجم حديد .

– فالإنسان في صورته فرع من فروع هذا الكون ، لكن إعلم أنه بصفته أصل هذه الدنيا .

– إن ظاهرة تؤدي بعوضته إلي الدوار حول نفسه ، لكن باطنه محيط بالأفلاك السبعة.

– وعندما ألح عليه (المصطفي) أبدي (جبريل) قليلا (من كثير) وكان لهذا القليل هيبة يندك منها الجبل .

– لقد أبدي جناحا واحدا احتوي الشرق والغرب ومن الهيبة أغمي علي المصطفي .

٣٧٧٠ – وعندما رآه فاقد الوعي من الخوف والرعب ، جاء جبريل وأخذه بين أحضانه .

– قائلا له : إن هذه المهابة هي نصيب الغرباء ، لكن اللطف عندنا مبذول للأحبة دون ثمن .

– إن الملوك عندما يركبون (في مواكبهم) تتم لهم الهيبة من القواد والسيوف (مشرعة) في أيديهم .

– وصيحات الإبعاد والحراب والسيوف ، بحيث يرتعد الأبطال الشجعان مهابة وخوفا .

---

(١) هنا زائد في نسخة جعفري (١١/٨٥) هو :
إنك أن أخرجت من داخلك نار (الشهوة) ، فإن نارك تصير ملكا منقادة إليك .

- وأصوات الحراس وتلك الصولجانات ، التي تهلع الأرواح رعبا منها .

٣٧٧٥ - إن هـــذا كله من أجـل المـــارين من الخواص والعوام ، بحيث تجعلهم يعرفون أن الملك (سوف يمر) .

- تكون هذه المهابة من أجل العوام ، حتي لا ترتدي هذه الجماعة قلنسوة الكبرياء !

- حتي تنكسر نفوسهم وتنسحق ذواتهم ، وتكف نفوسهم المغرورة عن الفتنة والشر .

- ومن هذا تأمن المدينة ، ذلك أن الملك عنده في غـضـبـه الضـرب والأخـذ والاعتقال .

- فتموت تلك الشهوات في النفوس ، وتمنع هيبة الملك من وقـوع هـذه (الفتن) المنحوسة .

٣٧٨٠ - لـكنـه عندمـا يـأتـي نحـو مجلسـه الخـاص ، متي تكون هناك مـهابة أو قصاص ؟.

- إنه حلم مـجسـد ورحـمـة جياشـة فـوارة ، ولا تسـمـع صـوتا إلا أنغـام الصنج والناي .

- إن الطبـل والكوس تكون رعـبـا في أوان الحـرب ، لكن عـنـد اللهـو مع الخواص هناك أنغام الصنج .

- إن ديوان المحاسـبـات يكون من أجل العـوام ، لكن حـور الوجـوه يكن قريعات الكئوس .

- وذلك الدرع وتلك الخـوذة تـكونان مـن أجل الحـرب والقـتـال ، وتلك الأوتار (١) وذلك الرود (٢) من أجل الخميلة .

---

(١) في النص حرير والمقصود به الأوتار .

(٢) اسم آلة موسيقية شبيهة بالعود .

٣٧٨٥ - إن هذا الكلام لا نهاية له أيها الجواد ، فاختمه والله أعلم بالرشاد .

- إن ذلك الحس الذي هو غارب عند أحمد ، قد نام الآن تحت تراب يثرب .

- لكن عظيم الخلق ، ذلك البطل الذي شق الصفوف ، في مقعد صدق لم يطرأ عليه تغير .

- إن أوصاف الجسد هي موضع التغيير ، لكن الروح الباقية شمس ساطعة .

- فلا يطـرأ عليها تغيير إذ أنها « لا شرقية » ، ولا يعتريها تبديل إذ أنها « لا غريبة » .

٣٧٩٠ - ومتي تصاب شمس بالدهشة أمام ذره ؟! ومتي يصير الشمع فاقد الوعي من الفراشة ؟!

- لقد كان للجسد صلة بهذا الأمر ، فأعلم أن هذا التغير مرتبط بهذا الجسد فحسب .

- كما يطرأ عليه المرض والنوم والألم ، لكن الروح تكون منفصلة عن هذه الصفات بريئة منها .

- أنني لا أستطيع الحديث عن وصف الروح ولو تحدثت عنها ، لزلزل هذا الكون والمكان زلزاله !

- فلو كان جسده عليه السلام وهو علي مثال الثعلب قد اضطرب للحظة ، أكان أسد الروح قد نام هو الآخر في تلك اللحظة ؟!

٣٧٩٥ - أيكون ذلك الأسد البريء من النوم والغفلة قد نام ؟! هاك إذن أسد مخيف رقيق .!

- إن الأسد ليتظاهر بالنوم بحيث تظن هذه الكلاب أنه قد مات تماما .

- وإلا فمن كان يجرؤ في هذه الدنيا علي اختطاف شيء مهما كان حقيرا (١) من أحد الضعفاء ؟!

---

(١) حرفيا : تربده وهي نبات مسهل .

- لقد خدش جسد أحمد من تلك النظرة (إلي جبريل) ، لكن بحره (روحه) من حب الزبد صار شديد الجيشان .
- والقمر في حد ذاته ليس إلا كفا واهبة للنور ، وإن لم يكن للقمر هذا الكف .. فقل له لا كنت .

٣٨٠٠ - ولو كان أحمد قد نشر هذا الجناح الجليل ، لاندهش جبريل إلي الأبد .
- وعندما عبر أحمد السدرة ومرصدها ، وجاوز مقام جبريل وحده ،
- قال له : هيا ، طرفي أثري ، قال له : هيا إمض : إنني لست ندا لك .
- ثم قال له : تعال يا محرق الحجب ، إنني لم أمض إلي أوجي بعد ،
- قال : بعد هذا الحد - ياعظيم المجد - لو خفقت بجناحي لاحترق هذا الجناح .

٣٨٠٥ - إن هذه القصص حيرة في حيرة ، كحيرة الخواص تكون فيما هو أخص .
- وكل أنواع الحيرة هنا عبارة عن ألاعيب .. فكم روحا لديك ، إن هنا مقام التضحية بالروح .
- فيا جبرائيل مهما كنت شريفا وعزيزا ، فلست بفراشة .. ولست أيضا بشمعة ؟!
- والشمع عندما يدعو وهو في ألق ضوئه ، فإن روح الفراشة لا تتوقي الاحتراق .
- فلتدفن هذا الحديث المقلوب في تراب (النسيان) واجعل الأسد علي العكس صيدا لحمر الوحش .

٣٨١٠ - واربط قربة كلامك الذي يتناثر كالبول ، ولا تفتح فوهة هميان عبثك وتخريفك .

– إن ذلك الذي لم تبارح أعضاؤه هذه الأرض ، يكون هذا الكلام أمامه معكوسا ويكون هذرا .

– « لا تخالفهم حبيبي ، دارهم ، ياغريبا نازلا في دارهم .

– أعط ما شاءوا وراموا أرضهم ، يا ظعينا ساكنا في أرضهم » (١) .

– وفي الوصول إلي الملك وإلي عزة تواءم أيها الضد مع ضدك (٢) .

٣٨١٥ – ويا موسي .. ينبغي لك أمام فرعون العصر...أن تتحدث هونا وأن تقول قولا لينا .

– فإنك إن وضعت الماء في الزيت المغلي ، فإنك تحطم الأثا في وتحطم القدر .

– تحدث هونا ، لكن لاتقل غير الصواب ولا تتبع الوسوسة في لين الخطاب .

– لقد حان وقت العصر فاقصر الكلام ، يا من بيانك منبه ومخبر لأهل العصر .

– وقل لأكل الطين أن السكر أفضل ، ولا تلن له في الفساد ولا تعطه الطين .

٣٨٢٠ – إنك « يا حسام الدين » روضة الروح لنطق الروح ، هذا إن استغنيت عن الحرف والصوت .

– إنه (أي الحرف والصوت والحكايات) أشبه برأس حمار في مزرعة قصب ، وما أكثر الناس الذين كانت لهم شوكا « في الطريق » .

– إنه يظن من بعيد أن الأمر هكذا فحسب ، فأخذ يتقهقر كأنه كبش مغلوب .

---

(١) بالعربية في المتن .

(٢) حرفيا : تواءم أيها الرازي مع المروزي .

– فـأعلـم أن صـورة الكلام هـي رأس الـحـمـار يقـينا ، في كـرم المـعني والفـردوس الأعلي .

– فياضياء الحق ياحسام الدين نصب رأس حمار في مزرعة الشهد هذه .

٣٨٢٥ – فـمـا دامت رأس الـحـمـار هذه قـد مـاتت وسـلـخت عن جـسـدها فـإن هذا الوضع يهبها حياة أخري .

– هيا فمنا الصورة ومنك الروح .. لا أن هذا خطأ ، فكلاهما منك .

– إنك مـحمود علـي الفلك .. أيتها الشمس المنتشرة ، فلتكن مـحمودا إلي الأبد فوق الأرض .

– حـتي يصـيـر الأرضي شـريكا مع السـمـاء العـالية في القلـب والقـبلة والطبع .

– فـتنتـهي التـفـرقـة والشـرك والاثنينيـة ، ذلك أن الوحـدة فـي الوجـود المعنوي .

٣٨٣٠ – فـمادامت روحـي تعـرف روحك ، فـإنهـمـا يعـرفان مـعا ذلك الاتحـاد الذي حدث .

– وموسي وهـارون يصـيران ممتزجين مـعا في الأرض كمـا يمتزج اللبن والعسـل .

– وعندما تفهم روحـي قليلا من الأمر وتنكر ذلك ، يصـيـر الإنكار حجابا سـاترا علي الحقيقة .

– ورب عارف قد حول وجهه (عن الحقيقة) ، وأغضب من حجوده ذلك القمر .

– ومن ثم فإن الروح الشريرة جهلت روح النبي ونبذتها وراء ظهرها .

٣٨٣٥ – لقد قـرأت كل هذا فأقـرأ أيضا « لـم يكن » حتي تعلـم عناد ذلك المجوسي القديم العنيد .

– وقبل أن تظهر صورة أحمد بمجدها ، كان ذكره تعويذة عند كل كافر .

– وكانت قلوبهم تخفق من مجرد تصور ظهور مثل هذا الشخص ووجوده ومن تخيل وجهه .

– كانوا يسجدون قائلين : يارب البشر ، إيت به عيانا بأسرع ما يمكن .

– وعندما كانوا يستفتحون باسم أحمد ، كان طغاتهم ينقلبون .

٣٨٤٠ – وكلما حدثت حرب ضروس ، كان ذكر أحمد عونا لهم عليها .

– وحيثما كان هناك مرض مزمن ، كان ذكرهم له هو الدواء الشافي .

– كانت صورته تطوف في طرقهم وفي قلوبهم وفي آذانهم وفي أفواههم.

– ومتي يدرك كل من هو (في طبع) ابن آوي صورته ، بل فرعا من صورته أي خيالها .

– وإن صورته لو وقعت علي جدار لتساقط من قلب الجدار دم القلب .

٣٨٤٥ – ولصارت صورته مباركة بالنسبة للجدار ، ولتخلص من حالة كونه ذي وجهين .

– واتصافه بأنه ذو وجهين عيب عند إخوان الصفاء والذين يتميزون بأنهم ذوو وجه واحد .

– وكل هذا التعظيم والتفخيم والوداد ، ذهب كله إدراج الرياح عندما رأوه بصورته .

– لقد تعرض الزيف للنار فاسود لوقته ، ومتي كان للزيف طريق إلي القلب ؟!

– وإن الزيف لينفج بشوقة إلي المحك ، حتي يلقي بالمرتدين في (هاوية) الشك .

٣٨٥٠ – ويسقط الخسيس في شباك مكره ، وهكذا يصدر هذا الظن عن كل خسيس ،

– (إذ يظن) قائلا : إن لم يكن هذا ذهبا خالصا متي كان ليرغب في حجر المحك .

– إنه يريد المحك ، لكن بحيث لا يبدو زيفة للعيان من هذا المحك .

– وذلك المحك الذي يخفي الصفات لا هو بالمحك ولا هو بنور المعرفة .

– والمرآة التي تخفي عيوب الوجه رعاية لخاطر كل ديوث .

٣٨٥٥ – لا تكون مرآة .. بل موجود منافق ، فلا تبحث عن مثل هذه المرآة ما استطعت .(١)

---

(١) ج / ١١ – ٨٩ :

– أبحث عن مرآة صادقة القول لانفاق عندها واختم والله أعلم بالوفاق .

– حتي يصنع الله تعالي مرآتك نفسها بحيث تبدي العرش وكأنه السها .

– أي عرش .. وأي ملك ياذا اللباب ، إفهم والله أعلم بالصواب .

شــروح وهــوامش

مقدمة الكتاب الرابع

يقول يوسف بن أحمد : أتممت الجزء الأول : المتكفل ببيان مرتبة الشريعة والثانى : المتكفل ببيان الطريقة ، والثالث المتكفل ببيان الحقيقة ، والآن ألهمت أن أكتب على المجلد الرابع المتكفل بإظهار نكات أسرار التوحيد (منهج ٤/٢) فهل هذه حقيقة ؟! .

الواقع أن كل متصوفى أهل السنة كانوا يدورون فى الأطر الثلاثة ، لكن لم يتحدث أحدهم عن كل موضوع على حدة حتى سنائى الغزنوى الذى سمى منظومته حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة ، وإن جاهد الشراح على بيان الأطر الثلاثة فى شروحهم .

الظعن الرابع :

الظعن هو السير ، فكأن المثنوى رحلة يعتبر كل كتاب منها مرحلة من هذه الرحلة ، والمقصود بأحسن المرابع فى رأى يوسف بن أحمد هو عالم الخلق من حيث ظهور الحق فيه لأن السفر الأول من النفس إلى الحق والسفر الثانى من الحق إلى الحق والثالث من الحق إلى الخلق والرابع وهو هذا السفر من الخلق إلى الخلق (مولوى ٤/٣) .

مجدد عهد الألفة : هو الميثاق وهو عهد ألست الذى كان بينهم قبل ذلك فى عالم الأزل وهو القيام على العبودية التى أقروا بها فى الأزل فلما توالى المشهد الإنسانى أستولت عليهم الطبيعة ونسوا الله فأنساهم أنفسهم فأرسل إليهم رسله وأولياءه فذكروهم (مولوى ٤/٤) .

أصحاب الكلفة : هم عامة المؤمنين الذين يصعب عليهم إدراك الحقائق ويتكلفون فى فهمها أتعب الطرائق (مولوى ٤/٤) للمزيد : لئن شكرتم لأزيدنكم .

أصل الأبيات :

- ومما شجانى أننى كنت نائما ، أعلل من برد بطيب التنسم .

يقال أنه من شعر ابن زكريا التبريزى أو برهان الدين النحوى وقيل يزيد بن مالك (مولوى ٤/٦) وقال جعفرى (٩/٢٧١) بل يزيد بن معاوية وذكر الجاحظ البيتين الأخيرين منسوبين لنصيب (الحيوان / جـ ٣ / ص ٤٧٣ بتحقيق فوزى عطوى طبعة لبنان وسوريا ١٩٦٨) كما ورد البيتان الأخيران دون إسناد إلى القائل فى مقالات شمس ص ٣٠٩ ، وفى شرح عبد الباقى جلبنارلى Abdul Baki Golpinarli . Mesnevi ve Serhi Cilt] .

4/S.5 - Ankara, Kultir Bakanligi Yayinlare (1989)] نقل أن الأبيات من تأليف أحمد بن عبد المؤمن القيسى وذلك نقلا عن أنباء الرواة ، وعن نفس المصدر نقلا عن شارح مقامات الحريرى أنها لعدى بن الرقاع العاملى الذى عاش فى القرن الرابع للهجرة والقصيدة موجودة بالكامل فى المجلد الثامن من الأغانى وفى كامل المبرد .

١ – ١٠ : الخطاب لحسن حسام الدين (انظر مقدمة الكتاب الأول) يشير مولانا إلى حديث « إن لله عبادا قلوبهم أنور من الشمس » وقد وصف حسن حسام الدين فى مقدمة الكتاب الأول بقوله « ألقت الشمس عليه رداءها وأرخت النجوم لديه أضواءها » وقال أبو الحسن الشاذلى « لو كشف من نور المؤمن الناقص لطبق ما بين السموات والأرض فما ظنك بنور المؤمن الكامل ولقد سمعت شيخنا أبا العباس قال : لو كشف من نور الولى لعبد لهلك لأن أوصافه من أوصاف الله ولقوته من لقوته » (انقروى ٤/١١) والمقصود بالبيت رقم ٦ أن إرادة العبد المؤمن إن صحت نيته وقوى عزمه تكون من إرادة الله سبحانه وتعالى فالإرداة الإلهية يلزمها عمل من العبد ، ويفسرها بالبيت التالى مصداقا لحديث نبوى شريف « من كان لله كان الله له (مولوى ٤/٩ والأنقروى ٤/١٣) وفى قول لشوبنهور أن الإرادة هى أساس الوجود الإنسانى فهى التى تغير الإنسان ، وتغير الوجود وأحيانا يعرفها بالهمة (همم الرجال تزيل الجبال) وانظر الأبيات

٢٠٧٤ - ٢٠٧٧ من هذا الكتاب . ومن ثم فالمثنوى نفسه شاكر لحسن حسام الدين ، وما الغرابة فى أن يشكر المثنوى ويهلل والجمادات كلها مسبحة بحمد الله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده (سورة الإسراء - آية ٤٤) وقد مر الحديث عن تسبيح الجماد فى الكتاب الثالث (حكاية صياد الحيات) وفى الكتاب الأول (حكاية قبول الخليفة لهدية الإعرابى) (انظر الكتاب الأول أول شرح الأبيات ٢٢٣٥ وما بعده) كما ورد عند محى الدين بن عربى فى الفتوحات المكية أن بعض الحروف فى مرتبة النبوة وبعضها الآخر فى مرتبة الرسالة (انقروى ٤/١٣) .

(١٠ - ١٥) الشكر يستوجب الزيادة ، قال الله تعالى « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم » (سورة إبراهيم أية ٧) فسجود الشكر هو القرب و « أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد » « كلا لا تطعه واسجد واقترب » وانظر إلى هذه الصورة الكرم والشمس ، الكرم يجذب الشمس فتسطع الشمس تسطح عليه بجذبه إياها ، والكرم هو المثنوى والشمس هو حسن حسام الدين ، ظل يجذبه ، ويظل المثنوى متدفقا ما دام حسن حسام الدين يجذبه ، كما يجذب أمير الحج القافلة نحو بيت الله ، المراد بالحج فى الشطرة الأولى من البيت ١٥ حج البيت ، أما المراد فى الشطرة الثانية حج رب البيت وبينهما مراتب « انظر فى أقوال الصوفية : حججت مرة فلم أر رب البيت .. إلى أخره باب الحج فى شرح التعرف » .

أى إحرام نقوم به ياحافظ ما دامت تلك القبلة ليست هنا

وأى جهد لنا فى السعى ما دام الصفاء قد ذهب عن الكعبة

ديوان حافظ ص ٩٦

﴿ ١٦ – ٢٠ ﴾ : الضياء للشمس والنور للقمر ومنزل الشمس أعلى من منزل القمر ، ومن ثم سميتك يا حسام الدين ضياء ولم أسمك نورا ، والحسام هو السيف وسيف الشمس من الضياء ، واقرأ هذا من القرآن الكريم « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » (سورة يونس آية ٥) .

وفى تفسير نجم الدين كبرى « جعل شمس الروح ضياء ليستنير به عمى القلب » (مولوى ٤/١٠) ، وربما يفسر هذا البيت التالى فلا طريق فى ضوء القمر ، بل لابد من الشمس والدليل على أن مولانا جلال الدين يقصد بالشمس المرشد الكامل هو هذا البيت ، وكثيرا ما دق مولانا جلال الدين على هذا المعنى عن حديثه عن مرشده شمس الدين التبريزى ، والشمس هى التى تظهر حقيقة الأشياء ، أصالتها وزيفها كما يبدو من الأبيات التى تلت ذلك والتى يقدم فيها مولانا جلال الدين صورا من الواقع المعاش .

(٢٥ – ٢٩) : مما يدل على أن مولانا جلال الدين كان يتحدث عن شمس غير الشمس ، وقمر غير القمر ، وأن المقصود هو شمس الطريقة أو الدرويش الكامل ما جمعه فى البيت رقم ٢٥ ، فالصوفى الذى يروج الزيف إنما هو عدو لروحه ، والزيف هنا هو زيف المادة وزيف الفكرة فإنما أول ما يضل إنما يضل نفسه ، وفى الشطرة الثانية يدخل عالمه الصوفى ، فمن يكون عدوا للدرويش الجوال إلا الكلاب التى تنبحه حيثما حل ، والكلاب هنا هى كلاب الصورة وكلاب السيرة ، ويشير الأنقروى أن المعنى مأخوذ من حكاية وردت عن أبى يزيد البسطامى عندما نبحه كلب فخلص نفسه منه بمشقة وعندما سأله أحدهم عن سر ذلك أجابه بقوله « يا أخى نحن مرآة مجلوة قد يرى كل أحد فينا صورته »

(القروى ١٧/٤) (وعن فكرة المرآة انظر الكتاب الأول / البيت ٢٣٦٥ وما بعده) وهكذا أيضا الأنبياء فبينما يتحرش بهم كلاب الدنيا وطلاب جيفتها لأنهم المرايا التى ينظر فيها كل إنسان إلى صورته ، فبينما يدعو الملائكة بأن يحفظ الله هذا المصباح المضيء من الرياح العاتية : ويارب سلم هو دعاء المؤمنين على الصراط (استعلامى ١٩٢/٤ - تهران ١٣٦٩ هـ . ش) فإنما يخشى النور من كان لصا محتالا ، وإنما يعادى الأنبياء من لا يسير على منهاجهم .. وماذا نقول ؟ ! إنما يعادى الشريعة من يرى أن أول ما يطيح سيفها البتار إنما يطيح برأسه الفاجرة ؟! حقائق لا يمكن أن يخفيها الجدل فهى من المسلمات التى يحدثنا بها مولانا جلال الدين فى كل زمان ومكان .

(٣٠ - ٣٩) : يخاطب حسن حسام الدين فى عملية جذب مستمرة وهو من قبيل تواضع المرشد أمام المريد المستحق ، يطلب منه أن يصب النور على المثنوى أى أن يبدأ فى الكتابة ، فكأن النور هنا من المريد وهو أصلا من الشيخ ، وكما أن الشمس تسطع من الفلك الرابع ، وها هو المجلد الرابع من المثنوى يسطع بنوره على البلاد والعباد ، فهو هدى لمن اهتدى ، أما الذين لم يعترفوا به فهو عليهم عمى (انظر ٣ شروح ١١٥٠ وما بعدها) وهو مجرد حكايات لمن يقرأه كحكايات لكنه رجولة لمن يراه نقدا له وعطية إلهية ، تماما كما كان نيل مصر شرابا للصابرين وحسرة على آل فرعون الكافرين ، كما ذكر فى مقدمة هذا الجزء (وانظر أيضاً الأبيات ٣٤٣١ وما بعدها من هذا الكتاب) ويسوق الأنقروى والمولوى حكاية على تفسير البيت التالى (٣٤) إذ روى أن حسام الدين قال : إنى رأيت فى هذا الوقت عند قراءة الأحباب المثنوى استغرق الناس بنوره ورأيت جماعات الغيب بيدهم سيوف يضربون بها كل من لم

يستمعه وينصت إليه فيعلقون عضد إيمانه واعتقاده ويرمون به منكوسا فى سقر (مولوى ١٣/٤ وانقروى ١٩/٤) . كما وردت الرواية فى مناقب العارفين للأفلاكى (٧٤٥/٢) ، وهكذا يرى مولانا أن حسام الدين قد رأى أحوال متلقى المثنوى تماما ، فإنما يكون جزاؤه من جنس عمله ، ومصيره من جنس تلقيه ، وبصيرتك يا حسام الدين الناظرة إلى عالم الغيب أستاذة فى هذه الأمور ، وهنا إشارة للأفلاكى (نقلها من جامى فى نفحات الأنس) أن المريدين عندما كانوا يقرأون المثنوى كان الملائكة يراقبونهم وإن لم يسمعوا جيدا كان إيمانهم يسلب وبصيرة غيب حسام الدين هى على علم بهذا المصير (استعلامى ١٩٣/٤) ، فلا أنقص الله هذه البصيرة ولا غيبها عن الدنيا ، وهيا دعك يا حسام الدين من أولئك الذين ليسوا بأهل لهذا الكلام ، وليكن همك وهمتك حكرا على من هم أهل له وعد بنا إلى تلك الحكاية التى تركناها دون إنهائها فى الكتاب الثالث .

(٤٠ - ٥١) : يبدأ مولانا فى إكمال الحكاية التى وردت فى نهاية الكتاب الثالث بداية من البيت ٤٨٠٧ ، لكنه كعادته ودأبه فى القص ، يقدم من خلال الحكايات أفكارا عديدة ، وها هو يحدثنا عن حال عاشقه الذى وقع على معشوقته فجأة ، كان المعشوق بالنسبة له كالعنقاء ، لم يكن يسمع عنه إلا الاسم ، لم يكن قد شاهدها إلامرة واحدة ثم نفذ سهم القضاء ، وهكذا كل شىء فيما يرى مولانا ... يكفى أن يومض كالبرق فى حياة الإنسان المظلمة شهاب من معشوق حى أو معشوق ميت ، ليس هذا فحسب بل إن حادثة ما قد تغير الإنسان تغيرا تاما ، وهذا واضح فى سير الصوفية جميعا كما تقص .. حادثة فجائية تغير فهم الإنسان من النقيض إلى النقيض ، ليس هذا فى الطريق الصوفى فحسب بل وفى كل أمور الدنيا ، ويظل الإنسان فى أثر هذا الشهاب الذى ذاق حلاوته مرة

واحدة ، وينتقل مولانا من المطلق إلى المحدود ، ويقدم صورا محسوسة إن عاشق كل حرفة وكل شيء إنما يعشقها لأن الله تعالى قد أذاقه حلاوته منذ البداية (انظر للذوق ١ /٢٥٥ – ٢٧٧) وهكذا فعشق عمل ما إنما يمثل أساس هذا العمل ، ثم توضع العراقيل لأن كل لذة تنافس لذه القرب باطلة ، وكل شيء ما خلا الله باطل ، وإنما يضع الله سبحانه وتعالى العراقيل لكل يدفع الطالب مهر مطلوبه ، ويؤمله ويؤيسه في كل لحظة حتى لا يكف عن الطلب ، فالطلب في حد ذاته نوع من العشق هو عبادة قد يبطلها الوصول ، ولكل إنسان مطلوب يقف على بابه ، فانظر ما يكون مطلوبك ، فهو بقدر همتك ، والباب يفتح فيكون رجاء ثم يغلق فيكون يأس واضطراب وفي هذه البوتقة يصهر الإنسان .

(٥٢ – ٦٤) : يعود مولانا جلال الدين إلى الحكاية ، فها هو العاشق الذى وجد محبوبه بينما كانت الشرطة تطارده يطلق لسانه يطلب الرحمة للشرطة لكن مولانا لا ينسى أن يحلل طبيعة الشرطة التى تكون أكثر فتكا من السلطة التى تقصد حمايتها ، فمن الواضح أن العاشق لم يكن قد ارتكب ذنبا ما ، لكن الشرطة كانت تطارده فحسب لكى تأخذ منه بعض الدراهم (!!) وها هو يدعو الله أن يعوضهم عما كانوا سيأخذون منه بأضعاف أضعافه (!!) وليس هذا فحسب بل يدعو أن يخلصه الله من طبيعة الشرطى فيه ، وما هى طبيعة الشرطى ؟ إنه لا يريد الخير للبشر ، إنه يفرح إذا قسا الملك على الرعية ، ويحزن إذا رحمها ، إنه يعتبر هذا العمل ابتلاء من الله سبحانه وتعالى ، بل إنه ليضلل الحاكم لكى تطلق يده فى الرعية .

(٦٣ – ٧٧) : لأن هذا الشرطى الذى لا يتأتى منه الخير ، قد يأتى منه الخير للعاشق ، وإن لم يكن هذا بإرادته ، يخلص مولانا إلى أنه لا يوجد شر مطلق

فى هذا العالم . فما يكون شرا بالنسبة لأحد ، يكون خيرا بالنسبة لآخر (انظر ٢٠٠٥/١ – ٢٠٠٨) وهذا نفى لكل مدارس الفسلفة التى تحدد المشكلة (جعفرى ٢٩٥/٩ وما بعدها) والفكرة واردة عن سنائى فى الحديقة « وفى ذلك الزمان الذى خلق الله فيه الآفاق لم يخلق شرا على الإطلاق » (انظر الترجمة العربية للحديقة البيت ٤٥٩) كما وردت فى معارف بهاء لد (٣٨٩/١) ، وهكذا فقد كان مولانا جلال الدين شأنه فى هذا شأن الصوفية يؤمن بأن الخير هو الأصل فى العالم ، ويرى ملا هادى سبزوارى أن الحكماء الإلهيين كانوا يرون الخير بالنسبة للوجود بديهيا لأن هذا الأمر متعلق بأصل الأصول أى التوحيد (سبزوارى ٢٦٢/٤) ، ويروى الأنقروى حكاية عن محى الين بن عربىّ فى هذا المجال إذا كان جالسا ذات يوم فى جماعة من مريديه فمر أحدهم ذو رائحة كريهة ، فسأل مريديه عن سر هذه الرائحة الكريهة فقال بعضهم : للتواضع ، والمسكنة ، وقال بعضهم هضما لنفسه ، وقال بعضهم : سترا عن الناس لأسرار باطنه ، وقال الشيخ : لا بل الوجود خير محض وهو نظر إلى هذه الحبة فاحتملها لأجل الخيرية (الأنقروى ٢٤/٤) أو كما قال ابن الفارض :

فلا عبث والخلق لم يخلقوا سدى ∴ وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة

وإلى مثل هذا المعنى ذهب حافظ الشيرازى بقوله :

قال شيخنا إن قلم الصنع لم يجر بخطأ قط

ويستمر مولانا على هذا النسق فى تفصيل هذه الفكرة ، فالسم قد يكون لهذا غذاء لكنه لذاك موت ، تماما كما ذكر سنائى فى الحديقة إشارة إلى شرب

خالد بن الوليد السم الذى وجد فى غنائم المدائن لم يصبه بأذى (حديقة البيت ٤٦٠ وشروحه) وهكذا أمور الدنيا بأجمعها إلى ما لا نهاية .. ولماذا نبتعد ؟ انظر إلى شخص واحد ولنفرض أنه زيد مثلا .. فزيد هذا تتعدد الآراء فيه بتعدد الناس لكنه ذات واحدة فى ظاهر الأمر ، فإذا كنت تريد أن يبدو لك طيبا فانظر إليه بعين عشاقه ، انظر إلى المطلوب بعيون طالبيه واستعر عيونا من طالبيه إذا لا يحمل عطاياه إلا مطاياه ، انظر إلى المجنون بعيون ليلى .

(٧٨ – ٨٠) : وإذا كان الأمر هكذا بالنسبة لزيد فما بالك بمعدن الجمال وسره والحقيقة الخالدة ، فإذا كنت تريد أن تأمن الكسل والملال ، فاقرأ (من كان لله كان الله له) ، واقرأ أيضا : « ما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها » والنتيجة أن أى مكروه فى سبيل الحبيب يكون محبوبا .

٨٠ – ٩٧ : لم ترد الحكاية التى تبدأ بهذه الأبيات فى « مآخذ » فروزانفر ، وهى على كل حال قد تكون من مبتكرات مولانا جلال الدين نفسه ، وتدور فى نفس السياق السابق ، فهذا الواعظ كان يرى فى الشر نفسه خيرا ، وفى الأشرار فائدة للأطهار ، فكان دعاؤه كله وهو على المنبر للأشرار وقطاع الطريق والمشركبن والمستهزئين بأهل الخير والدين ، وقد سئل كيف يدعولأهل الضلالة ؟ فقال : لأدلهم علىَّ .. والحكاية فى لبها أشبه بحكاية لقمان الذى سئل : ممن تعلمت الحكمة ؟ فقال : من الحمقى كلما فعلوا شيئاً تركته ، كما أشار عبد الباقى (4/25) إلى قول للإمام على قريب من هذا المعنى « كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك » فحتى شر الأشرار قد يكون خيرا على

غيرهم ، فإنما يعلمون أن الشر المجسد يرغب أهل الخير فى الخير ، وكلما اتجه إليهم من طبع على الخير ولقى من شرهم العنت والأذى ابتعد عنهم إلى جنب الله ، كما تعود الشاة الخائفة إلى القطيع ، وهكذا فالأشرار هم الذين يهيئون عن غير قصد وعمد للأخيار طريقهم ، فكم من عالم فذ حاربه أهل السوء وعصبة الضلال من المحيطين به عن كيد وحسد فكانت خلوته إلى كتبه وعلمه وأبحاثه سببا فى خيره ، ويقص الأنقروى عن نفسه حكاية من هذا القبيل فليطلبها فى موضعها (٤/٢٩-٣٠) من يريدها بتفصيلاتها ، وهذا هو اللطف المخفى فى ثياب القهر والذى يلجؤك إلى الله سبحانه وتعالى ، أليس أعداؤك فى النهاية هم الذين يلجئونك إلى حلقة الذكر والفكر ؟! وكم يكون هناك من قهر مخفى فى ثياب اللطف : أليس من أولاد المرء وأزواجه من يكون عدوا له .. ترى ماذا تكون هذه العداوة إلا الصرف عن الذكر ؟ (عبد الباقى 4/25) ، أليس أصدقاؤك ومحبوك هم الذين يأخذونك من حلقة الذكر والفكر ؟! إن نفس المؤمن إنما تطيب بالبلاء ، ومن هنا كان « أشد الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل » .

(٩٨ - ١٠٩) : يواصل مولانا الحديث عن البلاء وكيف يصقل الإنسان وينضجه ، فالإنسان دون تجربة وبلاء كالجلد غير المدبوغ لا قيمة له ، فالبلاء للإنسان كالملح والدباغة بالنسبة للجلد ، والطائفى منسوب إلى الطائف وهو جلد شهير بجودته ، وحتى إن لم تستطيع أن تأخذ أجر الصابر ، فخذ أجر الراضى ، فأنت مأجور فى كلتا الحالتين ، « فإن الله إذا أحب عبدا إبتلاه وإن رضى اصطفاه» والصفاء بعد البلاء ، وعلمه فوق تدبيرك ، وكل ما قدر يكون ، ولا حيلة لك إلا التسليم والرضا ، حينئذ يكون البلاء حلوا ، وإن الله يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار (استعلامى ٤/١٩٦) ، هكذا رأى الحسين بن منصور الحلاج نفسه حيا بالموت فصاح

اقتلونى اقتلونى ياثقات إن فى قتلى حياة فى حياة

(انظر أول ٣٩٤٩ – ٣٩٥٠) .

(١١٠ – ١١٩)– يعود مولانا فيعلق على نفسية الشرطى ، إنه مردود عن باب الله وإن كان يعتبر نفعا لغيره ، إنه لا يسعى لنفسه بالأعمال الصالحات وفى حديث قدسى قال الله تعالى لموسى أتخاف غيرى ؟! قال : بل أخاف من لا يخافك قال الله تعالى : حق لك أن تخاف من لا يخافنى ، وهكذا فإن الشفقة التى هى من الإيمان مقطوعة عن الشرطى ، ولا تنزع الرحمة إلا من شقى » بل هى القسوة والغضب المسيطران على الشرطى ويسوق مولانا مثلان هذا المجال ، وهو مستند على حديث نبوى ، أن رجلا سأل عيسى عليه السلام فقال : يا عيسى ما أشد الأشياء : قال غضب الرب فقال : ويم النجاة منه قال : إذا غضبت أن تترك غضبك ، كما قال الله تعالى فى حديثه القدسى : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين أغضب ، (انقروى ٤/٣٤) ورد فروزانفر أصل الحكاية إلى حديث نبوى سئل النبى ما يبعد عن غضب الله عقابى ؟ قال أن لا تغضب وروى عن سيدنا على رضى الله عنه : يباعدك من غضب الله أن لا تغضب ، كما نقل عن الإمام موسى الكاظم : من كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضب يوم القيامة (مآخذ ١٢٩) .

ويخلص مولانا من جواب سيدنا عيسى إلى أن الشرطى هو مصدر الغضب وقد جاوز الوحوش فى الغضبية ولا أمل له فى رحمة الله ، وإنما يسوقه فى غيه وضلاله أن النظام فى العالم لا غنى له عنه ، هذا هو ما يرديه ، إذ لا علاقة هناك بين من يقيم النظام وهومقيم على سجيته وعلى غضبه ، ويسوق مولانا تشبيها

فى هذا المجال على ما ورد فى النص هذا بالرغم من أن الروايات كانت تروى عن احترام السلطة لجلال الدين – الخوف هنا عن الحساسية من السلطة المطلقة التى لا يردعنها رادع .

(١٢٠ – ١٥٤) : عودة إلى حكاية العاشق الذى وجد محبوبته فى البستان وها هو يراودها عن نفسها ، فلا شاهد عليهما إلا النسيم ، وترد عليه زاجرة إياه : وأين محرك النسيم ؟! وينطلق مولانا جلال الدين فى هذه الفكرة : إن هذه الرياح الجزئية التى هى طوع أمرنا لا تتحرك إلا إذا حركناها نحن بالمروحة وهذا النفس إنما هو متحرك بحركة الله سبحانه وتعالى « ولا متحرك إلا بمحرك » (سبزاورى ٤/ ٢٧٤) بل الكلام الذى تجعله حينا مدحا وحينا ذما لابد له من محرك وهكذا دواليك حتى الرياح الكلية ، تستطيع أن تتعرف على طبائعها قياسا على هذه الرياح الجزئية التى تلمسها وتحس بها ، أحيانا تكون على الدنيا ربيعا وأحيانا تكون ريحا صرصرا كما كانت على قوم عاد ، وهناك ريح السموم وريح الصبا وفى الحديث النبوى « نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور » . وهكذا الكلام حينا لطف وحينا قهر ، وهو نفس رحمانى فى كلتا الحالين على فحوى « لا تسبوا الريح فإنه من الرحمن » (مولوى ٤/ ٣٥) وإذا كانت المروحة حينا تكون للترويح ولكنها هلاك للبعوض ، فكيف تنكر هذا على الرياح الكلية أى الأبراج السماوية الهوائية الجوزاء والميزان والدلو (سبزاورى ٤/ ٢٦٤) . وكما يقدم مولانا فكرته على مستويات : ألا يطلب الفلاح الرياح لكى يذرى محصوله ؟! أليس طلق الولادة من قبل الرياح ؟! أليس ألم الأسنان نوعا من الرياح ؟! وهل تراك ترى كل هذا ؟! ألست تعرفها بآثارها ؟! .

(١٥٦ – ١٦٠) : يقول العاشق أنه إذا كان قد جاوز حد الأدب فإنه يغفر له عند محبوبته سعيه وطلبه ، وكأنما كان يقول بلغة معاصرة : أن يسعى إلى غاية قبيحة بوسائل شريفة (!!) وترد المحبوبة ساخرة أن ما رأته فيه من حسن الأدب حقا ، وهذا هو ما يظهره فما بالك بما يبطنه فلا هو مستهلك فى المعشوق ظاهراً أو باطنا ، وإنما تريد القول أن ظاهره يدل على باطنه فإن كل إناء ينضح بما فيه (بيت أورده الأنقروى ٤/٤١ والمولوى ٤/٢٨ ولم يرد فى طبعة نيكلسون) ، وتضرب مثلا بحكاية الصوفى الذى ضبط زوجته متلبسة بجرم الزنا مع اسكاف فألبسته ملابس النساء وادعت أنها زوجة أحد الأعيان جاءتها طلبا لابنتها ، والحكاية من الحكايات الكثيرة التى تجاهلها فروزانفر فى مصادر حكايات المثنوى ولعله لم يجد لها أصلا ، وقال استعلامى إنها من المأثور الشعبى المشهور ٤/١٩٨ .

(١٦١ – ١٧١) : يسوق مولانا داخل الحكاية بعض الأفكار تعليقا على زوجة الصوفى إلى عودة زوجها فى ذلك الوقت من النهار لكن الأمان من مكر الله لا يستقيم على طول الخط ، «والقياس » المذكور فى ١٦٤ تأكيد من مولانا جلال الدين على عدم الاعتماد على القياس (انظر أيضا الأبيات ٨٢ من الكتاب الثانى و ٣٩٩٤ من الكتاب الثالث) فإنه مهما كان ستَّارا إلا أنه يجازى ويعاقب ، والإثم أشبه بالبذرة ، ولا بد للبذرة من أن تنبت نباتا يظهر فوق الأرض وينبىء عنها ، ثم يضرب مثلا بحكاية أخرى (تجاهلها أيضا فروزانفر) وفحواها حكاية ذلك اللص الذى ضبط فى عهد عمر بن الخطاب فسلمه إلى الجلاد ، وأخذ اللص يصيح بأنها أول مرة يفعلها ، فأجاب سيدنا عمر – رضى الله عنه – بأنه : حاشا لله أن يفضح مذنبا عند أول فعله للمذنب ، إنه يستر مرات من فضله لكنه يفضح من أجل العدل ، وذلك حتى تتجلى صفتاه : اللطف والقهر .

﴿ ١٧٢ – ١٨٥ ﴾ – لقد فعلت زوجة الصوفى هذا الفعل مرات ومرات ولكن ليس فى مرة تسلم الجرة ، وهكذا يصاب المنافق بموت الفجاءة كى تفوته فرصة التوبة ، وها هو الصوفى يخاطب الزوجة الفاجرة ، أن الله يعلم لكن غضبه يفعل فعله بالتدريج كمرض السل ، يظن المريض أنه صحيح بينما يقضى عليه المرضى لحظة بلحظة ، وهكذا فقد وجدت المرأة نفسها كأنها فى العرصات يوم الحشر ، حيث لا ترى عوجا ولا أمتا يستطيع المجرم أن يختبىء خلفه (انظر طه /١٠٢ ، ١٠٧) .

(١٨٦ – ٢٠٩) : أخفت المرأة خدنها فى ملابس النساء ، إن الرجل مفتضح داخل ملابس النساء كأنه جمل على رأس سلم ، لكن المرأة تواصل حديثها ، ولكى تتم السخرية لا تجد موضوعا تتحدث فيه إلا الشرف ، فإنه هذه المرأة من نسوة الأعيان جاءت خاطبة ابنتها ، كيف ؟! وأول شروط الزواج الكفاءة ، لا يهم هى لا تريد لابنها سوى الشرف والأصل والمنبت الطيب .. كم من الغارقين فى الإثم لا يتحدثون إلا عن الشرف ؟ ! وهل صادفت فى أى زمان ومكان متشدقا بالشرف والعفة إلا وهو غريق فى الإثم حتى أذنيه ؟! إنه نوع من الازدواجية حيث يبدو فى الظاهر ما يتوق الباطن إليه .. جزئية من جزئيات الحياة اليومية التقت إليها مولانا بعينه الناقدة الفاحصة .. أشبه بنظريات الإسقاط فى علم النفس الحديث ، فقد كانت المرأة تستطيع أن تدخل أى موضوع إلا موضوعات الستر والعفة والأصل والمنبت الطيب .

(٢١٠ – ٢٢٤) : هذا هو المستفاد من الحكاية : تواصل المعشوقة حديثها إلى عاشقها : لقد رويت لك هذه الحكاية حتى تكف عن التشدق بالكلام من افتضاح أمرك .. إنك أشبه بزوجة الصوفى غريق فى الخيانة والإثم ومتشدق بكلام لا

جدوى منه ، إنك تخجل منى ، لكنك لا تخجل من الله سبحانه وتعالى ويواصل مولانا جلال الدين (المعشوقة فى الظاهر) حديث عن صفات الله وهى أولى المشكلات الكلامية التى يخوض فيها فى هذا الكتاب الرابع لقد سمى الله سبحانه وتعالى نفسه سميعا لكى تكف عن قول الهزل ، وسمى نفسه عليما حتى لا تفكر فى الفساد خوفا منه ، وليست هذه كلها أسماء أعلام بالنسبة لله تعالى ، فمن الممكن أن تسمى الأشياء بأضدادها ، والاسم جامد ومشتق لكن أسماء الله قديمة ، ويرى ملاهادى سبزاوى (٢٦٦/٤) أن مولانا جلال الدين يرد بهذا على مذهبين : المذهب الأول هو مذهب المعتزلة الذين قالوا بنفى الصفات عن الله تعالى بالنيابة بمعنى أن الآثار المترتبة على الصفات تترتب عنده سبحانه وتعالى على الذات ، وقالوا ليس له صفة قائمة به بل صفته هى وصف له (انقروى ٥٣/٤) وهذا مثل أحكام الفعل وإتقانه وهو من آثار العلم ، أوخذ الغايات ودع المبادىء وهذا خطأ محض لأن الأثر غير ابتداء الأثر ، وهو فى حد ذاته مبدأ الكمال ، ومستجمع للكمال كله بالوجوب ، كما نفى أيضا مذهب الأشاعرة الذين قالوا بزيادة الصفات على الذات ، وهذا يعنى أن الصفة قائمة بغيرها بحيث يعنى هذا أنها لا محالة زائدة على الذات وهذا باطل ، فالصفات عين الذات ، وكما قال أمير المؤمنين ، رضى الله عنه : كمال الإخلاص نفى الصفات عند الشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصفه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ، وفى رأى العارفين المتألهين أنهم يقولون بالحقيقة النورية للوجود الصرف كوجوب محض دون تعينات الذات وكل حقيقة مأخوذة بتعين كمال يسمونها الصفة ويطلقون على مجموع الذات والصفة « اسما » (سبزوارى ٢٦٦/٤ - ٢٦٧ وانظر مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوى ص ٥٤٥ وما بعدها) . ولعل مولانا يقدم هنا رأيا جديدا ، وهو أن

الأسماء مشتقة من أوصاف قديمة ، والاشتقاق على نوعين اشتقاق انتزاعى بمعنى أن كون الله سميعا وبصيرا صفات منتزعة من صفاته القديمة بلا تأخر أو تقدم ، والمعنى الثانى الإشتقاق الفعلى أى أنها قديمة اشتقت منها الصفات له سبحانه وعالى من العالم المحدث ، كما يرد فى البيت نفسه (٢١٩) أنه ليس سميعا على مثال العلة الأولى فقد سماه بعض الفلاسفة بالعلة الأولى أو علة العلل (جعفرى ٣٦٣/٩ - ٣٦٥) .

ويواصل مولانا جلال الدين مناقشة القضية على طريقته ، فإنك إن فصلت الصفة عن الذات فكأنك تسمى الأصم سامعا والضرير ضياء أو تسمى الحيى وقحا ، والقبيح صبيحا والوليد حاجا ومن لم يغز غازيا فإذا كانت هذه الصفات موجودة فى المسمى فهى مدح وإلا كانت من قبيل السخرية أو الجنون ، وتعالى الله سبحانه وتعالى عما يقوله الظالمون علوًّا كبيرا .

(٢٢٥ - ٢٣٧) : وتعود المحبوبة لمخاطبة عاشقها أو مولانا لمريديه لا حاجة إلى لجاجك وعنادك ونقاشك ، لقد كنت أعرف قبل اللقاء أنك مجادل راسخ فى الشقاء ، وليس مهما أن أراك ، فإن المرء يحسن بمرض عينيه مع أنه لا يراها وها هو الدليل من أول لقاء عندما رأيتنى دون حارس ، ظننت أنه لا حارس لى ، بينما يبكى العاشقون حقيقة إذا نظروا حيث لا ينبغى النظر ، وهناك كثير من الروايات حول عاقبة النظر إلى ما لا يحل (أنظر كشف المحجوب ص ٣٩٦ - ص ٣٩٨ ، وانظر حديقة الحقيقة الترجمة العربية ص ١٨٦) ، إنما يصلهم العقاب الفورى من الحارس الذى لا ينام وحارسى هو الذى لا يغفل ولا ينام ، وهو الذى يعلم كنه الريح التى تهب علىّ ، وهو ليس بغائب ، ترى كيف عرفتك من بعيد ؟! يكفى أن أعلم نفسك الشهوانية وهى تدل بعدها على كل شىء يتعلق بك ، وهى أى النفس الشهوانية عمياء عن الحق لا تراه ولا تسمعه ، أأسألك عن أى شىء يخصك .. وكيف أسأل من هو فى مستوقد الحمام بين القمامة وأسباب الإحراق هل هو فى نعمة أو فى شقاء .. يكفى أن أنظر لحاله؟

(٢٣٨ - ٢٥١) يقدم مولانا جلال الدين صورة للدنيا على أساس أنها كمستوقد الحمام ، إنه شديد القذارة ، لكن الحمام لا يقوم إلا به ، ولا يتم الطهر إلا إذا أوقد هذا الحمام واستقرت فيه النيران ، لكن بينما يكون للمتطهر المتقى الصفاء منه ، يكون أولئك الذين ينغمسون فى هذا المستوقد فى قذارة وشقاء ، فكأن الدنيا لا غنى لها عن هذا التكالب والتكاثر لكى يستقيم أمرها ، والأغنياء أو المهتمون بالمال عموما أشبه بمن ينقلون أنواع القمامات إلى مستوقد الحمام لكى يحتفظوا به مشتعلا ، إن حرصهم هو الذى يجعل هذا الحمام مشتعلا ...

والحاصل أن عليك أن لا تكون من أهل المستوقد بل أن تكون من أهل الحمام ، إن مجرد ترك المستوقد يعنى أنك قد انتقلت إلى الحمام . أى أن مجرد الزهد فى الدنيا يعنى أولى خطواتك نحو التطهر . ، وكل شخص من الفريقين ظاهر السمات والمتطهر يبدو ذلك من وجهه وهيئته ، كما أن المنغمس فى ذلك الذى يبدو به كذلك .

وأنت إن لم تر وجه ذلك المتطهر فتنسم رائحته ، فالرائحة تعنى العصا لكل ضرير ، وإذا لم تكن تشم فاجعله يتحدث وفى حديثه إنباء به ، نعم سوف نجد أولئك الذين يحملون القمامة إلى المستوقد يتفاخرون بعدد ما ينقلون إلى الحمام من سلال القمامة وكأنهم يتحدثون عن الذهب ، وهؤلاء لا أمل منهم فلا حياة لهم إلا فى الدنس فيه حياتهم وفيه غاية همهم وفيه شقاؤهم أيضا .

(٢٥٧ -- ٢٧٥) : القصة التى تبدأ بهذا البيت يردها فروزانفر (مآخذ / ١٢٩) إلى ما ورد فى كيمياى سعادت لأبى حامد الغزالى « ومثله (أى من لا يأنس إلى الحق) مثل ذلك الكناس الذى ذهب إلى سوق العطارين فسقط مغشيا عليه من الروائح الطيبة وأخذ الناس يتقاطرون عليه يرشون عليه ماء الورد ويضمخونه

بالمسك بينما حاله يزداد سوءا ، حتى وصل أحد الكناسين إلى ذلك المكان وفهم حاله ، فأتى بقطعة من براز وجعلها لينة وحكها بأنفه فعاد إليه وعيه وقال يا لها من رائحة جميلة ، كما نظمها العطار فى أسرار نامة (ص ص ٦١ - ٦٢ من تحقيق سيد صادق كوهرين) وتشير الحكاية أن الذى يحيا فى الدنس ويعتاد عليه ويكون قائما بالفساد لا حياة له إلا به ، تكون حياته فى هذا الفساد إن ابتعد عنه مات ، ويكون الجو النظيف وبالا عليه ، وتصدق هذه الظاهرة على النظم أيضا فالنظام الذى يكون قائما على الفساد والنهب يظل بقاؤه ما دام الفساد والنهب قائما ، ومهما تشدق بالإصلاح فإنه أبعد ما يكون عن الإصلاح لأن فى الإصلاح موته ونهايته ، فيتردى من فساد إلى فساد حتى يقتله نفس هذا الفساد .

(٢٧٦ - ٢٨٨) : التعليق بالطبع من إفاضات مولانا جلال الدين ، فها هو يسوق على لسان أخ ذلك الدباغ الذى أغمى عليه فى السوق أن هكذا أوصى جالينوس : « أعط المريض ما اعتاد عليه » لكن هذا القول ليس من أقوال جالينوس ، وهو منسوب إلى أبو قراط ونقله عنه ابن أبى أصيبعة « يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تفزع إلى العادة » (استعلامى ٣٠٢/٤) . أو « داوها بالتى كانت هى الداء » ، فإن علاجه بخلاف عادته يزيد من مرضه ، وإن لم تكن تصدق هذا فاقرأ من القرآن الكريم « الخبيثات للخبيثين » واعلم ظهره وبطنه ، أى أعلم أنه وإن كان قد نزل فى حالة خاصة هى حالة براءة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها من حديث الإفك ، فإنما يقصد أن كل خبيث لخبيث وكل طيب لطيب ، وذلك مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . وكما قال فى حديث قدسى : « خلقت الجنة وخلقت لها أهلا وخلقت النار وخلقت لها أهلا (مولوى ٤٣/٤) » ولا يتواءم الخبيثون مع الطيبات ، أليسوا هم الذين لم يصل عطر الوحى إلى مشامهم ، فقالوا للأنبياء :

« إنا تطيرنا بكم » (انظر الكتاب الثالث الأبيات : ٢٦٠٢ - ٣٠٩٤ وشروحها وانظر الكتاب الثانى حكاية ذى النون) ، وكأنهم كانوا يقولون : لقد نشأنا على اللهو و اللعب وسمنا به وتعودنا عليه ، إن قوتنا فى هذا الهذر وفى هذا الفساد واللهو واللعب ولا حياة لنا إلا به ، إنكم تشبهون من يعالج العقل بالأفيون ، كأن مولانا كان تنبأ بمن سوف يقول « إن الدين أفيون الشعوب » (جعفرى ، ٣٨١/٩) » .

(٢٨٩ - ٢٩٥) : يواصل مولانا حكايته : ها هو الدباغ يصرف الخلق المتزاحمين حول أخيه المغمى عليه ليعالجه خفية بعلاجه الذى لا يزيد عن فضلات الكلاب ، ويفيق ، وها هم الخلق يظهرون عجبهم : يا لها من رقية عجيبة تلك التى تلاها فى أذن المغمى عليه فأفاق للحظته ، غير واعين إلى أنه عالج فسادا بفساد ، وهكذا كل من الأدواء الفاسدة فى كل العصور التى لا يزيد عن فضلات الكلاب يطرحها أولئك المحتالون على العقول الفاسدة ، فتدهش منها وتعجب ، كم من الأفكار المسمومة والفنون الهابطة تجد لها جماهير من المغيبين عقليا ، ويكون انتشارها دليلا على سحرها دون أن يكلف إنسان خاطره بأن يسأل عن كنهها ، وهكذا تكون حركة أهل الفساد ، حيث يكون الزنا والتلاعب بالحواجب ، وكلها مغيبات للوعى إلا أن أهل الفساد يرون فيها وعيهم وصحتهم ، وكل من لم يعتمد على الطهر تكون حياته بالفساد ، وكل من لم تشغله الكبائر شغلته الصغائر .

(٢٩٦ - ٣٠٠) : ومن هنا قال الله تعالى : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » (التوبة : ٢٨) وذلك لنجس باطنهم (انظر نجس الباطن الكتاب الثالث) والدود الذى تربى فى البعر ، لا يتغير طبعه من

العنبر ، وأولئك الذين لم يصيبهم رش النور الذى ورد فى الحديث النبوى الشريف « إن الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور فقد اهتدى ومن أخطأ فقد ضل » (مولوى ٤/٤٥) أما من أصابه رش النور فإن بيضته تلد طائرا كما يحدث فى مصر عندما توضع البيض فى الزبل فتخرج منه فراريج ، إن رش النور الإلهى إذن يوجد اعتدالا طبيعيا ، يجعل الحياة تخرج من المزابل ، لا .. ليس المقصود هو ذلك الدجاج الهزيل بل دجاج العلم والمعرفة ، أولئك الدراويش المطعمين بالنور الإلهى الذين يعيشون فى الخرابات ثم تفيض ألسنتهم بالحكمة الإلهية .

(٣٠١ - ٣١٩): عودة إلى حكاية المحبوبة وحبيبها فى البستان إنك تبدو كمن حرم رش هذا النور ، فها أنت بعد ثمانى سنوات من الفراق لم تنضجك التجربة (يبدو أنها حكاية عاشق مدع فى مقابل حكاية العاشق الناضج الواردة فى حكاية وكيل صدر جهان فى آخر الكتاب الثالث) وها هو فراق ثمانى سنوات لم يغير من عدم نضجك ومن تفاهتك ، وإن ثمان سنوات من الفراق تجعل من الحصوم زبديا لكنك لازلت حصرما متحجرا .. ويرد العاشق ، والعاشق فى الحقيقة لا يرد بل يتقبل كل ما يقوله المعشوق ، لكننا أمام عاشق مجادل يوقعه الجدل فى الخطأ تلو الخطأ ويرده عن باب المعشوق ، ويزيده هجرا وفراقا ، وصرما لحبال الود ، وماذا كان رده ؟!

إنى أمتحنك لأرى إن كنت عفيفة أو غير عفيفة ، لكن متى يكون الخبر كالعيان ؟! إنك كالكنز فى هذه الخرابة (الدنيا) والناس إنما يبحثون عن الكنوز ، إنما قمت بكل هذا حتى أتحدث مع أعدائك عن عفتك وصلاحك (عن شرح الأنقروى (٤/٦٩) : الشيخ الذي هو إمام مرشد إذا امتحنه مريد فهو حمار)

وانظر إلى هذه الأجوبة الغثة مقارنا إياها مع هذا البحر الخضم فى العشق فى حكاية وكيل صدر بخارى فى الكتاب الثالث إن العاشق يطمع أول ما يطمع فى المشاهدة ولا يؤمن إلا بما يرى .. وإن كان قد تجاوز الحد فها هو يقدم روحه فداء على أن تسلب بيد المحبوبة ولا تحكم عليه بالفراق .. ، وهكذا عندما يصل الحديث إلى الفراق يفضل مولانا ألا يتحدث (انظر هذا المعنى فى الكتاب الثالث مقدمة حكاية وكيل صدر جهان) .

﴿٣٢٠ - ٣٣٨﴾ : ترد المعشوقة كل ما تراه دفينا مستورا إنما هو نهار مضىء واضح أمامنا وضوح النهار وما فيك مستور ليل مظلم .. فإن كنت عاشقا صادقا كيف تأتي بهذه الحيل والألاعيب ؟! وإن صمتنا من رحمتنا بالعباد ، فلماذا تتجاوز الحد ؟! تعلم من أبيك الأول واستغفر لذنبك ولا تلج ، ولا تجادل ، فإنه لم ينتقل من غصن إلى غصن ، أى لم ينتقل من حديث إلى آخر لقد اكتفى بقوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (الأعراف : ٢٢) انظر التفسير فى الكتاب الأول) . ليس عليك إلا أن تكون نملة أمام سليمان وإلا مزقتك تلك الهراوات فى أيدى الزبانية ، وليس لك إلا مقام الصدق ، لست محروما من البصر لكن القدر قد ضرب على بصرك وإذا جاء القدر عمي البصر ، (انظر مقدمة هذا الكتاب وانظر الكتاب الثالث وانظر الكتاب الأول أبيات (١٢٤١ - ١٢٤٤) . إذا جاءت التقادير سلبت التدابير وخاصة عن القلب الذى هو سبعون طية (سبزوارى ٢٦٩/٤) والأعمى يقع على الدوام فى النجاسة لكن من النادر أن يقع فيها المبصر ، ومن هنا فالعين البصيرة بنور الله سبحانه وتعالى أفضل من مائة أم و أب ، والعين هى عين القلب وهى سبعون ضعفا من عين الجسدية (انظر الكتاب الثالث) وفى هذا تكون العين الجسد من طفيلى مائدتها (انظر الكتاب الثالث) .

(٣٣٩ – ٣٥١) : هناك كلام كثير ينبغى أن يقال عن الفرق بين عين النظر وعين القلب ، لكنها لحظة توقف من لحظات جلال الدين ، إنه يخشى أولئك الذين يقفون عند ظواهر الأمور ، يخشى العذل والملام ويخشى أكثر ألا يفهم كما ينبغى ، و ألا تكون هناك الأفهام القادرة على تلقى هذه الأفكار والفكر المستنيرة التى تخيلها (انظر الكتاب الثالث) كما يخشى أهم من ذلك كله الغيرة الإلهية على تلك الأسرار عن أن تفشى لغير أهلها ، وعلى هذا فإن تلك الكلمات والإفاضات والمواجيد تلقى على عواهنها من غير ترتيب فإنما هى كالدرر التى يطحنها طاحون الغيرة الإلهية وحتى وهى مطحونة هكذا فإن من الدر المطحون يكون علاج العين الرمداء ، فيتم الكمال للدر والشفاء للعين فكمال الشيء باستخدامه حتى ولو حطم ، فانظر إلى القمح أيتم كماله إلا إذا صار طحينا ؟! وهكذا أنت أيها العاشق ، إن كمالك فى أن تصير بددا ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتسليم ، لا تكن كابليس جدلا ، ولا كأبى جهل الذى طلب معجزة من الرسول ، كن كآدم وكالصديق .. فمتى تصل أيها العاشق إلى مرتبة امتحان المعشوق .

(٣٢٥ – ٣٦٥) : الحكاية الواردة هنا ردها فروزانفر إلى حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى « لقى عيسى بن مريم إبليس فقال : أمام علمت أنه لايصيبك إلا ما قدر لك قال : نعم ، قال إبليس : فارق إلى ذروة هذا الجبل فترد منه فانظر أتعيش أم لا ؟ قال عيسى : أما علمت أمر الله تعالى قال : لا يختبرنى عبدى فإنى أفعل ما شئت (حلية الأولياء ١٢/٤) كما وردت فى تلبيس إبليس لابن الجوزى ص ٢٨١ (عن مأخذ ص ١٣٠) وردت أيضا فى إنجيل متى الإصحاح الرابع (عبد الباقى – (4/63) ويبدو أن الحكاية رويت عن أكثر من راو وبأكثر من صيغة) والمراد بالحكاية كما هو واضح أن العبد لا يمتحن ربه (العاشق لا يمتحن محبوبه ولا المريد يمتحن شيخه) .

(٣٦٥ - ٣٨٨) : الكلام على لسان المحبوبة (وعلى لسان جلال الدين أيضا) إن عذرك أقبح من ذنبك يا من تدعى العشق ، ثم يبين لنا مولانا جلال الدين : أنى لك امتحان ذلك الذى رفع السماء بغير عمد ، أولى بك أن تمتحن نفسك ، فأنت لا تعرف الخير من الشر ، وإذا شغلت بامتحانك لنفسك وشغلتك عيوبك فإنك لن تشغل بعدها بعيوب الآخرين . إنك إن امتحنت نفسك باجتناب المعاصى وزينت نفسك تعلم فطرتك التى فطرت عليها هى مظهر للطف والعناية الإلهية ، وتعلم بلا امتحان أن الإله لم يرسل إليك لطفه فى غير محله ، بل لأنك جدير بهذا اللطف ، وإلا فهل يرمى عاقل الدر الثمين فى مجارى الفضلات ؟! وأى مريد هذا الذى يريد أن يمتحن شيخه ؟! إنه بهذا يدل على حماريته ، إنك إن فعلت هذا فسوف تقع أنت نفسك فى الامتحان والبلاء ، وهكذا تدل سير المشايخ وحكايتهم عن مريدين عرضوا أنفسهم لهذا الامتحان ، فيتعرى جهلهم ، فكيف يمكن قياس الشيخ بميزان المريد ؟ إن الامتحان أشبه بمن يريد أن يتدخل فى ملكه ، إنه أشبه بتمرد الصورة على المصور ، وأى قدر لصورتك هذه أمام المصور التى خلقها ، إن مجرد التفكير فى هذا الامتحان هو وسوسة من الشيطان حلت بك ، وإن حلت بك هذه الوسوسة فعلاجها السجود والدمع حتى يخلصك الله من هذه الوساوس التى هى بمثابة إرهاص بخراب دينك كما كان ظهور نبات الخروب فى المسجد الأقصى إيذانا بخراب المسجد .

(٣٨٩ - ٤٠٥): الرواية الموجودة هنا بشأن المسجد الأقصى موجودة فى العهد القديم ، كما وردت فى حلية الأولياء جـ ٥ وأيضا رواية فصوص الحكم وفى تفسير أبى الفتوح الرازى جـ ٤ ، أما رواية الحلية وهى أقرب الروايات إلى مولانا « عن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « قال الله تعالى لداود : « ابن لى بيتا فى الأرض فبنى داود عليه السلام

بيتا لنفسه قبل البيت الذى أمر به فقال الله تبارك وتعالى : يا داود بنيت بيتك قبل بيتى قال : أى رب هكذا قلت فيما قضيت من ملك استأثر ثم أخذ فى بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلثاه فشكى ذلك إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه إنه لا يصلح أن تبنى لى بيتا قال : أى رب ولِمَ ؟ قال : لما جرت عليك من الدماء ، قال : أى رب أو ليس ذلك فى هواك ومحبتك ، قال : بلى ولكنهم عبادى ، وأنا أرحمهم قال : فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه أن لا تحزن فإنى سأقضى ببنائه على يدى ابنك سليمان . فلما مات داود عليه السلام أخذ سليمان عليه السلام فى بنيانه (مأخذ ١٣٠ / ١٣١ حلية الأولياء جـ٥ ص ٢٤٦ - ٢٤٧) ، تجرى الحكاية التى وردت فى الرواية السالفة إلا فيما يتعلق بالحوار الذى جرى بين داود عليه السلام والله تعالى ، وتفسير أن الدماء التى سفكت على يد داود عليه السلام إنما كانت دماء أولئك الذين أسلموا الروح بتأثير جمال صوته عند المواعظ واعتذار داود عليه السلام بأنه كان مغلوبا والمغلوب كالمعدوم ويرد على الله سبحانه وتعالى : بأن المغلوب ليس معدوما ، فمتى يكون الفانى فى الله معدوما والفناء هو عين البقاء (انظر مقدمة الكتاب الثالث) ومثل هذا المعدوم التى غلبت عليه المحبة هو أعظم من كل الموجودات ، إنه ليس مضطرا ولكنه مختار إنه مختار من الولاء ، ومن ثم فكل الموجودات تحت سيطرته ، وكل الأرواح والأجساد فى مرمى سهمه ، إن منتهى الاختيار أن يكون اختيار المرء تحت سيطرة اختياره هو سبحانه وتعالى والاختيار نفسه لا معنى له إلا إذا محيت منه الأنية محوا تاما ، تسليم المرء وجهه ووجهته وضميره وسره للّه سبحانه وتعالى ، وحين تنقطع اللذات الطبيعية أى حين يترك المرء لذائذ الدنيا تسفر له اللذه الباقية عن وجهها ، لذة تهون إلى جوارها كل اللذات ، أو كما يرى السبزوارى : « منتهى الاختيار أن يذوب اختيار المحدود فى اختيار الحق المطلق الموجود (سبزاوى ٤/ ٢٧٠) (انظر مقدمة الكتاب الخامس) .

(٤٠٦ – ٤٤١) : أن يتم المسجد على يد سليمان دون داود ليس فى هذا انقاص من قدر داود عليه السلام ، فالمؤمنون جميعاً نفس واحدة (انظر الكتاب الثالث المقدمة الشعرية) فالمؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن وحده جماعة سبزوارى ٤/ ٢٧٠) وما الذى يجمعهم ؟! إنه الإيمان ، فالرسالة واحدة والنبوة واحدة فكما أن الروح مشتركة بين الحيوان والإنسان إلا أن هناك فرقا بين روح الإنسان وروح الحيوان ، وهناك فرق أيضا فى العقل والفهم ، وهذا التفاوت حاصل أيضا بين أرواح العوام وأرواح الأولياء ، والأرواح الحيوانية لا اتحاد بينها ، بل هناك تنافر وتصارع وتكاثر وتحاسد ، ويفسر السبزوارى الروح الهواء بأنها الروح المحيطة بالبدن ، والبدن بمثابة الغلاف لها ، وهى على ثلاثة أقسام : الروح الدماغية بها الدماغ ومجراها الأعصاب والروح القلبية ومنبعها القلب ومجراها الشرايين والروح الكبدية ومجراها الأوردة (٤/٢٧١) إنها لا تستحق الجمع إلا لفظا وإلا فهى أرواح شتى وإن تشابهت فى البنية إلا أن أرواح أسد الله واحدة وإن تحدثنا عنها بأسلوب الجمع وهو ما يعبر عنه فى كتب زيارة الأئمة بالعبارة « أنتم نور واحد » (سبزوارى ٤/٢٧١) ويصور مولانا هذه الوحدة بأنها كنور الشمس واحدة لكنه متعدد فى الأفنية وإن رفعت الجدران « الأجساد » عاد نورا واحدا ، وإلى مثل هذا ذهب ابن الفارض :

نسب أقرب فى شرع الهوى ، بيننا من نسب أبوتى .

وقال فى التائية :

وجل فنون الاتحاد ولا فخد إلى فئة فى غيره العمر أفنت

فكم واحد جمع غفير ومن عداه شرذمة حجبت بأبلغ حجة

(أنقروى ٨٦/٤) إذا انتفت القواعد إذن (أى الأبدان) عاد النور متحدا ، وقد يورد هذا التشبيه إشكالات لأن هناك فرقا بين الإنسان والأسد لكن المثل يتضح عند التضحية بالروح ، لا تشبيهات إذن إلا عند القيام بالعمل ولاصورة متحدة فى هذه الدار : بل تفرق بينها الأشكال والأجساد وإن اتحدت الصفات وإلا ضربت لك مثالا ، فكل جماعة مظهر من مظاهر الصفات فالملوك هم مظهر لملوكية الله ، والعارفون هم مظهر نعيم الله (سبزوارى ٢٧٢/٤) .

ويقرب مولانا جلال الدين - كما قال - الصورة التى يراها محيرة ، فلا شىء فى الدنيا يشبه ما يريد أن يعبر عنه ، إن الأجساد فى الدنيا أشبه بالمصابيح التى توضع ليلا فى البيوت ، تحتاج إلى فتيل وإلى زيت من هذا وذاك ، وفتيلها هو تلك الحواس الخمسة ، فهو لا يحيا بلا نوم أو طعام ولا بقاء له دون زيت أو فتيل ، وهى أيضا لا وفاء لها بالزيت والفتيل ، إن طلوع النهار إيذان بموتها ، وهكذا جملة أحاسيس البشر فانية يوم الحشر ، وهذه الأحاسيس وإن تكن معدومة ، لكن الأرواح تظل موجودة ، وحقائقنا وماهياتنا وأعياننا الثابتة ليست قابلة للعدم لكنها مثل النجوم ومثل ضوء القمر تكون ممحوة فى نور الشمس ، وهكذا مثلما ينمحى أثر لدغ البرغوت أن سعت الحية إليك ، ومثلما يهرب عريان فى الماء حتى ينجو من لدغ الزنبابير تطوف فوق رأسه فرحة تنتظره أن يرفع رأسه من الماء لتلدغه .. فما هو الماء ؟! إنه ذكر الحق ، وما هى الزنابير فى هذا الزمان ؟! إنها ذكر هذا وذاك ، فظل فى الماء وأصبر حتى تنجو من الوساوس القديمة ، وسوف تأخذ بعدها طبع الماء الصافى بحيث تهرب منك وساوس الدنيا إلى الماء بدلا من أن تهرب أنت منها ، وبعدها ابتعد عن الماء إن استطعت فقد وصلت إلى سر التوحيد ، وصار قرينا لك ، مصاحبا إياك ، ويشير الأنقروى إلى معنى مشابه فى شعر محيى الدين ابن عربى :

لقد كنت دهرا قبل أن يكشف الغطا إخالك أنى ذاكر لك شـاكر

فلما أضاء الليـل أصبحـت شـاهـدا بأنك مذكور وذكرك ذاكـر

(أنقـــــروى ٤ / ٩١)

(٤٤٢ – ٤٦٦): يواصل مـولانا جـلال الدين إفاضـاته فى هـذا المجـال إذن فالذين ذهبوا عن هذه الدنيا ليسـوا بفانين أو معدومين وإنما هم فى صفات الحق مغمورون ، وكل صفاتهم أمام صـفات الحق فانية مختفية كأنها أنوار الكواكب أمام نور الشـمس ، وإن جادلت فى هذا فاسـتمع من القرآن الكريم « وإن كل لما جميع لدينا محضرون » (يس : ٣٢) قال نجم الدين فى تفسـيره « ما هى إلا جـذبة واحدة بالخروج من لدنهم والغـيب عنهم فـاليـوم لا تظلم نفس من استحقاقاتها وما هى مستعدة لقوله ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ، فمن عمل للدنيا يجز من الدنيا ، ومن عمل للآخرة يجز منها ، ومن عمل لله يجز من عواطف إحسانه (مولوى ٤/٦٤) والمحضرون لا يكونون معدومين وحسبك هذا دليلا على بقاء الأرواح ... وثمة عذاب آخر للأرواح مختلف عن عذاب الأجساد : وهو أن تحجب الروح عن بقاء الحق وهذا هو عذابها ، أما أرواح الأنبياء و الأولياء فتكون منتفية عن الحجاب ببقاء الله ، وها أنا قد حذرتك وقلت لك : ألا تحجب من اتحاد من هذا المصباح الحسى الحيوانى ، وصل روحك بأرواح السـالكين القدسية ، فإن كان لك فإنه مصباح من قبيل مصابيح الحس فهى ليست متحدة ، ومن هنا فالحرب قائمة والخصومة مستمرة ، والجدل محتدم بين أصحاب المصابيح الحسية والأرواح الحيوانية ولم يسمع أحد أن حربا قد قامت بين الأنبياء فأرواحهم شموس ، وأنوارنا الحسـية مصابيح وشموع ودخان يموت أحدها فيشتعل آخر حتى الصباح (القيامة) ، لكن مصباح النبى إن مات أو طوى

فمتى يظلم بيت الجار من موته ، إن نوره باق ، لأنه مستمد من نور الله ، ونو الله لا ينطفى ، والأرواح الحيوانية موتها مؤقت بطلوع شمس الحقيقة ، والمصابيح المتفرقة بين الدور ، يقوم على كل منها نور كل بيت فحسب ، يظلم البيت بظلام مصباحه ، هذه هى الأرواح الحيوانية ، وهى مختلفة عن الروح الربانية التى هى أشبه بالقمر يسطع على كل البيوت فيأخذ كل بيت بقدر كوته ، وكلها نور واحد وهو بدوره باق ما بقى القمر ، فإن سطعت الشمس فلا قمر ، وإن غابت الشمس فكل البيوت فى ظلام .

ويعود مولانا جلال الدين فيذكرنا بأنها كلها أمثلة لمعان أكبر وأعظم لا تتأتى فى بيان ، ومن هنا فإن المثل قد يهدى وقد يضل بقدر القابليات ، وويل لمن لا يفرق بين المثال والمثل وليس فيهما من المناسبة إلا شىء واحد وهو أن المحسوسات تتكشف بنور الشمس كما تتكشف المعقولات بالعقل ، وقد ضرب الله عز وجل بالمثل لنوره بقوله « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ... إلى آخر الآية » وأى مماثلة بين نوره ونور الزجاجة والمشكاة والشجر والزيت وكذلك ضرب الله المثل للحياة الدنيا بالماء النازل من السماء وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل للإسلام بالقبة وضرب المثل للعلم باللبن والقرآن بالحبل ، فأى مناسبة بين هذه الأمور وبين الأشياء المضروبة لها الأمثال ؟! ولكن لما كان الحبل يمسك به للنجاة والقرآن مثلا يمسك به للنجاة مع التمثيل وقس على هذا (مولوى ٤/٦٧ نقلا عن عبد الوهاب الشعرانى من الموازين) وذلك السيء الطوية هو مثل العنكبوت ينسج حول نفسه شباكا من لعابه النتن ، وهو أوهن البيوت إنه ينسج حول نفسه ما يحجب النور عنه ، وكذا كل من فى الحياة الدنيا ، إنما يقيم حول نفسه من نفسه ما يحجب عنه الحقائق ويمنع عنه النور قانع به مقيم عليه ، يظن أنه قد وصل من حيث إنه قد فصل ،

وقد اهتدى من حيث إنه قد ضل ، وذلك أنه يمسك بقدم نفسه الحيوانية من حيث يظن إنه قد أمسك بعنقها وسيطر عليها ، في حين إنه بإمساكه بقدمها إنما يدفعها إلى العثار والرفس ، دون لجام أو زمام من العقل ، ودون دليل من العقل أو الدين ، وإياك أن تظن أن هذا الطريق هين سهل سلس فهو في حاجة إلى صبر ، وإلى شق أنفس ، وإلى مثل هذا ارشاد مولانا نجم الدين إلى « أن الصفات الحيوانية إنما خلقت فيكم لتحمل أثقال أرواحكم إلى عالم الجبروت الذى لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس لحمل أعباء الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال حملها وأشفقن منها وشق الأنفس نقصها بافنائها في عالم الجبروت » (عن مولوى ٦٨/٤) .

(٤٦٧ - ٤٨٣) : يقص مولانا جلال الدين كيفية بناء المسجد الأقصى الذى كأن طاهرا كالكعبة وذا إقبال مكين .. إن الأبنية التي تبنى لله سبحانه وتعالى لا تشبه بقية الأبنية ، بل تتميز بالطهر والشموخ ، فليس كل ماء وطين يتميز بالكدر وليس كل فجر بالذى لا تضج فيه الحياة ، إن الأبنية الدينية تتمز بأن الله ييسر في بنائها بحيث تبعث الحياة في الحجارة فيختار الحجر المناسب نفسه ويطلب من البنائين أن يحملوه إلى مكانه ، وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا ينبعث النور من قالب آدم مع أنه من ماء وطين ؟! بالطبع من النفخة الإلهية ، فإذا كانت المساجد هي بيوت الله على الأرض .. فلماذا لا ينبعث منها النور الإلهى ؟! وهكذا فإن كل ما اتصل به النفس الإلهى إنما يبعث فيه الحياة ، وهكذا تكون ثمار الجنة وأشجارها وأنهارها .. تكون كلها في حديث وفي حوار ، وكل ما في الجنة عامر بالحياة .. إنما خلق الله من الطاعات ، فهذه الطاعات في الدنيا تترجم إلى ماديات من ماديات الجنة (انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣٤٥٩ - ٣٤٨٤ وشروحها) وعن أبى بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

« المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى شيء منه وجد ألم ذلك في سائر جسده وأرواحها روح واحد فإن روح المؤمن أشد اتصالا بروح الله من اتصال الشمس بها (جعفرى ٤٥٩/٩) . ومن شروط هذا كله أن يطهر القلب بالتوبة « سبزوارى ٢٧٣ – ٢٧٤ » « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » فالنشأة الآخرة أساسها على الحضور والجمع بعكس النشأة الأولى وأساسها على الغيب والفرق ، وما الدنيا وما فيها إلا كحلم النائم ، ويرى بعض علماء الكلام أن الجنة والنار قد خلقتا بالفعل ، ويرى بعضهم أنهما لم تخلقا بعد ، وإنما تخلقان فيما بعد من الأعمال والملكات والنوايا ، وتجسم الأعمال الذى يترجم إلى صور عينية فى الجنة والنار ورد مرارا فى الحديث الشريف فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم « فى الجنة قيعان غراسها سبحان الله » وقد مر الحديث عن هذه الفكرة بالتفصيل فى الكتاب الثالث ويرى مولانا جلال الدين أنه لن يستطيع أن يصل فى هذا المضمار إلى نتيجة على أساس أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فيعود إلى قصة سليمان والمسجد الأقصى .

(٤٨٣ – ٤٨٦) : ينبه مولانا إلى أن سليمان عليه السلام كان يعظ بالقول والفعل ، ويدق على هذه النقطة القائلة أنه لا يغنى قول عن فعل ، وقد دق الصوفية كثيرا على هذه النقطة ، وفى هذا المجال قال سنائى فى الحديقة : « لا تقل إنى سوف أفعل ، بل قل دائما لقد فعلت » (بيت رقم ٣٩٧٢) . ولا جدال أن القدوة تتحقق بالفعل لا بالقول وفى قول لأبى عبد الله رضى الله عنه « كونوا دعاة للناس بأعمالكم ولا تكونوا دعاة بألسنتكم » (جعفرى ٤٦٥/٩) ونستطيع أن ندرك أهمية هذا الأمر فى الإسلام إذا نظرنا إلى كثير من

القوالين دون أفعال فى زمننا الحالى وفى كل عصر وزمان أولئك الذين يؤيسون الخلق ويصيبونهم بالقنوط دائما ، فبين أقوالهم وأفعالهم بعد المشرقين .

(٤٨٧ - ٤٩٦) : يضرب مولانا المثل بقصة شاعت فى مصادر متأخرة عن عثمان رضى الله عنه - حينما صعد المنبر وقال كلمته التى اشتهرت فى هذا المجال « حاكم فعال خير من حاكم قوال » ولما ولى عثمان صدور المنبر فقال : رحمهما الله - يقصد أبا بكر وعمر - لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، فجلس على ذروة المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إنَّ أول مركب صعب وإن مع اليوم أياما وما كنا خطباء وإن نعش لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى » . (عيون الأخبار للدينورى ج ٢ / ص ٢٣٥ ، ماخذ ١٣١) وقد فسر سنائى صمت سيدنا عثمان رضى الله عنه من الخطبة تفسيرا آخر إذ قال : إن الحياء قد عقد لسانه عن الخطبة (حديقة البيت ٢١٤ وهكذا فسره الأنقروى ١٠١/٤) وهنا مغزى سياسى إسلامى شديد الأهمية والوضوح ، فى تفسير مولانا على لسان عثمان رضى الله عنه لسبب تنسمه لذروة المنبر ، وهو أن أخذ السياسة والحكم عن الرسول مباشرة ، وما يعنيه هنا هو أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أتم الرسالة دنيا ودينا ، وإنما تختلف صورة التطبيق فى بعض الأحيان لاختلاف بعض الأمزجة بين الشدة ولين الجانب ، وبين الأخذ بالعزائم والأخذ بالرخص .. إلى آخره مما لم ينبه إليه المفسرون القدماء للمثنوى من ناحية ، وما لم ينبه إليه أيضا الباحثون فى السياسة الإسلامية من المعاصرين .

(٤٩٧ - ٥١١) : ينتقل مولانا جلال الدين إلى حديث عن الحقيقة فعندما تسطع شمس الحقيقة التى لا كسوف لها ولا غياب لأنها تشرق فى القلب يرى

كل إنسان المسموع من الحقائق عيانا ، وهذا النور لا يحتاج إلى حديث ، لقد غمر المسجد النور دون أن يتفوه عثمان رضى الله عنه بكلمة واحدة ، بل إن الأعمى نفسه يدرك قبسا من هذه الشمس ، أليس الأعمى فى النهاية يحس بسطوع الشمس على وجهه من حرارتها ، ومن تلك الضجة والحالة العامة التى تصاحب سطوعها ؟ إنك من مشاهدة قليلة يا فلان تصاب بالسكر .. فلا تظنن أنك بطاعة قليلة قد وصلت إلى شمس الحقيقة ، إنها مجرد شعاع ، وإذا كان هذا هو نصيب الأعمى (أى المحجوب) من الشمس فتخيل أنت ما يمكن أن يصل إليه البصير ؟!! إن من يكون مستنيرا بنور هذه الشمس لا يمكن أن يصل إلى كنهه عقل حى ولو كان من أقوى العقول كعقل أبى على بن سيناء ولو جرد العقل وهتك أسرار المشاهدة وفضحها ومد يده ، فى حرمها ، لقطع السيف الإلهى هذه اليد أى يد ؟!! بل لقطع رأسه نفسها وما نبأ الحسين بن منصور الحلاج منك ببعيد .

(٥١٢ - ٥٢٠) : إن ما بين القيل والقال والادعاء والتفيهق وتحريك اللسان وبين العين البريئة من الشك بعد المشرقين ، لو قلت لك مئات الآلاف من السنين فهو قليل ، لكن إياك واليأس من وصول نور السماء إليك ، فعندما يشاء الله يصل هذا النور فى لحظة من الزمان وإلا فإنه يوصل إلى المعادن من الكواكب رحمته وقدرته فى كل لحظة فيتحول الحجر إلى معدن ثمين ، وكواكب الرحمة غير تلك الكواكب التي فى الفلك ، إن تلك الكواكب التى فى الفلك يقضى عليها الظلام لكن كواكب الحق راسخة فى صفاتها لا تجرى عليها ولا تخفيها شمس ، إن قدرته سبحانه وتعالى سيارة حتى زحل وبيننا وبينه مسيرة مئات آلاف

السنين وهذه القدرة مستمرة لحظة بلحظة ، وفى لحظة واحدة يقربها الله بيد القدرة الإلهية ، إنها كلها فى يد القدرة الإلهية كالظل أمام الشمس (لب لباب فلسفة جلال الدين ... الأكوان كلها أمام الله سبحانه وتعالى كالظل أمام الشمس) ، وهكذا فإن شمس الحقيقة تطوى آثار كل الكواكب كما يطوى الظل أمام الشمس ، إن النور الحقيقى لا يصل من النجوم والكواكب إلينا ، بل يصل النور من النفوس النورانية للأنبياء والأولياء (التى قبلت أكبر قدر ممكن من نور الله) إلى الكواكب نفسها ومع أن الذى يبدو فى الظاهر أن هذه الكواكب هى القوامة علينا .. والتى تدبر أمورنا على أساسها .. لكن الإنسان ليس الإنسان المطلق بل الإنسان بباطنه هو القوام على الكون وهذا يشبه ما قاله ابن الفارض :

ولا فلك إلا ومن نور باطنى ... به ملك يهدى الهدى بمشيئتى .

(٥٢١ - ٥٣٠) : الإنسان هو العالم الأصغر والكون أو العالم هو الإنسان الأكبر .. هكذا تعارف الحكماء على أساس أن الإنسان بخلقه هو مثال لهذا العالم والكون بكل كواكبه وأفلاكه ومظاهر الطبيعة فيه (انظر جامع الحكمتين لناصر خسرو ، الترجمة العربية للمترجم ٣٧٧ - ٣٨٢) وينسبون إلى الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه تعبيره عن هذه الفكرة شعرا :

دواؤك منك وما تشعر	وداؤك فيك وما تبصر
وأنت الكتاب المبين الذى	بأحرفه يظهر المضمر
وتزعم أنك جرم صغير	وفيك انطوى العالم الأكبر

وينسب إليه أيضا رضى الله عنه :

والصورة الإنسانية هى أكبر حجج الله على خلقه وهى الكتاب الذى كتبه بيده وهى الهيكل الذى بناه بحكمته وهى مجموع صور العالمين وهو المحضرة من اللوح المحفوظ وهى الشاهدة على كل غائب ، وهى الحجة على كل جاحد وهى الطريق المستقيم إلى كل خير وهى الجسر الممدود إلى الجنة والنار (سبزوارى ٤/٢٧٤) لكن الفكرة عند مولانا جلال الدين شأنه فى هذا شأن الصوفية من قبله ومن بعده تتخذ أبعادا أخرى فإذا كان جسد الإنسان هو العالم الأصغر ، فإن روحه أو باطنه أو قلبه المليء بالنور هو العالم الأكبر ، وكل ما فى الكون إلى جواره صغير ، بل هو المقصود من الخلق والخليقة كما تكون الثمرة هى المقصودة من الشجرة وهى أصل الشجرة هى الآخرة السابقة (لنظر تفسير نحن الآخرون السابقون فى شروح الكتاب الثالث فى شرح البيت ١١٢٨) ولا يكتفى مولانا بهذا القدر بل يشير إلى تطبيق نفس الفكرة على الرسالة المحمدية وعلى شخصية محمد – صلى الله عليه وسلم – فهو آخر الأنبياء بعثا لكنه أولهم خلقا ، وكان نبينا وآدم بين الماء والطين « وآدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة » والأب مولود منه بالمعنى وإن هو ولد منه بالصورة :

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة ∴ فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

هذا هو أول الفكر آخر العمل ، والعلة الغائية فى العالم فاعل مقدم وفى العين مؤخرة للفعل ، إذن فأول الفكر آخر العمل ، (انظر أيضا حديقة سنائى المقدمة) خاصة إذا كان المقصود تلك الفكرة العظيمة أى وجود خاتم الأنبياء والمرسلين « لولاك ما خلقت الأفلاك » .

(٥٣١ – ٥٣٧): وهكذا يدوم الفيض الإلهى وتظل الصلة بين العالمين موجودة على الدوام وظاهرة فى كل مظاهر الكون ، ويكفى دليلا على وجودها تلك القوافل التى تمضى وتذهب من المواليد والموتى ، وربما يقصد مولانا جلال الدين أن أرواح الأنبياء وكل أرواح البشر هى فى حالة تجوال دائم من الأرض إلى السماء .. ألا يمكن فى لحظة ما أن ينفصل الإنسان عن كل ما يحيط به بحيث يكون جسده فحسب هو الموجود بينما روحه هائمة فى ملكوت آخر (جعفرى ٤٨٨/٩) وفى الكتاب الأول :

ففى كل لحظة يارب قافلة وراءها قافلة تسير من العدم إلى الوجود أو ليست جملة الأفكار والعقول – خاصة – تصير كل ليلة غرقى فى سحر عميق ؟ أو ليست كل الملكات الإلهية ترفع كالأسماك رؤوسها فى وقت الصباح ؟! وفى الخريف تذهب آلاف الأغصان والأوراق إلى بحار الموت وثانية يجىء الأمر من سيد الأرض فيقول للعدم رد ما أكلت (١/ – ١٨٨٩ – ١٨٩٤) ، قد تكون السماء هنا هى السماء المعنوية ولعل هنا فى قول نكلسون نقله استعلامى ٢١١/٤ إشارة إلى قول ابن الفارض :

أسافر عن علم اليقين لعينه ∴ إلى حقه حيث الحقيقة رحلتى

العلم المعنوى هو علم الله الحاكم والمحيط بجميع الأشياء ، فكما أن السماء الصورية مواليدها صور الأجسام تذهب وترجع كل آن بواسطة الكواكب وقطرات الأمطار فتوجد منها المواليد وتحيى بطريق تجديد الأمثال فإن وجود أفراد العالم فى كل زمان تار ة معدوم وفان وتارة حى وموجود ورؤيته على الدوام موجود من سرعة فيض الله ودوام إفاضته (مولوى ٧٦/٤) ، وليس الطريق بالطويل ، بل إن معجزة الخلق واستمرارية الخليقة تتم فى هدوء وسكينة وبسرعة ، وانظر إلى السالك القوى الجلد ، إنه يجتاز كثيرا من

العوالم فى نفس واحد ، ألا يعرج القلب ويحج إلى الكعبة فى لحظة واحدة ؟!! يستطيع القلب إن اتخذ صفة القلب (نجا من الكدر وسكنه النور الإلهى) أن يقوم بنفس الأمر (طى المسافات عند الصوفى) . (انظر سيرة ابن خفيف ص ١٥٣ وما بعدها – الترجمة العربية للمترجم – لجنة نشر الثقافة الإسلامية – القاهرة ١٩٧٧ م) . فلا مسافات هناك أمام القلب ، إنما توصف الأجساد بالطول والقصر ، أما بالنسبة لله الواحد القهار فهلا قرب ولا بعد ولا طول ولا قصر فى المسافات ، وعندما يشاء الله سبحانه وتعالى يبدل الجسم (انظر فكرة التبديل فى الكتاب الثالث شرح ٤٠٠١ وما بعده) فإن ذهابه يكون بلا مسافات .. والمعراج خير دليل على ذلك وهذا فى حد ذاته أيها الفتى يبعث فى نفسك كثيرا من الآمال فخل الكلام واهتم بالعمل والرياضة الصوفية ، وسلوك طريق الله وتنقية القلب وجعله محلا للأنوار ، وإن فعلت فإنما مثلك يكون كمثل النائم فى سفينة تقطع به الطريق وهو فى حماية الربان (النبى بالنسبة للأمة والمرشد بالنسبة للطريق) تمضى بك السفينة هونا ، وأنت آمن من أمواج البحر (مصائب الحياة ووعورة الطريق) .

(٥٣٨ – ٥٥١) : ولست أنا الذى أقول هذا بل يقوله الرسول – صلى الله عليه وسلم – مثل أمتى كسفينة نوح .. إلى آخره والخلاف هنا : هل قال الرسول – صلى الله عليه وسلم – مثل أمتى أو قال مثل أهل بيتى ويميل الشيعة بالطبع إلى الرواية مثل أهل بيتى وقد اعترف بصحتها الإمام الشافعى نفسه فى أبيات :

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم	مذاهبهم فى أبحر الغى والجهل
ركبت على اسم الله فى سفن النجا	وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم	كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

(جعفرى ٩/ ٤٩٤)

أى كن من الأمة وإن لم تلحق بالنبى فأمامك الولى الشيخ المرشد فهو كالنبى فى أمته وهو نبى وقته (وانظر هنا شروح الأبيات ١٧٧٤ – ١٧٧٥ من الكتاب الثالث والأبيات ٢٢٨٣ – ٢٣٨٤ من الكتاب الثانى) . فاستمسك به ، وحذار من اعتمادك على حولك وقوتك وطولك واحتيالك ، استسلم لقيادة الشيخ الذى عونه جنده ، وجنود الأولياء من أنفاس الرحمن ولا تقس الشيخ بلطفه وبقهره ، فإن عاملك باللطف أو عاملك بالقهر فإن النتيجة واحدة ، وإنما هو يريد خيرك وأدرى بالوسيلة التى تليق بك ... إنه يجعل جسدك هذا التراب ينبت السوسن والريحان مما يراه الشيخ ولا يراه غيره ، فإياك وإنكار الشيخ حتى نجد الريحان فى روضته (الأسرار من عالمه) وحتى تشم رائحة الخلد من الشيخ مثلما شمها الرسول – صلى الله عليه وسلم – من قبل اليمن (إنى لأشم رائحة الرحمن قبل اليمن) كناية عن ظهور أويس القرنى رضى الله عنه .

(٥٥٢ – ٥٦٢) : مثلما كان للرسول – صلى الله عليه وسلم – معراج وكان للأولياء أيضا معارج فإن لكل سالك فى هذا الطريق بعون من المرشد معراجا ، والمرشد هو الذى يهيىء البراق ، والغاية هنا هى الوسيلة إذا كنت تريد الفناء أو العدم فإنما سيكون الفناء براقك الذى يجذبك ، إياك أن تفكر فى المسافات وفى الأجسام وفى المراحل وفى الأرض وفى السماء ، فليس السفر هنا كسفر البحار من الأرض إلى السماء ، ولا المعراج من الأرض حتى القمر .. ؟!! ولكنه كمعراج الجنين يتطور إلى مرحلة العقل والنهى ، أو كمعراج البوص يتحول إلى قصب سكر ، هذا معراج براقه الفقر والسلوك ، يكون أعلى من البحار والأقمار والكواكب يجوب هذه العوالم فلا يكاد يمسها بحافر ، فهيا عليك بتلك السفينة التى هى إرشاد الشيخ امض إليها خببا كأنك ماض إلى لقاء

معشوق ، أو كأنك روح من الأرواح تأتى من جانب العدم فلا يد لها ولا قدم ، عودتك إلى عالم الروح هى المقابل لمجيء الأرواح من عالم العدم إن كل ما أقوله هنا إنما أقوله على سبيل القياس ، وكان فى إمكانى أن أترك هذا القياس وأتحدث صراحة لو لم يكن السامع غير متصف بالحيطة الكاملة ، إنما يريد الكلام الصريح المباشر مستمعا وها هو يدعو نفسه بضمير الغائب تواضعا فيدعو الغوث الأعظم وهو بمنزلة الفلك أن يمطر جواهر العطاء الروحى عليه ، فإنه إن فعل فسوف ترد عليه عطاياه فيضا ربانيا من عطاء الشيخ من حيث تتضاعف عطاياه وشفته صامته فكأن عطاء الشيخ للفلك يكون فوق عطاء الفلك للشيخ .

(٥٦٣ - ٥٧٢) : قصة إرسال بلقيس ملكة سبأ هدية إلى سليمان .. والحديث هنا موضعه تبادل الهدايا بين الشيخ والملك (سليمان وبلقيس) وكيف أن ما يمنحه الشيخ خير وأبقى ، لقد أرسلت بلقيس إلى سليمان عليه السلام هدايا الذهب والرواية واردة فى قصص الأنبياء للثعالبى ص ٢٦٦ لكن الصحراء السليمانية كانت مفروشة بالذهب النضار .. وقبل أن تصل القافلة إلى سليمان أحست بعدم قيمة الهدية . فهيا .. انظر أية هدية تحملها من عندك إلى الحضرة الإلهية ؟! هدية من العقل ؟! وما قيمة عقلك الجزئى هذا إلى جوار العقل الكلى الذى يسيطر على العالم ؟! لكن هل كانت القافلة التى تحمل هذه الهدية تستطيع أن تعود ؟! لا ؟! بل لابد وأن تنفذ الأمر .

(٥٧٣ - ٥٨٤) : ها هو سليمان عليه السلام يسخر من هذه الهدية التى يحملونها إليه ويسميها مجرد ثريد .. إنه لم يطلب هدية من بلقيس لكنه طلب منها أن تكون لائقة بالهدية التى يقدمها لها ، وكيف تقدم الهدية لمن أفاض عليه الغيب بالهدايا النادرة التى لم تتوفر لإنسان من قبله أو من بعده ؟! ألأنكم تسجدون للشمس التى تصنع هذا الذهب ترون أنه أفضل ما يقدم لإنسان ؟؟

اسجدوا للذى خلق الشمس إذن وأى سجود للشمس تقومون به ؟! إن الشمس مجرد منضج لطعامنا .. ليس أكثر .. فكيف تجعلون منها آلهة ؟! وماذا تصنع إذا أصاب هذه الشمس الكسوف ؟! ألست تتضرع إلى الله تعالى أن يعيد إليها ضياءها .. وإذا أرادوا قتلك فى منتصف الليل ، فأين هذه الشمس لكى تشكو إليها فى حادثات الليل ؟!! .. إنك إن سجدت لله صرت مسموحا له بالأسرار مثلنا .. وإذا بلغت هذه الدرجة لتحدثت معك بحيث خرجت تاما من آثار الطبيعية .. ولا ستطعت أن تسيطر على الشمس نفسها وأن تستحضرها فى منتصف الليل ، بل تستحضر شمس وجوده ، شمس الحقيقة .. أنوار التجليات وتشاهد الجمال الإلهى .

(٥٨٥ – ٥٩٧) : تسألنى عن شمس الحقيقة .. ماذا أقصد بها ؟! إنها تلك التى تشرق فى الأرواح الطاهرة ليل نهار ، تلك الأرواح التى تبدلت فلا يحجب هذه الشمس أمامها حاجب .. فهى نور دائم فى نهار دائم ليلها كنهارها .. هى المحجة البيضاء .. إن شمس الفلك بالنسبة لشمس المعانى كأنها الذرة لا قيمة لها ولا خطر منها أمام تلك العين التى نورت بالنور الإلهى وذلك النور الإلهى فعله كفعل الكيمياء إن ضعت على دخان جعلت منه كوكبا .. فكيف إذا وقع هذا الأكسيد النادر على ظلام .. ويستمر مولانا فى تعبيراته الفنية .. إن هذا الفنان يعجب بعمل واحد جعل خواص كوكب زحل كالشعلة الدائرة فى الكوكب فيه خواص السماء السابعة وخواص الأرض .. وهكذا فاعتبر كل كواكب الروح وجواهرها .. افتح عين الروح تستطيع أن تتمثل كل هذه الكواكب والأفلاك داخل وجودك وداخل نفسك .. وتحتوى على عالم كامل داخلك وانظر إلى عين الحس .. إنها لا تستطيع أن تحدق فى هذه الشمس الأرضية فهى قطر نارى .. لكن انظر بنورى أى بنور الله تختلف تماما عنه .

﴿ ٥٩٨ – ٦١٢ ﴾ : تريد مـثـالا إذن عن ذلك الـذى قـبـل النور والذى كـان وجـوده مشـرقـا لـلأنوار الإلـهيـة ولـم يكن نـوره يغيـب لـيل نهار فـإليك الشـيخ أبو عـبـد الله المغـربى الذى كـان يمشى معـه أصـحـابه بالليل ووراءه فكان إذا حـاد أحـدهم عن الطريق يقـول يمينك يـا فلان يسـارك يا فـلان ، وقد ورد فى نفـحـات الأنس لعبد الرحـمن الجـامى وهـو متأخـر عن مولانا جـلال الدين أن شـيخ الإسـلام (وهـو الأنصـارى) روى أنه لـم ير ظلمـه قط ومـا كـان يبدو لـلخلق ظلامـا كان له نورا .. وعندمـا كـان يتحـدث فـوق جبل سـيناء كان الـحـجـر يتفـتت ويتسـاقط إلى الـوادى (نفـحـات الأنس ص ٩٠) وقـال القـشـيـرى إنه مـات سنة ٢٩٩ عن مائة وعـشـرين سنة (الرسالة / ٣٨) علق فروزانفـر على البيت ٦٠٦ : وجعل المغرب كالمشرق مشعا بالنور (مـأخذ / ١٣٣) . ولقد جعله الله غارقا فى الأنوار ، إنه الذى تـنطبق عليـه الآية الكـريمة ﴿ يوم لا يخـزى الله النبـى والـذين آمـنـوا مـعـه نورهـم يسـعى بـين أيديهـم وبأيمـانـهـم يقـولـون ربنـا أتـم لنـا نورنـا ﴾ (التـحـريم : ٨) .. اطلب من الله تـعـالى هذا النور حـتـى فى الدنيا ، .. فـإنه يهب هذا النور لـلسـحـاب ولـلظلمـة وهـو نور الروح الذى لا تبـقى بعده ظلمة ، حتى وإن كف البصـر ، فـالحديث عن النور الباطنى لا النور الـخارجى ، بهـذا النور الذى يهبك الإله إياه تسـتـطيع أن تمضـى فى أمـان بين عقـارب الناس وأفاعيهم .

(٦١٤ – ٦٢٤): عـودة إلى قصـة سـليمان عـليه السـلام وهـدية بلقـيس ، هـا هـو يطلب من الرسل أن يعـودوا بذهـبـهم وأن يأتوه بقلوبهم ، يقـول لهم : ضعـوا ذهبى على ذهبكم .. فإن كانت له قيمة لما تزينت به مؤخرات البغال (التعبير من سنائى ديـوان ص ١٤٨) فـهى لائـقـة بهـذا الذهـب ، لكن صـفـرة وجـه العـاشق تفضـل صفـرة الذهـب ، فـهى من عشـقه الله تعالى . ومـن نظرة الله تعالى له ، لكن صـورة الذهـب من تأثير الشـمس وشـتان بين من هـو مـوضـع نظر الله تعالى وبين

ما هو موضع نظر الشمس .. وإياكم وغضبى وأخذى .. وعليكم بالإيمان بالله تعالى وإن كنت أسارى لى .. وأنتم بصيرون .. ما أشبهكم بطائر يفتح جناحيه يرفرف بهما على سطح منزل لكن بصره مثبت على الفخ وعلى الحب فهو مأخوذ مأخوذ حتى ولو لم يؤخذ بعد . هذا هو القيد الداخلى ، الوسوسة ، الوهم، العكوف على التفكير ،فى أمر يعنى مراقبة الظاهر دون مراقبة الباطن يقال إن فلانا (سقط فجأة) لا يسقط أحد فجأة .. هذه هى الأمور التى تحرم الإنسان الحرية الحقيقية (جعفرى ٥١١/٩) إنه سوف يسقط فى الحمى ما دام يحوم حوله .. ها هو الطائر ينظر إلى الحب .. والحب فى نفس الوقت ينظر إليه .. وأنت مأخوذ بالدنيا .. والدنيا سوف تأخذك ، إنك أدَمْتَ إليها النظر .. وهى تأخذ منك أيضا الصبر والقرار وما دام هذا النظر يجذبك إلىّ .. فأنا أيضا أحس بانجذابك إلىّ وأسحبك خلفى .

(٦٢٥ – ٦٥٢): وما أشبه هذا الذى يحس أنه مأخوذ بالدنيا ميال إليها يجعلها كل همه ومبلغ علمه بذلك الذى ذهب يشترى سكرا لكنه عاشق للطين فأخذ يسرق من صنج الميزان وهى من حجر الطفل (مأخوذة من حديقة سنائى انظر الترجمة العربية الأبيات ٦٠٨٦ – ٦١٠٠) إن الذى يسرق الطين ليأكله لا يدرى أنه بهذا ينقص من نصيبه من الكسب وهكذا أهل الدنيا جميعا ، يستغرقون فيها ، وهم يظنون أنهم يكسبونها .

(٦٥٣ – ٦٧٧) : عودة إلى قصة سيدنا سليمان مع رسل بلقيس إنه يحدثهم عن الملك الإلهى ، والملك الدنيوى ، وما الملك الدنيوى بجوار الملك الإلهى إلا جبيرة ساق ، والممالك الإلهية أدنى درجاتها تفضل هذا الملك الدنيوى ، وذلك الذى لا يستطيع أن يسيطر على شبابه ، أن يمنع نفسه العجز والهرم والشيب كيف يسمى نفسه ملكا ؟! إن ملك الملوك يمنحك فى مقابل العبودية ملكا عظيما

إن أحسست به مثقال ذرة لتركت الملك الصورى كما فعل إبراهيم ابن أدهم ، وملوك الدنيا هؤلاء من دناءتهم وخستهم لا يحسون بهذا الملك العظيم الذى يحس به من سجد للإله سجدة طاعة واحدة من القلب ... لكن الله تعالى زين فى قلوبهم عروشهم وتيجانهم من أجل عمارة الدنيا .. وهم وإن فخروا بأنهم يجمعون من الناس الخراج .. إلا أنهم يتركون هذا الخراج ميراثا عنهم فدعك من هذا الذهب .. ودعك من هذا الملك .. وأطلب من الله بصيرة سليمة تستطيع أن تدرك أن هذه الدنيا مجرد بئر متعلق بحبل الله فيوسف تعلق به فخرج به من البئر فكان أول ماصك مسمعه .. يا بشرى »

وفى ديوان شمس :

يا من أنت فى روح يوسف ∴ لماذ تبقى فى البئر

تمسك بحبل القرآن ∴ فاصعد من بئر الظلمات

وحتى إنهم يخسرون كل شىء حتى أنفسهم ، كم من ظامىء منهوم إلى مال أو حياة أو منصب يستغرقه هذا النهم ويفسد عليه دنياه وأخراه معا كأهل الطين تماما ، ويقدم مولانا مثالا أخر للطائر والحب ، من المشترى والعطار ، فالمشترى يظن أنه بأكله للطين من صنج العطار إنما يغبن العطار ، والعطار يلاحظه ويراه ويتغافل عنه أملا فى أن يأكل أكبر قدر من الطين فإن هذا سوف ينقص بالتأكيد نصيبه من السكر .. تماما كالطائر والحبة .. الطائر ينظر على البعد ، والحبة تقطع الطريق إليه .. الصياد يطلب الفريسة ، والفريسة نفسها تطلب الصياد .. وهكذا تصاد الطيور حتى الطيور الضخمة تصاد من سهام النظر ، ومن هنا حذر الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقال : إن النظرة سهم من سهام الشيطان ، وفكرة أكل الشواء من الجنب تبدو من أفكار سنائى وعن

الإمام الصادق – رضى اللّٰه عنه – « ما اعتصم أحد بمثل ما اعتصم بغض البصر فإن البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى كلية مشاهدة العصمة والجلال (جعفرى ٩/٥١٥) . فالشهوة تجعل الناس أسارى للدنيا وهم يظنون أنهم أمراؤها ، يظنون أنهم ملوك وهم مملوكون ، سادة وهم عبيد ، وما السيد إلا من خلص روحه من إسار هذه الدنيا . إن العارفين بالله هم الكيمياء التى تحول المعادن الرخيصة إلى ذهب فكيف يمكن أن يكون للذهب قيمة فى عيونهم ؟!!

(٦٧٨ – ٦٨٨): إن لم تكن تصدق أن أولياء الله قادرون بنظراتهم على تحويل كل شىء ينظرون إليه إلى ذهب فإليك هذه القصة عن هذا الدرويش الذى طلب من الأولياء العظام رزقا بلا تعب ... فدلوه على غاية فى جبل وجعلوا فواكهها البرية حلوة فى فمه .. ومن هذه الفاكهة الحلوة جرى لسانه بالحكمة بحيث أصبحت أقواله فتنة للخلق أجمعين وكان الدرويش يخاف شبهة الرياء ، فأدرك ما فى إقبال الخلق من فتنة تقف أمام سيره الصوفى ، فدعا الله أن يسلبها عنه ، فاسستجاب لدعائه .. أعقبه سعادة فى قلبه .. هى سعادة الإخلاص والبعد عن الرياء تلك السعادة التى لا يحسها إلا ذلك الذى جعل علاقته مع محبوبه بحيث لا يطلع عليها بشر ولا يدركها (غيره) ، لقد بلغ درجة من السرور الباطنى بحيث أصبح يظن أنه إن لم يكن فى الجنة سوى هذا السرور جزاء للمؤمنين لكفاهم هذا ... إلى هنا .. الحكاية تعتبر مقدمة للحكاية الحقيقية التى يريد أن يضربها كمثال على قرة أولياء الله على تحويل كل شىء إلى ذهب مما يجعل الذهب غير ذى قيمة فى أنظارهم .

٦٨٩ – ٧١٠ : يقدم مولانا جلال الدين الجزء الثانى من الحكاية وهو مأخوذ من كشف المحجوب للهجويرى (ص ٢٩٧ – ٢٩٨ مأخذ ١٣٤ – الترجمة العربية لكشف المحجوب ص ٢٧٩) كان الدرويش يملك حبتى ذهب من أيام حاجة خاط عليهما جبته رأى حطابا فقيرا فحدثته نفسه أن يهبه حبتى الذهب ما دام قد فرغ من أمر الرزق ، عليه يفرغ هو الآخر من أمر رزقه عدة أيام ، لقد ظن الدرويش نفسه مقسما للأرزاق فلا بد وأن يأتيه الدرس الإلهى .. لقد كان الحطاب الفقير من رجال الله المطلعين على الأسرار السماعين لله وبنور الله .. لقد أخذ يهمس : أهذا يليق بالملوك ؟! كيف تفكر فى أن تتصدق على ملك ؟ لقد كان يتحدث بلا لسان وكان حديثه ينطلق مباشرة إلى قلب الدرويش .. وها هو يبدى المعجزة .. فإذا بهيبة شديدة تمطر عليه .. هيبة حولت كومة الحطب بدعائه إلى ذهب ثم أعادها ببركاته خوف الشهرة والفتنة إلى حطب مرة ثانية وحملها وانصرف إلى المدينة .. دون أن يجرؤ الدرويش أن يسأله الصحبة ، وقد خاطب ابن سينا منكرى الكرامات بقوله « ولعلك قد يبلغك من العارفين أخبار تكاد تأتى بقلب العادة فتبادر إلى التكذيب مثلما يقال : إن عارفا استسقى للناس فسقوا أو استشفى لهم فشفوا أو دعا عليهم فخسف بهم وزلزلوا أو هلكوا بوجه آخر ، ودعا لهم فصرف عنه الوباء والموتان والسيل والطوفان ، أو خشع لبعضهم سبع ، أو لم ينفر عنه طائر أو مثل ذلك مما لا تؤخذ فى طريق الممتنع الصريح فتوقف ولا تعجل فإن لأمثال هذه الأشياء أسبابا فى أسرار الطبيعة ثم يقول : « إياك أن يكون تكيسك وتبرؤك عن العامة هو أن تنبرى منكرا لكل شيء فذلك طيش وعجز وليس الخرق فى تكذيبك ما لم يستبن لك بعد طلبه دون الخرق فى تصديقك ما لم تقم بين يديك بينة بل عليك الاعتصام بحبل التوقف وإن أزعجك استنكار ما يقرع سمعك ما لم تتبرهن استحالته لك ، فالصواب أن

تطرح أمثال وتمده إلى بقعه الإمكان ما لم يذرك عنه قائم البرهان ، واعلم أن فى الطبيعة عجائب وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب (عن جعفرى - ٩ /٥٣٣ - ٥٣٤) وقد فسر مولانا جلال الدين فى الكتاب الخامس كيف يعرف المرشد ما فى ضمير السالكين :

- لقد كنست المنزل فى الخير والشر فصار منزلا ممتلئا من عشق الأحد

- وكل ما أراه غير الله ليس ملكى بل انعكاس صورة ذلك الشحاذ .

- فلو ظهر فى الماء انعكس نخلة أو عرجون ... فليس منه بل من النخل :

- وإن رأيت فى قاع المـاء صورة ما تكون انعكاسا لشىء فى الخارج أيها الفتى

- ولكن بشرط تنقية لماء من القذى فالتنقية شرط فى نهر البدن

- حتى لا يبقى فيه كدر أو غثاء حتى تصبح أمينا فى عكس الوجوه

- فأين فى بدنك سوى الماء والطين أيها المقل صف الماء من الطين يا خصم القلب

- وأنت مقيم فى كل لحظة من النوم والأكل فى طمس هذا النهر بالتراب أكثر

(الكتاب الخامس أبيات ٢٨٠٤ - ٢٨١١) .

(٧١١ - ٧١٦) : مثل هذا الرجل هم الملوك الحقيقيون ، هيبتهم هيبة

حقيقية ، وعظمتهم عظمة حقيقية ، ليس المهم أن تملك ، بل المهم أن يكون فى إمكانك أن تملك وأن تزهد فى الملك ، كثيرهم أولئك البلهاء الذين يلتقون بهؤلاء الملوك دون أن يغتنموا الفرصة ، إنهم يستكثرون عطاءهم ، مثل ذلك المتسول الذى أعطوه كثيرا من لحم الأضحية فاعتقد أن الأضحية بقرة ، دون أن يعرف أنه هكذا يكون عطاء الملوك .

(٧١٧ - ٧٢٥) : إن مزاولة سليمان للملوكية هى فى هذا القبيل ، إنه ملك فى المجاز والحقيقة ، ومن ثم فعطاؤه هو عطاء الملوك الحقيقيين إنه يدعو بلقيس وكل من عندها أن يغترفوا من بحر الجود ، إنه يدعوهم إلى عطاء الجنة .. يدعوها لتطلب ويدعو من لا يطلب لكى يضم طلبه إلى طلبها .. هكذا فأساس العطاء الطلب .. ادعونى استجيب لكم ... لا تستكبر عن الدعاء (الطلب) لكى يكون الفتوح .

(٧٢٦ - ٧٣٠) : ليست بلقيس ببدع فى الملوك الذين تركوا الملك الصورى من أجل الملك الحقيقى .. فكثيرون هم الذين أشرقت عليهم هذه اللحظة فبدلتهم تماما ودلتهم على الطريق .. وكما يكون فى الأنبياء .. يكون فى الأولياء وها هو إبراهيم بن أدهم مثال حى على أولئك الذين تركوا العرش المجازى فى سبيل العرش الحقيقى ليس هذا فحسب فقد يجلس أحدهم ينظر خلفه عبر رحلة عمره ، فيرى أنه قد أفنى هذا العمر فى سبيل أن يكسب الدنيا ، وها هو فى سبيله إلى الخروج منها كما دخلها عاريا ، فلا هو اكتسبها ولا هو اكتسب نفسه ، عشرات النماذج تقدمها سير الصوفية فى هذا المجال بحيث لا يكاد يوجد صوفى واحد لم يخبر الدنيا قبل أن يسلك طريق الآخرة ، بل عاش معظمهم فى حضيضها ، فقد كان منهم قاطع الطريق والغانية والغارق فى الفجور حتى أذنيه ، درس تقدمه سير الصوفية ، إن جوهر الإنسان يظل غاليا مهما تمرغ فى الطين ، ويستطيع

بعد هذا التدهور ، ونسيان الأصل أن ينطلق من هذا الطين فإذا بالنفخة الإلهية ترفعه إلى آفاق لم تصل إليها الملائكة .. وإبراهيم بن أدهم مثال حى ، كان على كرسى الإمارة .. أى أن الدنيا كانت ملك يمينه والسبب هداية إلهية تأتى عبر حكاية غير متصورة ، وحادثة غير عقلانية فما الذى يوصل أولئك الذين يبحثون عن الجمل إلى سطوح دار الإمارة ؟!! وهل يبحث الإنسان عن بعير ضال فوق سطوح دار الإمارة ؟! نعم .. إنه تماما كمن يبحث عن الحقيقة الإلهية وهه وفوق كرسى الإمارة (انظر تذكرة الأولياء للعطار ج١ ص ٨٨) ويعلق شمس الدين التبريزى : هذا ما كان فحسب ومضى والقلوب فى أثره !! (مقالات ص ٢٧) .

(٧٣٠ - ٧٤٤) : كما لا يأتى الأمن من الحرس ، بل يتأتى من العدل ، فإن طرب ابن آدم لم يكن يتأتى من أصوات الصنج والرباب ومن ذوات الأوتار ، بل لأن هذا الطرب هو شوق إلى الخطاب الإلهى « فقد كانت هذه الأصوات موجودة فى الجنة يستمع إليها آدم ونحن من أبنائه فيؤثر فينا إذن هذه الأصوات وذلك الشوق الكامن فى كل منا إلى الجنة أو إلى الخطاب الإلهى ألست بربكم » ..

ثم انظر إلى جلال الدين وهو يشبه صوت المزمار بالأنين وقرع الطبول بالتهديد (لا يزال الموسيقويون الكبار يعبرون بالآلات الإيقاعية ومن أهمها الطبول عن ضربات القدر أو هزيم الرعد أو البعث .. ومثلها مثلا السيمفونية السابعة لبيتهوفن المسماة بالإيقاعية) ويرى مولانا جلال الدين : أن هذا الحزن والتهديد لأنها صورة من الناقور الكلى « إشارة إلى الآية الكريمة » فإذا نقر فى النقاور فذلك يومئذ يوم عسير » (المدثر : ٢٨) والفكرة كلها كما ذكر نيكلسون مأخوذة من آراء فيثاغورث ومنه اتخذت سبيلها إلى أعمال فلاسفة الإسلام فى رسائل إخوان الصفا ، ويواصل مولانا جلال الدين : من هنا قال الحكماء (والمقصود فيثاغورث) أنهم أخذوا ألحانهم من مقامات وسبعة أصوات وأربعة وعشرين شعبة وثمانية وأربعين تركيب ، فالمقامات مقابلة للأبراج والأصوات

للكواكب السيارة والشعبة للساعات والتراكيب لجمعات السنة (مولوى ١٠٣/٤ انقروى ١٤٧/٤) والخلق يحاكون هذه الحركات سواء بالموسيقى أو بالغناء ، هذا ما يقوله الحكماء ، أما ما يقوله المؤمنون فهو أن هذه الألحان هى آثار أصوات أشجار الجنة وأنهار وجدرانها فهى التى تجعل كل قبيح لطيفا حسنا مقبولا .. ونحن جميعاً من أدم سمعنا كل هذه الأصوات فى الجنة ولازلنا نشتاق إليها .. نشتاق إلى خطاب اللطف الإلهى « ألست بربكم » والشوق إلى الخطاب هو الشوق إلى يوم ألست يوم أقرت النطف فى الأصلاب بالربوبية كما فسرها مولانا نفسه (أتدرى ما هو السماع ، إنه الاستماع إلى قوله بلى ... وهو الانقطاع عن النفس والاتصال به (استعلامى ٢٢٩/٤) .

لكن شتان بين هذه الألحان فى أصولها الطاهرة وبين صورتها الإنسانية تمتزج الروح الطاهرة بالجسد النجس وتختلط على هذه الموسيقى برغائبنا وشهواتنا – وفى كليات شمس التبريزى يقول مولانا فى إحدى الغزليات : إن علم الموسيقى هذا علم كأنه شهادة ، ولما كنت مؤمنا فإننى أتوق إلى الإيمان والشهادة (غزل ٤٥٧ ص ٢١٠) – كما يختلط الماء العذب بالبول فيفقد عذوبته وطهر يختلط طهرالموسيقى بدنس الجسد ، لكن الماء مهما صار نجسا فإنه يستطيع أيضا أن يطفى نيران الهموم ، فكذلك الموسيقى والمعشوق الأوحد لا يمكن أن تطفى ناره هذه الموسيقى لكن السماع هو مدار العاشقين ، إذ أن «خيال» أو « ظن » اللقاء بالمحبوب يكمن فى هذا السماع ، إنه مجرد شاهد للرغبة أيا كانت هذه الرغبة فإذا كانت رغبة فى الدنيا اشتدت وإذا كانت رغبة فى الآخرة اشتدت ، فالموسيقى والسماع إذن فى رأى مولانا جلال الدين تحرك فى الإنسان ما فى داخله هو « وفى تعليق أخر نقله الأفلاكى (٤٣١/١ – ٤٣٢) « سئل مولانا لماذا تقرع الطبول وتدق النقارات أيام الأعياء قال : إن الطبل من أجل الآذان الثقيلة حتى تنتبه من غفلتها وتستعد للعيد وهذا المعنى مأخوذ من نقر

صور القيامة وطبل يوم العرض فهى لبعضهم عيد ولبعضم وعيد ، والعاشق إنما يجد لذة العشق فى مجرد توهمه اللقاء بالمعشوق .

« فمن على سمعي بلن منعت أن أراك فمن قبلى لغيرى لذت »

تماما كقصة من كان يلقى بالجوز فى الماء .

(٧٤٥ - ٧٥٩) : لم يورد فروزانفر هذه الحكاية فى كتابه عن مصادر قصص المثنوى ، وقد وردت رواية أخرى للحكاية فى الكتاب الثانى من كتب المثنوى (الأبيات ١١٩٦ - ١٢١٢) كان يقف على الجدار الذى يحجزه عن الماء .. وكان يقتلع منه الطوب ويلقى فى الماء فيسر بصوت سماع الماء من ناحية .. ويسرع فى إزالة الجدار من ناحية أخرى . لقد كان ذلك الرجل فوق شجرة الجوز يلقى بثمارها فى الماء الذى يجرى أسفلها فى عمق وها هو ذلك العاقل الذى يقيس كل الأمور بعقله ، يعذله .. ما هذا الذى يقوم به ؟! يفقد الجوز ويزداد ظمأ إذ أن الماء يزداد ابتعادا لكن من الذى قال : إن الظمآن مراده الماء ؟! إنه إذا ظمأ إلى الماء لم يكن هذا الماء فى متناول يده ، فإنما يكفيه أن يرى حباب الماء أن يسمع مجرد صوت الجوز فى الماء نعم إنه الخيال والتصور فالظن الذى يبنى به الإنسان عالما خاصا به ، يجد فيه العزاء عن هذا الحرمان الذى يحيط به ، وأى حرمان أقبح من أن يحرم الإنسان الجنة ؟ وما الذى يهدف إليه الظمآن فى هذه الدنيا إلا أن يطوف دائما حول حوض الماء إنه يجده من صوت الماء ؟ ومن خرير الماء - تماما كالحاج الذى يود أن يطوف حول الكعبة - وهكذا أيضا وانظر إلى جلال الدين فى بعض تفسيره للعمل الأدبى والفنى يكون هذا المثنوى . إنه مجرد تعبير عن المقصود ، هو أنت يا حسن حسام الدين .. إنه أنت الذى يجعل هذا المثنوى ينطلق من فمى ، ومن خيالى ومن وجدانى أقدم هذا البناء الفنى العظيم الجدير بهذا الحرمان العظيم ، وقد يتساءل سائل هل من الممكن أن يكون هذا الأمر كما يعبر عنه جلال الدين .. أيكون ديوان شمس الدين التبريزى كله من أجل شمس الدين

والمثنوى بكل ما فيه من أجل حسن حسام الدين ويقدم جعفرى ثلاثة احتمالات لهذا الموضوع : -

الاحتمال الأول : إن الحالة النفسية لمولانا جلال الدين كانت تدفعه إلى أن يركز عالمه الذاتى الداخلى على نقطة معينة ... يجعل نقطة محسوسة كجسر من الحقائق والصور التى يقدمها .. وبين عالم الوجود .

الاحتمال الثانى : إنه لم يقصد بشمس الدين أو بحسن حسام الدين شخصين محدودين بهذا الاسم .. بل كل السائرين فى طريق الحقيقة والذين يرون فيه مصدر نجاتهم ومرشدهم ودليلهم إلى العالم الروحى العظيم .

الاحتمال الثالث : أن مولانا كان يرى فى حسن حسام الدين المريد القادر على مواصلة الطريق والزهرة التى تبعث فيه التغريد فإن أرواح أولياء الله جديرة بالعشق الروحى (جعفرى ٥٦٢/٩ - ٥٦٣) وأضيف أن كثيرا من المعلمين والأساتذة يرون فى طالب معين من بين طلابهم مقدرة على سماعهم وتلقى أفكارهم فيكون بمثابة الملهم والجاذب لفكرهم ولأعظم ما فيهم .. الملهم موجود فى التراث الإسلامى .. لكن منذ أن ابتلينا بغزو الثقافة الغربية .. أصبح الملهم لا بد وأن يكون ملهمة وإلا فالويل كل الويل والاتهامات بالشذوذ الجنسى (التفصيلات أكثر حول هذا المعنى انظر الكتاب الثالث شروح أبيات المقدمة الشعرية) إنه النبات الذى زرعت أنت بذرته .. تنمو أزهارها وتنبثق بملازمتك أنت ، إنما أحب من الفاظه أن أسمعها منك ، فإن صوتك هذا متصل بالأنوار الإلهية تنصب علىَّ هذه الأنوار الإلهية من هذا الصوت الذى يبدو فى الظاهر صوتك .. ويجعل هذا المثنوى ينبثق بالرياضة والزهور .

(٧٦٠ - ٧٦٤) : نعم هناك اتصال بلا تكيف ولا قياس ولا بشكل من الأشكال المصورة لرب الناس مع الناس « فإن روح المؤمن لأشد اتصالا

بروح الله من اتصال شعاع الشمس بالشمس (حديث نبوي) كما قال – صلى اللّه عليه وسلم : « ذهب الناس وبقى النسناس ، والناس كإبل مائة لا تجد منها راحلة وكما عبر نظامى عن هذا المعنى : إن من تراهم ليسو كلهم بالبشر ، أغلبهم ثيران وحمر بلا ذيول لقد سلبت المعرفة من البشر فلم يعد هناك بشر موجودين (أنقروى ٤/١٥٥) ، الآدميين ، الأناسى – ولم أقل جنس النسناس الذى يشبه البشر فى الشكل وليس ببشر ، أولئك الذى لهم صور البشر وأجساد البشر ينقرون كما ينقر الطائر ويرعون كما ترعى البهائم (سبزوارى ٤/٢٧٨)

ليس البشر إلا أولئك العارفين من أصحاب الأرواح التى تعرف روح الروح .. الناس هم البشر وأين إنسان واحد ، « لقد كان الشيخ يطوف بالأمس بمصباحه فى المدينة قائلا أبحث عن انسان .. أبحث عن إنسان كأسد الله وكرستم بن دستان . فقد ضاق صدرى من هؤلاء الرفاق المخنثين .. الذين يتشدقون بالرجولة وما هو بالرجال .. حقيقة إنه يبحث عما لا يوجد ولكن البحث عما لا يوجد هو نهجنا الذى نسير عليه (كليات ديوان شمس الدين التبريزى غزل ٤٤١ ص ٢٠٣) إنك لم تر إنسانا واحدا ذلك لأنك ذيل من الذيول (ترجمها الانقروى لم تر إنسانا لحظة (٤/١٥٥) ولا شك إنه خطأ لأن « مردم » فى الشطرة الأولى مضمومة الدال ولا بد أن تكون « دم » مضمومة الدال وليست مفتوحتها وهى بمعنى ذيل) ولأنك ذيل تسير خلف العوام والسوقة والرعاع فإنك لا تستطيع أن تعرف الرؤوس أى الأولياء الذين يعرفون الناس .. إن كل هذا الاتصال بين رب الناس والناس يتجلى فى الآية الكريمة « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » لقد تجلى الله على عبده بصفة من صفاته فظهر عليه فعل هذه الصفة. تجلى على عيسى عليه السلام بصفة الإحياء وتجلى على محمد عليه السلام بصفة القدرة (مولوى ٤/١٠٧) فاترك الجسم من أجل الروح .. أترك ملك الجسم من أجل الروح كما فعلت بلقيس من أجل سليمان النبى .

(٧٦٥ – ٧٧٠) : يخاطب مولانا مستمعا وهميا يتصور أنه ينكر عليه هذا الحديث ، إنه يستعيذ بالله منه ويلجأ إلى الله من خيالاته التى تنكر عليه ما يقول ولا نستطيع أن تستوعب هذه الإفاضات ، وما ذلك الإنكار إلا من خياله الفاسد وظنونه الحمقاء .. إننى ألجأ إلى الله تعالى وأستعيذ به لأنه فى مثل هذه المواقف لا يملك الإنسان إلا أن يلجأ إلى الله تعالى فإنما يكون فهم كل إنسان بقدر همته ، ورب قارىء للقرآن لم يفهم فيه سوى الحرف ، وألم يقل أبو جهل إنه أساطير الأولين (انظر الكتاب الثالث شروح أبيات ٤٣٨٥ وما بعدها) فما دام حديثى قد وقف فى حلقك لأن هذا الحلق لا يتسع لهذه اللقمة فلأ صمت أنا .. وهات أنت ما عندك ، وحدثنا لا فض فوك بما تعلم أنت فها نحن كلنا آذان صاغية .. ما دام الفم لا يستطيع أن ينفخ فى النادى جيدا .. فانفخى أيتها المؤخرة وهذه الطريقة واردة فى مقالات شمس تبريز (ص ٥٢) انظر كيف هبط مولانا فى الحديث لكن هذا الهبوط فى الحديث عند كبار شعراء الصوفية كان يحدث عندما يكون المخاطب من هذا القبيل « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » لكن داخل هذا الهزل يكمن التعليم فالعارف هو فى البداية معلم قد يلجأ داخل درسه إلى فكاهة قد توصل إلى طلابه ما لم يستطع الجد أن يوصله .. وها هو الحكيم سنائى رغم جهامته الشديدة يهزل أحيانا .. لكن حذار من اعتباره هزلا .. إنه توحيد .. بل وقال مولانا جلال الدين فى موضع آخر : إن بيت شعرى ليس بيتا إنه إقليم كما أن هزلى ليس هزلا إنه تعليم (مولوى ٤/١٠٨) .

(٧٧١ – ٧٨٠) : يحدثنا مولانا جلال الدين عن الأدب ، ليس المقصود بالطبع الأدب المكتوب بل بمعناه الأخلاقى كعماد من عمد الطريقة ، فالأدب ليس إلا تحمل عديم الأدب ، بهذا تغلق أبواب عديده من الجدل ، ومن التلاحى ، ومن التعصب ، ومن ثم فإن كل شكاء من سوء خلق الناس لا بد وأن يكون هو نفسه

سىء الخلق ، فهو يشكو بدلا من أن يصبر ، لكن شكوى الشيخ مختلفة . إنها ليست غضبا ولا جدلا ولا هوى ، إنها من أمر الله تماما كأنها شكوى الأنبياء ، وإلا فهل يمكن أن نتصور نبيا لا يتحمل ، لا ... إنه فى الحقيقة أكثر تحملا من الجبل ، أن يصدر ما يدل على الضعف من نبى تركيز على جانبه البشرى وتقريب له من أتباعه ، وإصلاح لأرواح قومه ، فهيا يا سليمان يا حسن حسام الدين ، كن مثالا على حلم الحق وتواءم مع الغربان « الوقحاء » أو الصقور (الشرفاء) من الناس .. فإن كثيرا من أولئك المستعدين للدخول فى الطريقة والمهيأين للإيمان كما هيئت بلقيس للإيمان بسليمان عليه السلام . هيا اقتد بالرسول – صلى الله عليه وسلم : – وقل اللهم أهد قومى فإنهم لا يعلمون ولا تدع عليهم .

(٧٨١ – ٧٩٧) : عودة إلى قصة سليمان عليه السلام وبلقيس ، وها هو خطاب سليمان فى التحذير من مغبة الكفر والعناد وعقاب الابتعاد عن طريق الإيمان ، حيث يفقد المرء توازنه ، ويكون صاحب السلطان بلا سلطان ، ينقلب عليه صاحب بابه ، يأتيه الموت من حرسه ، ويكون مساعده خصما له ، يكون كجسد أعضاءوه كلها فى حرب ، فإن هذا الذى جعل أساسا للتناسق بين كافة عناصر الكون ، وبين كل جوانب الإنسان قد غاب وإن غاب يتفتت الوجود الإنسانى ، يكون كل جانب من جوانب الإنسان فى حرب مع الجانب الآخر ، يعتريه القلق والاكتئاب ، يحس بأن حياته لا نفع فيها ، تستعبده الطواغيت ، ثم يؤخذ أخذ عزيز مقتدر من جند الله ، تريد أن تعرفى جند الله يا بلقيس ؟! إنها الريح التى اقتلعت قوم عاد ، والطوفان الذى أغرق قوم نوح ، والبحر الذى انشق لقوم فرعون ، والأرض التى ساخت بقارون ، والطير الأبابيل التى دقت الفيل ومزقته إربا و البعوضة التى أهلكت النمرود ، والحجر الذى القاه داوود فتشقق

إلى ثلاثمائة قطعة وأهلك جند جالوت ، وهذه الحجارة التى أمطر بها قوم لوط حتى غرقوا فى المياه السواد ، وكثير غيرها مما تظنونها جمادا لكنها كانت من جند الأنبياء (انظر الروح الجمادية وتسبيحها الكتاب الثالث أبيات ١٠٠٨ وما بعدها) ولو تحدثت فيها لطال الحديث ولو شاء الله لأمر أعضاء جسدك نفسها بتأديبك إنها تطيعك أنت نفاقا ، ولكن طاعتها الحقيقية لله تعالى فلو أمر عينك بتعذيبك لرمدت وأدبتك ، ولو أمر أسنانك بتهذيبك لتألبت عليك وسلبت من عينك النوم . وافتح كتب الطب وأقرأ أبواب العلل .. وإذا كان الحق سبحانه وتعالى هو روح الروح فكيف يمكن أن تكون العداوة مع روح الروح من السهولة بمكان ناهيك عن عسكره من الجن والإنس .

(٧٩٨ - ٨٠٥) : هيا يا بلقيس أتركى ملكك فى البداية وإن تركت هذا الملك فقد وجدت الملك الحقيقى الذى لا ملك بعده ، سوف تعلمين أنت نفسك بمجرد أن تلحقى بى إنك كنت مجرد صورة جميلة لكن لا روح فيها ولا حياة مثل تلك الصور والنقوش التى تصور على جدران الحمامات :

لا آدم فى الكون ولا أبليس	∴	لا عرش سليمان ولا بقليس
الكل عباده وأنت المعنى	∴	يا من هو للقلوب مغناطيس

(سبزوارى ٢٧٩/٤) وماذا تعنى صورتك أيا كانت الصورة دون تلك الروح ينفخها فيها ، إن زينتها ليست لها بل لغيرها ، إن تلك الصورة تفتح عينا لا ترى ، وفما لا يتحدث ، لقد فقدت نفسك جدلا وعصيانا فجعلت من نفسك مجرد شىء مع آخرين لا وجود له دون وجود آخرين وإلا فهل تستطيعين أن تؤكدى على أن هذه الصورة التى ترين أنها هى أنت .. هى أنت بالفعل ؟! إنها مجرد حالة من حالاتك .. وهذا ليس إحساسك الحقيقى بل إن ما تحسين به هو ما يوحى به

إليك أتباعك من حولك وإلا فإنك لو ابتعدت عنهم لحظة واحدة لأحسست بالحزن وليس الحزن إلا لأنك وأنت بعيدة عنهم لا تشعرين أدنى شعور بذاتك لأن هذه الذات خاوية ، ذلك النموذج الإنسانى الموجود فى كل عصر وكل زمان ، إن وجوده فارغ ، يجب دائما أن يملأ بالآخرين أما أصحاب الوجود الثرى الغنى فما يغنيهم الناس وكل منهم « عالم على قدمين » أما أصحاب الصورة أولئك الذين حرموا فى الحقيقة فإنهم دائما ما يدورون حول أنفسهم .

(٨٠٦ – ٨١١) : إن من يكون قائما بذاته ، ليس كالقشة مدفوعا بكل ريح لا يقر له قرار ، يكون جوهرا ، والجوهر ثابت الخاصية ، أما ما يكون فرعا لهذا الجوهر فإنما يكون عرضا لابقاء له ولا ثبات ، يكون وجوده معتمدا على وجود العرض إن زال زال ، والباقى بشىء يكون بقاؤه بهذا الشىء ، وزواله بزوال هذا الشىء . فلماذا لا يكون ثباتك بالحى الذى لا يموت وبالباقى الذى لا يزول ؟!! إنك إذا اعتمدت على سلطان فسلطانك هالك ، أو على جاه فجاهك إلى نهاية ، أو على مال فمالك إلى نفاد ، « وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » وأنت فى النهاية ابن آدم فيك كل ما فى آدم ، فكن عبدا كآدم ، واعترف بالعبودية لله وحده وإياك أن تسأل : أين أنا من آدم .. إنه نبى وأنا مجرد إنسان .. لا ليس الأمر هكذا ، فإن أقل القليل من الشىء يحتوى على خاصية الكثير جدا ممن هذا الشىء .. فما الذى يوجد فى ماء البحر ولا يوجد فى القدر ؟ وما الذى يوجد فى الدار غير الذى يوجد فى المدينة ؟! بل إن العكس هو الصحيح . إن هذه الدنيا بأجمعها هى القدر والبحر العباب هو قلب الإنسان هو المدينة العجيبة التى تسع الحقيقة الإلهية التى لا تسعها أرض وسماء ؟ فالزم عجائب مدينة القلب ، وسح فى هذه المدينة ترى عجبا .

(٨١٢ – ٨٢٩): عودة إلى خطاب سليمان عليه السلام إلى بلقيس ، ها هو يعيد لها أنه يدعوها إلى الإيمان دعوة خالصة لله تعالى ، ولا دعوة تكون مخلصة إلا إذا كانت لله تعالى ، لا لغرض فيها ، ولا لشهوة إلى جمالها ، ولا لطمع فى حسنها ، فكل هذه أصنام جاهلية يرتفع عنها المؤمن فما بالك بالنبى الذى هو سليل محطم الأصنام ، الأصنام هى التى تسجد له ، ولو حدث ودخل أحمد عليه السلام وأبو جهل إلى معبد الأصنام لكان هناك اختلاف كبير بين دخول ودخول ، فسوف يسجد أبو جهل للأصنام بينما تسجد الأصنام كلها لمحمد عليه السلام كما حدث بالفعل (المولوى ٤/ ١١٥) وهذه الشهوات التى تسكن جسد الإنسان إنما هى على مثال معبد الأصنام .. يستوى فى وجود هذه الشهوات الأنبياء والكفار ، فليس الأنبياء مبرأون من وجود الشهوة ، فهم بشر من خلقه سبحانه وتعالى ، لكن الشهوة تحت سيطرتهم ، فهم كالذهب النضار مهما تعرض للنار يزداد لمعانا ، بينما الكفار كالزيف ، يسود إن تعرض للنار ، فلا تنظر إلى ملوك الدين على أنهم هم الآخرون مخلوقون من الطين ، وقد ركبت فيهم الشهوة ، فقد كانت هذه نظرة إبليس إلى آدم ، لم يكن فى نظر سوى مجرد مخلوق من طين ، لم ينظر إلى ما تفوق به عليه أى نبوته وعلمه ، وهكذا تكون نظرة العوام إلى الأولياء إنهم مجرد بشر وأنهم كلهم سواء ، ولا ينظرون إلى النور الذى اختصوا به لعظيم مجاهداتهم وارتفاعهم على بشريتهم ، هيا انهضى يا بلقيس ودعك من هذا الملك كما فعل إبراهيم بن أدهم . والخطاب هنا بالطبع لمولانا جلال الدين وليس لسليمان عليه السلام ، على أساس أنه لم يوجد فى عالم الأنبياء ما حرم منه عالم الأولياء ، وأن الولاية فى أوانها تقوم بما كانت النبوة تقوم به فى أوانها وعلى أن المؤمنين كلهم جسد واحد .

(٨٣٥ – ٨٣٩) : بعد أن يقص مولانا جلال الدين قصة توبة إبراهيم بن ادهم كما وردت فى كتب الصوفية ، يقول إنه اختفى بعدها ولم يره أحد نعم لقد اختفى كما يختفى الجن عن عيون البشر ، ولكن هذا لا يعنى أنه لم يكن موجودا ، وإنه ليس موجودا إنه اختفى لأن معناه قد خفى على الخلق ، فالناس لا يرون إلا اللحية والخرقة ، وما دام إبراهيم بن ادهم لم يكن يهتم بلحية أو خرقة ، ولما غاب إبراهيم بن أدهم عن نفسه وعن ملكه وعن مظاهر ملوكيته وغاب عن أعين الخلق ، أصبح مشهورا بين الخلق كعنقاء جبل قاف التى لم يرها أحد ، لكنها أكثر شهرة من كل ما يمر به الناس كل يوم ويرونه أمام أعينهم ، إن كل الطيور (الأولياء) تهفو عليها وترفرف بأجنحتها شوقا إليها .

(٨٤٠ – ٨٤٢) : لقد وصلت رسالة مشرق الهداية إلى سبأ ، فأحيت النفوس الميتة ، وأخرجت موتى الجسد من قبورهم ، وأخلت أرواحهم من قبور الأجساد ، أخذ كل منهم يبشر الآخر بأن البشرى قد وصلت من السماء ، هذا النداء يحيى النفوس كما يحيى المطر موات الأرض ويجعل القلوب تورق بأوراق الإيمان وثمار اليقين ، لقد كان هذا النداء من سليمان عليه وسلم كنفخ إسرافيل فى الصور جعل الموتى جميعا ينهضون من قبورهم .. ولتكن لك أيها المستمع سعادة كتلك التى مست أهل سبأ وأحيت موات قلوبهم ونفوسهم ، وأن تقبل رسالة سليمان عصرك وأونك .. أى المرشد الشيخ الذى يقوم فى أوانه بما كان يقوم به سليمان فى أوانه .

(٨٤٥ – ٨٥٩) : إن سبأ ليست سوى تلك الأرض التى مسها العشق الإلهى فبدلها وأحياها ، ومن ثم فإن مولانا مع عزمه على أن يتم القصة يعود إليها بوجد شديد كما يعود الصبا إلى مزرعة الشقائق ، وعندما يكون مولانا فى

حال الوجد ، فإنه ينطلق بشعر عربى ، لقد التقت الأجساد بأرواحها وها هى أمة العشق الخفى ، لها السقيا دائما ، ولها البقاء فإن من عاش بالعشق لا يموت أبدا ، إن هذا النفس هو الذى رد يعقوب بصيرا وهل هناك من مرشد كامل جدير بأن يوجه رسائل العشق مثل سليمان عليه السلام ، لقد علم عليه السلام بنطق الطير ، وما الطيور التى يتحدث عنها مولانا هنا إلا أنواع من البشر تحدث إلى المؤمن بالجبر أن الجبر لا يعنى اسقاط التكاليف ، وحدث كسيرى القلوب عن الصبر ، وحدث من اختار العزلة عن جبل قاف ، وحدث الضعفاء كالحمام بالاحتراز من الحكام الأقوياء حتى لا يجوروا عليهم بمخالب غضبهم وطغيانهم ، واجعل ذلك الخفاش الذى أئتلف بالظلمة وعاش فيها واستسلم لها قرينا قليلا لشىء من النور ، وعلم أولئك الذين يحيون الخصومة ويعيشون عليها مزايا العيش فى سلام ، وعلم أولئك المستغفرين بالأسحار علامات الصبح الصادق .. وهكذا فافعل مع كل الطيور من الهدهد إلى العقاب .. خاطب كل طائر بما يليق به ، ودل كل طائر إلى عالم العشق الأزلى بما هو جدير به من لغة ، وبما يفهمه من بيان ، فعالم العشق قابل لكل لون : الضعيف والقوى والمجادل والمسالم ، والظلمانى والنورانى إنه عالم اللون الواحد وخاصة إذا عرف الطريق إليه .

(٨٦٠ – ٨٦٨) : إنك تستطيع أيها الولى أن تخاطب كل إنسان على قدر عقله ، وأن تجد مدخلا إليه مما يهمه ، وأن تدق على الوتر الحساس عنده لكن هناك ممن يكون الله قد ختم على قلبه وعلى سمعه وعلى بصره ، فهو لا يستطيع أن يتقبل الرسالة اللهم إذا أسلم نفسه تماما للوحى وللولى كالميت بين يدى الغسال » ، حينئذ يستطيع أن يرد عليه سمعه وبصره وقلبه .. ثم يعود إلى قصة بلقيس لقد وجدت الرسالة صدى فى قلب بلقيس ، فبطل كل ما كان أمامها ، تجلت لها حياتها السابقة بما لا يبعث إلا الندم والخزى ، وتدنت قيمة كل ما فى

حياتها عند قبولها الرسالة ، لا بل أدركت قيمتها الحقيقة ، متاع الدنيا ، ومتاع الدنيا قليل وهكذا يكون العشق الإلهى ، يجعل كل ما تراه فى الدنيا غير ذى قيمة وغير ذى موضوع ، وهذه هى قيمته الحقيقية ، وإنما يجليها العشق .. وهذا هو ارتباط العشق بالحرف الأول من الشهادة « لا » نفى لكل شىء وسلب لكل شىء ، هى غيرة على الحقيقة الإلهية من كل شىء هذه هى الشهادة أيها السيد السند الجدير بهذه الأقوال ، هى التى تبدى لك محبوبك فى سواد القدر حتى لو كان قمرا .

(٨٦٩ - ٨٧٩) : يتجلى اتجاه مولانا جلال الدين الإنسانى فى هذه الأبيات حقيقة أن كل إنسان يستطيع إذا قدر له وإذا تيسر له مرشد حاذق ، أن ينظر هذه النظرة إلى كل ما يحبه من أمور الدنيا ، لكن تبقى بعض الأشياء يكون من الصعب على المرء أن يتحمل فراقها أو التخلى عنها ، قد تكون شيئا صغيرا وقد تكون شيئا كبيرا .. وكل أشياء الدنيا صغيرة إلى جوار العشق الإلهى ، ومع ذلك فإن هذا الشىء الصغير يعز على المرء لارتباطه بأشياء معينة أو ربما لطول الألفة ، وهكذا فقد كان العرش عند بلقيس ، ليس العرش كرمز للسلطة ولكن العرش كعمل فنى ، كشىء ، وليس هذا ببعيد ، فإن المرء قد يألف قلما ما ويرتبط به ، لا لشىء إلا أنه مؤنس له ، إنه ليس من جنس الكاتب ، لكن المجانسة قد تحدث بين أشياء غير متجانسة ومتباينة ، إنه الميل ، ألفة القلب ، تعود العين ، طول العشرة .

(٨٨٠ - ٨٩٦): وها هو سليمان عليه السلام ، فهم كنه هذه العلاقة بين بلقيس والعرش ، وقدرها بسليقته النبوية ، وأدرك أنه بالرغم من أن الحقيقة الإلهية ، والعشق الإلهى ، سوف تقضى على كل شىء عندها حتى العرش بعد

فترة وجيزة من الزمان ، فإن إطلالة واحدة من الروح تقضى على كل تعلقات البدن تماما كما يجعل الدر المستخرج من قعر البحر الزبد والقذى حقيرين ، ولا قيمة لهما ، إن محبة الدنيا أشبه بذنب العقرب ، فذنب العقرب يختفى فى الشمس ، تماما كما تختفى محبة الدنيا عندما تطل شمس الحقيقة . كل هذا حقيقى وكان سليمان عليه السلام يعرف حق المعرفة ، لكنه كان يعرف أيضا الضعف الإنسانى ، وأن ثمة وارد دنيوى واحد ، قد يؤخر الوصول إلى الحقيقة ، وقد يشوش فكر المريد ، ويعطل جمع خاطره ، وكان يريد أن يقدم للمريد العنيد درسا ، إنه يستطع أن يلبى له احتياجاته الدنيوية أيضا فى حدود المشروع مهما بدت مستحيلة ، فهو يريد أن يكون العرش إلى جوارها لتتذكر بها أيام ضلالها القديم ، وترى قدر نعمة الله عليها ، تماما كما كان إياز مملوك السلطان محمود الغزنوى المفصل يحتفظ بملابسه أيام الفقر فى كوة مختفية بجناحه فى قصر السلطان ، وكان يخرجها كل يوم ليتذكر أيام فقره وبؤسه ، حتى يعلم أين كان وإلى أين و صل (وردت القصة بالتفصيل فى الكتاب الخامس أبيات ١٨٥٧ وما بعدها) . فلتعلم بلقيس أيضا فى أى إبتلاء كانت ، وإلى أين وصلت بعد أن تداركتها رحمة الله .. وهكذا أنت أيضا أيها الإنسان .. لم فخرك وقد كنت نطفة من منى يمنى ثم علقه ، ثم مضغة « ما لابن آدم وللفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة » أو كما قال تعالى فى سورة المؤمنين » « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما » (المؤمنون : ١٤) .

وهكذا أنت أيها الإنسان : ألم تكن عاشقا لحالة كونك مضغة وعلقة ألم تكن تظن أنه لا حياة خارج هذا المضيق المسمى بالرحم ، ولا طعام سوى هذا الدم . (انظر تفصيلات هذه الفكرة فى الكتاب الثالث شروح أبيات ٥٠ – ٦٢) فلماذا لا

تؤمن أيضا بأن وراء نعيم الدنيا نعيما آخر ، وفوق أعظم لذاتها لذة أخرى لا تقل .. ولا تفنى !! لقد كنت تنكر الوصول إلى المرتبة الإنسانية ، فلماذ بعد أن وصلت إليها تنكر ما بعدها وتجحده ؟! لماذا تظنها نهاية المطاف ؟! لماذا تنكر هذا على قدرة من صور من تراب بشرا سويا .. نعم كنت تنكر أنذاك إذا لم يكن لك قلب أو روح ؟؟ ومجرد تحويلك من مرحلة الجمادية إلى مرحلة الحيوانية حشر فى ذاته فلماذا الحشر بعد مرحلة الإنسانية ، (للمراحل وتفصيلاتها انظر الكتاب الثالث شروح أبيات ٣٩٠١ – ٣٩٠٦) .

(٨٩٨ – ٩٠٢) : ما أشبهك وأنت تنكر الحشر بذلك الذى يدق عليه أحد بابه ، فيجيبه بصوته إنه ليس موجودا ، كيف وجوابه فى حد ذاته هو الدليل على وجوده ، وهكذا فوجودك نفسه دليل على صدق ما تنكر ، وعلى أن الله يجعل الحى جمادا ومن الجماد حياة ، وهكذا فى حشر متوال .. لقد خلق أباك من تراب وأخرجك بواسطته ثم تنكر الحشر « وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحد» « وما أمر الساعة إلا واحدة كلمح بالبصر » وكم من الصنائع الإلهية قد جرت على الإنسان أيها المنكر .. وإن كنت لا تزال تنكر فأقرأ « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، إن خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » (الإنسان : ١/٢) وهكذا الإنسان المخلوق من الماء والطين ينكر كالمغفل ، يخبر عن عدم وجود ذاته وهو داخل الدار ، فكيف تنكر وأنت نفسك الدليل على ما تنكره ، وإنكاره هنا هو عين إقراره ، إننى أشرح هذه الفكرة بمائة طريق ، وأدق عليها كثيرا ، فهى بداية الأمر ، ورأس الجهاد .. لكنه أين الخاطر المتقيظ الذكى الذى يتقبل هذه المعانى ولا ينزلق منها ، ولا تنزلق هى أيضا على وجوده ولا تستقر أو تثبت .

(٩٠٣ - ٩٠٧) : يناقش هنا الفرق بين السحر والنفخة الإلهية أو القدرة الإلهية فذلك العفريت الذى قال لسيدنا سليمان « أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا » (النمل : ٣٩) يعتمد على السحر ، أما آصف بن برخيا وهو الذى تتفق التفاسير على أنه المقصود بالذى عنده علم من الكتاب « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » إن النفس المبارك المقتبس من الولى أو المرشد أقوى فى فعله من السحر ، وما حدث هذا إلى لكى يعلم الجن أن النفس الرحمانى الذى يستطيع سليمان عليه السلام أن يمنحه للبشر القابلين أقوى من قوة الجن وقوة السحر (محى الدين بن عربى فصوص الحكم ص ٤٦) .

(٩٠٨ - ٩١٤): ها هو سليمان عليه السلام يخاطب عرش بلقيس بأنه مجرد شجرة منقوشة ، وكم خدعت هذه النقوش كثيرا من البشر فسجدوا إليها والساجد والمسجود كلاهما لا علم لهما بالروح ، كلاهما فى مرحلة الجمادية ، لأن من يدعى أنه ذو روح ومع ذلك لا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة بتلك الروح ، فكأن لا فرق بينه وبين الجماد ، والعضو الذى لا يعمل كأنه غير موجود ، يضعف ويضعف حتى يتلاشى ، ومن هنا تسمع عن من ماتت أرواحهم وأصبحت الدنيا كل همهم ومبلغ علمهم سخرية ممن يتحدثون عن الروح ، وهكذا فإن الكفرة عندما رأوا أثرا قليلا وحركة قليلة من الحجر خروا لها ساجدين ، وألم تكن ناقة صالح من الحجارة وعجل السامرى من الذهب لمجرد أثر من الروح سجدوا لها فما بالك بالروح (سبزاوى ٤/٢٨٢) (سيرد هذا فى القصة التالية) ، وهكذا فإنهم أبدوا خدمتهم بالعكس ، فبدلا من أن تسجد الأصنام لهم . وربما كان وهما ، فإن الإنسان عندما يوجه عشقه واهتمامه إلى أى شىء حتى وإن كان حجرا ، ويقف فى مواجهته مناجيا ، ويخيل إليه ويتوهم أن

هذا الحجر إنما يجيبه ويتوجه إليه بالحديث ، والصوفية أنفسهم يرون أن كل موجودات الكون تتحدث إليهم بكل لسان (جعفرى ١٠/٥٥ – ٥٦) كما سجدت الأصنام عندما سمعت أسم النبى – صلى الله عليه وسلم – سجدوا هم لها ، لقد ظن الأشقياء أسد الحجارة أسدا حقيقية ، والأسد الحقيقى لأنه أسد حقيقى لا يزال يلقى بالعظام أمام هؤلاء الكلاب ، أجل فإن هذه العظام لا تساوى عنده شيئا حتى يجعلها لمن يحبونه فقط ولمن يعترفون به فحسب ، ولو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ، فإياك أن تظن أن الدنيا تعطى لمن رضى الله عنه فحسب ، إنما يؤخرهم ويملى لهم ويمد لهم فى طغيانهم ، حتى إذا أخذهم كان أخذه عزيزا ، إن العطاء عنده لطف عام لا يفرق بين أحد خاصة تلك الدنيا التى يظنها أهلها ذات شأن وهى مجرد (عظام)عنده سبحانه وتعالى .

(٩١٥ – ٩٦٤) : الإنسان يسجد للصنم لكن الصنم يسجد لخير البشر – محمد صلى الله عليه وسلم – بل يسجد لمجرد أن يسمع اسمه ، وهذا هو مولانا يفتتح الحكاية بقوله : إنه يقص حكاية عن حليمة ليذهب عن المستمع حزنا قد ألم به ، أى حزن ؟! إن المريد الذى يتميز بشفافية الباطن إنما يحس بالحزن عندما يرد ذكر الدنيا والتكالب عليها تكالب الكلاب حول الجيفة ، ومع ذلك فإنه عندما ينأى بنفسه عنها ، ينظر إليه هؤلاء باحتقار .. أو أن يكون الحزن قد ألم بالمريد شوقا إلى هذا العالم الذى يتوق إليه .. وما أحراه أن يتعزى عندما يستمع إلى رواية من روايات معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين ، والرواية واردة بتفصيل لابأس به فى دلائل النبوة للبيهقى (جـ ١ ص ١٤٢ – ١٤٤ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٧٠ وفى تفسير أبى الفتوح الرازى ج ٥ / ص ٥٤٦ – ص ٥٤٧ انظر مآخذ

١٣٥ / ١٣٧) وفى الروايات أن حليمة السعدية رضى الله عنها تركت محمدا عليه السلام لبعض أمورها فعادت ولم تجده ، لكن مولانا بمذاقه الصوفى ، ولكن يذهب الحزن عن المريدين بمدحه للمصطفى – صلى الله عليه وسلم – ، يروى أن حليمة سمعت وهى فى الحطيم من يتغنى بمدح المصطفى عليه السلام ، لقد سطعت عليك أيها الحطيم اليوم شمس شديدة العظمة .. لقد صرت اليوم منزلا للأرواح .. تأتيك أرواح الأنبياء والأولياء فى موسم الحج ومواسم العمرة ، مليئة بالشوق ومفعمة بالعشق زمن العشق الإلهى على الأرض ، لقد أخذت حليمة رضى الله عنها تبحث عن مصدر الصوت فلما عادت لم تجد ربيبها فى مكانه ولأن هذه الأبيات تتفق أكثر مع رواية البيهقى دون تغيير يذكر نذكرها هنا « فقال الناس : رديه يا حليمة على جده عبد المطلب وأخرجيه من أمانتك قالت فعزمت على ذلك فسمعت مناديا ينادى هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والكمال ، فقد أمنت أن تخذلين أو تحزنين أبدا الآبدين ودهر الداهرين فقالت : فركبت أنا ناقتى وحملت النبى بين يدى ، أسير حتى أتيت الباب الأعظم من أبواب مكة وعليه جماعة ، فوضعته لأقضى حاجة وأصلح شأنى فسمعت هدة شديدة فألتفت فلم أره ، فقلت : معاشر الناس أين الصبى ؟ قالوا أى الصبيان ؟ قلت : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى نضر الله به وجهى ، وأغنى عيلتى ، وأشبع جوعتى ، ربيته حتى إذا أدركت به سرورى وأملى وأتيت به أرده وأخرج من أمانتى ، فاختلس من يدى من غير أن تمس قدميه الأرض ، واللات والعزى لئن لم أره لأرمين بنفسى من شاهق الجبل ، ولأتقطعن إربا إربا ، فقال الناس : إنا لنراك غائبة من الركبان ، ما معك محمد قالت الساعة كان بين أيديكم قالوا : ما رأينا شيئا ، فلما أيسونى وضعت يدى على رأسى فقلت :

وامحمداه ، واوالداه !! أبكيت الجوارى الأبكار لبكائى وضج الناس معى بالبكاء حرقة لى ، فإذا أنا بشيخ كالفانى يرى متوكئا على عكاز له ؛ قالت : فقال : مالى أراك أيتها السعدية تبكين وتضجين قالت فقلت فقدت ابنى محمدا . قال لا تبكى ، أنا أدلك على من يعلم علمه وإن شاء أن يرده عليك فعل ؟! قالت : قلت دلنى عليه ، قال الصنم الأعظم : قالت : ثكلتك أمك كأنك لم تر ما نزل باللات والعزى فى الليلة التى ولد فيها محمد ؟ قال : إنك لتهذين ولا تدرين ماذا تقولين أنا أدخل عليه وأسأله أن يرده عليك قالت حليمة : فدخل وأنا أنظر ، فطاف بهبل سبعا وقبل رأسه ونادى يا سيداه ، لم تزل منعما على قريش ، وهذه السعدية تزعم أن محمدا قد ضل قال فانكب هبل على وجهه ، فتساقطت الأصنام بعضها على بعض ، ونطقت – أو نطق منها – وقالت إليك عنا أيها الشيخ ، إنما هلاكنا على يدى محمد قالت : فأقبل الشيخ لأسنانه اصطكاك ولركبتيه ارتعاد ، وقد ألقى عكازه من يده وهو يبكى ويقول : يا حليمة لا تبكى فإن لابنك ربا لا يضيعه ، فاطلبيه على مهل . قالت فخفت أن يبلغ الخبر عبد المطلب قبلى ، فقصدت قصده فلما نظر إلى قال : أسعد نزل بك أن نحوس ؟ قالت : قلت نعم ، بل نحس الأكبر ، ففهمها منى وقال : لعل ابنك قد ضل منك قالت : قلت نعم ، بعض قريش اغتاله فقتله ، فسل عبد المطلب سيفه وغضب ، وكان إذا غضب لم يثبت له أحد من شدة غضبه ، فنادى بأعلى صوته : يا يسيل وكانت دعوتهم فى الجاهلية ، فأجابته قريش بأجمعها ، فقالت : ما خطبك يا أبا الحارث ؟ فقال فقد ابنى محمد ، فقالت قريش : اركب نركب معك فإن سبقت خيلا سبقنا معك ، وإن خضت بحرا خضنا معك قال : فركب ، وركبت معه قريش ، فأخذ على أعلى مكة وانحدر على أسفلها ، فلما أن لم ير شيئا ترك الناس واتشح بثوب وارتدى بآخر وأقبل إلى البيت الحرام فطاف أسبوعا ثم أنشأ يقول :

يا رب إن محمدا لم يوجد * فجميع قومى كلهم متردد

فسمعنا مناديا ينادى فى جو الهواء : معاشر القوم ، لا تصيحوا فإن لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب : يا أيها الهاتف من لنا به : قالوا : بوادى تهامة عند شجرة اليمنى ، فأقبل عبد المطلب فلما صار فى بعض الطريق تلقاه ورقة بن نوفل ، فصاروا جميعا فبيناهم كذلك إذا بالنبى صلى الله عليه وسلم - قائم تحت شجرة يجذب أغصانها يعبث بالورق فقال عبد المطلب : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال عبد المطلب فدتك نفسى ، وأنا جدك عبد المطلب ثم احتمله وعانقه ولثمه وضمه إلى صدره وجعل يبكى ، ثم حمله على قربوس سرجه ، ورده إلى مكة فاطمأنت قريش ، فلما أطمأن الناس ذبح الشاة والبقر ، وجعل طعاما وأطعم أهل مكة .

(٩٧٠) فلما كان يوما من ذلك خرجوا يرعون بُهْما لنا حول بيوتنا ، فلما انتصف النهار إذا أنا بابنى « ضمرة » يعدو فزعا وجبينه يرشح قد علاه البهر باكيا ينادى : يا أبت ، يا أبه ، ويا أمه ، الحقا أخى محمدا فما تلحقاه إلا ميتا ، قلت : وما قصته ؟ قال : بينما نحن قيام نترامى ونلعب إذ أتاه أتاه رجل فاختطفه من أوسطنا ، وعلا به ذروة الجبل - ننظر إليه حتى شق صدره إلى عانته ، ولا أدرى ما فعل به ، ولا أظنكما تلحقا به إلا ميتا قالت فأقبلت أنا وأبوه - تعنى زوجها - نسعى سعيا فإذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره إلى السماء يبتسم ويضحك فأكببت عليه ، وقبلت بين عينيه وقلت فدتك نفسى ، ما الذى دهاك ؟ خيرا يا أماه ، بينما أنا الساعة قائم على إخوتى إذا أتانى رهط ثلاثة بيد أحدهم ابريق فضة وفى يد الثانى طستين من زمردة خضراء ملؤها ثلج ، فأخذونى فانطلقوا بى إلى ذروة الجبل ، فأضجعونى على الجبل إضجاعا لطيفا ثم شق صدرى إلى عانتى ، وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما ، ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج أحشاء بطنى فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ، ثم أعادها

وقام الثـانى فقال للأول تنح ، فـقد أنجزت مـا أمرك الله به ، فـدنا منى فأدخل يده فى جوفى ، فانتزع قلبى وشـقه فأخرج منه نكتة سوداء مملوءة بالدم ، فرمى بها فـقـال هـذا حظ الشـيطان منك يا حـبـيب الله ، ثم حـشـاه بشئ كان مـعـه ورده مكانه ، ثم خـتـمـه بـخـاتم مـن نور فـأنـا السـاعـة أجـد برد الخـاتم فى عـروقى ومفـاصلى ، وقام الثالث فـقال : تنحيا فـقد أنجزتما مـا أمر الله فيـه ثم دنا الثالث منى فأمر يده مـا بين فوق صدرى إلى منتهى عانتى فقـال الملك زنوه بعشـرة من أمته ، فـوزنونى فرجحتهم ثم قـال دعوه فلو وزنتموه بأمتـه كلها لرجح بهم ، ثم أخـذ بيدى فـأنهـضـنى إنهـاضـا لـطيفـا فـأكبـوا على وقـبلوا رأسى مما بين عـينى ، وقالوا : يا حبـيب الله إنك لن تراع ولـو تدرى ما يراه بك من الخيـر لقرت عيناك ، وتركونى قاعدا فى مكانى هذا ، ثم جعلوا يطيـرون حتى دخلوا حيال السماء وأنا أنظر إليـهـــمـا ، ولوشـئت لأريتك مـوضـع دخـولهـما . (الـبيـهـقى ١ / ١٤٠ - ١٤١) .

(٩٩٦ - ١٠١٦) هناك إضـافـات لمولانا على الرواية المـذكـورة فى المصـادر الأصلية العربية فهـا هو النداء يأتى من داخل الكعبة بمديح للمصطفى صلى الله عليه وسلم يحتـوى علـى أغلب مـا تراه الصـوفـيـة فـيـه عليـه السـلام ، إن النداء الإلهى يصف الرسـول - صلى الله عليه وسلم - بأنه محفوظ من قبل الله تعالى بإقباله وبأفواج من الملائكة ، وهـو صلى الله عليـه وسـلم - ذو ظاهر مشهود أمام العـالم هـو ظاهره البـشـرى فـهـو عليـه السـلام بشـر يأكل الطعـام ويمشى فى الأسـواق ويجلس على الأرض ولا يميـز بشكل أو إشـارة عن أحـد من أصـحـابه ، لكن مـا يحتويه بـاطنه من عجـائب لا يسـتطيع أحد أن يدركهـا فلا يسـتطيع أحد أن يوفـيـه حـقـه من المدح ، إنه ذهبنا الإبريز وهـذا الجـسـد الإنسـانى بالنسـبـة لنا كالذهب ، نجعله حـينا تاجا على الرأس من علوه وعظم مقامه ،وحـينا أخر نجعله خلخـالا فى القـدم ، حـينا نعـز به فنـجـعله حـمائل سـيف ، وحـينا نذل من دونه

فنجعله طوق أسـ ، حينا نجعله زينة للدنيا ، وأحيانا نجعل منه وسيلة للتقرب إلى الله تعالى ، هذا بالنسبة للإنسان العادى فما بالك الإنسان الذى هو محبوب لدينا والذى نحس بالحب نحوه ، نعم فإنه متصف بالرضا والتواضع ، ومن هنا فنحن نجعل منه ملكا ، ونجعل منه عاشقا لنا مدلها فى حبنا طائراً فى ملكنا ، وهو التراب (الإنسان) هو المخصوص بالعشق هو المخصوص بالجدل ، وهو المخصوص بالخلافة ، وهو الذى تواضع فرفع ، وهو وإن كان من التراب ظاهراً ، إلا أن باطنه ملئ بالنور ، ولا يزال طينه ونوره فى حرب وفى قتال يظن جسده أنه هو ، فيقول باطنه ، حسبك وأنظر أمامك وخلفك إلى الأجساد التى ذهبت وإلى الأجساد التى تأتى ، كلاهما ينكر الآخر الظاهر ينكر الباطن والباطن ينكر الظاهر ، لكن بالرغم من هذا الظاهر العبوس ، هناك الباطن الملئ بالسرور والضحكات ، ونحن كاشفو الأسرار نستطيع أن نخرج ما يخبؤه هذا التراب (الإنسان) من معجزات : معجزات فى الفنون والآداب والفكر ، معجزات فى التفوق على متطلبات الجسد والسمو عنها . أتدرى بماذا ؟؟ بأن يتعرض لقدر من الابتلاء وقدر من الألم ، ومن ثم فإن الألم هو الذى يستطيع أن ينسى الإنسان هذا الجسد ، ويجعله يتنحى ليفسح للباطن ، والفكر بأن يخرج ما عنده ، وكان مولانا جلال الدين يرى أن الطريق إلى المعجزات الإنسانية إنما يتبع فى البداية من معاناة الألم والمشقة ، إن هذه الأنواع من التراب قد أبدت من جراء حبنا وتكريمنا وتسخيرنا كل شئ لها كثيرا من أنواع الفضل والعلم ، وما هذه الفضائل والعلوم إلا من قبل الإقرار بالفضل الإلهى والعطايا الربانية ، فالإبتلاء من الله تعالى لاستخراج جواهر الأخلاق الإنسانية من معادنها كما قال مولانا نجم الدين كبرى ، وكما ورد فى قوله تعالى : « إنا جعلنا ما على الإرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا» (سورة الكهف : ٧) .

(١٠١٧ - ١٠٢٩) إذا كانت هـذه هى أنواع الفضل التى خصصنا بها البشر ، فما بالك بما خصصنا به صفوة البشر وسيد الخلق أجمعين ، لقد زاد على كل أولاد آدم ، زدته من محبتى وزدته من فضلى ، لقد ظهر من السماء والأرض (الأب والأم) مواليد كثيرة ، لكنهما لم يسعدا بأحد منها قدر سعادتهما بمحمد - صلى الله عليه وسلم - إن السماء لتتفتح والأرض تمتلئ بالأزهار والرياحين .. ثم يعود مولانا جلال الدين فيتحدث عن الإنسان عموما ، ذلك المخلوق العجيب الذى يحتوى على كل المتناقضات ، فظاهره مع باطنه فى نزاع ، وما هذا النزاع إلا من أجل أن يصل إلى الحق ، وأن يحقق مصداقية النفخة الإلهية ، إنه يقاتل ما ركب فى طبيعته من شهوات ونزوات ومطالب جسدية وهى ما رمز إليها مولانا جلال الدين بالألوان ، إنه ظلمة ونور ، ومن كان نوره وظلمته معا فى قتال فإن شمس روحه لا تغرب أبداً لأن الله سبحانه وتعالى يمدها بالنور الذى به يستطيع أن تهزم الظلمة ، إن كل من يعانى المحن فى سبيل هذا الجهاد ، يجعل الله من السماء تحت قدميه حتى يصل إلى سدرة المنتهى وهكذا أنت يا أبن آدم مهما كنت فقيرا مسكينا متضرعا من ناحية الجسد ، فإن عالم الروح وأصلك ملك واسع ورياض متفتحة مفعمة بالسرور الروحانى لقربك من الحق ، وما هذا الوجه العبوس إلا هبة من الله تعالى حتى لا يقترب منك كل من يريد أن يشغلك عن هذا النور داخلك ، المشايخ كالقنافذ داخل أشواكهم حتى لا يتجرأ كل عامى عليهم ويشوش أوقاتهم ، إنهم كالحدائق التى تخفى خلف الأسوار الشركية التى تبعد اللصوص وأولئك الذين يتميزون بالجمال الظاهرى والقبح الباطنى الذين يقللون من كل سرور إلهى ومن كل رضا .

١٠٣٥ - ١٠٤٠ : روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : إن قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفى عام يسبح ذلك النور

وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور فى صلبه فقال : عليه السلام : فأهبطنى الله الأرض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح وقذف بى فى صلب إبراهيم عليه السلام ولم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجنى من أبوى لم يلتقيا على سفاح قط ... وهذه الأنساب فى حد ذاتها مجرد دريئة ، فإن الغرض من إيجاد كل من سبقوه فى عالم الحس هو ظهوره عليه السلام فهو زبدة الكائنات وخلافة الموجودات وعزة آبائه إنما كانت بسببه ، وما كان فراره تحت الشجرة إلا ليستقبله أشراف قريش ويشهد عنه ذلك ما رواه على عن واثلة أنه عليه السلام قال : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (مولوى ٤/١٤١) . وأى حاجة بها صلى الله عليه وسلم إلى النسب ، وهو أطهر وأصدق وأشرف من كل نسب وروحه هى أول روح خلقت فهو أبو الأرواح لم تولد روحه من أحد كى ينتسب إليه ، ونور الحق لا يمكن أن ينتسب إلى نسب ، ولا يبحث إنسان له عن أصل ، وخلقة الله سبحانه وتعالى إلى نسب فى حاجة إلى مادة نسيج وإلى خيوط ، وإن كل من طلعت عليه من هذه الخليقة فإنها تجعله فوق شمس السماء ، فما بالك بروح رسول الله وخير خلقه ؟؟

(١٠٤١ - ١٠٤٤) الخطاب موجه إلى بلقيس أو النفس الأمارة بالسوء التى تجعل الإنسان الأمير ابن الخليفة يقنع بالأسمال ، عودى يا بلقيس النفس إلى الملك الباقى ، فإنك إن وصلت إلى ساحل البحر الإلهى ولم تقومى بالخوض فيه فلن يكون لك نصيب من الدر الذى تلقيه أمواج بحر الحقيقة على الساحل أليس هؤلاء المريدون الذين لم يخوضوا بعد فى بحر الحقيقة يتلقون الدر من الشيخ ؟ هيًا فإن إخوانك اللائى آمن قبلك يسكن الجنان .. فكيف تمارسين أنت السلطة على جيفة طلابها كلاب هيا فإخوانك من النفوس التى آمنت سواء كانوا

ذكرانا أو إناثا لا تعلمين ما يخفى لهم من قرة أعين ... فكيف أخذت تقرعين الطبول مفاخرة بسلطنة تنتهى وملك يبلى على هذه المزبلة ومستوقد الحمام المسمى بالدنيا ؟ !

(١٠٤٥ - ١٠٦٤) مر شرح الآية الكريمة فى الكتاب الثالث فى شرح حكاية الدقوقى ، والحكاية نفسها وردت فى الكتاب الثانى (أنظر الأبيات ٢٣٦٢ - ٢٣٦٩ من الكتاب الثانى) والكلب الذى يهاجم العميان فى الحى وفى الطريق رمز لأولئك الذين يستخدمون قواهم الكلبية وتكالبهم على الدنيا لإيذاء الناس واستضعاف الخلق بينما هناك من هم من جنسهم ويتشابهون معهم فى الخلقة لكنهم عرفوا لأنفسهم قدرها وأهموها بما هو جدير بها فكأنهم يصيدون حمر الوحش فى الجبال ولا يتجرأون على العميان فى الطرقات - ثم يخاطب مولانا هذا النوع من المخلوقات : دعك من هذا الاحتيال أيها الشيخ ،، إن من تحسبهم مريديك قد اجتمعوا حولك هم فى الحقيقة جماعة من عميان القلب ظنوا ماءك المالح الذى يزيدهم عطشا ماء إنك أشبه بمن يقول : هؤلاء هم المريدون لى يجلسون حولى يشربون منى ويتحولون جميعا إلى عميان .. وكم من الشيوخ من أمثال هذا الشيخ يوجدون فى الدنيا ووجدوا فيها وسيظل هذا النموذج من البشر موجودا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ترى أحدهم فى كسوة أهل العلم ، يحمل أعلى الألقاب العلمية ، شاخ فى عمره لا فى عقله ، تجمع حوله جمع من المخدوعين فيقودهم إلى سراب . هؤلاء الذين ليس لهم من المشيخة أو الأستاذية إلا هيأتها الظاهرة ، هؤلاء يفرخون جهلا لا علما ، ويقودون إلى الضلال والنار حتى من كان منهم ذرب اللسان يلوك بعض المقولات ذات الألفاظ الطنانة والرنانة ، هؤلاء هم شيوخ السوء الذين لم يأخذوا العلم من لدن الحكيم الخبير ، وأخذوا علمهم من ميت عن ميت ،، إن أشباه هؤلاء الشيوخ كلاب الحارة يصيدون العميان ، بينما أسد الله فى الجبال يصيد

الوحوش إنهم يثملون بصيدهم ، إنهم أسد تصيدا أسدا .. لقد تركوا الصيد وفنوا فى عشق الحبيب ، إن هذا العشق هو الشبكة التى يصيدون فرائسهم القوية بها ، إنهم أشبه بالطيور الميتة التى يضعها الصياد فى موقع الفخ فتنزل عليها الطيور من الجو ، وهذا الطير الفانى مضطر لا اختيار له ، إنه بين يدى الشيخ كالميت بيد يدى الغسال ترك قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء بين صفتى جماله وجلاله وقهره ولطفه (مولوى ٤/ ١٤٤) فإياك أن تعتبره طائرا ميتا وتشيح بالوجه عنه فإن هذا الطائر الميت هو قائدك إلى الحى الذى لا يموت ، إنه ليس ميتا وليس ميتة ، فمن مات بالعشق لم يمت أبدا ... إنه متحرك بالله حى به منتعش بأنفاسه هذه هى الحركة الخالدة الباقية الصحيحة .. هذا الضعف البادى قوة هائلة جبارة تستطيع أن تقضى على العنقاء إن أبدت أى إعوجاج فى الطريق .. إنه يخاطبك قائلا : لست بالميت إننى فى كف المليك تحركنى أصبعاه ، وإنما يدرك هذا من كان حيا بالفعل ومن كان عبدا لله لا عبدا لسواه من طواغيت الأرض .

(١٠٦٥ - ١٠٦٩) مادام الحديث عن العشق فلا بد لجلال الدين أن ينطلق (عن العشق أيضا انظر الكتاب الثالث شروح الأبيات ٣٨٣٠ وما بعدها وخاصة الواردة فى قصة وكيل صدر جهان) إن كرم الله سبحانه وتعالى على عيسى معجزة إحياء الميت ، لكنى فى كف خالق عيسى هذا الكف هو الذى يحركنى فقد فنيت عشقا فيه وسلبت منى كل إرادة ، فإذا كانت كف عيسى قد أحيت الميت ، فكيف أكون أنا ميتا فى كف من وهب عيسى هذا المعجزة ، إننى أنا أيضا عيسى لكن ذلك الذى أحييه لا يموت بعدها أبدا ، لقد أحيا عيسى أحدهم ، لكن هذا الذى أحياه عيسى عليه السلام مات ثانية وما أسعده ذلك الذى أحياه نفس العشق وسلم روحه وقلبه للمولى وحيا به ولقى مرتبة البقاء بعد الفناء (أنظر مقدمة الكتاب الثالث) إن الفانى فى الله فى أى مرتبة يكون آلة فى يد الحق ،

كالعصا فى يد موسى وإن كان موسى لا يظهر لكننى أنا الظاهر ، نعم أنا بالنسبة للمؤمنين جسر على البحر لكنى بالنسبة لفرعون عقاب.. إياك أن تعتبر أن عصا موسى عصا وحيدة انتهى أمرها ، فما دام الذى كان يحرك العصا موجودا وحيا وباقيا فإن عصيه كثيرة ، وإن لم تكن فى صورة عصى ألم تكن له معجزات أخرى فعلت فعل العصى فى حين أنها لم تكن عصى إن طوفان نوح من قبيل العصا .. إن عصى الله لا حصر لها ولا عدد لها ، ولو أنشئت فى أى صور يجلى الله سبحانه وتعالى معجزاته ، لعلم أولئك المتظاهرون بالتقوى والصلاح والمحتالون على الخلق من أين يأتيهم العذاب وفى أية صورة سوف يفضحهم الله سبحانه وتعالى ولكن دعك منهم إنهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام من هذه الأعشاب المسمومة وذلك الرزق المخلوط بخوف الموت وخوف الفناء والنار مثوى لهم .

(١٠٧٠ - ١٠٧٩) إن أمثال هؤلاء الناس لازمون للدنيا تماما ، هذا هو دفع الناس بعضهم ببعض الذى لولاه لفسدت الأرض هؤلاء لازمون لحركة الدنيا ولرواج هذا السوق ، كما أنهم أيضا لازمون للآخرة ، فكيف يبدو الصالح إن لم يكن الطالح ، إن لم يوجد الطغاة فلماذا خلق جهنم ومن أين تجد قوتها ؟ دع هذا الفرعون يزداد سمنة ودع من حوله ينفخون فيه كما تنفخ الدابة المذبوحة حتى تسلخ ، فإن كلاب جهنم فى انتظار لحمه ، لقد خلق الله الجنة والنار ، .. فمن أين تجد النار قوتها إن لم يوجد غضب ، إن لم يوجد الغضب لأطفأتها تلك الرحمة التى تسبق الغضب دائما ، إذن لكان هناك لطف فحسب دون قهر فمن أين إذن تتم للمليك صفاته ومن أخص سماتها أن تكون متقابلة .. لقد خلق الكون كما خلق الإنسان تماما فى أحسن تقويم ، وما هذا التقويم الحسن إلا تعايش هذا المتضادات داخل الإنسان وداخل الكون وتصارعها فى نوع من التناسق الربانى الذى لولاه لما كان لهذه الحياة طعم أو غاية .

(١٠٨٠ - ١٠٨٨) فإذا أنكر عليك أحدهم ما أنت فيه ، وإذا سخر أحدهم من الطريق الذى اخترته .. فدعه يسخر فلطالما سخر المنكرون من الذاكرين ، وطالما سخر الكفار من المؤمنين « وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين » صاروا مادة للضحك والسخرية فى بيوت المنكرين ، فسوف يعلم يوم أن تنتهى حياته الدنيا أنه كان فى ضلال مبين . أما أنتم أيها المحبون فلتقيموا على هذا الباب الذى فتح لكم اليوم .. فحقيقة أنكم تعيشون مع هؤلاء المنكرين فى الدنيا ، لكن ما أشبهكم بتلك الزروع والنباتات الموجودة فى البستان لكن لكل منها حوضا خاصا بها ، ولا يمكن أن تزرع نباتا فى حوض مخصوص بنبات أخر ، كل نبات يروى مع جنسه ، وكذا الإنسان فى بستان الحقيقة يرويه خالقه ، خلقه على أصناف وأنواع منه العاشق ومنه المنكر وكلهم يسقون بماء القدرة والحكمة « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد» (الرعد:٤) فإذا كنت فى حوض الطيبين الأطهار كن طاهرا طيبا ، رب نفسك على الطهر والطيبة حتى تصل إلى المقصود من خلقك فى أحسن تقويم إلى الهدف من خلقك وهو العودة إلى الجنة والوصول إلى الملأ الأعلى ، لا تختلط بالأوباش والعوام والكلاب التى تجمعت حول جيفة الدنيا ، وأنأ بنفسك عنهم حتى لا تأخذ منهم عدوى الحماقة والانحطاط فالصحبة مؤثرة والطبيعة سارقة ، أنت مودع فى مكان وهو مودع فى آخر ، فاهجرهم مليا، وأرض الله واسعة وما هذه الأرض الواسعة التى توصف بأنها أرض الله إلا قلب العارف :

أصل أرض الله هى قلب العارف .

وهى فى اللا مكان ولا عال فيها ولا سافل .

ولا حد لريعها ولا حصر

فأقل حبة تغل فيها سبعمائة حبة .

(١٠٨٩ – ١٠٩٤) هذه الأرض التى قال الله عنها سبحانه وتعالى أنها واسعة ذرة فى محيط كونه ، إنها واسعة لك إذا كنت مخلوقا أرضيا ، فما بالك إذا جالست أولياء الله ، وخرجت عن ريقة الجسد ، وصرت مخلوقا كونيا ، تخيل إذن تلك العوالم الواسعة التى سوف تفتح أمامك إذا دخلت عالم الحقيقة ، وما هذا العالم الذى نعيش فيه ونراه واسعا إلا مجرد صورة مصغرة له فأرض الحقيقة يتوه فيها الشيطان والجنى ، تتقطع فى جبالها وصحاريها الأوهام والخيالات ، وما هذه الصحارى الشاسعة التى تراها هنا إلا كقطرة فى بحر بالنسبة إلى صحارى عالم الحقيقة وفيافيه ، بل إن ماءها الراكد لأكثر حركة من أنهار هذا العالم الجارية إنه يجرى من داخله هو ، حياته وجريانه تلقائيان وما هذا الماء الراكد الباطنى إلا ماء الفكر .. فهل جربت أن تجلس متأملا فى أفكارك ، تترك لهذه الأفكار العنان ، فكرة وراء فكرة ، وفكرة تبث فكرة إلى ما لا نهاية .. ألم تلاحظ أنها أكثر حياة من موج البحر ؟! تصور إذن أن هذا السير الباطنى يكون على يد مرشد يهديك إلى عالم الحقيقة بصحاريه وفيافيه وجباله ووديانه ، تسير بالروح خارج الجسد تخيل هذا السير والسفر السارى فى عوالم الكون . ألن يكون بالتأكيد أكثر انطلاقا وخفة وأبعد أثرا وأكثر ثمرا من السير فى عالم الدنيا ؟! ما هذا ؟! كأنى بك أيها المريد قد تركت لنفسك العنان وحدك وسبحت فى هذه العوالم .. ومن يدرى .. لعلى لا أستطيع أن آخذ بيدك منها ..فإنك تبدو كالنائم .. وعلى أن أقصر هذا الخطاب ... ما دام المستمع لا يملك يقظة تمكنه من أن يتابع هذه الإفاضات التى لا جدوى منها بالنسبة للمريد وكأنها نقش على ماء .

(١٠٩٥ – ١١٠٩) عودة إلى خطاب بلقيس أو تلك النفس التى تعرض عليها الهداية ، وتكون قريبة منها ، وهى تتعلل بعرض من هذا الأدنى هيا يا بلقيس والحقى بالكسب ، فإن رواج سوق الدنيا كساد ، ونفعها خسارة وضرر، هيا

أيتها النفس ولك الخيار من قبل أن يأخذ الموت بخناقك ، ويكون من وراءك برزخ إلى يوم يبعثون .. هيًّا كفاك انغماسا فى السرقات التافهة كذاك الذى يسرق سنابك الحمر ، هيا تعالى واظفرى بالياقوت وإذا سرقت فاسرقى الدرة ، أى ملك هذا الذى تتشبثين به ؟! أملك البؤس والظلم، أملك إلى خراب ؟ تعالى إلى الملك الحقيقى ملك أولياء الدين ذلك الذى لا يساوى ملك الدنيا إلى جواره ذرة من تراب ، إنه بظهر الباطن فى رياض من السرور والسعادة بينما يكون فى الظاهر بين رفاقه ومريديه يحدوهم فى طريق الحق ، وبرياض سروره وسعادته تمضى معه حيث يمضى وإن كان هنا مخفيا عن أعين الحق ، إن ثمار بستانه المعنوى تتضرع إليه أن يأكل منها وماء الحياة ذلك الذى يهب الخلود يرجوه أن يشرب منه ، ولا تزال تلك الثمار وذلك الماء ترجوه أن يداوم تطوافه بين الأفلاك كالشمس والقمر ، إنك يا بلقيس النفس - فى هذا السفر تكونين سارية فى الأوراح ولا قدم آكلة للثمار المعنوية ولا فم ، فلا تمساح من الهم والحزن يهاجم سفينة وجودك ، ولا موت يغير ملامحك ويذهب عنك هذا الجمال الذى تدلين به وتكونين الملكة والجيش ، فلا خوف يكون عندك من قبل الجيش كما يظل الحكام والملوك جميعا خائفين من جيوشهم ومن غضبة جيوشهم ومن تمركز جيوشهم ومن قول لحافظ الشيرازى سعادة امتلاك الدنيا لا يساوى لحظة من شغب العسكر (ديوان حافظ ص ١٧) . فكأن الأمن من العسكر فى رأى مولانا جلال الدين هو الملك الحقيقى ، والملك الدنيوى لا يدوم والإقبال يمضى من إنسان إلى آخر والملك عقيم والعرش الدنيوى مجرد جبيرة ساق .

(١١١٠ - ١١١٢) إنك إن علقت على هذا الملك الدنيوى لبقيت فى النهاية كالشحاذة ، إذ ماذا يخرج به الملك من الدنيا أكثر مما يخرج بالشحاذ ، فهيا حافظى على حظ نفسك من العلم والعمل ، ولا يمكن لك يا من تحمل هم المعنى وتترك القشور أن تضل .. كيف يمكن أن تضل ومصباحك فى داخل

نفسك أو أن تظمأ ونهرك يجرى من داخلك .. أو أن تفتقر والملك والمال ينبعان من ذاتك أنت لا من خارجها ، هذا ديدن العظمة التى تنبع من داخل الذات .. لا يمكن أن تسلب منك .

(١١١٣ - ١١٢١) يتابع مولانا جلال الدين بقية قصة بناء المسجد الأقصى على يد سليمان عليه السلام التى بدأها فى البيت ٣٨٩ وتركها فى البيت ٤٨٧ دون أن يكملها وها هو يخاطب سليمان أن يتم بناء المسجد الأقصى أى سليمان ؟! أو أى مسجد أقصى ؟! سليمان الإرشاد أى المرشد الكامل المسيطر على قلوب المريدين والعالم بدخائل أنفسهم والذى يبنى كل يوم مسجدا أقصى عن القلوب العامرة بالذكر الواسعة الرحبة التى تسع رحابة الأكوان ، كى تنزل فيها بلقيس النفس ، فتترك الهوى وتصفو من أدران الدنيا لكى تكون جديرة بالنزول فى هذه القلوب ، هذا هو سليمان الإرشاد عندما يشرع فى بناء القلوب ، تقوم الإنس والجن بالعمل معه ، طوعا أو كرها ، تماما كمريديهم فى العبادة ، وفى الحياة وفى الكسب لقوت الدنيا ، جنونهم الدنيوى يجذبهم نحو السوق ، وما هى السلسلة التى تجر هذا المجنون وتجذبه ؟ إنها شهوة الحياة ومحبتها التى لا يخلو منها إنسان ، هناك جاذب يجذبه نحو كسبه ومن هذا قال تعالى « فى جيدها حبل من مسد » فهل كان فى جيد زوج أبى لهب حبل من مسد إنه الحبل الذى يجذبها نحو ما تراه نفعا لها (انظر تفسيرا أخر للآية فى الكتاب الثالث شرح البيت ١٦٦٤) . هذا هو الحبل الذى يجذب الأعناق ، إن لم تكن تصدق قولى اقرأ الآية الكريمة « إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون » (يس ٧ - ٩) . لا يوجد إنسان منغمس فى الشر والرذيلة أو طرحها عن نفسه وأبل منها إلا وطائره فى عنقه.أى عمله الذى قدر له منذ الأزل « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » (الإسراء : ١٣) .

(١١٢٢ - ١١٢٩) وهكذا حرصك على العمل القبيح انظر كيف يزين لك العمل القبيح ، تماما كما تقوم النار بتجميل الفحم الأسود وتحويله إلى جمرة في لون النار ، وانظر عندما تخمد فيك الشهوة إلى هذا العمل القبيح وتنتفى عنه النار بعود الفحم المتبقى أو رماد الفحم إلى لونه الطبيعى يبدو الفعل القبيح بعيدا عن الحرص الذى يزينه لك مجرد عمل قبيح ، هذا الحرص هو الحبل الذى يجذبك نحو الفعل القبيح ، وعندما ينقضى هذا الحرص يبدو العمل مجرد فعل قبيح ، وهذه النبتة الحامضة التى تفسد الأسنان المسماة بالغولة ويزينها الشيطان يظنها الأبله نباتا مفيدا لذيذا فى حين أنه إذا ذاقها فسوف تفسد أسنانه ، هذا هو غول الحرص الذى يدعوك نحو المتاهات ويجعلك تضيع وتضل الطريق فى صحراء الحياة هذه ، وتحسب الفخاخ حبا والغول فى المأثور الفارسى مخلوق خرافى يظهر فى الصحارى ويضل السائرين عن الطريق المأهولة فيهلكون وهو فى المأثور الصوفى رمز على المرشد المزيف ، أو الذى يدعو دعوة السوء يغلفها فى إطار باهر من الخير .

(١١٣٠ - ١١٤٥) كن حريصا فحسب فى أمرين كلاهما متصل بالآخر وهما لا يتجزآن : الدين والخير ، وعندما ينتفى الحرص ، تمضى خفيفا حاذ السير تستطيع أن تقطع الطرق الطويلة وتطوى المسافات الشاسعة ، يكون سير جسدك كسير الرمح لا يقف حائل أمامه ، فإن الخير فى حد ذاته ليس نابعا من نفعه أو لأن أحدا زينه لك ، وإن مضت شعلة الحرص التى تضئ الطريق وتحفز على السعى فإن جمال الخير وحسنه فى موضعه لا يتغير ، والحرص هذا ليس من أخلاق الرجال، إنه من أخلاق الأطفال ، أولئك الذين يتصورون أذيال أثوابهم خيولا يركبونها ، انظر إلى نفس هؤلاء الأطفال عندما يصلون إلى مرتبة الرجولة إنهم يضحكون من الأطفال الذين يقومون بنفس العمل .. يتذكر أيام الطفولة عندما كان الحرص يحول الأعيان عن خواصها بيدى الخل عسلا .. إن ما

يبنيه الأنبياء هو الذى يكون خاليا من الحرص والهوى والغرض ، ومن ثم فإن أبنيتهم تزداد بهاءً وعظمة ورفعة مع مرور الزمان .. وما أكثر المساجد التى بنيت لكنها لم تحمل اسم « المسجد الأقصى » انظر أيضا إلى الكعبة هل زادها أصنام مثل اللات والعزى رونقا ومجداً ؟! إنما يكون مجدها وعظمتها من إخلاص إبراهيم عليه السلام ، إن شرف المسجد الحرام وحرمته ليست نابعة من حجارته ومن هيئته ومن الحجر الأسود ، بل لأن البناء قد تم على الوفاء والإخلاص فى عبادة الله عز وجل، لم يبن كبرا أو ردا أو حربا أو خصاما ، هكذا أبنية الأنبياء وهكذا مساجدهم ودورهم وأحوالهم ولا علاقة لها بما للآخرين ، وليس غضبهم ولا أدبهم ولا نكالهم ولا حرصهم ولا فعالهم كالآخرين ، بل إن طيران أرواحهم من جناح آخر ، إنهم مختلفون عنا تماما ، فإن لأفعالهم صفرة الذهب الرنان وقيمته ، ومن ثم فقد انقشعت الظلمات أمام أرواحهم فصارت فى ظلمات الليل ترى ضوء الفجر ، .. فهذه هى أرواحهم التى تضئ أمامهم (أنظر قصة عبد الله المغربى فى نفس هذا الكتاب شرح الأبيات ٥٩٨ – ٦١٢) إن كل ما أتحدث به عن هؤلاء القوم مهما أفضت ومهما فصلت يظل ناقصا .

(١١٤٦ – ١١٥٥) فهيا أيها الكرام هيئوا قلوبكم وهى لكم بمثابة المسجد الأقصى للمؤمنين ، فإن سليمان الإرشاد والطريقة قد أتى إليكم فاجعلوا هذه القلوب مستعدة لإفاضاته ، وإن تمردت عليك قوى النفس وأعرضت عن الطاعة فإن قوى الروح مستعدة لحصارها وقمعها وحملها على الجادة وها أنت أيها الروح السليمانية ، لو أن الشيطان إعوج لحظة واحدة ، فإن سياط العذاب الإلهى تلهب رأسه « ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » (سبأ : ١٢) . فكن أنت فى عظمة سليمان حتى تقوم قواك النفسانية أيضا بالمشاركة صاغرة فى بناء إيوان قلبك ، فكما كان فى الخاتم قوة لسليمان ، فإن خاتمك ومكمن قوتك ومفتاح هذه القوة هو هذا المضغة التى

إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ، هذا القلب ، فاحرص عليه وكن دائما مراقباً له ، حتى لا يقوم شيطان بالسيطرة على خاتمك هذا فإنه إن فعل يقوم بالسيطرة عليك سيطرة تامة ، فكن على حذر من شيطان ملك سطوة سليمان وقوته ، فإن القوة إن منحت لسليمان فإنه يستطيع أن يوظفها في الخير كله ، أما القوة في يد شيطان مريد ففيها خراب العالم كله ، انظر إلى سليمان عندما خلع الخاتم ، وسرقه الشيطان وسلب ملكه لأنه أطاع هواه مرة واحدة وتزوج من امرأة كانت تعبد الصنم في قصره ، « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » (سورة ص ٣٤) وهذا وإن كانت السلطة السليمانية الحقيقية قد نسخت ، فإن سلطة القلب لا تنسخ إنها بالرغم منك تظل تعمل داخلك في باطنك ، تظل تؤرقك وتخزك وتدعوك إلى العودة مهما سيطر عليك الشيطان ، وحتى إن كان الشيطان قد سرق خاتم سليمان وسرق صورته فإن ثمة فرقا هائلا وكان شديد الوضوح بين هذا السليمان المزيف وسليمان الحقيقي (انظر هذا الكتاب البيت ١٢٦٤) وهناك فرق هائل على الدوام يكون شديد الوضوح لكل ذي عينين بين أصيل في شيء ومتظاهر به ، وليس كل ناسج يستطيع أن ينسج الأطلس ، وناسج الحصير ناسج أيضا وكلاهما في الظاهر ناسج يحرك يديه ويجلس إلى نول وأمامه خيوط لكن شتان بين ما ينسجه هذا وما ينسجه ذاك ، وإن لم يكن المعنى قد وصل إليك فإليك هذه الحكاية التي تدعوك إلى البعد عن الأسماء والمظاهر والبحث عن الأفعال والقلوب والأصول .

(١١٥٦) لم يورد فروزانفر أصل الحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، ولعلها - وإن لم يكن الأمر يبدو كذلك - من مؤلفات مولانا جلال الدين - والحكاية هنا قائمة على التشابه بين اسمي الوزيرين الوزير الأول الجواد الذي يحض على الجود والوزير الثاني البخيل الذي يأمر السلطان بالبخل ويزين له التضييق على

الشعراء والتضييق على الرغبة وذلك حتى لا تقف عند الأسماء بل تقف عند الأفعال وفى خلال الحكاية هناك بالطبع بعض إفاضات مولانا جلال الدين .

(١١٧٠ – ١١٧٩) إن اسم الإله مشتق كما قال سيبويه من أن الخلق يولهون إليه ، أى يلجأون إليه فى حوائجهم من أله الفصيل إذا التجأ إلى أمه وهكذا فسره بهاء ولد (١/٢٣٣) والحق تعالى منزه عن الوصف وعن الاشتقاق وعن الأسماء وعن الإشارات ، فأى موضع للبحث عن اللفظ والعبارة ، والإشارة لا تستوعب فى هذا المجال (ولا يحيطون به علما) أى حديث لك عن الشرح والبيان وأى بحث لك عن الاسم والصفة حينما تحل « الوحدة » لا اسم لها ولا صفة (انقروى ٤/٢٤٣) وهكذا فإن آلاف العقلاء يطلبون حاجاتهم منه ، يطلبون أن يرفع عنهم الألم أى يولهون إليه ، ومن المستحيل أن يلجأ الإنسان وقت الحاجة إلى من لا يجيب هذه الحاجة ، ومن لا يرفع الضر ، فإن لم يكن الناس قد أجيبت حاجاتهم آلاف المرات ما لجأوا إلى الفرد الديان الصمد فى حاجاتهم ، لا ليس فحسب بل والأسماك فى قيعان البحار والطيور فى السماء وكل الوحوش ، والتراب والعناصر كلها تستمد حاجاتها منه وقوام وجودها منه سبحانه وتعالى ، وهو أيضا الذى يمسك السماء أن تزولا إن رفعها بلا عمد وعندها حفظه سبحانه وتعالى .. كل ما هو موجود فى الكون يستمد وجوده فى الوجود الكلى وكل وجوده ظل من وجوده الحقيقى .

(١١٨١ – ١١٨٤) ومن هنا فإن الأنبياء قد طلبوا الاستعانة بالصبر والصلاة عند طلب الحاجات منه سبحانه وتعالى وأمروا أتباعهم أن يطلبوا حاجاتهم من الذى لا ترد عنده الحاجات ، ولا ينقص ملكه على كثرة عطائه ، فهو البحر الفياض العباب ، وكل المحسنين مجرد جداول جافة ، بل إنك إن لجأت إلى غيره فهو أيضا العاطى هو الذى يوحى إلى المحسنين من البشر بالعطاء أو

بالمتع ، فإذا كان قد أعطى لقارون وهو يعرض عنه كل هذا المال فماذا يمكن أن يفعل إن توجه إليه أحدهم بالطاعات ؟! فالصلاة أم العبادات ومعراج المؤمنين والمؤمنات وأهل الطاعات ، قال سهل بن عبد الله : « استعينوا بالصبر على ما أمر الله به واصبروا على آداب الله » قال الضحاك : « استعينوا بالصبر أى بالصوم واصبروا على الصلاة » (انقروى ٤/٢٤٥) .

(١١٨٨ - ١١٩٩) يفسر مولانا جلال الدين ميل الإنسان الطبيعى إلى الشهرة وإلى الظفر بمدح الممدوحين ، والوصول إلى علو الذكر ، فهو فى البداية يشبع حاجات جسده ، وعندما يحدث - وهذا من النادر أن يشبع الإنسان من حاجيات البدن - ، وانظر إلى قول مولانا جلال الدين «نادرا» أى أن المستغنى عن الدنيا مهما أخذ منها نادر تماما ، عندما يستغنى الإنسان عن الخبز يبدأ فى البحث عن حسن الذكر وعلو الصيت ، أى ينبغى أن يحدث الاستغناء الخبز أولا ، ثم يأتى بعدها حب الشعر وسائر الفنون والبحث عن علو الذكر ومن يبسط الحديث عن كرمه ومحاسنه لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى جعل خلقنا وخلقنا على صورته أى على صفاته والخلاق الفرد يجب أن يحمد ويشكر ، ومن ثم قال فإبن آدم أيضا يجب أن يحمد ويشكر ، خاصة إذا كان الممدوح من عباد الله تعالى الصالحين قد سما بالعبودية ، فإنه يمتلئ بالمدح كما يمتلئ الزق الصحيح بالهواء ولا يتسرب الهواء منه كما قال عليه السلام « إذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الإيمان فى قلبه » (الجامع الصغير - أنقروى ٤/٢٤٩) . وحديث آخر « لا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل ولذلك مدح نفسه » (استعلامى ٤/٢٥٦) . أى يمتلئ قلبه بالسرور كما يمتلئ الزق بالهواء ، أما إن كان الممدوح من أهل الباطل ، فإنه يكون كالقربة الممزقة لا تمتلى ولا يربو ، وتقوى نفسه الأمارة لضعف قلبه ، إذ أثنى رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام « ويلك قطعت عنق أخيك » ... إننى أحدثك بهذا حتى تعلم كم كان

المشركون مخطئين عندما عابوا على محمد - صلى الله عليه وسلم - حبه للمدح .. وماذا فى المدح مادام الممدوح يمدح بما هو فيه ومادام هو أعلى وأفضل من كل ما يقول المادحون فيه وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يضع لحسان المنبر فى المسجد فيقوم عليه فإنما كان يهجو من كان يهجو رسول الله فقال عليه السلام : إن روح القدس مع حسان مادام ينافح عن رسول الله .

(١٢٠٥ - ١٢٣٩) على عادة مولانا جلال الدين لا يترك فرصة دون أن يتحدث عن الظلمة فى الأرض ، وانظر إليه وهو يصف الوزير الجديد ، ويجرى على لسانه الأحاديث التى يطلقها عادة الوزراء الذين يريدون التضييق على الشعوب والمناعون للخير فى كل عصر وفى كل مكان ، وانظر إليه وهو يدبر بخسة كيف يحرم الشاعر من هبة الملك ، وكيف يسوف ، تركه منتظرا حتى يقبل ربع عشر المبلغ الذى قرره له الملك ، وها هو الشاعر ينتظر وينتظر بحيث بات كل همه أن يتلقى من الوزير الجديد «سلاخ الفقراء» السب والشتم والطرد أصبح يتمنى اليأس والمنع لا العطاء ، وانظر إلى هذه الصورة القاتمة من صور البخل والاحتيال والمكر التى يحترفها بعض السياسيين فى كل عصر ومكان فيوسعون على من لا عمل له ، ويقترون على من يعمل ، وينفقون على وجوه لا لزوم لها ، ويقترون حيث يجب الإنفاق ، والصورة شديدة الحياة الطبيعية والحركة والدرس الذى يود مولانا أن يقدمه لنا ، أن الملك العادل فى حاجة أيضا إلى وزير عادل .. وإلا فإن وزارة هامان جديرة بملك فروعون .

(١٢٤٠ - ١٢٥٦) إن أرواح الفراعين الهشة كالزجاج هى التى تتأثر بنصائح أمثال هامان ، وإلا فإن الأنبياء مقنعون شديدو الإقناع ولقد كان فرعون أحيانا يرق لقول موسى (انظر الكتاب الثالث أبيات ١٢٥٢-١٢٥٩) لكن روحه لم تكن قوية لكى يتخلص من تراكمات السنين ومن الفرعونية ويؤمن بالله الواحد

القهار وهكذا بعض البشر ، إنما يمنعهم من الإيمان ضعف فى أرواحهم ، فهم لا يستطيعون التخلص مما يسره لهم الكفر من ناحية ومن ناحية ثانية فهم لا يستطيعون الصمود بإيمانهم أمام الساخرين الهازئين ، وفضلا عن ذلك فإن الواحد من هؤلاء يكون كالقشة تتقاذفه كل ريح ، ويكون مستعدا لسماع من هم دونه يخوفونه ، ويردونه عن إيمانه (فرعون وهامان) فالقوة عند المؤمن قوة تنبع من الداخل ولا تنبع من السلطة ، وإلا فمن كان أقوى سلطة من فرعون من الناحية الظاهرية ، لكن من الناحية الباطنية كان ألعوبة فى أيدى أمثال هامان ... وعلى المستوى السياسى هكذا يكون وزير السوء الذى يكون مناعا للخير ، يعيش الخلق منه فى ضنك ومسغبة ومع ذلك فهو ينقل الصورة إلى السلطان أن كل شىء على ما يرام وأن الناس يدعون له .. والوزير من السلطان بمثابة العقل من الروح ، صحيح إن البدن لا يحيا إلا بالروح ، لكن لابد من عقل يحفظ هذه الروح ، ومن ثم فإن السلطان الذى يكون له مثل هذا الوزير يصبح سلطانا فاسدا .. ويضرب مولانا مثلا على السلطان الحسن بسليمان ووزيره آصف وهما فى الناحية المقابلة تماما لفرعون وهامان وهذا كله وارد فى الحديث النبوى «إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إذا نسى لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه» (مولوى ٤/ ١٧٠- انقروى ٤/ ٢٥٥) وعلى مستوى البدن والوجود الإنسانى فإن الملك الذى يكون مغلوبا لرأى وزيره الفاسد يشبه تماما العقل الذى يكون مغلوبا للهوى ، وهذا يكون قاطعا للطريق إلى الله وليس معينا عليه .

(١٢٥٨ - ١٢٦٢) العقل الجزئى هو ذلك العقل الإنسانى الفردى المعتمد على ما تنقله إليه الحواس والذى دائما ما يتصرف فى حدود هذه الحواس ، أما العقل الكلى فهو فوائد العقل على الإطلاق وما يستدعيه العقل على الإطلاق ، وهو أقرب عند الصوفية إلى لطيفة روحانية وليس بالمعنى الفلسفى والمشهور

والسلطان المخاطب فى الأبيات هو الإنسان على وجه العموم ، وليس المقصود هو المعنى السياسى وهو هنا يرى للإنسان وجودا سياسيا مستقلا ، سلطانا وابن خليفة ، لكن الهوى يقطع عليه طريق العبودية (الصلاة) والعبودية لله هى السيادة الحقة ، فعندما يكون المرء عبدا له فحسب فإنه لا يرهب سلطانا دنيويا مهما بلغت عظـــمته وسطوته والهوى ابن الحال وابن اللحظة وإلا فأى شهوة تدوم ، إنه يريد أن يعيش لحظته فحسب ، ولا يحسب حسابا للعواقب أما العاقل فهو يفكر فى العواقب وفى يوم الدين ، والعقل هنا هو عقل المعاد وليس عقل المعاش وهو يتحمل مشاق الطاعات ومخاطر الطريق من أجل أن يجنى ورود الآخرة ، تلك الورود الدائمة التى لا تتساقط فى الخريف والتى تكون فى حاجة إلى أنف خاص يشمها .

(١٢٦٣ - ١٢٨٦) يستمر مولانا جلال الدين فى مواصلة الحديث عن هذا الموضوع المحبب إليه .. إن التشابه فى الهيئة لا يعنى التشابه فى الباطن ، وأن التشبه لا يعنى بالمرة تغير الجبلة والطبيعة ، وإن الناس وإن تشابهوا فى صورهم ، إلا أن القلوب تختلف اختلافا بينا ، وها هو يعود إلى قصة جلوس الجنى صخر على عرش سليمان عليه السلام وتشبهه به ، إلا أن الشيطان يظل شيطانا .. ولا يعنى تغير الصورة أن يتغير الباطن (واردة فى قصص الأنبياء) (عن مآخذ / ١٣٧) ففرق بين يقظ القلب والضمير ومستنير الباطن بنور الله ، ومجىء الصورة باهرة تخفى خلفها طبيعة شيطانية ، إن الازدواجية فى الشخصية من الموضوعات المحببة عند مولانا جلال الدين والزيف فى المظهر والذى ينبئ عنه المخبر ويفضحه ، ذلك النموذج الفذ فى الأدب العالمى فيما بعد جلال الدين بمئات السنين عند فاوست جوته وصورة دوريان جراى لاسكار وايلد وعشرات من الشخصيات فى الآداب العالمية ذات الظاهر الذى يقوم به المرء والذى يفضحه فى نفس الوقت ، لأن المتظاهر يبالغ فى الحقيقة فيفضح نفسه ،

دون أن يدرى ، وكلما جاهد الجنى فى تقمص شخصية سليمان ازداد الخلق شكا ، إنه محروم من ذلك الصفاء ، إن الفرق بينه وبين سليمان مثل ذلك الفرق الشاسع بين الوزير أبى الحسن الجواد والوزير الآخر أبى الحسن البخيل ، ثم إن الشيطان يسقط على نفسه ، إنه يجسد سليمان الحقيقى ، فيقول للناس سوف يظهر شيطان على صورتى فإياكم أن تنخدعوا به ، وما يجول هذا الخاطر أبدا بخيال من تزين بالصفاء ، لقد فضح نفسه بنفسه ، ثم اعترف بلسانه ، لقد فهمه الطيبون والمستنيرون ويخاطبونه : إنك تخاطبنا تقصد شيئا ، لكن ما يصل إلينا هو عكس كلامك تماما أى الحقيقة التى تحاول أن تفر منها فتظهرها : إن سليمان الحقيقى الظاهر بين وإن كان سليمان الحقيقى فى الأسمال فإن نور الملوكية (الإلهية) ساطع من جبهته ، ومهما تظاهرت أيها الشيطان بالفخامة ، ومهما أسبغت على نفسك من مظاهر السلطنة وأبهتمها ومواكبها ، فأنت لا شىء ، لا طاعة لك علينا ، وحتى إذا أردنا أن نركع لك غفلة ، فإن يدا سوف تظهر من الأرض تمنع جباهنا من السجود لك ، وفى هذه الحالة سوف تفضح ويفتضح إدبارك .. ويحس مولانا جلال الدين أن الفكرة لا تزال غامضة إلى حد ما .. كيف يستطيع الخلق أن يطلعوا على الباطن وأن يكتشفوا الزيف من الحق .. وأن يميزوا بين الخبيث والطيب .. يجيب إنه لو لم يخش من الغيرة الإلهية على كشف الأسرار لتحدث فى هذا الموضوع واستفاض ، لكنه يرجئ هذا الأمر إلى وقت آخر .. لقد سمى نفسه سليمانا النبى ، لكنه كان يحتال من أجل أن تخيل حيلته على كل صبى ، فدعك أيها المريد الطيب من الأسماء ، لا يغرنك فلان المشهور أو فلان الوزير أو فلان المفكر دعك من الأسماء ودعك من الألقاب وابحث عن العقل والمعنى .

(١٢٨٧ - ١٣٠٠) أصل هذا الجزء من حكاية سليمان عليه السلام والمسجد الأقصى ورد فى مصادر عديدة .. كانت الشجرة تنبت فى محراب سليمان النبى

عليه السلام وتكلمه بلسان ذلق فتقول : أنا شجرة كذا وفى دواء كذا فيأمر بها سليمان فيكتب اسمها ومنبعها وصورتها وتقطع وترفع فى الخزائن حتى كان آخر ما جاء منها الخروبة فقالت : أنا الخروبة فقال سليمان الآن تعيت لى نفسى وأذن فى خراب بيت القدس (قصص الأنبياء للثعالبى ص٢٧٥ مأخذ /١٣٨) ويعلق مولانا بأن الوحى أصل العلوم وإلا فهل يستطيع العقل الجزئى أن يكتشف ما لا سبيل إليه إلا به ؟ والثابت أن الأصول الأولى للعلوم مجهولة ، وأن الناس فى العصور القديمة كانوا يقولون عن بعض كبار العلماء أنهم أنبياء بل كانوا يؤلهون بعضهم وربما نبعت الفكرة من هنا ويفسر عبد الباقى (٤/٢٠٩) بأن رأس أرباب الفتوة إدريس النبى وصناعة الدروع من الحديد داود وصنعة (وعلمناه صنعه لبوس لكم) النسيج للنبى شيث بل والزراعة لآدم ، لكن مولانا لا يقف عند هذا الحد ، فإذا كان العلم يبدأ بالأنبياء إلا أن البشر بالتجربة يطورونه وبالعقل يزيدون عليه .. ولا يمكن للعقل الجزئى أن يتعلم حرفة دون أستاذ فهو قابل ومتلق .. ولا يمكن أن تحصل حرفة دون أن يقوم أستاذ بتعليمها ، ولو كان الأمر غير ذلك لاستطاع العقل وحده أن يكتشف حرفة .

(١٣٠١) كمثال يقدم مولانا جلال الدين نموذجا من قصة مصرع هابيل على يد قابيل ، وكيف أنه بعد قتله لم يستطع أن يوارى الجثة التراب لأنه لم يكن يعرف صنعة حفر القبور (على بساطتها) «فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه» (المائدة:٣١) وقد خاض المفسرون كثيرا فى هذا الموضوع فليطلب من مظانه ، وثمة تفسير آخر صوفى قدمه مولانا نجم الدين كبرى جدير بالذكر : إن آدم الروح بازدواجه مع حواء القالب ولد قابيلَ النفس وتوأمته إقليما الهوى فى بطن أولا ثم ولد هابيل القلب وتوأمته لبودا العقل وكانت إقليما الهوى فى غاية الحسن فى نظر قابيل النفس لأن النفس به تميل إلى الدنيا وما فيها وهى مزينة وفى نظر هابيل القلب أيضا لأن القلب به يميل

إلى طلب المولى وما عنده وهو محبب إليه ، وكانت لبودا العقل فى نظر هابيل القلب فى غاية القبح والدمامة لأن القلب يغفل به عن طلب الحق وأيضا فى الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال وفى نظر قابيل النفس أيضا فى غاية القبح لأن النفس به تغفل عن طلب الدنيا والاستهلاك فيها فالله تعالى حرم الازدواج بين التوأمين كليهما وأمر بازدواج توأم كل واحد منهما إلى توأم الأخرى لئلا يغفل القلب عن طلب الحق بل يحرضه الهوى على الاستهلاك والفناء فى اللهو لهذا قال بعضهم ولولا الهوى ما سلك أحد طريقا إلى الله ، فإن الهوى إذا كان قرين النفس يكون حرضا فيه وينزل النفس إلى أسفل سافلى الدنيا وبعد المولى وإذا كان قرين القلب يكون عشقا فيه يصعد القلب إلى أعلا عليى العقبى وقرب المولى ولذا سمى العشق هوى كما قال الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

ولتغفل السعى عن طلب الدنيا يحرضها العقل على العبودية وينهاها عن متابعة الهوى فذكر آدم الروح لولديه ما أمر الله ، فرضى هابيل وسخط قابيل النفس وقال هى أختى يعنى إقليما الهوى ولدت معى فى بطن وهى أحسن من أخت هابيل القلب يعنى لبودا العقل وأنا أحق بها ونحن من ولادة جنة الدنيا وهى من ولادة أرض العقبى فأنا أحق بأختى فقال له أبوه : فإنها لا تحل لك يعنى إذا كان الهوى قرينك تهلك فى أودية حب الدنيا وطلب الدنيا لذاتها وشهواتها فأبى أن يقبل قابيل النفس هذا الحكم من آدم الروح وقال : إن الله لم يأمره به وهذا من رأيه فقال له آدم الروح فقربا قربانا فإنه من يقبل قربانه فهو أحق بها فخرجا لتوهما وكان قابيل النفس صاحب زرع يعنى مدبر النفس النامية وهى القوة الثابتة فقرب طعاما من أردى زرعه وهو القوى الطبيعية وكان هابيل القلب راعيا لمواشى أخلاق الإنسانية وصفات الحيوانية فقرب فحلا يعنى صفة البهيمية وهى أحب الصفات إليه لاحتياجه لها لضرورة التغذى والبقاء ولسلامتها بالنسبة إلى

الصفات السبعية والشيطنة فوضعا قربانهما على جبل البشرية ، ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت وأكلت حمل صفة البهيمية لأنها حطب هذه النار ولم تأكل من قربان قابيل النفس لأنها ليست من حظها بل هى حطب نار الحيوانية فطوعت نفس قابيل النفس قتل أخيه وهو القلب لأن النفس أعدى عدو للقلب فقتله فأصبح من الخاسرين يعنى فى قتل النفس خسارة النفس فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فتحرم من الواردات والكشوف والعلوم الغيبية التى تنشأ من القلب وعن ذوق المشاهدات ولذة المؤانسات فيبقى فى خسران جهولية الإنسان ، وأما فى الآخرة فيخسر الدخول فى جنات النعيم ، (مولوى ٤/١٧٩-١٨٠) وهناك تفسير آخر قدمه الفيلسوف الشهير الدكتور على شريعتى ويعد من أحدث التفاسير على القصة «من قصة ابن آدم يمكن فهم أول حرب وتناقض فى حياة الإنسان على وجه الأرض ومن قصة قابيل وهابيل يمكن استنباط فلسفة التاريخ فقابيل بسبب مسألة جنسية هى عشقه لجمال أخته التى كانت خطيبة أخيه هابيل قام بأول ذنب وحقد وقتل للبشر وخيانة لأخيه وعصيان لأبيه وذنب أمام الله ، فمن بين ابنتى آدم تصير الأجمل خطيبة لهابيل ، ولا يقبل قابيل ويرفع آدم قضية الأخوين إلى حكم الله ، فيأمر بأن يقدم كل منهما قربانا إلى الله وأيهما يقبل قربانه سوف يكون هذا دليلا على حكم الله وعلى الآخر أن يقبله وقبل الأخوان ، كان هابيل راعيا فاختار أفضل إبله الذهبية الغالية القوية ، وكان قابيل زارعا فقرب إلى الله حفنة من القمح المصفر العطن من مزرعته ، وواضح أن قربان هابيل الذى لم يدع حق أحد ولم يفكر فى المال فى سبيل إيمانه وقرب إلى معبوده أغلى وأعز ما عنده قد قبل ، وفى نفس الوقت لم يستسلم قابيل وتمرد على حكم الله الذى لم يكن فى صالحه ، وواصل تمرده فى اعتدائه وقال هابيل : إنى سلمت لحكم الله ولئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا باسط إليك يدى لأقتلك ولن أفصم عرى الأخوة

بيننا ، لكن قابيل قد جن جنونه استدرج هابيل إلى الخلاء وقتله خفية ، وسفك دم إنسان على يد إنسان لأول مرة على وجه الأرض : هذه القصة كما رويت تفهم غالبا على أنها حادثة تاريخية ونزاع بين أخوين حول شهوة ، وخبث جبلة قابيل وطهر جبلة هابيل .. إلى آخره في حين أن جبلة كل منهما واحدة ، كلاهما ولد من أب واحد وأم واحدة وربى فى بيئة واحدة وعلى يد مرب واحد لم يكن المجتمع قد تكون بعد وتحول إلى البيئات المختلفة حتى تربى كل واحد بطريقة ، وأولئك الذين قاموا بتحليل هذه القضية علمياً ومنطقيا أرادوا أن يستنبطوا هذا المبدأ الذى يريد أن يقول : إن الشهوة أو الغريزة الجنسية هى السبب الرئيسى وعلة العلل فى الجريمة والذنب وأن أول دم سفك فى التاريخ كان من جراء الشهوة ، هذا صحيح لكن هذا السؤال بقى بلا جواب وهو : لماذا يسقط قابيل فريسة للشهوة ولا يؤثر هذا العامل القوى على هابيل ويدفعه إلى الخيانة وسفك الدماء وقتل أخيه وارتكاب الذنب ؟ ففى هذين الأخوين العدوين ذات واحدة ولهما أب واحد وأم واحدة وبيئة تربية واحدة وبيئة طبيعية واحدة ومدرسة تربوية واحدة وتجربة كليهما واحدة فمن أين هذا التضاد فى الخلق والجبلة والسلوك ؟ من هنا ينبغى من الناحية العلمية أن نبحث عن عامل يفسر هذين الشخصين المتناقضين ، .. عامل لا يكون مشتركا بينهما وبالبحث نرى أن العامل غير المشترك فى سيرة هذين الأخوين هو نوع العمل ووضع الحياة الاقتصادية لكل منهما فأحدهما راعٍ والآخر زارع ، وهذا الاختلاف جدير جدا بالتأمل .. ماذا يعنى الإنسان الراعى ؟ يعنى إنسان عصر سكنى الخيام والقبيلة إنسان بدائى ، أى إنسان المرحلة التى لم تكن فيها الملكية قد ظهرت بعد ، مرحلة أن البشر يعيشون فيها جماعات فى أحضان الطبيعة ويأكلون من مائدة الطبيعة العامة ، كان صيد البر والنهر والغابة هو مصدر الإنتاج ، ولما كان مصدر الإنتاج فى الطبيعة السخية البكر موجودا بالتساوى تحت سيطرة الأفراد ، لم تكن

الملكية بالطبع موجودة إلا من مصادر الإنتاج الموجودة فى الطبيعة ، لم تكن الملكية بمعنى احتكار فرد لمصدر الإنتاج وحرمان الآخرين فيه موجودة ، وكان المجتمع ينقسم إلى أفراد لا إلى طبقات فالطبقات الاقتصادية تتشكل على أساس الملكية والملكية أو احتكار مصادر الإنتاج تظهر عندما تصبح مصادر الإنتاج محدودة وهذا عندما يتحول شكل الإنتاج الاقتصادى من الصيد والرعى إلى الزراعة ، وهابيل راعى أى إنسان مرحلة الحرية وتحرر الإنسان من الأرض أى الإنسان الذى ينتمى إلى مجتمع بلا طبقة ، الشركة الأولى ، العصر الذى كانت فيه الطبيعة العظيمة ملكا للمجتمع ملكا لكل من يعمل فيها ، وقابيل زارع أى أن إنسان مرحلة السكنى وارتباط الإنسان بالأرض أى إنسان المجتمع الطبقى ، والملكية الفردية والاحتكار ، والامتلاك والحرمان ، استغلال الفرد للفرد ، تسلط الإنسان على الإنسان .. يدخل الإنسان مرحلة تاريخه الحاضرة بموت هابيل » (على شريعتى : العودة إلى الذات الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ص ٣٤٦ – ٣٥٠ بتصرف الزهراء للإعلام العربى – القاهرة ١٩٨٦) .

(١٣٠٧ – ١٣١٤) ها هو قابيل بعد أن رأى الغراب يدفن الغراب الآخر ، يعيب على عقله الجزئى ياويلتا .. شاه هذا العقل !! أيكون غراب أكثر منى علما .. هذا هو العقل الجزئى .. إياك أن تغتر به فقد يتفوق عليه فيه حيوان ، ويتلاعب مولانا جلال الدين بين عقل الزاغ (نوع من الغربان شديد السواد اللون والكلمة عربت أيضا فيقال أسود من جناح الزاغ) وعقل (ما زاغ) إشارة إلى الآية الكريمة (ما زاغ البصر وما طغى) وإنه هو العقل الكلى ، عقل المعاد ، عقل الروح .. الذى لا يُعلم ، بل يأتيه العلم اللدنى الذى يقذف فى القلب إن هذا العقل فى تفسير لنجم الدين : ما مال ببصره عن مرتبة المقصود له وما التفت إلى الجنة وزخرفها ولا إلى النار ومتاعبها وما طغى قدمه عن الصراط المستقيم (مولوى ٤/١٨١) هذا العقل هو نور الخاصة خصهم به ربهم ، حتى لا يطيروا

خلف كل ناعق من غربان النفس فتحملهم نحو الجبانة (الدنيا فكل ما فيها إلى موت وإلى فناء) . لا نحو الجنان فإن النور الإلهى هو الذى يحمل إليها .. فإذا كنت مستهديا فاستفت قلبك ولو أفتاك المفتنون ، فإن كانت النفس على مثال زاغ ، فإن القلب هو العنقاء .. يأخذك هاديا إلى المسجد الأقصى .. والعنقاء هو المرشد يحلق عاليا بالمريد فى سموات لا يستطيع أن يحلق فيها وحده كما أنه هو الذى يستطيع أن يتبع كل ما يدور فى قلبك .

(١٣١٥ - ١٣٢٠) إن أهواءك النفسية وأفكارك التى تمضى كل آن إلى كل صوب تنمو فى قلبك كأنها النباتات التى كانت تنبت فى ساحة المسجد الأقصى فإياك أن تهملها ، بل عليك أن تقوم كسليمان بتتبعها وتتبع خواصها ، لترى هل هذه الواردات التى وردت إلى قلبك أهى دينية أم دنيوية وإياك وإنكارها ، فقد يكون منك النافع ، كما أن منها الضار وما قلبك إلا أرضك وما ينبت فيها إلا ما يترجم عنها ، والهوى فى الإنسان ميوله ورغائبه ، فإذا تركت هواك صرت جديرا برسالة الله (١١٠١/١) . وهذه الفكرة واردة أيضا فى الكتاب الثالث (أبيات ٣٦٠ وما بعدها) . انظر إلى هذه الأرض التى تنبت أنواع النبات سواء كانت من قصب السكر أو من البوص إن ما يخرج منها يترجم عن طبيعتها .. ومن ثم فأرض القلب نبتها الفكر ، وهذه الأفكار التى تبدو فى أرض القلب هى التى تترجم أحوال القلوب .. ولو أجد فى هذا المجلس قابلا للكلم جاذبا له مستفيدا منه متجاوبا معه متحملا إياه .. لأبديت لك ما فى قلبى من أفكار ومعارف إلهية كأنها زهور الرياض لكنى إن وجدت إنسانا غثا قاتلا للفكر فإن النكات العميقة تفر من القلب فإن هذا المنكر لن يستفيد من بيان هذه الأفكار .

(١٣٢١ - ١٣٢٩) وحركة كل امرئ إنما تكون نحو جاذب معين ، ما من كلمة يتفوه بها أحد أو تصرف يقوم به إنسان حقيرا كان أو خطيرا إلا وجاذب معين يجذبها منك فهى موجهة إليه ، وهو المقصود بها .. والجذب الصادق ليس

كالجذب الكاذب ، وهكذا فإنك تمضى حينا على الطريق المستقيم وحينا على طريق غير مستقيم ، والخيط الآخذ بناصيتك الذى يجذبك ليس ظاهرا ، هذا هو خيط القضاء والقدر بيد الله تعالى إنما يقف عليه أصحاب القلوب البصيرة ولا يقف عليه عمى البصيرة .. فانظر إلى نفسك كبعير أعمى لا تستطيع الخلاص ممن يقودك ، تحس به يجذبك لكن لا تنظر إليه .. وهناك حبل الشرع المتين يقود الأتقياء الأولياء ، أما أرباب الغفلة والأهواء فخيط إبليس هو الجاذب ، ولو أن ذلك الحبل قد ظهر ، ولو انكشف هذا المقود ، وانكشف سر القضاء والقدر لما بقيت الدنيا دار الغرور ، وإن كل من فيها مغرور لأنه يحس بذلك الجذب لكنه لا يراه ولا يعرف مصدره إذ لو عرف المصدر لرأى المجوسى أنه يسير إثر نفسه الكلبية التى تجعله عبدا للشيطان الأكبر .. ولما مضى فى أثره ، ولارتد سريعا ونجا .. تماما كالأنعام التى يقودها القصاب إلى المذبح .. لو كانت تعلم أنها تمضى إلى الذبح لما أسرعت هكذا فى إثْر القصاب ، ولما أكلت من يده .. ولو أكلت لما هضمت ذلك العلف .. لو علمت أن المقصود منه أن تسمن وتصير صالحة للذبح .

(١٣٣٠ - ١٣٤٥) إذن فعماد الدنيا الغفلة ، وانتظامها ورواج سوقها إنما هو قائم على هذه الغفلة ولولا الحمقى ما قامت الدنيا من هذه الغفلة هى التى تجعل الحى يظن أنه حى أبدا .. وهذا المعنى وارد فى معارف بهاء ولد ٣٤٧/١ وما دولة الدنيا إلا سعى (دُو) ثم (لت) أى ضرب .. أولها اسع اسع من ثم آخرها خذ على أم رأسك ضربا من العجز والشيخوخة والمرض ثم الموت والحساب .. وفيها يكون هلاك الحمار .. لأن الحمار فحسب هو الذى يهلك فى سبيل ما لا نفع فيه .... فإنك إذا أقبلت على عمل معا فإن الله يخفى كل عيوب هذا العمل عليك فالله قد ستر العيوب من أجل عمارة الدنيا ، وجعل عمارة الدنيا من أجل تمحيص الذين آمنوا من الذين أشركوا ومن ثم فهى فتنة وهى دار الامتحان ، إنك لن تستطيع أن تقوم بعمل ما إلا إذا أخفى عليك الخالق عيب هذا العمل ، « إن الله تعالى

إذا أراد إنفـــاذ أمـــر ، سلـــب كـــل ذى لب لبه » (استـعلامى ٤/٢٦٤) وكذلك كل فكرة ترد عليك وتنشغل بالتـفكير فيها .. فلو اكتشفت فـيها أى عيب ، لجـفلت منها روحك وبعـدت عنهـا بعد المشـرقين .. والحـاصل أنك تندم فيه فى نهايته .. فلو اكتشف عيبه من بدايته هل كـان لك أن تندم ؟ هـذا هـو القضـاء الذى يخفى عـليك فإن ندمت من بعـد الفعل فهـذا الندم أيضـا قـضاء مقضى عليك به ، وإن استـسلمت لهذا الندم صـرت معـتادا عليـه ، والندم لا يورث إلا الندم ، وهـكذا ينتهـى نصف العمر فى التشتت والفـرقة ونصـفه الآخر فى الندم فـاترك كل هـذا وعليك بعـمل أفضل وعليك بالبـحث عن صـديق أفـضل يساعـدك فى الطريق هـذا وإن لم يكن أمامك عمل أفضل .. فـلأى شىء .. إذن يكون الندم ؟ هل خيرت بين عمليـن فاختـرت أسـوأهـمـا ؟ إنما تعرف الأمـور بأضـدادهـا .. فـمن أين لك أن تعلم الشر وأنت لم تعـلـم الخير.. وإن لم تعلم الخـيـر .. أى علم لك بأن مـا تقـوم به شـر .. لقد عـجزت عن ترك الذنب لأنك لا تـعرف سـواه .. إن عكوفك على الذنب عجـز ، عكوفك على القبيح عجـز عن إدراك الحسـن ، فـمتـى وجـــد عـجز مع قـــدرة ؟ ومـا دمت عاجـزا فلم الندم ؟! ولو كان الله سـبحـانه وتعالى قـد أطلعك على قبح فعل ما فـهل كان يستطيع أحد أن يحملك على فعلـه ولو بالقوة الجبرية .. هـذا هـو القـضـاء كـمـا يفسـره مـولانا جـلال الدين وهـو لا يفـتـأ يعـود إلى هـذه النقطة (انظر الكتـاب الأول أبيات ٢٦٠ - ٢٦٣ و ١٥٠٢ - ١٥١٢ والكتـاب الثانى أبيـات ٦١ - ٦٢ و الكتـاب الـثـالث البيت ١٣٦٩)(عن عـبـد البـاقـى وانظر مـقـدمـة الكتاب الخامس) ، اطلب من الله تعالى أن يريك الأمـور كما هـى « اللـهم أرنا الدنيا كمـا تريهـا صـالح عـبادك » أن يـخفى عليك عـيب الـفـعل النافع وأن يبدى لك شـر الفعل القبيح ، وإلا فارض بما قسم الله لك ، واستسلم لقضائه ، واعلم أن الإدارة والاختيار كليهما قضاء آخر أيضـا فى القضاء التعليقى (سبزاوى ٤/٢٨٩) وكما ورد فى الحـديث ألا أخبـرك بـتـفـسـيـر لا حـول ولا قـوة إلا بالله ، لا حـول عن معـصيتـه الله إلا بعصـمـة الله ولا قوة على طاعـة الله إلا بعون الله هـكذا أخبرنى جبريل) (أنقروى ٤/٢٧٨).

(١٣٥٥ - ١٣٧٢) وهكذا كان سليمان عليه السلام يمضى كل صباح إلى المسجد الأقصى ليرى ما نبت فيه من نبات ، لقد كان يرى بعينه الصافية ما خفى على العوام سواء من النباتات التى تنمو فى صحن المسجد ، أو نباتات الفكر التى تنمو فى قلوب المريدين .. لكن ألا يوحى سير سليمان النبى فى الآفاق والأنفس .. مع وجود تلك الإلطافات الإلهية التى شملت وجوده كله والتى يستطيع فيها أن يتكشف كل ما يريد دون أن ينتقل من مكانه بتساؤل ما ؟ هنا يختلف مولانا جلال الدين فى منطلقه الصوفى ، فإن كان الصوفية يقولون بالمراقبة فى الخلوة ، فإن جلال الدين كان يرى المراقبة فى الملأ ، ويرى فى هذا اجتلاء لآثار رحمة الله فى خلقه مراقبة أفضل من مراقبة الخلوة ، ويضرب مولانا بحكاية الصوفى الذى وضع رأسه بين ركبتيه متفكرا ومراقبا فطلب منه أحدهم أن يرفع رأسه ليرى آثار رحمة الله فى الرياض والقصة مأخوذة عن تذكرة الأولياء للعطار (٦٨/١) عن رابعة العدوية ، جلست فى منزلها فى فصل الربيع وقد طأطأت لرأسها فقالت خادمة يا سيدة اخرجى لتشاهدى الصنع ، قالت بل ادخلى أنت لتشاهدى الصانع ، شغلتنى مشاهدة الصانع عن مشاهدة المصنوع كما رويت الحكاية فى مقالات شمس قيل لصوفى : ارفع رأسك وانظر إلى آثار رحمة الله - فقال آثار الآثار واردة فى القلب (مقالات شمس ص ١٩٦) وهذا لا يخرج عن احتمالين فى إدراك الجمال:

الاحتمال الأول : إما أن يكون الجمال جمالا لأنه يصادف هوى داخل النفس ومن هنا يختلف تقديره .

والثانى : هو أن الجمال إدراك من الداخل إلى الخارج وليس العكس (جعفرى ١٨٣/١٠ - ١٨٤) والكلام معتمد على الآية الكريمة : « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ، إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير » . (الروم : ٥٠) قال نجم الدين : فانظر إلى آثار رحمة الله

الخاصة كيف يحيى أرض القلوب بالفيض الإلهى بعد موتها بكبائر الذنوب (مولوى ٤/١٨٤) ويجيب الصوفى إجابة الصوفى فى رواية شمس الدين التبريزى ، إن الرياض والمروج هى فى لب الروح أما ما هو موجود خارجها فهو انعكاسها تماما كما تنعكس صورة هذه المروج العينية المادية فى الحياة ولطفها إنما يكون من لطف المياه .. وإن لم تكن هذه الأشياء انعكاسا فكيف سماها الله سبحانه وتعالى دار الوهم والخيال دوار الغرور ، وهذا يعنى أنها خيال :

كل ما فى الكون وهم أو خيال   أو عكوس فى المرايا والظلال

لاح فى كل الورى شمس الهدى   لا تكن حيران فى تيه الضلال

(انقروى ٤/٢٨٣) إنها انعكاس للعالم الحقيقى والرياض الحقيقية والشموس التى لا تغيب ، والأنهار التى لا تنقطع الموجودة فى قلوب الرجال الكاملين فهم « سر الهوية ومظهر نور الأحدية » (مولوى ٤ / ١٨٥) والناس مغرورون بالانعكاس والصور والخيالات والأوهام .. ولا يبحثون عن الأصول ... فإذا ماتوا علموا أنهم أضاعوا عمرهم فى الخيالات والأوهام ونزلت عليهم الحسرات ، كما قال عليه السلام « ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت » (انقروى ٤/٢٨٤) ولا ينجو من هذا المصير إلا ذلك الذى مات قبل الموت (انظر تفسير الموت قبل الموت فى الكتاب الثالث الأبيات ٣٦٧٢ - ٣٦٧٨) .

(١٣٨٣ - ١٤٠١) المستفاد من قصة سليمان عليه السلام والخروب يقول مولانا : إن القلب هو مسجدك والجسد ساجد له أما الخروب الذى يؤدى إلى خراب المسجد فهو رفيق السوء عليك أن تهرب منه ما استطعت فاقتلعه من جذور قلبك ، أما أنت أيها العاشق فإن الخروب بالنسبة لك والذى ينذر بخرابك هو الاعوجاج .. وأنت كنت مجرما اعترف بإجرامك حتى تفتح عليك أبواب رحمة

المعلم ، هذا أفضل من أن تجمع بين الجهل والكبرياء وتعلم من أبيك الأول الاعتراف بالذنب « قال رينا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (سورة الأعراف آية : ٢٢) فلا هو حاول ولا هو احتال فى حين أن إبليس شرع فى الجدال .. لقد قال لله تعالى إنه هو الذى صبغه بصبغة الكفر والكبرياء .. وقال إن الله تعالى هو الذى أغواه .. وهذا هو قول الجبريين .. وأنذر بإغواء بنى آدم فى مقابل هذا الذى يظنه إغواء من الله سبحانه وتعالى ... فإياك أنت أن تقول : إن الله سبحانه وتعالى قد كتب عليك المعصية وقدرها عليك وأنه لا محيص لك من ارتكابها ولا مهرب من إتيانها .. والواضح أن مولانا جلال الدين شغل فى الأبيات الأخيرة بمشكلة الجبر والاختيار فهو يتركها ليعود إليها وواضح أيضا أنه من أنصار حرية الإرادة والاختيار عن الإنسان ، وكيف يكون المرء مجبرا على شىء وهو يقوم به بكل هذه اللذة والسرور والإقبال كيف يكون المرء مجبرا وهو يدافع هكذا عما يقوم به منذ فكر ويسوق الحجة تلو الحجة على أنه هو الصواب والطريق المستقيم .. وكيف تختار كل ما تأمرك به نفسك من المعصية والفساد وتترك كل ما يأمرك به عقلك هكذا يناقش مولانا جلال الدين المشكلة دون خوض فى أقوال علماء الكلام ومشايخه .. إن الأمر كله من داخل الإنسان وأن إبليس لعنه الله كان أول الجيريين فقد اعتبر المعصية التى دفعه إليها كبرياؤه وأحتقاره لآدم قدرا مكتوبا عليه من الله سبحانه وتعالى وليس عصيانا أملته عليه نفسه المتكبرة المعوجة .

(١٤٠٢ – ١٤١٣) وهكذا كل إنسان يعلم أن الحيلة من إبليس لكن الخضوع والعشق من آدم ، وهذا الاحتيال أشبه بالسباحة فى البحار ، حيث يعتمد السباح على مهارته وليس على أى شىء آخر فهو فى النهاية غريق لا محالة « انظر النحوى والملاح » وإذا كان هذا شأنه وديدنه فى البحار فما بالك بهذا البحر الذى تبدو البحار السبعة كقشة تتقاذفها أمواجه والبحار السبعة تعبير كان يستخدمه

القدماء للتعبير عن كل بحار الدنيا وهى فى نظرهم سبعة : بحر الصين (المحيط الهادى) وبحر المغرب (المحيط الأطلسى) وبحر الروم (البحر الأبيض) والبحر الأسود (وبحر طبرية) والقلزم (البحر الأحمر) وبحر جرجان (بحر الخزر أو ما نسميه قزوين) وبحر فارس (الخليج) (عبد الباقى ٢١٢/٤) فى مثل هذا البحر العشق هو سفينة النجاة وترك الاحتيال وازدياد التحير (عن التحير انظر الكتاب الثالث شروح الأبيات ١١٠٨ - ١١١٧) وفى حضور المصطفى صلى الله عليه وسلم اجعل عقلك حائرا لأنه ملاح سفينة العشق فى بحر التوحيد (مولوى ١٩٦/٤) وهذا معناه أنك أصبحت مكتفيا بالله ... ولا يزال مولانا يضرب الأمثال بأولئك الذين اعتمدوا على حيلة عندهم وعلى من اكتسبوه ومنهم كنعان بن نوح الذى رفض أن يركب السفينة رافضا أن يحمل منة من أحد على نفسه وكأن الله سبحانه وتعالى لم يقدم له من نعمة إلا أنه كان سينجيه من الطوفان ، وكأن الله سبحانه وتعالى لم يكن ليضاعف إحسانه على نوح فضلا منه وشكرا على عشقه أليس هو سبحانه وتعالى الذى « يحبهم ويحبونه » فسبق ذكر حبه إياهم عن حبهم إياه (انظر معانى أخرى عن قصة نوح عليه السلام مع كنعان فى الكتاب الثالث شروح الأبيات ١٣٠٦ - ١٣٥٥) .

(١٤١٤ - ١٤٢٣) من هنا فإن العجز عن المعصية قد يكون سببا فى نجاة المرء فلو لم يكن ابن نوح قد تعلم السباحة لألحق نفسه بسفينة نوح ، ولو كان كالأطفال بريئا من الاحتيال لتعلق بأذيال أمه ، وليته كان خاليا من ذلك الوهم المكتسب ، إذن لوجد علم الوحى مكانا فى قلبه فإنك إن استعنت بكتاب أو نقل مع وجود هذا النور عندك لعاتبتك ولحرمتك من علم اليقين ، ولحرمت قلبك من ذلك النور وللجأت إلى التيمم فى وجود الماء أى إلى العلم النقلى فى وجود قطب الزمان .. الذى يبغى أن تتبعه دون أن تظهر علما من لدنك أو احتيالا أو مهارة ... بل ينبغى أن تكون أبله ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « إن أكثر أهل

الجنة البله» والبله جمع أبله وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير ، وقيل هم الذين غلبت سلامة صدورهم وأحسنوا الظن بالناس لأنهم أغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها فاستحقوا أن يكون أكثر أهل الجنة ، فأما الأبله وهو الذى لا عقل له فغير مراد فى الحديث (أنقروى ٤ / ٢٩٥) أما كثرة الفتن فهى تأتى بالكبر وتردى ... ولست أقصد بالأبله ذلك الذى يكون سخرية الخلق لحمقه وضعفه وتذلله بل أقصد به الواله محبة الله تعالى الغافل عمن سواه .

(١٤٢٤ - ١٤٣٥) ضحِّ إذن بهذا العقل المكتسب . ومن الرباعيات المنسوبة إلى أبى سعيد ابن أبى الخير :

ما دمنا قد شرعنا فى طلب وصال الحبيب فأول قدم أن صرنا غرباء عن الوجود

إنه لم يكن يسمع العلم فأغلقنا الشفة ولم يكن يشترى العقل فصرنا بلهاء

(سبزاوى ٤ / ٢٩٠) هو عقل المعاش فى سبيل عشق الحبيب ، فالعقول كلها هبة منه سبحانه وتعالى ، وأصحاب العقول صرفوا عقولهم فى محبة الله سبحانه وتعالى ، أما الحمقى المجانين فهم الذين احتفظوا بعقولهم .. فلو أن عقلك الجزئى هذا ضاع تحيرا فى الله لصارت كل شعرة منك عقلا .. لعوضك الله عما هو فوق العقول كلها بنوره تنظر به ويده تبطش بها وقدمه تسعى بها .... ولمنحك عقلا لا يسبب التفكير به ألما .. وإذا أهمل عقل المعاش هذا لظهرت فى صحاريه الرياض والكروم تنبت الثمار الربانية حيث ينقضى وينتهى عقل المعاش .. وعلى حافة العدم للعقل تسمع الرموز .. وينبت نخل وجودك بالمعارف الإلهية .. وفى الطريق دعك من الفيهقة والتكبر وإياك والحركة ما دام دليلك لم يتحرك ، إنه منك بمثابة الرأس وكل الذى يتحرك بلا رأس يكون ذيلا .. تكون حركته أذى وسما كأنها حركة العقرب يزحف ليلدغ قبيح الخطى أعشى

قبيح الشكل سام ، كل عمله هو لدغ الأجساد الطاهرة ومثل هذا حطم رأسه تلك التى لا تحمل للناس سوى الشر والأذى ، وصلاحه هو نفسه فى تحطيم رأسه حتى تنجو روحه من الأذى الذى يشبه جسده ويشبه هواه .. هيا اسحب السلاح من يد المجنون فالسلاح يكون فى يد الغازى المجاهد ، أما المجنون فسوف يرهب به الناس ويزهق أرواحهم .. فالسلاح فى يد مجنون لا عقل له فيه أذى كثير ، هؤلاء الجبابرة أصحاب المناصب اعقد أيديهم خلف ظهورهم لئلا يظلموا الناس ويفسدون عليهم حياتهم .

(١٤٣٦ - ١٤٥١) قد يفهم بعض المتشدقين بالألفاظ وحملة الشعارات هنا أن مولانا جلال الدين ينادى بطبقية المال والتعليم وبالتالى المناصب وهو ما لم يدر لأحد بخلد ، فضلا عن وجود النظرة التى يقدمها مولانا جلال الدين الرومى هنا فى المأثور الإسلامى ككل ، وفى الحديث النبوى الشريف .. « لا تعلموا أولاد السفلة العلم » و « واضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر » وتكاد الأبيات تكون ترجمة لقولين مأثورين للإمام على - رضى الله عنه - الأول هو « لا يرى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا » نهج البلاغة تحقيق مذكر فيض الإسلام ص ١١١٦ ، والكلمة الأخرى هى : احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع (فيض الإسلام ص ١٣١١ ، والاشارة لعبد الباقى (٤/٢١٧) وهناك قول آخر : قيل لعلى صف لنا العاقل فقال - رضى الله عنه - هو الذى يضع الشئ مواضعه فقيل : وصف لنا الجاهل قال : قد فعلت (ص١١٩١) فإن التجربة تثبت أن العلم والمنصب إن سقطا فى أيدى من ليس بأهلها كانا وبالا على الناس ، تصبح آلة للفساد ، قلة الأصل هنا ليس المقصود بها المعنى الطبقى أو حصر العلم فى طبقة أبناء البيوتات حتى إن أثبتت التجربة أن العلم فى طبقة أبناء البيوتات عطاء وليس أخذا ، والمقصود بسوء الأصل هذا سوء الطوية وسوء الخلق وعدم الاهتمام بالناس وحقوق الناس ، والجبروت والطغيان ، ومن يتصف

بهذه الصفات ثم يوضع فى يده علم أو منصب بمثابة وضع السيف فى يد زنجى ثمل فلا عقل عنده ولا إدراك ومع ذلك فالقوة البهيمية عنده شديدة القوة .. وما الحل إذن إذا كان المنصب فى أيدى من ليس بأهل له ومن يظلم الناس ويسعى فى الأرض الفساد ؟ هنا يرى مولانا جلال الدين أن الجهاد مفروض على المسلم المؤمن فى هذه الحالة حتى يأخذ السيف (القوة أو السلطة) من يد المجنون وأخذ السلطة من مستغلها استغلالا سيئا ... وما علامة استغلال السلطة ؟؟ علامتها تلك الفضائح التى لايقوم بها مائة ملك متجبر ، ومن المفاسد ما لا يقوم به مائة وحش مفترس ... فإن السلطة هى التى تبدى عيوب كل جهول طاغية متجبر ، إذ أن جهله وطغيانه يظلان مخفيين ما لم يجد الآلة والوسيلة فإن وجد الآلة الوسيلة فقد ملأ الصحراء والوادى بالحيات والعقارب (أعوانه وشرطته وعسسه ومخبريه والمستفيدين منه والطغاة والصغار والجهال الصغار الذين يزينون له الشر) ، وعلامته أن لا يضع الأمور فى مواضعها ، فإما أن يبخل فى غير موضع أو يسخو فى غير موضع ، موازينه مختلة ، تقديره غائب ، يظنه جاها وهو بئر قد سقط فيه ، ولا هو يعلم السبيل فيعود ، بل تقوم روحه القبيحة بالقضاء على الأخضر واليابس ، وكيف يستطيع أن يبدى القمر (المثل والقيم الجميلة) وهو لم يره طوال حياته ؟ ثم يلقى مولانا بهذا الحكم الذى تردد عنده وعند كثير من الشعراء الإسلاميين ، عندما كانوا ينظرون إلى البون الشاسع بين قيم الإسلام من العدالة والمساواة وما كان الحكام فى عصورهم يرتكبونه من مخازى ومفاسد ، فيقول إن الحمقى هم الذين جلسوا على دست الحكم . أما العقلاء فقد أخفوا رؤوسهم تحت الأغطية . وقبله بقرنين قال ناصر خسرو إن الدجال قد جلس على منبر الحق فاجلس أنت صامتا تحت المنبر (ديوان ناصر خسرو ص ١٥٤) وبعده قال حافظ الشيرازى (أخفى الملاك وجوده والشيطان يبدى دلال الحسن ... وقد احترق العقل متسائلا أى عجب هذا ؟؟

(ديوان حافظ ص ٧٧) ومـن أجل القضاء على هذا الفساد كان بعث المصطفى – صلى الله عليه وسلم .

(١٤٥٢ – ١٤٨١) يبدأ الحديث عن دور المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وبعثته فى القضاء على الظلم والفساد والجهل .. وقد قلنا فى المقدمة إن العنصر الغالب على هذا الجزء هو توزيع الحديث حول التوحيد والدعوة والحرية .. والمزمل الملتف فى ثيابه حين مجئ الوحى خوفا منه لمهابته ، وروى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – تعرض لاستنكاف من ملأ قريش عن الإيمان برسالته قدموه بأقوال فأتى وتغطى بثياب ونزلت « يا أيها المزمل » (مولوى ٤ / ٢٠٢) والواقع أن السورة من السور التى نزلت للأمر بالجهر والدعوة ، وهو ما أشار إليه مولانا فى الشطرة الثانية من البيت أى كفاك هربا حذرا من أهل الرياء فإنك بالرغم منهم جميعا العقل لهذا العالم وأنت الشمع المنير لهذا العالم ، هيا قم الليل فالليل هو ليل الجهالة وقيامك بالليل هو بمثابة بث النور فى هذا الليل ، ولا بد من وجودك ليل نهار فحتى النهار بدونك ليل ، كما أن الأبطال دون عون قلبك يفقدون كل قواهم ، وأنت السفينة فى هذا البحر المواج فأنت نوح الثانى والقوم جميعا يكونون فى حاجة الى دليل « النبى والرسالة والمرشد فى الطريقة » خاصة فى البحار الهائجة بحار الجهالة وتفرق السبل والفترة ، هيا انهض يا رسول الله وانظر إلى القافلة البشرية قد قطع عليها الطريق ... وفى كل ناحية غول قد ارتدى ثياب المرشد ودبج النظريات والمعتقدات ووصف الطرق التى تقود كلها إلى النار وإلى الدمار ، انهض يا رسول الله فقدأخذوا ديننا وأخفوه عنا وشوهوه فى أنظارها وسلبونا أخص مقوماتنا ، ثم حقنونا بنفاياتهم ومشوه نظرياتهم ومردود أفكارهم ، وقادونا واستعبدونا وسلبوا عزتنا ، انهض يا رسول الله فأنت الخضر فى زماننا هذا ، أنت غوث كل سفينة تائهة .. أنت نبى الأمة وأنت قائد الجماعة لست نبى العزلة كعيسى .. فكيف

تكون معتزلا وأنت شمع هذه الأمة .. وكيف تكون مزملا والجماعة بك جماعة وبدونك غثاء كأنها السيل ، هيا انطلق إلى جماعتك فهذا ليس وقت العزلة فهيا يا عنقاء قاف الهدى واهد الناس .. هيا فمتى يكف القمر عن الطلوع من عواء الكلاب ... هيا فالناس جميعا عميان .. وأنت القائل أن « من قاد أعمى أربعين خطوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه » (انقروى ٣٠٨/٤) فهيا اسحب هؤلاء العمى قافلة بعد قافلة هيا أيها الهادى فإن هذا هو عمل الهادى ، هيا فأنت السرور عندما تعم الأحزان الدنيا آخر الزمان .. هيا يا إمام المتقين وحول أولئك الذين يحومون حول الظنون إلى اليقين ... هيا فإنا كفيناك المستهزئين وكل من يمكر بك أمكر به .. أزيده عمى وأزيده من ذلك السم الذى يتناوله وهو يحسبه سكرا وكيف لا ؟ والعقول إنما تفكر بإرادته وكل من يمكر إنما يستمد حيله كلها من حيل الله تعالى ، وكلها كمنزل من شعر من ذلك يقيم به التركمان أمام قوائم الفيلة المقاتلة ، فماذا يكون مصباح الكافر بك أمام إعصارى يا رسولى العظيم ، قم أيها الرسول العظيم بنفخ ذلك الصور المهول الذى أنفخه فى قلوب أتباعك بحولى وقوتى ، فيقوم الملايين من موتى الجهل من تراب العدم والمناصب الوافدة والغفلة وبيع النفس للكافر والاستضعاف والاستحمار والتخلف والضعف .. فإنك إسرافيل الوقت ، وأنت الذى تنفخ الصور فيبعث هؤلاء ويكون بعث قبل البعث وقيامة قبل القيامة .. وكل من يسألك أيها المحبوب : أين القيامة ومتى الساعة ؟ قل له ها أنا القيامة .. أليس موتى الروح والفهم يحيون من رسالتى ؟! انظر ألم تقم مئات العوالم من هذه القيامة ؟ ألم يعذب الكفرة ويثاب المؤمنون فوق هذه الأرض ؟ ألم تبدل الأرض غير الأرض ؟!.

(١٤٨٢ - ١٤٨٩) إن لم يكن ثمة سمع وإن لم يكن ثمة فهم وإن لم تستضاء القلوب بنور الله ، وإن لم يكن مخاطبك هو من أهل الذكر والقنوت والإيمان .. فأولى بك تسكت والخطاب هنا مزدوج : من الله سبحانه وتعالى

لنبيه المصطفى عليه الصلاة السلام ، ومن مولانا جلال الدين لنفسه أولى بك تسكت أيها النبى عن مخاطبة الكافر الذى طبع على قلبه وعلى سمعه وعلى بصره غشاوة ، أولى بك أن تسكت أيها المرشد عند مخاطبة هؤلاء القوم الملولين النيام .. فإن جواب الأحمق السكوت ... والسماء تسكت عندما لا يكون الدعاء مستجابا ، والمرشد يسكت أيضا عندما لا يكون المريد مستجيبا ثم يبدى مولانا أسفه وحسرته لقد آن أوان الجنى والمحصول .. لكن عمرنا لا يكفى لإدراكة أى وا أسفاه لقد أدركنا الرسالة ولم ندرك الرسول « قدمت حسرة على الفهم الصحيح » (أنظر ٣ / ٢١٠٠) والإحاطة بهذه الرسالة والعمل بما يقضى حقها لا يكفيه عمر كامل ، والوقت ضيق وعمر كامل لا يكفى لبيان هذا الكلام ، كما ينبغى ، ليس ضيق الوقت فحسب بل ضيق الأفهام أيضا ، إن الحديث عن الرسالة والرسول أشبه باللعب بالحراب فى طريق ضيق إنه يصيب اللاعبين بالضيق ، فإذا كان جواب الأحمق السكوت فما بالك تطيل فى هذا الكلام ؟ إن الأحمق هنا هو ذلك الذى يشك فى قيمة الرسالة .. ويشك فى قيمة الإرشاد ، لكن أمطار الرحمة تنزل على الأرض الصالحة والأرض البور .

(١٤٩٠ - ١٤٩٦) الحكاية هنا لم يجد فرزوانفر أصلا لها وهى أقرب إلى التمثيل بمعنى أن يلبس الشاعر معانيه أشخاصا .. فالعبد هنا قد يكون الجسد والملك والروح .. وعندما يكون الجسد ميت العقل حى الشهوة فإن لطافات الروح تقل ومهما يشكو العبد فإن الملك لايجيبه على أساس أن الجسد مهما يشكو من علل تحيق به من جراء فساده وحرصه فإن الروح لا تجيبه إلى هذا ، وهكذا فإن العبد لا يدقق فى خدمة السلطان ولا يقوم بما ينبغى له من الطاعات ، وكان ينغمس فى الفكر القبيح وهو يظنه حسنا ، وهكذا يأمر السلطان بأن يقللوا من كرايته وإن اعترض فاشطبوا اسمه تماما من ديوان الأرزاق - لكن ذلك العبد كان حرونا متمردا بطبيعته فلم يسأل من السبب فى تقليل رزقه ولو كان له

عقل لراجع نفسه ليرى أين يكمن خطؤه وذنبه ، وهكذا فلا بد أن يقوم كل إنسان عندما يصيبه شئ باستخدام عقله أولا ثم بعد ذلك يبحث عن العوامل الخارجية وهكذا الحمار مقيد القدم عندما يحرن تقيد كلتا قدميه ولا يدرى من حماريته أن هذا جزاء عصيانه ، وهكذا المذنب عموما كلما انغمس فى الذنب كلما ازداد شؤمه وإدباره وهو لا يدرى أن هذا من جزاء ارتكابه للذنب وعصيانه فهذا المملوك لفقدانه عقله وغلبة شهوته أقرب إلى البهيمية منه إلى الإنسانية .

(١٤٩٧ - ١٥٠٥) هذا التقسيم الذى يقيمه مولانا بناء على هذا الحديث يريد أن يصل به إلى الإنسان الكامل وهو عند كل الصوفية محمد صلى الله عليه وسلم - الذى يفضل كل الملائكة ،ونص على فضله على جبريل -عليه السلام-، مع ذلك أن الملائكة لا يعرفون بطبيعتهم إلا العبادة ، ولا محل للشهوة فى تركيبهم ، وعملهم هو التسبيح فلا حرص ولا هوى بل نور مطلق حى بالعشق الإلهى يتغذى به ويعيش عليه ، وفى المقابل خلق البهائم ومن يشبهها من البشر الذين يأكلون ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، وهم أشبه بالحيوانات لأنها لا ترى سوى الاصطبل والعلف أو على حد قول الإمام على كرم الله وجهه : «إن البهائم همها بطونها وإن السباع همها العدوان على غيرها » (فيض الإسلام ٤٥٧) ولا علم لها بالضر والشرف ولا بالشقاء والسعادة هم من أبناء اللحظة لا تهمهم إلا اللحظة التى يعيشون فيها ، هذا هو الحيوان ومن يشبهه من البشر ، ثم خلق الله صنفا ثالثا هم البشر وهو مخلوق من النقيضين : من أدنى عنصر الطين المخمر والحمأ المسنون وهو حيوان بجسده وأسمى عنصر وهو النفخة الإلهية وليس هذا الكلام بحديث نبوى إذ يستخدم مولانا كلمة الحديث واعتبره نيكلسون منقولا من أخلاق جلالى عن كلام سيدنا على وهو مذكور فى وسائل الشيعة نقلا عن جعفر الصادق - رضى الله عنه - وذكره الغزالى دون إسناد (استعلامى ٤/٢٧٣) .

وهكذا يعبر مولانا جلال الدين عن هذه الثنائية المتصارعة التى يعبر عنها كل الصوفية والتى تعد الميدان الحقيقى للتصوف بأن نصفه مَلاَك والنصف الآخر حمار فالنصف الحمارى منجذب إلى عنصره أى أصله إلى شهوات الجسد والنصف الملائكى منجذب أيضا إلى الملأ الأعلى أما الصنفان الآخران فمتوافقان تماما ومستريحان من هذا الصراع وهؤلاء البشر لكى يمتحنوا قسموا إلى ثلاثة أقسام . إنهم جميعا متساوون فى الشكل والصورة لكن متى كان حديثنا عن الشكل أو الصورة أو الظاهر ؟!

(١٥٠٦ – ١٥١٢) إن هؤلاء البشر مع أن أشكالهم وصورهم واحدة إلا أنهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام : وهذا التقسيم موجود فى القرآن الكريم «وكنتم أزواجا ثلاثة ، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون ، أولئك المقربون» وأيضا « منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » ، (سبزوارى٤/٢٩٢) والحديث الشريف فى العنوان روى أيضا عن على – رضى الله عنه – وعن عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت : الملائكة أفضل أم بنو آدم فقال قال على ابن أبى طالب – رضى الله عنه – إن الله ركب فى الملائكة عقلا بلا شهوة وركب فى بنى آدم كليهما فمن غلب عقله شهوته كان خيرا من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم (جعفرى ١٠ / ٢١٥) فنوع عاشق مستغرق فى عشقه فهو كعيسى عليه السلام قد انمحت عنه البشرية وأُلحق بالملائكة ، إنه حقيقة على هيئة الإنسان ، لكنه نجا من أسوأ ما فى الإنسان من حرص وهوى وغضب وجدال ، إنه حى بالعيان والمشاهدة ، لقد انتفت صفاته البشرية بالرياضة والزهد ، حتى صارت العبادة غذاء له كالملائكة .. أما النوع الثانى فهو على النقيض تماما من النوع الأول فقد ألحق بالأدنى ، أُلحق بالحيوان ، لأن الناحية الحيوانية قد تغلبت عليه فهو غضب محض وشهوة

مغلقة .. وهو لم يخلق هكذا بل كان فيه وصف الملائكة لكن هذا الوصف العظيم ضاق به وجوده الضيق ويستعير هنا صورة من سنائى الغزنوى عندما وصف رحيل عثمان – رضى الله عنه – بأن الرجل كان عظيما وكانت الدنيا ضيقة (حديقة بيت ٣٣٩٨) وهكذا فإن أوصاف الملائكة تغادر هذا الوجود الضيق الذى لا يتسع لها ، وأمثال هؤلاء موتى لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، وكل ما تبقى منهم جانب الحمارية «أولئك كالأنعام بل هم أضل» والروح التى لا تهتم به روح دنية وهذا الكلام حق يعرفه كل صوفى .

(١٥١٣ – ١٥١٩) إن الإنسان ليقوم لهذه الروح التى نفخت فيه بأكثر مما يقوم به الحيوان إنه يحتال ويقوم بكثير من الفنون فهو الذى يستطيع أن يقوم بكثير من الصناعات الدقيقة .. ومنها دقائق الهندسة والنجوم والطب والفلسفة والتكنولوجيا ، لكن كل هذا يقوم به من أجل عمران دنياه كل هذا يقوم به على هذه الصفة من الوجود ، ولعل مولانا قد أدرك بثاقب حسه والعلوم (لا تزال فى بدايتها) أن هذا العمران الدنيوى إنما يخرب جانبا من جوانب الإنسانية ، فهو لا نهاية له ، وهو فى نفس الوقت يعطى الإنسان كبرياء يدمر به الآخرين ثم لا يلبث أن يدمر نفسه ، لأن النهاية فى العمران الدنيوى الخراب «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت» ، ومن ثم فإن الحل فى الإسلام هو وصل الدارين – عندما يتم تكامل الإنسان ماديا على أن يصل هذا التكامل بالدار الآخرة يكون الغرض من الأموال الاكتفاء للجميع ، ومن العلم العمارة ومعرفة الخالق وإلا فإن علماء المسلمين كانوا يستطيعون أن يصلوا إلى ما وصل إليه العلم الحديث لولا أنهم لم يكونوا بالفعل بحاجة إليه فأى حاجة إلى المدفع إذا تم الفتح بالسيف ؟!!

(١٥٢٠ – ١٥٣٢) وغير هذه العلوم هناك علم آخر لا يغنى وجودها عن وجوده ،وبهذا العلم يفضل الإنسان ويتفوق على غيره من المخلوقات ، إنه العلم

الذى يصل بالإنسان مهما كان متكاملا وناضجا وحاويا لعلوم الدنيا بالملأ الأعلى وينجيه من التدحرج من فوق القمة إلى السفح ، وإلى المحاق بعد الاكتمال ، ويفتح أمامه الحياة الأبدية الخالدة ، فلا يفنى أبدا ، ذلكم هو علم معرفة الحق ومعرفة طريقه ، ومن ثم فقد جعل هذا التركيب الحيوانى مؤتلفا مع العلم ، وإلا كان الإنسان أضل من الأنعام فبهذا العلم يكون الإنسان فى يقظة ذاته ناجيا من الروح الحيوانية التى لا تعرف غير النوم « الحياة الدنيا على فحوى الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» ، وتلك الروح الحيوانية التى تجعل الناس يملكون أحاسيس معكوسة فيظنون النوم يقظة واليقظة نوما ، يفضلون الدنيا وهى خيال وحلم نائم على الآخرة التى هى دار البقاء وهى الحيوان لو كانوا يعلمون ، وعندما تأتى اليقظة يمضى النوم .. وعند ذاك تعلم أنك كنت فى نوم (انظر لشرح النوم الأول والنوم الثانى الكتاب الثالث شرح أبيات ١٧٣٥ - ١٧٣٩) وتقرأ فى لوح وجودك (قلبك) أنك كنت نائما وتنتفى عنك الغفلة إذا ظهر هذا الحس ظهر عكسه تماما ومن هنا فالإنسان حيوانى الحس يكون (أسفل سافلين) .. لقد خلق فى أحسن تقويم وجمعت فيه الحقائق اللاهوتية والدقائق الملكوتية ، كما قال نجم الدين ثم رددناه «أسفل سافلين» الطبيعة (المولوى ٤/ ٢١٣) . فكن كما كان الخليل رأس الموحدين فقال « لا أحب الآفلين » ، ودعك من الواهن العابر واختر المتين الثابت الباقى وحذار أن تخدع بالروح الحيوانية لأنها استطاعت أن تغير من أصل وجودك ، والحقيقة أن ضعفه هو الذى جعل الروح الحيوانية تنفذ إليه وتغيره وهى وإن كانت هكذا فى الحيوان ، فإن للحيوان عذره فى البهيمية فهى طبعه ، أما الإنسان فهو الذى لديه استعداد الرقى ، واستعداد الصراع ضد الطبيعة ، والطبع والحيوانية هما اللذان يقودانه بالفعل ، فإن كل ما يفعله يزيده غفلة وقربا من الحيوان ، بل إن أنواع العلاج تكون ذات نتائج عكسية تالية له . هذان هما النوعان الظاهران الواضحان من بين البشر من رقى إلى مرتبة الملائكية ومن

نزول إلى مرتبة الحيوانية ثم يبقى قسم ثالث هو فى صراع دائم بين النفس وبين العقل ليل نهار فى صراع .. هذا الصنف هو الميدان الرئيسى للعرفان هذه الجدلية الموجودة فى الإنسان المخلوق من الحمأ المسنون والنفخة الإلهية من الطين الذى ركب فيه عقل ينأى به عن ذلك الطين .

(١٥٣٣ - ١٥٤٣) لم ترد هذه القصة فى أخبار المجنون والبيت ورد فى كتاب «النوادر» لأبى على القالى فى قصيدة لعروة بن حزام (مآخذ ٤/١٣٩) كما روى مولانا نفس الحكاية فى كتابه (فيه ما فيه) فميل المجنون للحرة أى ليلى أما الناقة فقد تركت فصيلها وميلها إليه ، فتنازع العقل والنفس كتنازع المجنون والناقة ، فالعاقل يريد أن يتقدم أما النفس فتريد أن تعود القهقرى ، ولو غفل المجنون (العقل) عن نفسه لحظة واحدة لانطلقت الناقة (النفس) إلى الوراء ، لكن عشق ليلى كان قد ملأ على المجنون كل وجوده ولم يكن هناك بد من أن يغيب عن نفسه قليلا .. إن العقل هو الرقيب الذى يكبح جماح النفس ، لكن عقل المجنون فى يد ليلى ، أما الناقة فقد كانت فتية سريعة ، فأحست بأن زمامها مفلوت فأخذت ترجع القهقرى على الفور ، وهكذا عندما تسيطر النفس فإنها تأخذ المرء معها إلى الهاوية ، وعندما يفيق العقل يجد أنه قد تقهقر فى الطريق وهكذا فإن الطريق الذى يمكن للعقل أن يقطعه فى أيام ثلاثة يظل مترددا فيه لسنوات وهكذا يقول المجنون ، كلانا عاشق أيتها الناقة لكن عشقى مضاد لعشقك ولما كنا ضدين فليس زمامك وفق هواى فاللائق هنا ترك الصحبة واختيار الفراق .

(١٥٤٤ - ١٥٥١) وهكذا فالعقل والنفس كالمجنون والناقة ، كلاهما قاطع لطريق صاحبه ، وكذلك الروح والجسد ، فالروح من هجرانها للعرش وهو موطنها فى فاقة (انظر الكتاب الأول شرح الأبيات العشرة الأولى) وفى مواضع أخرى شبّه مولانا الجسد الإنسانى بأنه الناقة التى ترعى الشوك (انظر

الكتاب الأول الأبيات ١٩٦٦ - ١٩٧١) وانظر شرح مثنوى شريف لفروزانفز الجزء الثالث من الدفتر الأول انتشارات دانشكاه تهران ١٣٤٨ ص ٨٠٩ - ٨١٠) - فى حنين دائم وفقر وفاقة واحتياج .. والجسد مطمئن إلى أجمة الشوك يرعى فيها كما تفعل الناقة ، والروح تخفق بأجنحتها إلى الملأ الأعلى ، بينما يتشبث الجسد بأظافره فى الأرض .. وكأنه يخاطب الروح قائلا : ما دمت معى يا غريبا عن وطنك .. فأنت ذليل ومبعد يا حبيبى ، وهكذا يمضى العمر على مثل هذه الأحوال ما دام الصراع لم يحسم ، وكأنه التيه وقوم موسى ، والطريق إلى الوصال كله خطوتان أقرب من حبل الوريد لكنه من مكرك أيتها النفس بقيت ستين سنة ، إن الطريق قريب لكنى تأخرت .. ومللت .. وأصابنى الإنهاك والتعب من الروابى على مركب البدن الذى هو يعود بى القهقرى كناقة المجنون ولا يوصلنى إلى منزل المحبوب .

(١٥٥١ - ١٥٥٥) وهكذا عندما توصل المجنون (العقل - السالك - الصوفى) إلى هذا المعنى ألقى بنفسه من فوق الناقة .. وانظر إلى تعبير (ألقى بنفسه) أى لم يفكر ولم ينزل بتؤده ، ولم يجعلها تنزله ويهبط بل حزم أمره وألقى بنفسه .. قرر ونفذ) قائلا : حتام الاحتراق فى حزن التردد والتأخر عن المحبوب ، وهكذا فقد ضاقت الصحراء الواسعة بالمجنون وعشقه فألقى بنفسه فى أرض ذات أحجار فانكسرت قدمه .. هكذا تتوالى البلايا على المجنون دالة على صدق عشقه (فالعاشق مبتلى) وهكذا يربط قدمه .. لم يعد يستطيع السير فليتدحرج فى سبيل ثنيات شعرها الذى يشبه الصولجان كأنه الكرة .

(١٥٥٦ - ١٥٦١) ومن هنا فإن مولانا سنائى يعيب على ذلك الذى يظل ممتطيا مركب البدن ، ويبدو عن هذا عند الحكيم فى قوله : إنه لانعدام همة عجيب ألا يخرج المرء عن الروح وإنه لفارس بلا اقبال ذلك الذى لا ينزل عن الجسد (ديوان٤٨٥) لقد فعل المجنون ذلك من أجل ليلى ومتى يكون عشق

المولى أقل من عشق ليلى ؟! متى تكون الحقيقة أقل من المجاز ؟! فأولى بك يا عاشقا أن تصير كرة متدحرجة فى ثنايات صولجان العشق .. فإنك إن نويت هذا السفر فلن تكون فى حاجة إلى مركب ، نحن فى حاجة إلى مركب الجسد طالما كنا فى سفر الدنيا .. أما سفر العشق عندما تتخلف من مركب الجسد فهناك الوسيلة وهى الجذب الإلهى الذى يجذبك إليه فجذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين» (ليس حديثا نبويا وورد فى أحياء علوم الدين دون نسبة إلى أحد ونسبه عبد الرحمن الجامى إلى أبى القاسم النصرأبادى) (استعلامى ٢٧٧/٤) — جذبا خفيفا رفيقا فلا تحس بمشقة الرحلة بشكل لا يمكن أن يوصف .. فلا يمكن أن يصفه جن أو أنس .. وليس ميسرا لكل إنسان ولا يستطيع أن يصل إلى استحقاقها عامى — فهى لخواص الخواص لقد وصفها فضل أحمد .. وهى الجذبة الأحمدية منحت لقطب الأقطاب ولا تتيسر إلا بالموت الإرادى فصاحبه يسير بالله فى الله على الله (مولوى ٢٤٨/٤) .

(١٥٦٢ – ١٥٧٧) عودة إلى قصة الغلام الذى انقص أجره (أو العبد الذى قدر عليه رزقه) والتى بدأت بالبيت (١٤٩٠) إن العبد الذى أنقص الملك أجره لم يتصرف كعبد أمام المليك بل ترك التسليم ، ولم يتأدب فى الطلب ، بل ظن نفسه صاحب حق ، وكتب للملك رقعة مليئة بالإنكار والكراهية ، أما كان أولى أن ينظر فى هذا الخطاب قبل أن يرسله إلى الملك .. هل هو جدير بأن يرسل إلى الملك أو لا ؟! وهكذا أنت أيها الإنسان ، انظر هذا الخطاب المسمى جسدك إن كان جديراً بالمليك فقدمه إليه — هيا تنح بنفسك جانبا واجمع نفسك ، وطالع صحيفة بدنك ، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب ، وراقب أعمالك هل هى لائقة بأن تقدم إلى السلطان أولا تقدم ، فإن لم تكن لائقة ، عليك أن تقوم بتمزيقها ، عليك أن تصلح صور أعمالك ، وأن تفتح صفحة جديدة لكن إياك أن تظن أن هذا الأمر سهل هين ، وإلا لكان الاطلاع على القلب ودونه فناء الجسد والطبائع — أمر هين

بالنسبة لأى إنسان ، إن الاطلاع على صحيفة البدن أمر صعب إنه عمل الرجال أولئك الرجال الذين يستطيعون مواجهة النفس ، تتبع الأمراض التى تقع فى وجودهم من أثره وأنانية وكبر وغرور وحسد ، كم من الناس يستطيع أن يخلو بنفسه ، ويطالعها بعد أن يجردها من كل هذا الزيف الذى يعلوها والذى يواجه به الناس .. هل تستطيع أن تتحمل مشاهدة ما فيها من مثالب وقبح ؟! من منا يستطيع مثلا قبل أن ينام – أن يخلع عن نفسه وجهه المستعار .. وأن يكون نافذا نظره ليدخل إلى أغوار النفس السحيقة فيطلع على ما فيها من وحوش كامنة تنتظر الفرصة للانقضاض ؟! .. لا .. إننا جائعون قانعون بفهرس هذا الكتاب المبين الذى بأحرفه يظهر المضمر ، قنعنا بالقشور ولم نصل إلى اللباب ، ما هذا الفهرس ؟ هو الإقرار باللسان .. وما الإيمان إلا ما وقر فى القلب وصدقه العمل .. فهيا طالع قلبك وافهم ما وقر فيه .. هل هو بالفعل موافق لاقرارك ؟! . هل أنت مسلم ؟! هل سلم الناس من لسانك ويدك ؟! هل أنت موحد .. ألا تعترف بجبار فى الأرض فتكون قد سقطت فى الشرك ؟! هل يوافق قلبك لسانك أو تكون قد سقطت فى شراك النفاق ؟! إنك تحمل جوالا ثقيلا مليئا بكل عطايا الإله لك .. إنه لن يقل إذا ألقيت إليه نظرة قبل أن تقدمه إلى السلطان انظر إليه أولا .. فإذا كان لائقا احمله .. وإلا فاجعله خاليا فى البداية من كل ما ليس له قيمة .. وخلص نفسك من العار .. وضع فى جوالك ما هو لا ئق حتى لا تفتضح ولا تشعر بالخزى يوم أن يعرض ما يحمله الناس إلى رب العالمين .

(١٥٧٨ – ١٥٨٩) الحكاية هنا لم يذكر لها فروزانفر أصلا وهو تمثل وقفة من وقفات مولانا جلال الدين لكى يقدم فكاهة أو طريفة توافق مقتضى الحال .. وفى نفس الوقت يعطى نماذج شخصيته من مجتمعه ، فها هو الفقيه المسكين يرى كبر العمامة يوحى بكثرة العلم (وكثيرون هم فى عصرنا الحالى من أشباه الأساتذة يرون أن وجاهة الحلة والمظهر اللامع أجدى من الجد فى العلم .. وهم أسرع فى الوصول إلى المناصب والجاه لأنهم يتعاملون فى زمن يرى أن هذه هى

قيمته الوحيدة ، ويكتب فى إعلانات طلب الوظائف حسن المظهر) .. هذه العمامة العظيمة الفخمة الضخمة مكونة من خرق مهلهلة (أو هذا العلم الظاهرى الذى يرمز إليه الفقيه مكون من معلومات قد قمشت من هنا وهناك) وظاهر هذه العمامة كأنه حلة من الجنة (ظاهر هذا الفقيه يوحى بأنه عالم فذ) لكن باطنها خلِق كالمنافق تماما ظاهرة مزدان وباطنه قبيح .. وها هو أحد خاطفى العمائم ينتظره فى مكمن وهو فى طريقه إلى المدرسة .. إن فضيحة هؤلاء المتظاهرين كثيرا ما يجعلها الله تعالى على أيدى أهون خلقه ، وما أفظعها رذيلة الإدعاء . فها هو يخطف العمامة من فوق رأسه ويقع نفسه فى الفخ ، لقد ظن أنه قد سقط على كنز ثمين ولا يدرى أنه قد سقط على كومة من القمامة تماما مثل أولئك الذين يغترون بمظاهر بعض مدعى العلم ، فيطلبون العلم عليهم وهم أحوج الناس إلى التعليم ، .. وها هو الفقيه يناديه بعبارة صارت مثلا ، افتح العمامة ثم احملها إذا أردت أن تظفر بشىء فتأكد أولا بأى شىء ظفرت ، لا بالخرق البالية وبالقمامة .. وكل ما بقى فى يده من تلك العمامة العظيمة الكبيرة الفخمة ذراع من القماش القديم البالى .. وهكذا كل من يغتر فى هؤلاء العلماء الذين يهتمون بالظاهر .. كل ما يظفرون به لفافة خرق بالية لا تنفع ولا تجدى وهكذا أيضا كل من يغترون بظاهر الدنيا ويسرعون فى أثرها .

(١٥٩٣ – ١٦٠٩) ها هى الدنيا بالرغم من أنها مزدانة خلابة إلا أنها كالفقيه إياه تحدثك عن عدم وفنائها هى من شقين كون وفساد .. والمراد مطلق الوجود ، الوجود والعدم فى عالم الحركة فالبقاء والثبات لواجب الوجود وهو الله تعالى أما العالم الطبيعى فهو متجدد (بين الوجود والعدم) آنا بعد آن (سبزوارى ٤/٢٩٤) غير أن مولانا يرى أن كونها وفسادها حادثان معا جنبا إلى جنب ، فما من كون إلا ويتبعه فساد ثم كون .. وهكذا دواليك ، فالدنيا تتحدث إليك بلسانين : كون يقول لك هلمَّ إلىَّ إننى مبارك الخطى محمود العاقبة .. لكن الفساد

سرعان ما يجيب : إليك عنى فأنا لاشىء .. فما من وجود إلا ويتبعه عدم .. ما من ربيع بهى إلا ويعقبه خريف كئيب .. ما من شمس ساطعة إلا ويعقبها غروب .. وما من بدر إلا ويعقبه محاق هذه هى سنة الله فى خلقه إن الطفل الجميل ينقلب إلى شيخ مخرف ، كان هذا الغلام الجميل الفاتن سالبا للب ، انظر إليه فى شيخوخته كأنه حقل قطن من شيبه .. فلو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسبيه لم يسبه (أبو العلاء المعرى) .. كل مافى الكون إلى فساد وفكر معى وإلام يتحول ذلك الطعام الذى كنت تتناوله باشتهاء شديد على المائدة .. كانت هذه اللذة والشهية البادية عليها فما لك .. ما من شىء من طيبات هذه الحياة الدنيا إلا ويلحقه الفساد ... انظر إلى هذا الأستاذ الماهر فى صنعته ألا ترتعش أنامله فيما بعد فلا يحسن الإمساك بشىء .. وانظر إلى هذه العين الحسناء الفاتنة ألا تصاب بالعمش وينزف منها الماء .. وانظر إلى ذلك البطل الهمام الذى يشق الصفوف ألا يخاف من فأر فى شيخوخته ، انظر إلى الدنيا بهذين المنظارين لطفها البادى ثم فسادها الحتمى .

(١٦١٠ – ١٦٢١) إذا كانت الدنيا تبدى لك كل هذا ، وإذا كنت تشاهده وتلمسه .. فلا تقل إذن ولقد خدعتنى الدنيا بمكرها قال على – رضى الله عنه – : وقد سمع رجلا يذم الدنيا : أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها المخدوع بأباطيلها ، أتغتر بالدنيا ثم تذمها ؟ أأنت المتجرم عليها أم هى المتجرمة عليك ؟! أمتى استهوتك ؟! أم متى غرتك ؟ أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟! كم عدلت بكفيك وكم مرضت بيديك ؟ وكم مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ، إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود عنها وداز موعظة لمن اتعظ بها» (جعفرى ٢٤٣/١٠) فالآن وقد أخبرتك وبينت لك : انظر إلى ظاهر الدنيا بعين البصر وإلى حقيقتها بعين البصيرة : انظر إلى أطواقها الذهبية وخمائلها وسلاسلها الذهبية ، (زينة

الرؤساء والملوك) كيف تنقلب فى النهاية إلى أغلال فى الأعناق (وأحيانا فى الدنيا أيضا) وقس على هذا فليس هناك أحب إلى قلب ابن آدم من الجاه ، والجاه قتَّال حتى فى الدنيا نفسها ، قس على هذا ما هو أقل من هذا بكثير انظر إلى العواقب ، ولا تنظر إلى المعلف ، انظر بعينك حتى لا تكون أعور كإبليس ، فمن عوره نظر إلى آدم على أنه من طين فحسب ولم ينظر إلى الجانب الروحى فيه ، ولقد فضل الرجل على المرأة لأنه أكثر تقديرا للعواقب ، وليس بقوته ولا بشجاعته ، وإلا فمن الحيوانات من أشجع منه وأقوى .

(١٦٢٢ - ١٦٤٠) هيا واحزم أمرك وتدبر العواقب فأنت بين اختيارين ، والدنيا تناديك بصوتين متضادين تماما ، أحد الصوتين نشور الأتقياء والآخر خداع للأشقياء ، هى تقول إننى ورد على غصن شوك سرعان ما يسقط الورد ويبقى الشوك .. الزهر يصيح ها هنا بائع الورد والشوك يصيح حذار منا وإليك عنا .. وإن قبلت جانبا فعليك أن تفقد الأمل فى الجانب الآخر .. فسوف تصم وتعمى عما سوى ما ملت إليه .. هذا صوت يصيح ها أنا ذا حاضر لك هيت لك .. ، وصوت آخر يقول : بل انظر إلى عاقبة هذا الجمال والفتنة فها هو إلا مكر وكمين منصوب لك فانظر إلى عاقبة هذا الجمال ، وما أسعده ذلك الذى حزم أمره من البداية .. وسمع أقوال الرجال الذى قالوا : يادنيا غرى غيرى ، لقد أدرك من النهاية أن المكان خال فانتحى جانبا ورأى سوى كل ما اختار اعوجاجا يبدو فى ثوب حسن وقشيب ، وخير ما فعل من البداية ، فإنك إن استخدمت الآنية الجديدة من البداية فى البول فلن تستطيع مياه الأرض بعدها أن تطهرها فلقد تمكن البول من أصلها وهكذا كل من يجعل الدنيا همه من البداية يكون من الصعب بل من المستحيل أن يقلع عنها فكل شىء فى الدنيا يجذب الصالح له الموافق له : الكفر يجذب الكافر والرشد يجذب الرشيد وكم هناك من شهوات فى الدنيا ، الخير نفسه شهوة بالنسبة لمن لديه استعداد للخير ، والأشياء التى

تجذب مختلفة الحديد يجذبه المغناطيس والقش يجذبه الكهرمان ، وما لا ينجذب إلى الأخيار يكون انجذابه إلى الفجار ، تماما من لم ينجذب لفرعون ويخدع به إنجذب إلى موسى واستجاب إليه ، وإذا عميت عليك معرفة أحد .. فانظر من اتخذ إماما فى حياته فبإمامه وقدوته يعرف .

(١٦٤١ - ١٦٤٩) ما ورد فى العنوان : أبيت عند ربى حديث نبوى وبقيته يطعمنى ويسقينى (انظر ١/ ٣٨٤٠) وفى الدفتر الخامس شرح آخر للحديث : إن كل إنسان يجذب إليه كل من هو من جنسه ألست ترى مهر كل حيوان يسرع فى أثره ، إن تجانسه يبدو من هذه المتابعة ، وانظر إن وليد الإنسان يرضع من الصدر والصدر هو الطرف الأعلى فى الإنسان ، بينما وليد الحيوان يرضع من الطرف السفلى لأمه فلم يكرم بالروح ولم يكرم بالاختيار والقسمة عادلة فلا ظلم هناك ولا جور .. بل أنت مختار حر الإرادة فإن كان ثمة جبر فمتى كنت تندم على فعلك القبيح ما دام الله قد قدره عليك ؟! وكيف يكون ثمة ظلم تعالى الله عن الظلم علواً كبيرا وهو خالقك وحافظك .. ها هو اليوم يقترب من نهايته لتكن بقية الدرس فى الغد .. أى يوم وأى غد ؟! وهل يمكن للأيام أن تستوعب سرنا ؟! هل يمكن للأسرار أن تنتقل فى الأصل عبر الدروس ؟ هنا يحل ضيق بمولانا فيقف شاكا فى قيمة ما يعمل .. بل شاكا فى اخلاصه نفسه .. ويخاطب نفسه أو أحدا آخر : حذار أن تكون واثقا مطمئنا إلى ما فعلت فليست النجاة بالعمل بل بالتوفيق الربانى وليس كل من عمل كثيرا رزق كثيرا بل الرزق مقسوم فكيف تثق وتطمئن إلى حديث سقته رياء ونفاقا .. لعلك بالغت فيه لكنه مثل حباب الماء سرعان ما يزول وينفجر وليست بذات قيمة لكنها واهية أمتلأت نورا لكنه كنور البرق لاثبات له ولا دوام ، ولا يستطيع السالكون السير فى ضوء هذا البرق .

(١٦٥٠ - ١٦٦٩) لا يزال مولانا فى نفس «القبض» الذى سيطر عليه فهو قد فقد الأمل فى هذه الدنيا وأهلها ، واعتراه القنوط من أن يرى منهم خيرا أو

يدفع عن نفسه منهم شرا : فهذه الدنيا لا نفع فيها لا هى ولا أهلها .. هم مثلها تماما لا وفاء لهم وابن الدنيا تماما مثل أمه لا وفاء عنده .. أما أهل ذلك العالم من الأولياء والأنبياء فهم محافظون على عهدهم وميثاقهم إلى الأبد ، ولذلك فهم فى توحد ووحدة فهل سمعت أن نبيين تشاجرا معا ؟! هل سمعت أن نبيا سرق معجزة من نبى آخر ؟! وهذه الفكرة مأخوذة من شمس الدين التبريزى (مقالات ٣٥٦) . إن ثمارهم من العالم الآخر ولذلك لا يطرأ عليها فساد بل هى نضرة دائما ، سرورهم دائم وسعادتهم مستمرة لأنها سعادة نابعة من العقل .. وشتان ما بين هذا السرور وبين السرور الذى نتج عن اشباع شهوات النفس ، فالنفس لا عهد لها ومن ثم وجب قتلها إنها دنية وقبلتها الدنايا من شهوة وفسق ومعصية وكبر وتفاخر وغرور وهوى وهوس ومن ثم فهذا المحفل أى محفل الدنيا لائق بالنفوس .. كما يليق القبر أو الكفن بالميت والنفس وإن كانت ذكية عالمة بالدقائق أى إن كان أربابها أذكياء مدققون عالمون بالدقائق فى صدر كل مجلس وقبلتها الدنايا فاعتبرها ميتة لكن هناك أمل فى أن تحيا تلك النفوس الميتة إذا صب عليها ماء وحى الحق ، إن الإيمان والمعرفة اللدنية الإلهية منهما تكون الحياة الخالدة ، والصيت الذى لا يعقبه خمول ، وشعاع شمس الحقيقة التى لا يعقبها أفول .. وهى شمس الإرشاد ، ودعك من تلك الفنون الدقيقة والجدل والنقل وعلوم الدنيا إنها بناء فرعون ألم يبن فرعون صرحا على الطين ؟! ألم يكن فى قصر تجرى من تحته الأنهار ؟! ألم يأخذ من زينة الدنيا ؟! وهل يمكن لأحد أن يكون له ما كان لفرعون من زينة ومن جاه وسلطان لكن الأجل فى انتظارها كأنه ماء النيل الذى تحول إلى دم ، إن هذه المعارف الدنيوية بأبهتها وقعقعتها وكبكبتها وسحرها بالرغم من أنها تجذب إليها الخلق أشبه بحيات سحرة فرعون ، إنها تسحر العيون فحسب لا تتجاوز الإبهار البصرى إلى العقول والأفهام والقلوب ، والموت بالنسبة لها كحية موسى يبتلعها جميعا ، لقد

ابتلعت حية موسى كل السحر كعالم ملىء بالظلمة ابتلعه نور الصبح والنور الذى إبتلع ذلك الظلام لم يزدد به بل ظل على حاله الذى كان عليه ، من قبل ذلك نور الله الذى يسطع على الخلائق لا تزداد به ذاته الشريفة فالزيادة فى الأمر وليست فى الذات ومتى وجدت الموجودات بإيجاده كان كل شىء هالكا إلا وجهه كل فان فان فى الأزل وهى باقية لم تزل ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم - كان الله ولم يكن معه شىءوقال الجنيد قدس الله سره : الآن كما كان وقال عبد الرحمن الجامى : كان منجم الحسن ذاك ولم يكن ثم علامة عن الكون ، الآن أن عرفت ما عليه كان (انقروى ٣٦٢/٤ - ٣٦٣) فلا زيادة فى ذاته من أخذ ولا نقص فيها من عطاء وهناك بلا شك فرق بين زيادة الأثر وزيادة الذات ، وزيادة الأثر اظهاره تعالى للأثر حتى تظهر صفاته الكاملة وقدرته الشاملة وغرائب صنعته الثابتة.. والزيادة فى الذات تدل على إنها حادثة وعليلة بالعلل ، وكما كان فى غيب ذاته موصوفا بالكمال والغنى فهو بعد ايجاد الخلق منزه عن أوصاف الحوادث وغنى عن العالمين فالوجود لله تعالى حقيقة ولما عداه عارية كما قال فى حديث القدس : «خلقت الخلق كى يربحوا على لا أن أربح عليهم» (انقروى ٣٦٤/٤) .

(١٦٧٠ - ١٦٧٦) ها هو موسى عليه السلام بالرغم من تمكينه ونبوته وثبات إيمانه ووفرة نصيبه من النور الإلهى ، يعتريه الخوف عندما يرى سحر السحرة قد اختطفت أبصار القوم وألبابهم ، وقيل بل خاف موسى لأن سحرهم من جنس معجزته فخاف أن يلتبس الأمر على الناس فلا يؤمنوا به - وقال نجم الدين كبرى يشير إلى أن البشرية منه مأخوذة الحيلة الانسانية وكونه نبيا إلى أن ينزع الله الخوف منه ، (مولوى ٢٢٣/٤) . ويطمئن الحق موسى عليه السلام إنه سوف يخلق التمييز فى الخلق ، فالتمييز هبة من الله وعطية من عطاياه فلو أنهم بدوا فى أنظارك بحرا مرغيا مزبدا فإنك أنت الأعلى « فالقوا حبالهم

وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون » (الشعراء : ٤٤) « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم .. وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق ، وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون » (الأعراف : ١١٦ – ١٢٢) لقد أرسل الله سبحانه إليهم معجزة من جنس ما كانوا يفخرون به كان فخرهم السحر فأرسل إليهم عصا أبطلت سحرهم ، وهكذا يكون المحك دائما من جنس الفخر ، فكل حى ادعى الملاحة والجمال فالموت فى انتظاره ، المحك إذن فى انتظار تمييز الذهب النضار رجل الحق من المزيف المدعى وبخاصة عند أولئك الذين يكشف لهم بعض الكشف فيغترون ويمتحنون ببعض الكرامات فيضلون ويدعون الارشاد وكل شىء يمضى ولا يتبقى إلا الاسم : مضى السحر إلى حال سبيله كما مضت المعجزة ، وانعدم الكل ولم يبق إلا الاسم ولم يبق من السحر إلا اللعنة ومن الدين إلا الرقعة .

(١٦٧٧ – ١٦٩٤) وإذا كان المحك قد اختفى ، انتهت النبوة ولم يبق إلا المعاد محكا بالنسبة للرجال والنساء ، فهلم أيها الزيف هذا عصرك وأوانك فهيا تعال هنا وتنفج وتحدث بما ليس فيك ، فإن الأيدى سوف تتناوبك والناس سوف يلتفون حولك ، مادام المحك (الموت) ليس موجودا ، وها هو الزيف يجادل الذهب قائلا له متى كنت أيها الذهب أقل منك ، لكن الذهب يرد عليه قائلا قد يكون هذا فى الظاهر أيها الرفيق لكن الموت آت لا محالة فكن منتظرا له «والموت هو هدية المؤمن» أليس من بعده يكون الفصل بينه وبين المنافق والموت تحفة المؤمن وريحانة المؤمن فهل ينقص الذهب الخالص من المقراض ؟ أو لو أدرك الزيف العاقبة لنجا من السواد فى الآخرة ولنجا من النفاق ومن الغثاء ولطلب كيمياء من فضل الله عند الأولياء والمرشدين الذين يبدلون المنافق الشقى إلى مؤمن

وسعيد كما تبدل الكيمياء المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة ، ويغلب عقله وقلبه على نفاقه واحتياله ولتنازل عن كبريائه ولجأ إلى رب المنكسرين عبداً مسكينا ، إذن لجبر انكساره ولربطه على الفور برباط المنكسرين ونجاه من كبره ومن شقوته . لقد ساق الفضل الإلهى أولئك الكفار الذين يشبهون النحاس إلى الأكسير .. نعم لقد اعترفوا بأنهم كفار ، اعترف بعجزك أمام الله وبعبوديتك واحتياجك يهديك ، أما إذا كنت هكذا محتاجا متكبرا وكافرا منافقا متظاهرا بالإيمان تماما كالزيف المطلى بطلاء الذهب ، فسوف تظل محروما ، وإياك أيها الزيف من الدعوى فسرعان ما يفيق طالبوك والمتحلقون حولك فيرون زيفك ، إن ذلك الضياء الساطع الذى سيضيء عرصات المحشر سوف يفتح عيونهم وسوف يفتضح آنذاك كيف وضعت الكمائم على عيونهم ، وكيف خدعتهم وانظر آنذاك لأولئك الذين رعوا العاقبة كيف أصبحوا حسرة على الأرواح وحسدا للعيون .. وانظر أيها الزيف إلى أولئك الذين اهتموا بالحال وكيف أبعدوا رؤسهم الفاسدة عن أصل السر والوطن الحقيقى وهجروا عالم المعنى كلية .. إن ذلك الذى يتعلق بالحاضر ويتعلق بالحال ولا يرى وجودا سوى وجود الدنيا وهو فى جهل وشك يتساوى عنده الصبح الصادق (المرشد الحقيقى) مع الصبح الكاذب (المرشد المزور أو المزيف) وكم أهلك الصبح الكاذب من قوافل سارت على نوره المزيف فلم تلبث أن وجدت نفسها فى الظلام الدامس وابتلعتها تلك الصحارى من الضلال ، وما من حال حاضر إلا وهو ماض فى الضلالة أن نظرت إلى صورته ولم تدرك سره ، وهو جدير حقا بالأسف والحسره ذلك الإنسان الذى لا محك له ولا مقراض معه يستطيع بهما أن يختبر المعدن الذى يعرض عليه فيرى إن كان ذهبا خالصا أو كأسا مطليا بالذهب ، ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذباب (انقروى ٣٦٩/٤) .

(١٦٩٥ - ١٧٠٦) إن مثال الزيف والمعدن الرخيص الذى ادعى أنه معدن نفيس هو مسيلمة الكذاب الذى سمى نفسه أحمد مدعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه محمد فحسب وإن أحمد رسول نص عليه فى القرآن ، ويسمى برحمن اليمامة ، وقتل بحرية وحشى قاتل حمزه !! الذى قال هذه بهذه (انظر تاريخ الطبرى جـ٣ ص والامامة والسياسة لابن قتيبة جـ ١) هذا المدعى ادعى أنه سوف يقضى على دين محمد .. فهيا قل لأبى مسيلمة الكذاب ولكل كذاب كفاك بطرا وجحودا ودعك من النظر إلى الدنيا وانظر إلى اللعنة التى سوف تصيبك فى النهاية ، ولا تكن مرشدا للخلق وكل هدفك هو جمع المال وكن تابعا لشمع الدين لكى ينير لك الطريق ويخلصك من النفاق والكفر ويريك مقصدك كأنه القمر وترى أن كان فى القمر نفع أو فى هذا المصباح وهو الذى تستطيع أن تميز به بين الصقر (المرشد الحقيقى) لأنه قادر على إجتياز العقبات ولأنه فى كف المليك ولأنه فى حاد البصر ، - وتوصف روح الصوفى أو السالك أيضا بأنها كالصقر بينما وصف ابن سينا (الفيلسوف) الروح بأنها حمامة - وبين الزاغ (أى الشيخ المزور الكذاب) وإن قلت أنك تستطيع أن تميز بينهما ، وأن الفرق بينهما بين واضح وليس فى حاجة إلى المرشد ، أقول لك وإن طيور الزاغ أو الغربان تعلمت تقليد أصوات الطيور البيضاء أى الصقور البيضاء وهى أغلى أنواع الصقور ، أى إن أولئك الذين يدعون الإرشاد يقلدون حركات المرشدين ، وسكناتهم دون أن يكون لهم بواطنهم وعلمهم وإن تعلم أحد صوت الهدهد ، (أى أرباب العلم والمعرفة) فقل له أين سر الهدهد وأين الرسالة التى جاء بها من سبأ .. نعم فأن لكل ظاهر باطنا يستتبعه ، والمنافق المدعى فحسب هو الذى يقف عند الظاهر والطيور كلها تغرد لكن فرقا شاسعا بين تغريد طائر محلق فى أجواز الفضاء وتغريد طائر حبيس فى ركن من قفص ، أعلم هذا الفرق البين بين من لا تقف أمام أحاديثه حواجز والكون كله مفتوح أمامه وبين قانع بالمظهر لكن

باطنه بلقع لا تجرى على لسانه حكمة الشيخ .. وميز بين تاج الهدهد وتاج الملك وإن كان كلاهما تاجا – إن أولئك الذين حرموا نعمة الحياء (وهو من الإيمان) أخذوا يتحدثون بأطراف ألسنتهم دون قلوبهم (وقلوبهم خاوية) بأحاديث المرشدين والعارفين وما كان هلاك الأمم إلا من اتباعهم لأمثال هؤلاء ، لقد ظنوا إن الصندل عود هذا بالرغم من أن تلك الأمم كانت تستطيع التمييز وكان لديها نفس المقاييس لكن الحرص والهوى يصمان ، حبك الشىء يعمى ويصم ، إن الأعمى ليس مبعدا عن رحمة الله ، بل أن الله سبحانه وتعالى يضع الرحمة فى قلوب عباده بالنسبة له ويشفقون عليه لكن أعمى الحرص وأعمى الهوى وأعمى الغرض ليس معذورا ، وإن الذى يصلبه الملك ليس بعيدا عن الرحمة أيضا لكن الذى يصلبه الحسد أى يكون مبتلى بالحسد فيكون كالمصلوب الذى ينظر إلى موضع واحد وأفق نظره محدود تماما يكون فى عناء وبلاء من حسده لكنه لايستطيع أن ينجو منه لأنه مرض بلا دواء والعياذ بالله .

(١٧٠٧ – ١٧١٦) انظرى ياسمكة فى بحر الحياة المتلاطم إلى الشص ، وقاومى ، فإن شهوة الحلق قد أغلقت عين العاقبة عندك .. هيا انظر بعينيك الاثنتين إلى البداية والنهاية ولا تكن أعور كإبليس اللعين ، والأعور هو الذى ينظر بعين واحدة وينظر إلى الحاضر فحسب ، ومن ثم فهو كالدواب لا علم لها عندها بما خلفها وقدامها عن الظاهر والباطن وعن المبدأ والمعاد ، ومن هنا فإن دية عينى بقرة هما كدية عين واحدة ، لأن بصرها محدود والفقهاء يفسرون ذلك بأن الدابة لها عيناها وعينا مستعملها فهى بمثابة عيون أربعة ، ومن ثم فالعينان بمثابة عين واحدة عند إنسان وقد قضى – صلى الله عليه وسلم فى عين الدابة بربع القيمة ، ويفسر مولانا بأن عين البقرة تساويان نصف قيمة عين الإنسان لأنهما تعتمدان على عين الإنسان .. ولأن عينى الإنسان تقومان بالعمل دون مساعدة من الآخر .. وبالطبع كان مولانا فقيها قبل أن يكون صوفيا ، لكنه

يسرع ويترك هذه المجادلة الفقهية ليفسر لنا تفسيرا صوفيا بأن عين الحمار ناظرة إلى اللحظة إلى الحاضر وليست ناظرة إلى العاقبة ، فحكم الحمار هو حكم الأعور ويرى نفسه سوف ينغمس مرة أخرى فى المناقشة الفقهية فيقول بأن هذا الكلام كلام آخر وأن الغلام الذى أنقص أجره مشغول بكتابه رقعة طمعا فى الرغيف . ولكل اهتمامه ، فهمة المرشد إلى ما ينفع مريديه وهمة الغلام إلى ما يملأ بطنه .

(١٧١٧ – ١٧٢٨) عودة إلى قصة الغلام الذى أنقص أجره والتى بدأت بالبيت ١٤٩١ وأشار إليها اشارة عابرة فى البيت ١٥٦٣ فها هو يريد أن يضع وزر ماحاق به على كل الناس إلا على نفسه ، فها هو يجادل رئيس الطابخين الذى يحاول أن يقنعه أن الذى حدث لم يكن من فعله هو أولا ، ثانيا : إن السلطان لم ينقص أجر الغلام بخلا منه . فالسلطان مشهور بالسخاء والجود وإنما يعطى لكل إنسان على قدر مصلحته «وإن من عبادى من يصلح لهم الغنى وإذا أفقرتهم فسدوا وإن منهم لمن يصلح لهم الفقر وإذا أغنيتهم فسدوا » . (حديث نبوى) وإنما هم عبيد مأمورون والعاطى فى الحقيقة هو السلطان : فليدع السلطان ، ليدع الأصل وليترك الفروع ، هيا انظر إلى الآية الكريمة «وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى» (الأنفال : ١٧)قال نجم الدين : نفى القتل عن الصحابة بالكلية وأثبته لنفسه ونفى الرمى عن حبيبه وأثبته له ثم أثبته لنفسه وهنا ما نفى الرمى عن النبى عليه السلام بالكلية بل أسند إليه الرمى ولكنه نفى وجوده بالكلية فى الرمى وأثبته لنفسه أى ما رميت بك إذ رميت ولكن رميت بالله وذلك فى مقام التجلى فإذا تجلى الله لعبد بصفته من صفاته يظهر على عبد منه فعل يناسب تلك الصفة . كما كان من قال عيسى عليه السلام لما تجلى الله له بصفته الإحياء كان يحيى الموتى بإذنه وهذا كقوله : كنت له سمعا وبصرا ويدا (مولوى ٢٤٣/٤)والغلام مع كل ذلك لم يرتدع .. فانتحى جانبا وكتب رسالة .

(١٧٢٩ – ١٧٣٨) إن رقعة الغلام للملك شبيهة بأحاديثنا جميعا إلى السلطان : لقد أثنى الغلام فى رقعته على السلطان ، تحدث عن جوده وسخائه وعن أنه أكرم من البحر والسحاب ، ذلك أن السحاب يجود بالمطر باكيا ، أما الملك فيجود بالعطية ضاحكا هذا هو المدح الموجود بالرقعة لكن رائحة الغضب تفوح منها وانظر إلى أى إنسان قدر عليه رزقه انظر إليه وهو ينادى : يا الله أهى رنة التضرع التى تفوح من قوله والاحتياج ، أو هى رنة العتاب والغضب .. إنه خطاب غاضب هدفه اظهار الغضب ، وما الثناء والمدح هنا إلا من قبيل الرياء ويترك مولانا جلال الدين الغلام الذى يغضب ويمدح من أجل الخبز لا من أجل الرضا ، ويتجه بالحديث إلى غلمان السوء فى الدنيا : من هذا فكل أفعالك أيها الغافل المرائى بلا نور ، ليست أفعالك القبيحة بل عباداتك وطاعاتك أيضا لأنك بعيد تماما عن النور الطبيعى والنور الإلهى ، وهكذا أعمال الأخساء الأدنياء لا رونق فيها ولا ازدهار ولا طائل من ورائها مهما بدت طيبة ، فهكذا شأن الفاكهة الفجة غير الناضجة تماما سريعا ما تعطن ، وهكذا رونق الدنيا وزخرفها ، لا طائل من ورائه فهى عالم الكون والفساد وطالما أنت تمدح أحدا باللسان دون أن يمدحه قلبك . فإن الصدور لا تنشرح بهذا المدح فالحقد فى قلب المادح يمنع مدائحه من التأثير فلا صدق فى التعبير ولا إخلاص فلا يتجاوز الآذان إلى القلوب .. فقبل أن تقرأ «الحمد» أخل قلبك فى البداية من الحقد والكراهية ، فالحمد على اللسان .. والاكراه فى القلب يكون نوعا من خداع اللسان وغشه واحتياله إذ أن «الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم» الاخلاص فى العمل إذن أساس قبول أى عمل أو نجاحه : لا تتحدث عن المستضعفين وأنت غارق فى الرفاهية ، لا تكتب عن الجهاد وأنت خامل ضعيف لا يتأتى منك فعل ، لا تكتب عن العمل وأنت عاطل ، ولا تتحدث عن العطاء وأنت لا تفعل شيئا إلا أن تأخذ .. كثيرون هم أمثالك فى هنا العالم .

(١٧٣٩ – ١٧٥١) على مستوى آخر من التعبير مستوى السخرية القاتمة التى تحتوى فى ثناياها على المعانى العميقة ، لكن الصورة فى مستوى المريدين العاديين . إن فحوى الحكاية من ذلك الشاعر الذى رد خائبا من خليفة العراق ، ومع رثاثة مظهره يسوق لرفاقه الأحاديث الطوال عن عطايا الخليفة له ، ويبدو فيما يقول فروزانفر أن الحكاية استيحاء من بيتى بشار بن برد :

أثنى عليك ولى حـــال تكذبنى * فيما أقول فأستحى من الناس

قد قلت إن أبا حفص لأكرم من * يمشى فخاصمنى فى ذاك افلاسى

والبيت :

فإذا نطــقت بشكر برك جاهدا * فلسان حالى بالشكاية ينطق

(مأخذ ٤/ ١٤٠) . وكذا المنافق تظهر على هيئته من آثار ما يكذب ظاهر أقواله إن لسانه يمدح ، لكن أعضاءه كلها تشكو وعندما يسأله الناس : «ألم يعطك الخليفة فيما أعطى نعلا وسروالا ... ويظل سادرا فى غيه ولم لا ؟! أعطانى ولكنى آثرت به الفقراء والأيتام .. لقد أعطيت المال وظفرت بالعمر الطويل فالصدقة تزيد العمر » .

(١٧٥٢ – ١٧٦٢) كل هذا الكلام جميل .. لكنه من علامات الذى يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ذلك الرضا الذى يفيض من داخله على ظاهره .. إن كنت قد أخذت .. وآثرت بما أخذت ، فقد قمت بالرضا مرتين مرة الأخذ ومرة بالايثار فلماذا إذن هذا الدخان الذى يتصاعده من النار المستعرة فى داخلك .. لماذا هذا الانقباض ؟! إن هناك كراهة فى باطنك تخزك كأنها الشوك .. وعلى وجهك الهم فمتى كان الهم هو دليل الاستبشار ؟! أين أمارات العشق والإيثار والرضا إذا كان ما قلته فيما مضى صحيحا ؟! نفرض أن المال قد أخذته وأنفقته فأين غنى القلب وميله إلى الملأ الأعلى ؟! إن السيل ليترك أثره حينما يمر .. فأين أثر ذلك

السيل الذى تتحدث عنه ؟ وإذا كانت عينك سوداء فانتبه .. فلماذا هى الآن زرقاء كدرة بلا نور ؟! أيها العبوس أين أمارات الاخلاص ؟ إنك تجدف وتدعى .. فاصمت .. فهناك مئات العلامات للإيثار فى القلب وهناك مئات العلامات تراها على وجه المحسن «سيماهم فى وجوههم» .. إن العمل وإن كان مخلصا فإن سيماه على الوجه بشارة وتهلل وارتياح ورضا يشمل وجود المرء كله ، إن الذى أضاع ماله وأتلفه إيثارا يسمع من داخل قلب أن الله سبحانه وتعالى سوف يخلف عليه .. الحبة .. بسبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء فهل يمكن أن تكون هناك زراعة فى أرض الله ثم لا يكون منها ربع ؟! أليس الصدقات والخيرات زراعة فى أرض الله ؟ وإن لم يزدد ريع العناقيد والسنابل فمتى كان الله سبحانه وتعالى يصف أرضه بأنها واسعة ؟! وإذا كانت هذه الأرض الفانية أرض الدنيا تغل فيخلف عليك فى الدنيا ، تزرعها وتحصد منها .. فكيف إذن تكون غلة الأرض الواسعة ؟! قارن وتصور !!

(١٧٦٣ - ١٧٧٢) عودة إلى خطاب الشاعر : لقد قلت الحمد فأين أمارته ؟ لا هى موجودة داخلك ولا هى ظاهرة عليك .. وذلك الغلام الأحمق قربه من السلطان قرب ظاهرى لكنه بعيد بعد المشرقين ، «من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى فليخرج من أرضى وسمائى وليطلب ربا سواى» والرضا على الله تعالى فى كل ما فعل أمات أو أحيى أفقر أو أغنى أبلى أو ابتلى أبهج أو أشجى فإن جميع ما يفعله فضل وعدل وكله عاقبته حميدة ، .. وعن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إذا أنعم الله على عبده نعمة فيقول العبد الحمد لله فيقول الله تعالى : أنظروا إلى عبدى أعطيته مالا قدرة له عليه فأعطانى ما لا قيمة له عندى (انقروى ٤/٣٨٦) وقيل الشكر ثلاثة أنواع شكرباللسان وشكر بالقلب وشكر يجمع الجوارح على ما يليق بكل جارحة ، فشكر العينين غضهما عن محارم الله وعن عيوب الناس ، وشكر

الأذنين التصامم عن عيوبهم وعما لا يحل سماعه ، وشكر اليدين كفهما عن أموال الناس ، وشكر الرجلين كفهما عن المشى فى المعصية ، وشكر العقل المعرفة وشكر اللسان الذكر والثناء ، وشكر الأعضاء الخشية من الله تعالى وشكر النفس العبادة والفناء ، وشكر الروح الخوف والرضا وشكر القلوب الصدق والوفاء ، وشكر العقل التعليم والسخاء ، وشكر المعرفة التسليم والرضا ، والحمد يوضع موضع الشكر وإن كان الحمد أعم من الشكر ، لأن الشكر هو الثناء على المنعم بما أولاك من النعمة والحمد الثناء على الذات لصفاتها الحميدة كائنة ما كانت وفى الصحيح أن أول من يدخل الجنة الحامدون لله على كل حال وقال عليه السلام : الحمد لله شكر على كل نعمة (مولوى ٢٤٨/٤– وهذا المعنى وارد فى شرح التعرف ١٣٧/٣ مع بعض التفصيل) ، والحمد الحقيقى إنما يتأتى من العارف بالله تعالى بحيث تكون يده وقدمه شاهدين على هذا الحمد ، وإنما ذكر هنا البعض دلالة على الكل .. أى تكون كل جوارحه شاهدة على هذا الحمد وبهذا الحمد الذى يزيد النعم سحب العارف بالله من بئر جسده المظلم واشتراه من قيد سجن الدنيا ، وآية حمده التقوى بادية كأنها عباءة من الأطلس يضعها على كتفه والنور المؤتلف معه حيثما يمضى ولقد نجا فى الدنيا فهو دائما فى نزهة فى بستان الطاعات وشارب من العين الجارية وقال نجم الدين : العين الجارية من المعرفة والسرر المرفوعة أى الأسرار الرفيعة التى يصل إليها المقربون عبادة وهم أيضا فى «مقعد صدق عند مليك مقتدر» «إن حمدهم بادى الأثر يفعل بالنفوس فعل الربيع بالرياض وله مئات الأمارات» والعلامات ، ومن حمده أى العارف آثار معنوية تفوق العيون والنخيل والزرع والأشجار من العارف تجلو بجلاء المعرفة وصقلت بصقال العلم والحكمة وشواهد حمده أكثر من أن تعد وتحصى لاحقة لهم كشهادة الدر على وجوده فى الصدف أو قل : إنها مخفية كالدر الغالى فى الصدف الرث المظهر .

(١٧٧٣ - ١٧٨٦) هاهو يخاطب النفاج الذى يثرثر بمالا يفهم ويدعى ما ليس فيه قائلا : إن رائحة الكراهية وعدم الرضا تفوح من فمك كأنها رائحة الثوم ، ومن رأسك ووجهك يتأجج حزنك أيها النفاج ، وهذه المعركة فيها علماء حاذقون بالروائح ذوو فراسة ، ينظرون بنور الله ، ويدركون ما تحت الظاهر الخلاب من فقر مدقع . إنها معركة ، فإياك أن تظهر من نفسك شجاعة ليست فيك وجلدا ليس من خلقك وإلا فضحك هؤلاء ، لا تتحدث عن المسك بينما يفوح منك البصل وكيف تقول لقد طعمت الورد المطبوخ بالسكر بينما تفوح منك رائحة البصل قائلة لك : لا تهرف ولا تجدف ولا تتحدث عبثا وهذرا ، ها أنت تتحدث عن الباقيات الصالحات وعن الطيبات وتصعد إلى سماوات من صنع خيالك ، وتحاكى الطبيعة متحدثا عن عالم لم تدرك منه لمحة واحدة لكن قدمك الثابتة فى الطين تكذبك ، إن ما تفعله ليس إلا من قبيل تعلقك بالدنيا أيضا ، ثم أين ذلك النور الذى يشع من الأخيار الطيبين .. لعلك .. تظن أن أحدا ليس مطلعا على قلبك ، ألا فاعلم أن لهذا البيت الواسع الموجود داخلك جيرانا حقيقيين يطلعون على أسراره وعلى ما يظن أنه خفى ، هم جواسيس القلوب يعرفون الناس بالتوسم ، يطلعون على القلوب من كوة لا اشتراك لك فيها ولا حصة لك منها ولا تدرى عنها شيئا هى حصة القلب المستنير بنور الله وإن كنت لا تصدق ذلك .. أن هناك من يرونك دون أن تراهم ، ومن يطلعون على أسرارك دون أن تعرف عنهم شيئا . فاقرأ فى القرآن الكريم « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » (الأعراف : ٢٧) فها هو طريق لا يعرفه الإنس .. لأنه خارج نطاق معرفتهم وحواسهم فإياك والاحتيال والتصنع والتكلف فى وسط هؤلاء الناقدين الذين ينقدون الزيف من الصحيح ، هم المحك المعنوى ، أليس المحك يكون عالما بسر القلب ، إذ جعله الله تعالى لكى يطهر القلوب ويجذب الأدران خارجها ، وكل هذا إنما يتم بالفراسة « واتقوا فراسة العبد المؤمن فإنه ينظر بنور الله » وإذا

سألت كيف ذلك ؟! أقول لك ولم لا ؟! ألم ينص القرآن على أن الشياطين مع غلظة طبعها تطلع على أمورنا من حيث لا نراها ؟! وألم يقل الرسول - صلى الله عليه وسلم - « إن الشيطان يجرى من بن آدم مجرى الدم » وألا تتسلل الشياطين إلينا فى مسارب عديدة إلى وجودنا وبواطننا فهل اطلعت أنت على مداخلها إلينا ؟! هل تتبعت تخريبها وتقليبها وتحطيمها لنا وأخذها لنا من الداخل ؟ إنها معروفة وبديهية فهل تدرى عنها شيئا ؟!!

(١٧٨٧ - ١٧٩٤) فإذا كان الأمر كذلك .. فلماذا تكون الأرواح التى استضاءت بنور الله من الأولياء والمرشدين بلا علم عن أحوال باطنك ؟! لقد نجحت هذه الأرواح فيما لم تنجح فيه الشياطين ، لقد وجدوا طريقا إلى الفلك ، واستقروا فوق قمة الكون .. ووصلوا إلى ما لا يتوهمه بشر ، بينما أغلق الملأ الأعلى أمام الشياطين الذين كانوا يتسمعون فيتبعهم شهاب ثاقب .. الشيطان لا يستطيع إذن أن يذهب إلى الملأ الأعلى إذ يتبعه فى هذه الحالة شهاب ثاقب فينقلب كطعين السنان فى الحرب .. فإذا كنت مشلول الفكر والخيال وأعمى البصيرة واهما .. «لك عين لا تبصر بها وأذن لا تسمع بها » فلا تظنن أن أولياء الله مثلك وحذار أن تظن فيهم هذا الظن ، واخجل ولا تقامر بنفسك ، ولا تجلب على نفسك المشقة فمن الناحية الأخرى للجسد .. فى الباطن .. هناك جواسيس القلوب من أهل الصدق ، فإذا جالستموهم فجالسوهم بالصدق والخلوص فإنهم جواسيس القلوب داخلون فى أسراركم من حيث لا تشعرون فإذا تأدبت معهم عالجوك (مولوى ٤/٢٥٣) قول أبى يعقوب السوسى (انقروى ٤/٣٩٦) على فحوى «وإذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق» .

(١٧٩٥ - ١٨٠١) إن أطباء القلوب هؤلاء لم يأتوا بجديد بل كل ما يقومون به وارد فى القرآن الكريم وفى الطب النبوى الشريف ، إنهم يعالجون

المريـض دون نبــض أو قارورة كـالأطـبــاء الجـسمـانيين ، يـعرفـونه من لحـن قـوله .. «ولتعرفنهم فى لحـن القــول » (ســورة مـحـمـد آيــة / ٣٠) أى أن الرسـول صلى الله عليه وسلم – كـان يعرف المنافـقين من لهـجـتهم فى الحـديث والألفـاظ التى يسـتـخـدمـونهـا بل وطريقـتـهم فى النطـق ، ورواية الرسـول عليه السـلام إذ قـال لعـائشـة رضى الله عنهـا : «إنى لأعلم إذا كنت عنى راضـية أو إذا كنت على غضـبى قالت : فقلت ومن أين تعـرف ذلك فقال عليه السلام وإذا كنت عنى راضية تقـولين لا ورب مـحمد وإذا كنت عليّ غـضبى قلت لا ورب إبراهيم – قـالت : أجل والله لا أهـجـر إلا اسـمك » وفى القـرآن الكريم أيضـا يخـاطب رسـوله عليه السـلام « ولتعرفنهم بسـيماهم » (سـورة محـمد آية ٣٠) كما قـال تعالى « وإذا ذكـر الله وحـده اشمـأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخـرة وإذا ذكـر الذين من دونه إذا هـم يستـبشـرون » (الزمر آية ٤٥) وقـد فسر أبو طالب المكى هـذا بقوله : وقـد جعل الله وصـف الكافـرين أنهم إذا ذكـر الله وحـده فى شىء انقبضـت قلوب الكافـرين وإذا ذكـر غيـره فى شـىء فـرحـوا وجـعل من نعـوتـهم أنهم إذا ذكـر الله بتـوحيـده وإفراده عظمـوا ذلك وكرهـوه وإذا أشـرك غيره فى ذلك صدقـوا ، وفيه دليل على أن المؤمنين إذا ذكر الله بالتوحيد والإفراد فى شىء انشـرحت صدورهـم واتسـعت قلوبهم واستبشـروا بذكـره وتوحيده وإذا ذكرت الأواسط والأسباب التى دونه كـرهـوا ذلك واشمـأزت قلوبهم ، وهـذه عـلامـة صحـيـحة فـاعرفـهـا من قلبك ليسـتدل بها على حقيقة التوحـيد فى غيـر القلب لأن أجود خفاء الشـرك والنيات فى السـر « وحديث عثمان رضـى الله عنه عن معرفة مرتكب المعصية بالنظرة فى عـينيه مشـهـور فـفى الرواية دخل عليـه رجل وعندمـا وقعت عـليه عـينه قـال : يا سبحان الله ما بالرجال لا يغضــون أبصارهـم عن مـحارم الله وكان ذلك الرجل قد أرسـل نظره إلى ما لا يحل وقال له الرجل : أوحى بعـد رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قال لا ولكنهـا فراسة ، ألم تسـمـع قول رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : اتقـوا فـراسـة المؤمـن فـإنه ينظـر بنور الله » .(شـرح الأنقـروى ٤/٣٩٥-٣٩٦) .

وكذلك يكون للأطباء الإلهيين من المرشدين الصالحين الحقيقيين ما يكون للأنبياء والأولياء ، بل إنهم بمجرد سماع اسمك يغوصون إلى أعماق وجودك ، بل إنهم يرون بعد أحوالك قبل ميلادك بسنوات .. وتنبؤاتهم صادقة تماما لأن الوجود منذ الأزل إلى الأبد مكشوف أمام عيونهم وإن لم تصدق فاقرأ الحكاية التالية .

(١٨٠٢ - ١٨٢٤) الرواية هنا منقولة عن تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (الجزء الثانى ص١٦٩) وفحواها أن الشيخ أبا يزيد البسطامى كان يخرج كل عام لزيارة دهستان حيث كانت قبور بعض الشهداء وعندما كان يمر على خرقان كان يقف ويتنفس نفسا عميقا وعندما يسأله المريدون : أيها الشيخ نحن لا نشم شيئا قال نعم إننى أشم من قرية اللصوص هذه رائحة رجل اسمه على وكنيته أبو الحسن يفضلنى بثلاث درجات ، يتحمل مئونة العيال ويزرع ويغرس الأشجار .. روى إن الشيخ ظل طيلة عشرة سنة يصلى العشاء فى خرقان فى جماعة ثم يتجه إلى قبرأبى اليزيد فى بسطام ويقف ويدعو قائلا : «يا إلهى من تلك الخلعة التى أعطيتها لأبى اليزيد اعط بضعة قليلة لأبى الحسن ثم يرجع ويعود إلى خرقان عند الصبح» وعن قاعدة أن ما يكون للأنبياء يكون للأولياء يبشر الأولياء بظهور بعضهم البعض ، وهنا يختلف التعبير بالطبع عند مولانا جلال الدين : فأبو يزيد يمر فى سواد الرى» يقول استعلامى أن ذكر الرى هنا خطأ جغرافى لأن خرقان من أعمال بسطام (٢٨٩/٤) وكأنه ينبغى أن يشم أبو اليزيد رائحة الخرقانى الذى سوف يولد بعد عشرات السنين من وفاة أبى يزيد بالقرب من خرقان ، وفى سواد الرى تفوح رائحة طيبة من خرقان ، يستنشقها أبو يزيد بحب ووجد وأنة مشتاق ، وكأنه يشرب من هذه الريح خمرا زلالا ، امتلأ بها بحيث طرب بها كما يظهر أثر الماء المثلج على ظاهر الإناء وليس ذلك من داخل الإناء بل من الهواء ، وعندما فاض الوجد والسكر بأبى يزيد سأله أحد المريدين عن سر ذلك الحال الذى لا تستطيع الحواس إدراكه.. فهذا الوجه.. وجه الولى تظهر عليه

الأحوال فى صورة ألوان تتغير بين لحظة وأخرى ، يتخذ وجهك أمارات البشارة ، تتنسم رائحة ولا ورود هناك . . فقل يا راو الواصلين . . هل تصلك كل لحظة رسالة من عالم الغيب أما أن البشرى تأتيك مع الرياح « فى قول لسعد الدين الفرغانى : إعلم أن النفس الرحمانى هو عين الرحمة السابقة الشاملة على كل شىء ظاهرا أو باطنا لما بدا من باطن الغيب بحكم اقتضاء فانبجست » (انقروى ٤ / ٤٠٥) . إما أنك كيعقوب يصلك من يوسف إلى مشامك شفاء فى كل لحظة طالما كان القميص مع حامله يسرع إليك ، فهيا أيها المراد أعطنا قطرة من هذه الجرة . . وتحدث معنا بلمحة عن هذه الروضة ، أعطنا نصيبا قليلا من الانعامات الإلهية التى تفيض عليك . . وليس من عادتنا أيها السيد العظيم . . أن تأكل أنت وحدك . . ونبقى نحن جياع . . فهيا يا طاوى الأفلاك . . ويا واصلا للمراحل قاطعا إياها بخطوات سريعة ، هبنا جرعة مما أكلت فلا شيخ سواك ولا أمير سواك فى هذ الزمان يا سلطان العارفين وملك الطريق ، فانظر إلى أحبابك وارحهم واجعلهم موضع نظرك ، وكيف يمكن لك أيها الشيخ العظيم أن تشرب هذا الشراب خفية ولا شراب هناك إلا بافتضاح وشهرة ، إنك تستطيع أن تخفى الرائحة لكن هل تستطيع أن تخفى خمار عينيك ؟ أعشق وإخفاء ؟ ! « وعندما يتحدث اللسان عن سره وعن لطفه تتلو السماء قائلة : يا جميل الستر ! ! أى ستر ؟ ! والنار فى صوف وقطن مهما تخفيها تكون أكثر ظهورا ، وكيف أسعى فى اخفاء سره ؟ وهو يطل كالعلم قائلا : ها أنذا : إنه يأخذ رغم أنفى بكلتا أذنى قائلا : أيها الغبى ؟ ! كيف تخفيه ؟ ! اخفه إذن (٣ / ٤٧٣٥ – ٤٧٣٨ وشروحها) آلاف الحجب فى الدنيا لا تستطيع أن تخفى سر العشق . . وسر هذا النفس الرحمانى الذى امتلأت به الآفاق وجاوز الأفلاك الستة ، فهذا الدن مهما أغلق تفوح رائحة خمره ويسمع غليانها . هنا تتجلى ضراعة المريد . . إنه يسأل فحسب ، بل ساق كما يستدعى أدب المريد

مع الشيخ دلائل من الطريق ، دلائل أحقية سؤاله للشيخ ودلائل واجب الشيخ فى أن يقتسم ما وصل إليه مع مريديه ، ودلائل هذا هو الأمر الطبيعى فإن ما يصل إليه الشيخ أمور غير قابلة للإخفاء لأنها تظهر مهما أخفيتها .

(١٨٢٥ - ١٨٣٢) يربط أبو اليزيد البسطامى بين ما يظهر له وبين ما ورد فى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من قوله : إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن - يريد أويسا القرنى . . وكل إنسان إنما يفوح برائحة المحبوب فرائحة رامين تصل إلى ويس لأنه فان فيها فكأنما رائحتها رائحته لقد طرب الرسول صلى الله عليه وسلم من رائحة جاءته من قرن اليمن لقد صار أويس سماويا وكان قد فنى عن نفسه . . ذلك الأرضى الإنسى كان قد صار سماويا وعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - خبره قبل أن يولد أو يوجد كبشر ، كما أن أويسا استطاع أن يعلم الطريق ويطوى درجاته دون استاذ أو مرشد ، ويبقى أويس القرنى عند الصوفية رمزا للذى يستطيع بنور الباطن أن يصل دون أستاذ ودون مرشد ، وماذا فى ذلك ، إن ذلك النبات المر الذى يوضع فى السكر لا يفقد مرارته بعد ، وذلك النبات المر الذى يخلص من الكبر والغرور بقيت له صورة النبات المر لكن طعمه تغير . كثيرة هى هذه الأمثال عن التغير وعن التبدل فى الطبع والطبيعة وإن لم تتغير الصورة فدعك من هذه الأمثال ولتنظر إلى ما قاله الرجل العظيم أبو اليزيد البسطامى .

(١٨٣٣ - ١٨٤٨) قال أبو اليزيد : إن هذه الرائحة التى تهب من ذلك الصوب تنبىء أن سلطانا عظيما من سلاطين الطريقة سوف يولد فيها ، بعد كثير من السنين ، وسوف يكون مقره أعلى من الأفلاك » وجهه يكون مفعما بالحمرة من بستان ورد الحق ، سوف يكون مقبولا من الحق عاليا عنى فى المقام . . سوف يكون اسمه أبو الحسن وأخذ أبو يزيد فى تعداد صفاته الجسمية

ووصف حلية الحاجب والذقن وقده ولونه وشكله . . كما بين حلية روحه . . أى ما سوف تتحلى به روحه وهى الدرجات الثلاث المذكورة فى رواية العطار .

ويعلق مولانا على حديث الحلية . . ويرى أن جمال الجسد عارية كالجسد فلا تتعلق فإن عمره ساعة وينتهى . . كما أن حلية الروح الطبيعية فانية أيضا . . أى تلك الروح المتعلقة بالجسد والمعاونة له ، لكن اطلب حلية تلك الروح التى هى فوق السماء . . إن ذلك الجسم الذى تسكنه تلك الروح الموجودة على السماء كأنه المصباح فوق الأرض ونور هذا الجسم الذى نورته هذه الروح فوق السماء السابعة . . تماما كشعاع الشمس هذا الذى تراه فى بيتك ، إن مصدره موجود على الفلك الرابع ، وهكذا الكامل من المرشدين الأولياء وشعلة أنواره فى بيت جسده وأصلها فى وسط الأفلاك الروحانية وكذلك الزهور تراها تحت أنفك لكن رائحتها تنبعث إلى أعلى الرأس ، أليس ذلك الرجل النائم يحلم بشىء يخيفه فإذا بجسده يعرق . . ويصحو فيجد العرق على جسده . . وهكذا حال الجسم مع الروح فإنها وأن كانت بعيدة عن الجسم لكنها فى تأثيرها ليست بعيدة عنه ، وكذلك الروح بعد الموت ولو كانت فوق الأفلاك التسعة – وانظر إلى قميص يوسف ، إنه فى مصر لكن رائحته ملأت أرض كنعان أوصلته الصبا بإذنه تعالى من مسيرة شهر فلم يحجب أنف سيدنا يعقوب عليه السلام بعد المسافة . . أية مسافة ؟ ! إن المسافات أمر نسبى أما أولئك الذين ارتفعوا عن الحس فإنها لا تعنى عندهم شيئا (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات ٤٥٣٢) ثم عودة إلى نبوءة أبى يزيد البسطامى أخبرهم أبو يزيد بالتاريخ الذى سوف يولد فيه أبو الحسن فكتبوه وعندما حل ذلك التاريخ ولد ذلك السلطان .

(١٨٤٩ – ١٨٥٥) لقد ولد أبو الحسن فى نفس التاريخ (توفى سنة ٤٢٥ هـ) وكانت كل صفاته كما أخبر بها أبو يزيد البسطامى . . نعم كان أبو اليزيد

يقرأ من اللوح المحفوظ ، وما وصف هذا اللوح بالمحفوظ إلا لأنه محفوظ من السهو والخطأ . . اللوح المحفوظ فى رأى لابن عباس ومجاهد عبارة عن صفحة بيضاء بطول ما بين السماء والأرض وعرض ما بين المشرق والمغرب عليها كل الأحداث الكلية والجزئية لعالم الوجود من مبدئه إلى منتهاه (جعفرى ١٠ / ٢٨٩) فإذا أراد الله أن يطلع الملائكة على غيب له أو يرسلهم إلى الأنبياء بذلك أمرهم بالاطلاع فى اللوح المحفوظ محفوظا مما يؤدونه إلى من أرسلوا إليه وعرفوا منه ما يعلمون » (عن جعفرى ١٠ / ٢٩٠) ويستطيع الملائكة قراءته بتجردهم وشرط الاطلاع عليه التجرد فيحدث الشهود المباشر ، وهو أعلى درجات الكشف عند الصوفية يقول « ابن سينا » ولنفسك أن تنتقش بنقش ذلك العالم بحسب الاستعداد وزوال الحائل وقد علمت ذلك فلا تستنكرن أن يكون بعض الغيب ينتقش فيها من عالمه (عن جعفرى ١٠ / ٢٩١) . لم يكن الأمر بالتنجيم ولا بالرمل ولا بتعبير الرؤيا كان وحيا من الله سبحانه وتعالى فى قلب أبى يزيد ، إن الصوفية خوفا من العوام وتعمية عليهم وخشية من التهم التى من الممكن أن توجه إليهم يسمونه « وحى القلب » وهكذا فعندما يكون القلب مرآة قد صقلت من الأدران والآفات والعلل فإنها تعكس المعرفة الإلهية (انظر الكتاب الأول شرح الأبيات ٢٠ - ٣٠) وهكذا فاعتبره أنت أيضا وحى قلب والقلب هو موضع تجلى الله سبحانه وتعالى وهو موضع نظره فكيف يكون خطأ ما يظهر فى قلب العارف بالله وما دام المؤمن ينظر بنور الله فإنه يكون آمنا من الخطأ ومن النقصان .

(١٨٥٦ - ١٨٦٣) لم يترك مولانا فرصة دون أن يهتبلها لكى يقدم تعليمه للمريدين فالمثنوى كتاب تعليمى فى الأصل وإن كان يقدم تعليمه على مستويات عديدة من التعبير . . فغير ذلك الغلام الذى ملأ الدنيا بالشكوى وحقد

على المليك لأنه قدر عليه رزقه وأنقص أجره هناك قوم جوعهم هو عين الشبع وفقرهم هو عين الغنى ، والافتقار إلى الله تعالى هو منتهى أملهم ففى نقصان الطعام الجسمانى زيادة فى الطعام الروحانى ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم – « أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » قالوا : الظاهر والباطن كالليل والنهار كلما نقص من أحدهما زاد فى الآخر » (مولوى ٤ / ٢٦١) ومن هنا فقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » والرحمة مدخرة للعاجز المنكسر » « أنا عند المنكسرة قلوبهم » وذلك لأن فى طبيعة النفس أن تعصى وتتمرد ، وأن تتكاسل فى أداء التكاليف الشرعية ، كما أن الكبر والعنجهية يسدان باب الرحمة فالكبرياء هو إزار الخالق ، والعظمة رداؤه وحده جل شأنه ، إن الرحمة لا تقترب من ذلك الذى من علوه وتجبره يكسر رؤوس الناس ، لا يرحمه الحق بل يحيق به سخط من الله ولا رحمة من الخلق . . وانظر إلى مولانا جلال الدين لا يفرق عند الحديث عن الظلمة والعالين فى الأرض بين رحمة الحق ورحمة الخلق فألسنة الخلق أقلام الحق والحق لا يغفر لمن يتجاوز حق الناس ويقطع مولانا كعادته عندما لا يريد الخوض فى موضوع ما ، تكفيك هذه الإشارة فهذا الحديث لا نهاية له . . لقد نسينا ذلك الشاب الذى صار عاجزا من تقليل أجره ومع ذلك لم يعد إليه مولانا جلال الدين على الفور بل استمر فى الحديث عن الصوفى ، والتناسب العلمى بين الانعامات الإلهية وقلة الرزق .

إن ذلك الصوفى الذى يقل رزقه يكون ذلك الخرز أى الغذاء بالنسبة له كأنه الدر ويكون هو كأنه اليم يحتوى هذا الدر أى أن يتبدل إلى روحانية خالصة ، وفى قلة الغذاء منافع كثيرة منها أن يكون الرجل أصح جسما وأجود حفظا وأذكى فهما وأجلى قلبا وأقل نوما وأخف نفسا وأحد بصرا وأسمى طبيعة وأقل مئونة وأوسع مواساة وأكرم خلقا (مولوى ٤ / ٢٦١) وكل من علم قيمة هذا

الغذاء الروحانى فإنه جدير بالقرب ولائق ويكون كل خوفه ورعبه من نقصان هذه الإنعامات والإلطافات الإلهية الروحية ، لأن ذلك معناه أنه قد أخطأ خطأ ما فنقص رضاء الله تعالى عليه .

(١٨٦٤ - ١٨٧٣) هكذا فإن صاحب هذه الكراية التى نقصت كتب رقعة إلى صاحب البيت ورفعت إلى أمير العطايا ، لكنة لم يوقع بشيء على الرقعة لقد أهملها تماما ، فقد أدرك طبيعة هذا الغلام ، إنه لم يهتم بأن غضب السلطان قد يكون لخطأ قد بدر منه ، فلم يسأل عن خطئه ، إن كل ما يهتم به هو الطعام ، إن همه كله هو نقصان الكراية لا غضب السلطان ، إنه مهتم بالفروع وليس بالأصول ، إنه لا يهتم بالفراق والوصال إنه أحمق مستغرق فى ذاته يرى نفسه طرفا والسلطان طرفا أخر فمن كثره اهتمامه بالفروع لا فراغ عنده لكى يهتم بالأصول .

وانظر إلى هذا المثال يقدمه مولانا جلال الدين لكى يبين أنه لاخطر لكل الفروع أمام الأصل ، إن وجود الكون كله بما فيه من سموات وأراضين بمثابة تفاحة نبتت من شجرة قدرة الله ، فالتفاحة فرع وشجرة القدرة هى الأصل ، وأنت مجرد دودة فى هذه التفاحة لا علم لك بالشجرة ولا علم لك بالبستانى وتظن أن كل عالمك هو هذه التفاحة الضئيلة (انظر مثال القلم والكاتب والنملة الكتاب الرابع أبيات ٣٧٢١ وما بعدها) . وهناك دودة أخرى موجودة أيضا فى التفاحة لكنها تعرف خبرا عن العالم خارج هذه التفاحة . . إن حركتها الذاتية ومجاهداتها تشق فرجة فى هذا العالم الضيق تطلع منه على العالم الواسع . . إن هذه الحركة منها تمزق الحجب ، إنها مجرد دودة حقيرة بالصورة . . لكنها تبين فى الواقع الجرم الصغير الذى انطوى فيه العالم الأكبر .

(١٨٧٤ - ١٨٨٥) انظر إلى كل شيء فى هذا العالم يبدأ صغيرا ضعيفا واهنا ، لكنه فى النهاية يكون صاحب تأثير قوى وخطر عظيم ، تلك الشرارة التى تنطلق من اصطدام قطعتى حديد ، إذا اقترب منها قليل من القطن سرعان ما يندلع لهيبها حتى الأثير ، وهكذا الإنسان يبدأ جنينا ، وتبدو أمارات الحياة ضعيفة فيه لكنه إن وجد الظروف المناسبة ، ومثيل للقطن والكبريت (الأم والأب) ينمو ويترعرع ويصل طموحه وعلمه ونوره حتى السموات العلا ، يترك هذه الأرض ، ويتمرد على الطين الذى منه خلق ويثور على الظلمة التى تحيط به ، يملأ العالم بالنور ويقوم بكل معجز من الأعمال حتى ليقتلع قطعة الحديد الضخمة بابرة (وينسف الجبال ويخترقها بالأنفاق ، ويصعد إلى السماء حقيقة لا مجازا وبجسده هذه المرة لا بروحه بل بجسده وروحه ويتنقل بين الكواكب ويرسل عنها الصور إلى الأرض . . . ويهبط إلى سابع أرض ويبنى المدن تحت المدن ويقوم بما كان يحسب فى يوم من الأيام حلما من الأحلام ومن يدرى ؟ ! لكن ألم تكن كلها أحلاما نحلم بها الروح والفكر والخيال والوهم فى البداية ؟ ! هذا الحلم الإنسانى ميدان من ميادين العرفان . الحلم بالعودة إلى الجنة ، أو على الأقل الخروج عن مقررات الجسد وما يستدعيه ولا يعنى الإنسان فى كل طموحاته هذه إلا ذلك ما العالم العظيم الذى يسع الألوان كلها وهو الروح ، هى السارية فى الأكوان سريان النار التى وإن كانت تسرى فهى ليست روحانية ، هى مجرد جسم سريانها ينتهى عند نهايته ، لكن الروح هى المختصة بهذا العز ولا نصيب لأى جسم كان فهو بالنسبة للروح كالقطرة أمام المحيط ، وهو الذى تحيا به بالروح ، وإلا فانظر إلى الجسد عندما تغادره الروح إلى أى شيء ينقلب وماذا يصبح . . ومن هنا فالجسد محدود بذراع أو بذراعين أى أن إدراك قدر قامته لا يتجاوز هذا الذراع أو الذراعين أما الروح فهى تقوم بجولات واسعة فى السماوات . . تستطيع أن تكون فى مقامك هذا (فى قونية)

وتهاجر روحك فى رحلة إلى سمرقند أو إلى بغداد وفى الفصوص : كل إنسان يخلق فى قوة خياله ما لا وجود له إلا فيها وهذا هو الأمر العام لكل إنسان والعارف يخلق بالهمة ما يكون له وجود من خارج محل الهمة (سبزوارى ٤ / ٢٩٩) . فمتى كانت الحواجز تقف أمامها ، ومتى كانت المسافات حائلا أمامها . . وكل أجزاء جسدك . . إذا نظرت إليها كجسد فهى لا شىء لكن إذا نظرت إلى الروح الكامنة خلفها والتى تقوم بالعمل فى خلالها لاستطعت أن تدرك قوتها ، إليك على سبيل المثال لا الحصر : عينك هذه التى لا يزيد وزنها عن درهمين إلا أن النور المنبعث من روحها يصل إلى عنان السماء . . وعندما تغمض هذه العين فإن الروح الكامنة فيها ترى ومن هنا ترى فى النوم . . وبلا هذه الروح فإن العين لا شىء .

(١٨٨٦ – ١٨٩٠) ولا علاقة لهذه الروح بقوة الجسد ولا بشكله ولا مظهره العام (بل قد يكون العكس هو الصحيح إذا غالبا ما يخفى الاهتمام بقوة الجسد وحسن المظهر خواء بلقعا فى الروح) أى أن الروح لا تعتمد على الجسد فى شىء وإن كان الجسد هو الذى يعتمد على الروح فى كل شىء – وهذا هو ديدن (برنامج) الروح الحيوانية إذ أن الله سبحانه وتعالى أمرها بأن تترقى وتتقدم لتعاين جمال الروح الإنسانية ، ذلك لأن الإنسان لا يكون إنسانا كاملا إلا بالروح فهيا اعبر أيها الإنسان مرتبة القيل والقال ، ومرتبة العلوم النقلية والجدل اللفظى وكن رجل عمل ، ولا تقنع بترديد ما قاله الآخرون ، واعبر مرتبة عالم الناسوت إلى مرتبة عالم الملكوت . . المكنى عنه هنا بشاطىء بحر روح جبريل ومن بعدها تشير إليك روح أحمد (التى عبرت هذا البحر) ويتقهقر جبريل مثلما تقهقر عندما وصل مع أحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى . . وتقهقر وقال : (لو دنوت خطوة لاحترقت)

ويستدل الصوفية فى هذه الرواية على عظم مقام النبى - صلى الله عليه وسلم - (وبالتالى الأولياء) عن مقام الملائكة المقربين .

(١٨٩١ - ١٨٩٦) عودة إلى قصة الغلام الذى أنقصت كرايته ويوهمنا مولانا هنا أن التعرض هنا هو قصة الغلام وأن الافاضات الربانية هى مجرد حاشية على القصة . . والعكس بالطبع هو الصحيح . . وهذا هو الغلام يتساءل : عجبا كيف لم يجبنى الملك ؟ ! وها هو من سوء طويته لا يتخيل أن الملك ربما يكون غاضبا عليه . . بل يتعلق بأسباب أخرى ويتهم حامل الرقعة بأنه خان ولم يوصل الرقعة ، هيا فلأكتب رقعة أخرى وأبحث عن رسول آخر إنه لا يستطيع أن يعترف بالجهل على نفسه فهو بيد أمير الأرزاق والرسول . . إنه لا يفكر فى أنه أخطأ وأتى سلوكا فيه اعوجاج كعابد الصنم .

(١٨٩٧ - ١٩١٢) إن هذا الغلام الجهول يظن نفسه أعلى من سليمان عليه السلام ، فإن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأخذه سليمان واعادة عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت فى يده أيقن بالفتن فقال آصف لسليمان إنك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر إلى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير فى عملك وأهل بيوتك بسير إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك ففر سليمان هاربا إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت (قصص الأنبياء للثعالبى صـ ٣٢٢ من طبعة البابى الحلبى) إلا أن مولانا هنا استبدل الرياح بالخاتم فإن الرياح أنى كانت فى طوع سليمان عليه السلام كانت فى طوعه هو ما دام فى طاعة الله فلما فتن (بالنسبة للفتن انظر قصص الأنبياء صـ ٣٢٠ وما بعدها) خرجت عن طاعته ، وهكذا أيضا مال التاج على رأسه وكلما أصلحه على رأسه مال . وقد روى مولانا القصة فى المجالس السبعة أن سليمان عليه السلام كان ذات يوم

جالسا على عرشه وكانت الطيور قد وصلت ما بين أجنحتها وحومت على رأسه فيما يشبه المظلة وفجأة عبر خاطره فكر غير لائق بشكر هذه النعمة . . فمال التاج فقال له أيها التاج استقم . . فقال التاج . . إلى آخر الرواية الواردة هنا (جعفرى ١٠ / ٣٠٤) وما ميل التاج إلا رمز لقرب زوال السلطة فكان التاج لا يريد أن يبقى على رأس الذى خرج عن طاعة الله ، فلما علم سليمان سر الفتنة وصحح باطنه ، استقامت له الريح واستقام التاج على رأسه مهما كان هو يضعه مائلا والصورة مليئة بالحوار الحى بين سليمان والريح وسليمان والتاج والتاج يعتذر له بأنه مأمور بألا يستقيم فوق رأسه ويرجوه ألا يطلب منه تفصيلا أكثر فإن الإنسان بما أكتسب رهين وتعالى الله جل شأنه عن ظلم أحد من عبيده علوا كثيرا .

(١٩١٣ - ١٩٢٤) وهكذا فإياك أن تسيء الظن فى الآخرين وترى أنهم السبب لما حاق بك ياتابعا لنفسه الأمارة بالسوء ولا تفعل من مكر ما فعله ذلك الغلام . . . أحيانا يكون قتاله مع الطباخ وأحيانا مع الرسول وأحيانا مع الملك نفسه ، إنه يصب جام غضبه على الجميع دون أن يحاسب نفسه دون أن يصحح باطنه ربما كان العيب منه إنه كفرعون فى تخبطه كأن يقتل أطفال الخلق وترك موسى (انظر لتفصيلات الكتاب الثالث ابيات ٩٦٣ - ٩٦٨ وشروحها) . إنه مثل فرعون وجسمه يكون له بمثابة موسى (عدو) وهو يعدو فى الخارج قائلا أين العدو ؟ (٢ / ٧٧٤) كان عدوه الحقيقى فى صدر منزله لكنه من عمى قلبه كان يقتل الأطفال الآخرين ، الحقيقة أن عمى القلب هذا من ختم الله على قلبه لكى يجرى ما كتب فى سابق علمه (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهكذا أنت أيضا يا من صرت فى هوى نفسك أنت تعادى الناس لكنك تصاحب نفسك التى بين جنبيك وهى أعدى أعدائك وهى التى

توقعك فى كل هذه الشرور ، أنت تدللها . . وتضع التهم على الناس من حولك وهكذا أنت كفرعون أعمى وأعمى القلب . . تصاحب عدوك وتعادى الأبرياء . . وكفاك يا فرعون ، كفاك هذا التناقض وهذا السوء الذى أصابك فمن نفسك ، إنه ختم الحق ختم على سمعه وبصره وختم الحق إن ختم على عين وعلى سمع لا ينفع بعدها علم أو عقل أو ذكاء أو وعى حتى ولو كان أفلاطون وحكم الحق ظاهر فوق اللوح المحفوظ وحكم الحق نافذ . . كما أن نبوءة أبى يزيد بظهور أبى الحسن لا بد وأن تحدث ولا محل هنا للمقارنة بين حكم الحق ونبوءة أبى اليزيد لكن مولانا أراد أن يربط بين الموضوع الذى كان يتحدث عنه وبين الموضوع التالى له فى الحديث .

(١٩٢٥ - ١٩٣٤) عودة إلى نبوءة أبى يزيد بظهور أبى الحسن الخرقانى لقد ظهر أبو الحسن كماتنبأ به أبو يزيد تماما ، كما سمع أبو الحسن هذه الرواية من الناس وسمع هو نفسه هذه النبوءة من أبى اليزيد فى رؤيا (رؤيا الأولياء كرؤيا الأنبياء صدق) بأن أبا الحسن سوف يكون مريدا لأبى اليزيد وسوق يتلقى درسا من قبره . . فكان كل صباح يتجه نحو القبر ويقف فى غاية الانتباه حتى الضحى يستمع من الشيخ أبى اليزيد فإما يتمثل له الشيخ أو يرى المشكلات التى فى صدره تحل دون سؤال وجواب ، وحتى جاء صباح وغطى الثلج المقابر فسمع صوتا يناديه بألا ينكص عن محضر الشيخ وإن كان الثلج قد غطى العالم بأجمعه ومنذ ذلك اليوم بلغ أبو الحسن الخرقانى من الولاية ما بلغ . . . ماذا يريد مولانا جلال الدين بهذه الرواية ؟ !

من نافلة القول بالطبع أن أول ما يتبادر إلى الذهن من هذه الحكاية أن الأولياء كلهم روح واحدة وأن ليس فى عالمهم تلك الفرقة الموجودة فى عالم البشر العاديين « انظر الكتاب الثالث الأبيات ٣١ - ٣٥ وشروحها » ، هذا من ناحية ومن

ناحية أخرى فإن الولى لا يموت بل ينتقل من دار ويظل حيا إما أن يتمثل أو يحل فى القلب عن طريق الاستحضار . . . واستحضار الشيخ أو صورة الشيخ عندما يكون المريد مضطربا . . . تقليد صوفى معروف ويظل الغامض فى هذه الحكاية ما هو موقعها هنا ؟ ! إنها تكاد تكون خارجة عن السياق تماما .

(١٩٣٥ - ١٩٤٥) عودة إلى رواية الغلام الذى أنقصت كرايته ، ان الملك لا يرد فالغلام مصر على حمقه ، ولا خير فى جواب للأحمق إلا بسكوت ، فإنك إن رددت عليه لن يقتنع ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإننى إن سامحته فكأننى أكثر حماقة وهذا هو معنى أن إصابه الملك بالعدوى من علة الغلام إن الحمق أكثر خطرا من الجرب ، فبالحمق يمتنع الناس عن الدعاء فيجف السحاب وانظر إلى ما حاق بالبشر من كوارث أليس كل هذا من حمقهم ، أليس الكفر من الحمق فى النهاية وأليس من الكفر كان طوفان نوح ؟ !

(١٩٤٦ - ١٩٥١) وما دام الحديث عن الحمق وعواقبه فلا بد من حديث عن العقل ، وبالطبع ليس المقصود هنا هذا العقل الجزئى الذى يتلقى من الحواس ولا يحيط إلا بمقدار ما تحيط به هذه الحواس لا بل المقصود به ذلك العقل الذى هو قبس من العقل الكلى وجزء منه ، هو عقل القلب وعقد الروح الذى يمكن له الاحاطة دون استعانة بالحواس وخارج منطقة الحواس ومن هنا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الأحمق عدوى والعاقل صديقى » وقد سبق فى الكتاب الثالث شرح المقصود بالحمق فى قصة سيدنا عيسى عليه السلام وهروبه من الأحمق (انظر شروح الأبيات ١٠٢٧ وما بعده من الكتاب الثالث).

فالعاقل روح وريحان لصاحبه والعاقل حتى وإن شتم فإن شتائمه تتقبل بالرضا لأنه العاقل يستفيض من الفياض « العقل الكلى » أما الأحمق فإن حلواه مرض وصحبته لا متعة فيها ولا لذة ، فإن كلامه كضراط الحمار قبيح نتن إنه

يصيب شاربك بالنتن ولن تحصل على فائدة منه إلاعلى سواد الثوب ، فقد أشار عبد الباقى (283 / 4) إلى أن بعض هذه المعنى مأخوذ من بعض ما نسب إلى الامام على رضى الله عنه « يا بنى احفظ عنى أربعا وأربعا لا يضرك ما عملت معهن إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق ، يا بنى إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإيك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب » (نهج البلاغة – فيض الاسلام / ١١٠٤ – ١١٠٥)

(١٩٥٤ – ١٩٥٩) إن لذة مائدة العقل ليس بما تقدمه من خبز وشواء إن الطعام الذى يقدمه العقل هو النور (لتعريف النور انظر كفافى الكتاب الأول ص ٤٩٦) والانسان الحقيقى يرى أنه روح يحيط بها جسد ويحبسها وليس مجرد جسد هو الذى يتغذى بهذا النور ، أما هذه الأطعمة الصورية فعليك أن تنقطع عنها فهى طعام الحمير وليست للانسان الحر الذى حرره الله من كل العلائق الأرضية ، ومن هنا فإن الجوع هو طعام الصديقين وعن الجوع تحدثنا آنفا (انظر شرح الابيات ١٨٥٦ – ١٨٦٣ من هذا الكتاب) هذا البعد عن الغذاء الجسمانى يجعلك قابلا لطعام النور فهذا النور هو غذاؤك الأمثل قبل أن تنزل إلى هذا العالم ، وما هذا الخبز الذى نتناوله إلا انعكاس لهذا النور فإذا الذى تطلبه من صنع هذا الخبز هو العلم والمعرفة والعقل والحكمة وكلها وسائط قامت بنور العقل ومن فيض تلك الروح الكلية التى هى نفخة الهية فإن تلك الروح الحيوانية عن طريق النطقة أإن كل ما لديك هو قبس من ذلك الكل (مولوى ٤ / ٢٧٣) فلماذا ترضى بهذا القبس إنك إن ذقت مرة خبز النور وطعام الإله « أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » ، فإنك لن تستطيع أن تتلذذ بهذا الخبز الصورى « خبز التنور » مرة أخرى فسوق تعتاد على غذاء النور .

(١٩٦٠ - ١٩٦٧) يقسم مولانا جلال الدين العقل على أساس شعر للإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع (أنقروى ٤ / ٤٣٣)

فالعقل المسموع هو ما يسميه مولانا بالعقل الجزئى وهو من الكتاب والأستاذ والذكر والفكر والحفظ والقراءة والكتب بها يمكن بك أن تتفوق على الآخرين ، لكنها قد تثقل عليك وقد تقعدك عن الطريق إذا ظننت أنها كل شىء فى هذه الحالة تكون لوحا حافظا واللوح الحافظ كما فسر أستاذنا كفافى هو العقل المفعم بالمعارف فإذا أصبح العلم بالنسبة للطلب لوحا محفوظا فقد بلغ أسمى مراتب المعرفة الروحية (أول كفافى صـ ٤٩٣ شرح البيت ١٠٦٤)

أى تتكشف له المعارف المسجلة فى اللوح المحفوظ ومن هنا يوهب عقلا من لدن الحكيم الخبير هو مظهر الوحى الالهى به تبدو خفايا الأسرار ، هذا هو الماء النابع من الداخل الذى لا يسد طريقه ولا يأسن ، هو العين المنحدرة من داخل القلب ، هو بعكس العقل الكسبى أو التحصيل الذى يشبه الجداول التى تشق فى الشوارع لتدخل البيوت إذا انقطع طريقها تنقطع عن البيوت .

(١٩٦٨ - ١٩٩٢) لم يذكر فروزانفر اصلا للحكاية التى تبدأ بهذا البيت ومن الواضح أنها أقرب إلى المثل منها إلى الحكاية وترجمة للمثل الشائع عدو عاقل خير من صديق جاهل ، لأن العدو العاقل سوف يمنعه عقله عن ايذائك لكن مولانا يتخذ من المثل تكئة للحديث عن موضوعين الأول هو موضوع الصحبة وكيف أن أضيق السجون هى معاشرة الأضداد ، ولو كان ذلك فى

الحدائق والرياض (مولوى ٤ / ٢٧٥) والثانى أن ذلك العقل الموهوب من لدن الله سبحانه وتعالى سوف يتغلب على الهوى ، وسوف يتغلب على الطبيعة نفسها فمن الطبيعة ألا يترك المرء فرصة دون أن يهتبلها لايذاء عدوه ، إلا أن العاقل يمسكه عقله من ايذاء من جاء يسترشد به ويستشيره ، فهذا العقل الذى يسميه مولانا العقل الإيمانى هو بمثابة الشرطى لمدينة القلب وبمثابة الحاكم العادل فهو لا يدع النفس والطبيعة تتجاوز حدودهما ، إنه بمثابة القط والنفس بمثابة الفأر تظل فى مكمنها ما دام القط مفتوح العينين ثم يستدرك مولانا: أى قط ؟ بل إن هذا العقل أسد يجندل الأسود وهو حاكم على طبيعة البدن وزئيره يمنع بهائم السيرة من الرعى فى مملكة القلب ، ولا بد لمدينة وجودك من وجود هذا العقل فهى مليئة باللصوص الذين يتسلطون على وجودك ويبدلون أمنك خوفا .

(١٩٩٢ - ٢٠٠٠) الحكاية التى تبدأ بهذا البيت كما أشار فروزانفر مأخوذة عن الرواية التالية : بعث النبى صلى الله عليه وسلم بعثا وامر عليهم أسامة ابن زيد فطعن بعض الناس فى إمارته فقال النبى إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبله وأيم الله إنه كان خليقا بالإمارة وإنه كان لمن أحب الناس إلى وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده (مآخذ ١٤١) يقول مولانا إن لم ترزق هذا العقل الإيمانى فلا محيص من مرشد عاقل يأخذ بيدك فهو رئيسك كما أن الجيش بقائده والقوم بإمامهم ، إنك هكذا تبدو ذابلا ميتا لأنك تركت مرشدك كبرياء وأنانية ، وما أشبهك إذن بتلك الدابة التى تفر من صاحبها إلى الجبل ويكون الذئب فى انتظارها . تذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية ويترك الدانية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة (مولوى ٤ / ٢٧٧) .

(٢٠٠٣ - ٢٠١٦) ينصرف مولانا جلال الدين كعادته عن قصة تأمير الشاب الهذلى متتبعا الفكرة متقصيا إياها : وأنت أيضا دابة يامن غلبت عليك نفسك فصرت مركبا لها ولم تصر هى مركبا لك ، والحكم للغالب ومن ثم فإن من غلبت عليهم طبيعة الملائكية يكونون اقرب إلى الملائكية ومن تغلبت عليهم أحوال البهائم والسباع يكونون أقرب إليها وهلم جرا (شرح السبزوارى ٤ / ٣٠٠) هذا فى حين أن الله يخاطبك بتعال وهذا الذى يخاطب به الجياد لا الحمر إن الله يعتبرك جوادا أصيلا يقول لك « قل تعالوا اتلو ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا » الأنعام / ١٥١) وما أشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بكبير رائضى ذلك الاصطبل المسمى بالدنيا ، إنما أرسل لهذه الدواب الجامحة القاسية التى تظن نفسها بشرا يدعوها قائلا « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا » إنه يناديكم ليروضكم والرياضة كما ورد فى الفتوحات تذليل النفس والجامها بالعبودية وهى عند القوم قسمان رياضة الأدب ورياضة الطلب : فرياضة الأدب هى الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب هى صحة المراد أى بالطلب اما الرياضة عندنا فهى تهذيب الاخلاق وقال شيخ الإسلام فى منازل السائرين : والرياضة على ثلاث درجات : رياضة العامة وهى تهذيب الأخلاق بالعلم وتصفية الأعمال بالاخلاص وتوفية الحقوق فى المعاملات ، ورياضة الخاصة حسم التفرق وقطع الالتفات الى المقام الذى جاوزه ، ورياضة خاصة الخاصة تجريد الشهود عن ثبوت الشاهد والمشهود والصعود الى الجمع ورفع المعارضات (عن مولوى ٤ / ٣٧٩) كما يشير هذا البيت إلى ما شاع عند الصوفية من اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم رأسا لكل الطرق الصوفية ومنبعا لها فهو المرشد الأول لكل المسلمين ولأن الرائض غالبا ما يتعرض للركل من الدواب الجامحة الشموس فإن أغلب البلاء يتنزل بالأنبياء مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم . « أشد

النـــاس بـــلاء الأنبياء ثم الاولياء ثم الأمثل فالأمـثل » كمـا ورد «ما أوذى نبى قط مثلما أوذيت» (مولوى ٤ / ٣٧٩) وهكذا فإنكم دواب كسـولة بطيئة متعثرة لكنكم بترويضى وبشـريعتى تسيرون على الجادة وتصبحـون جديرين بالانقياد والطاعة لسلطان الحـقيقة ، فـهيا تعالوا ، هكذا يـقول لكم ربكم ، لكن ان لم يأتوا أيها الرسول لا تكن مـحزونا عليهم « ولا يحزنك الذين يسـارعون فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم » (آل عمـران / ١٧٦) واياك أن تكون غاضـبا أو فى باطنك شىء أن نفـرت منك تلك الفرقتان « اليهـود والنصارى » الذين لا تمكين لديهم ولاثبات « قل يا أهل الكتاب تعـالوا إلى كلمـة سـواء بيننا وبينكم أن لا نعـبـد إلا الله ولا نشـرك به شـيـئـا ولا يتـخـذ بعـضنا بعـضـا أربـابا مـن دون الله فـإن تـولوا فـقـولـــوا أشـهـدوا بـــأنا مسلميـــن (آل عـمران / ٦٤٠) فإن هناك من لهم آذان لا يسـمـعون بها ولهم أعين لا يبـصـرون بهـا ولهم قلوب لا يفقـهون بـها أولئك كـالأنعـام بل هـم أضـل ، وكل دابة من هـذه الدواب لهـا اصطبل خاص بها كمـا أن لكل طائر قـفصه الخـاص ، به هكذا اراد الله الناس . . فلا تنظر إلى هـذه التـفرقة ولو شـاء الله لهـداهـم أجمعين . . بل إن الملائكة وهـم أرواح خـالصـة عمـلهـم هو أنهـم « يسـبـحـون الليل والنهـار لا يفتـرون » الأنبياء / ٢٠ قـد انقسـموا صفوفا صـفوفا كـما ورد فى سـورة الصـافات حـاكـيـا سـبـحـانه وتعـالى عن الملائكة « ومـا منا إلا له مـقـام مـعلوم وانـا لنحن الصـافـون وإنا لنحـــــن المسـبـحــــون » الصـافـات / ١٦٤ - ١٦٦ وتـتـجلى فى هذه الأبيات نظرة مـولانا جلال الدين إلى الأديان : فليس الأمر كما يدعى بعضـهم انه كـان ينظر إلى الأديان كلها نظـرة واحدة علـى أسـاس أنها طرق فـاضت من نبع واحد ، لا بل كـان يرى أن الدين عند الله هـو الإسـلام لكن كل دابة لهـا حظيـرتهـا الجديرة بها . . وإن الهـدى هـو هـدى الله . . وان كـفـر الكافر لن ينقص من ملكوته سبحانه وتعالى مثقال ذرة .

(٢٠١٦ - ٢٠٢٤) لا يزال مولانا جلال الدين يعبر عن نفس الفكرة بمستويات أخرى من التعبير وذلك لبيان أن الإختلاف فى الأديان ورفض أهل الكتاب الدخول فى دين الله ليس لأنهم رأوا عيبا فى الرسالة فهم أدرى الناس بحقيقتها ، بل إن الأمر فى رأى مولانا أن الناس يتفاوتون فى تقبل الهدى كما تتفاوت مستويات التلاميذ الصغار فى المدارس (انظر الكتاب الثالث الأبيات ١٥٢٣ وما بعدها) ثم يضرب مولانا أمثلة يدق عليها كثيرا . فلكل حس من الحواس منصب منوط به وعمل كل حس لا تستطيع احاسيس كثيره ولو اجتمعت ان تقوم به . . . وهكذا الأحاسيس العشرة : الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة كلها فى صف ولكل منها درجة . . وكل من تمرد عن صف الدين القويم أخر إلى صف آخر به « ليست وحدة بين الأديان إذن حتى ابن عربى قال : لقد صار قلبى قابلا كل صورة . . صورة . . صورة وليست حقيقة فالحقيقة واحدة ، أجل لكن لها صورة نهائية لها صورة نهائية لها صورة ناسخة لكل الصور لها صورة لم تعرف »

(٢٠٢٥ - ٢٠٢٩) إذا كان الأمر كذلك فحذار من أن تعطى أمر الله سبحانه وتعالى (تعالوا) أذنا بها وقر ، فإذا كانت الكيمياء تحول المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة وتبدل طبيعة الاشياء فإن هذا الكلام الذى نزل على محمد بن عبد الله كيمياء شديدة العجب « وأى عجب أشد من تحويل جندب بن جنادة إلى أبى ذر الغفارى ووائد البنات إلى عمر بن الخطاب ؟ ! ! حتى وإن نفر منك ومن كلامك نحاسى بطبعه فلا تبخل بالكلام عنه . . فمن يدرى ؟ ! ! إن كانت نفسه الساحرة قد سدت عليه الطريق . . فربما يجدى كلامك فيه فى النهاية ، أليس من العجيب انه لا يكاد يوجد صوفى واحد من كبار الصوفية لم يكن فى هوى نفسه قبل ان تنزل عليه

الهداية ؟ ! ألم يسرف الكثيرون منهم على أنفسهم ؟ ! فهيا أيها الغلام (لعله يخاطب غلاما من المريدين) ادع الناس إلى هذه الحضرة « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » (يونس / ٢٥) وأنت يا من تظن بنفسك الرئاسة . هذا الكلام موجه إليك أنت أيضا . . ارجع عن كبريائك وسيادتك وتعال إلى حضرة المرشد .

(٢٠٣٠ - ٢٠٤٦) عودة إلى قصة تأمير الرسول للشاب الهذلى : فها هو أحد اولئك الفضوليين الذين يتدخلون فيما لا يعنيهم وفى مالا يفهمون قد اعترض لا عن سبب بل لمجرد الحسد ، ولا يترك مولانا هذا المعترض على علم الهدى ورحمة العالمين وخير البشر دون تعليق . . يقول : انظر كيف ان الخلق فى ظلمة وكيف فنوا فى هذا المتاع الفانى . . وكيف انهم فى تفرقة من كبريائهم وكيف انهم بجوار محيى الأرواح ومع ذلك أرواحهم ميتة يحيون بالشعوذة وفى عالم الطبيعة (سبزاورى ٤ / ٣٠٠) أرواحهم فى سجن (انظر ١ / ٥٢٥) ومفاتيح السجن فى أيديهم وما هذا السجن الا سجن الدنيا ، وما المفتاح إلا أن يتدبروا فى أنفسهم وفى خلقهم « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » (الذاريات / ٢١) « دواؤك فيك ولا تبصر (منسوب إلى الامام على) لكن هيهات : فما أشبه هذا المعترض بغريق فى الدنس والعصيان والشر ونهر الهداية والهدى يجرى إلى جانبه ، وها هو يتقلب ذات اليمين وذات اليسار وبجواره موضع الراحة والتطهير والملجأ لكل البشر . . فالنور خفى . . لكن سعيهم فى البحث عنه دليل على وجوده ، ليس كل ما يخفى غير موجود ، بل إنه عندما يبحث يبحث عن المجاز دون الحقيقة فطالب الغنى وطالب البقاء إنما يصلان إلى غنى مجازى هو عين الفقر وبقاء مجازى هو عين الفناء . . (سبزوارى ٤ / ٣٠١) « عن الطلب انظر الكتاب الثالث شروح ٩٧٩ و ١٤٣٥ وما بعدهما « وإذا لم

يكن هـناك مناص من سـجن الدنيا (سـجن المؤمن وجنة الكافـر) لو لـم يكن وراءها دار أخرى أبـقى هل كانت تبـدو بهذا الهول وكـان القلب يبحـث عن خلاص منها ؟ ! إن وحشـتك من الدنيـا لدليل آخـر يطلب منك أن تبحـث عن دار الآخـرة وتطلبـهـا وهكذا فـإن هـذا الطريـق اللائح المضيء كـامن . . ومن جـد وجـد فـاسـع كـثيـرا وابحث كـثيـرا فإن الـعـثـور على الطريق رهـن بالبـحث فـإنما تعرف الأمـور بأضدادها ، انظـر إلى النباتات التى كانت قـد ماتت فى البـستان قـد نهضت كـأنها تقـول لك : ها نحن شـهـود على أن الذى أمـاتنا يحـيينا فانظر إلـى آثار رحمـة الله كـيف يحـيى الأرض بعـد مـوتها ، إن ذلك لمحـى الموتى وهـو على كل شىء قـدير » (الروم / ٥٠) : وفى الكتاب الأول :

– أوليست جملة الأفكار والـعـقـول خـاصـة تصـبـر كل ليلة غـرقى فى بحـر عميق .

– وفى الخريف تذهب آلاف الأغصان والأوراق منهزمة إلى بحار الموت .

– وبينما الغراب يرتدى السـواد كالحزين وينوح على الخضـرة فى البستان .

– وثانية يجىء الامر من سيد الأرض فيقول للعدم : رد ماأكلت .

– أيها الموت الاسـود رد ماأكلت من زرع وأعشـاب وورق وحشـائش .

– فيا أخى اجعل عقلك معك لحظة واحدة إن بك كل لحظة ربيعا وخريفا .

– وانظر بسـتان قلبك أخضـر ريانا حافلا ببراعم الـورد والسـرو والياسمين .

(أول ابيات ١٨٩٠– ١٨٩٧)

وانظر الى السـجنـــاء « سـجناء الدنيا » أليسـت أعـينهم مـركـزة كل لحظة علــى بــاب السـجن . . متى كـانوا يركزون أبصـارهم هكذا على الأبواب إن لم يكن هناك مبشـر بأن ثمة خلاصا قـادما فى الطريق ؟ ! ! وآلاف الماوثين المدنسين

يطلبـون مـاء النهـر يطلبـون الهداية والتـوبة . . كـيف يطلب هـؤلاء مـا ليس له وجـود ؟ ! ! وهل يسـتقـر لك قـرار إن طلب منك أن تنام على الأرض بلا فـراش أو لحـاف وفى منزلك فـراش ولحـاف وكـونك لا تريد أن تنام عـلى الارض دليل على انك لست مـعـتـادا على هذا النوم ؟ ! وهل يمـكن أن يكون هناك قلق يـكون قلقًا وهو لا يعـرف لنفـسه مـقـرا ؟ وهل يمكن أن يسكر انسـان دون أن يعلم أن هناك مزيلا لخمار قد يصيبه ؟ ! ألا يدل كل هذا على وجود مـالا تراه لمجرد طلبك إياه وجودا حقيقيا لا لبس فيه ولا شبهة ولا شك .

(٢٠٤٧ - ٢٠٥٩) عودة إلى قصة المعترض الذى اعترض على تأمير الشاب الهذلى والواقع ان المعتـرض يثير هنا قضية عامـة تثار فى كل زمان ومكان . . لمن تكون القيادة . . هل تكون للشيوخ المجـربين أو للشباب المجددين . . . والمعترض فى أعتـراضه على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يقـدم درسا فى المعـارضة إنه يعلم إنه يعـارض الذى يوحى إليـه . . مع ذلك فـهـو يحـاول أن يلزمـه الحـجـة من كلامـه هو عليه السـلام والإشارة هنا إلى حـديث منسـوب إلى الرسـول صلى الله عليه وسلم « كبروا الكبر أو الكبر الكبر (استعلامى ٤ / ٣٠١) على أن الرياسة تحـتاج إلى شـيخ والجيش ملىء بالشـيـوخ ، صـحـيح أن أوراق اشـجـارهـم قد تبـدو صفراء لكن ثمـار أفكارهم ناضجة وما الأوراق الصفراء إلا عـلامة النضج والكمال والورقـة الصفـراء فى الشـجرة هى بمثـابة اللحـيـة البيضـاء التى هى علامـة على النضج . . أما العـيدان الخضـراء فـلا تدل إلا على فجـاجة الثمـرة . . لكن القدرة على الاستغناء (تعبير من سنائى والواقع أن التلاعب هنا لفظى من برگ بمعنى ورقة وبرگ بمعنى زاد) هى مـن عـلامـات الكمـال من الأوليـاء ولا يعـيب صـفـرة الذهب الصيرفى « فـالصفرة خضاب المؤمن والحمرة خضـاب المسلم » (انقروى ٤ / ٤٦٠) ويسـتمـر الهذلى من المقـارنة بين الشبـاب والشيـوخ : قد تكـون أقدام

الشيوخ مرتعدة لكنهم يطيرون بجناح من العقل فوق الأوج . . تماما مثلما رزق الله جعفر ابن أبى طالب جناحين بدلا من يديه وقدميه اللذين قطعا فى غزوة مؤته قبل استشهاده (انظر ٢ / ٥٧٧) .

(٢٠٦٠ – ٢٠٦٤) يعبر مولانا عن حرجه عندما ورد مدح الشيخ والشيوخ فى كلام هذا الفضولى الذى وجهه فى حضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام فكأنه حتى لم يكن يرضى بأن يمدح الشيخ أو المرشد فى موضع اعتراض على خاتم الأنبياء ورأس المرشدين صلى الله عليه وسلم ما كان أحرى به أن يصمت . . فإذا كان الكلام كالنهر فالصمت بحر . وكل كلام مهما كان حسنا مآله إلى الفناء والصمت ، فإياك أن تتمرد على إشارات البحر . . والبحر هنا هو محمد عليه الصلاة والسلام وربما كما فسر المولوى اترك الفرع أى جدول الكلام وتمسك بالأصل أى بحر الصمت (٤ / ٣٨٧) .

(٢٠٦٥ – ٢٠٧٤) عودة إلى القصة إن الخلاف هنا بين خبر ونظر فالمعترض يعطى الكلام حقه وحديثه ظاهر الإقناع .. لكن هل هو أدرى بالمصلحة عمن يعاين الأمور برأى العين أو يكون الخبر كالمعاينة وبالطبع يريد مولانا جلال الدين أن يشير إلى موضع آخر إلى المريد الذى يعترض على تصرفات الشيخ التى قد تكون ظاهرة الخطأ فالمريد لا يرى الأمور إلا مجزأة وطبقا لمعطياته وعقله القاصر لكن الشيخ يعاين الأمور .. المريد يرى الأمور الحاضرة .. لكن الشيخ يضع فى الحسبان ماغاب من أمور ومن ثم فلا أحد يشاهد ما يشاهدة الشيخ فالشيخ أشبه بمن بلغ وصال المحبوب والمريد يريد أن يتحدث عن « الدلالة » و « الواسطة » وما هذا إلا من قبيل اللغو عند من بلغ مرتبة الرجولة فى الطريق وترك مرتبة الطفولة ، تكون الكتب عنده ذات قيمة وإلا فما طلب الدليل بعد الوصول إلى المقصود (انظر الكتاب الثالث شروح أبيات

١٤٠١ – ١٠٤٦) وفى تعليق للأفلاكى : من عرف الله كل لسانه (مناقب العارفين ٢٧٩/١) . ومن الحماقة المؤكدة أن تذكر خبر الشئ أمام من عاينه .. فليس على المريد إلا الطاعة إن أمر بالصمت أن يصمت وإن قال لك أفض ، فتكلم لكن تكلم بحياء وخجل وأدب وكن مطيعا .

(٢٠٧٥ – ٢٠٨٠) يسمى مولانا المثنوى هذه التعويذة أو الرقية الجميلة إنه يضرب مثالا حيا على الشيخ والمريد .. لكنه يجعل من حسام الدين شيخا له .. إنه هو الذى يغريه بالمقال وبالتطويل والبسط كلما أراد الاختصار للمصلحة ويخاطبه قائلا : ياحسام الدين .. يا ضياء ذى الجلال ..أى حاجة بك إلى المقال ... ما دمت تعاين الأمور وتشاهدها ... لعل هذا لأنك تحب أن تسمع .. وأن تعطى الأذن حقها من المتعة .. تماما كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن يتلى عليه القرآن وعليه أنزل .. أو كأنك ذلك الشاعر الذى قال « هو أبو نواس »

ألا فاسقنى خمرا وقل هى الخمر   ولا تسقنى سرا إذا أمكن الجهر

وبح باسم من أهوى ودعنى عن الكنى   فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(ديوان أبى نواس . . انقروى ٣٦٦/٤ مولوى ٣٨٩/٤)

ويعلق الأنقروى بأن الأولياء على نوعين عند المشاهدة ، نوع لا يحب أن يتحدث مصداقا لـ (من عرف الله كل لسانه) ونوع آخر ينطلق فى الحديث (من عرف الله طال لسانه) ... فعندما يكون كأس الأسرار الإلهية على اللسان تضج الأذن : وأين نصيبى ، .. ألا يكفيك أن يكون نصيبك هو هذا السكر وتلك الحرارة .. لا .. إن هذا لا يكفى ، ينبغى أن تسمع الأذن أيضا ويعلم الجميع أن المتعة تتضاعف عندما تشارك الأذن .

(٢٠٨١ – ٢٠٨٨) عودة إلى قصة المعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما زاد المعترض عن حده فإن من نزلت فيه الآيتان الكريمتان والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى (النجم /١ – ٢) و عبس وتولى . أن جاءه الأعمى (عبس / ١– ٢) أى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بالرغم من أن القرآن نزل بعضه يبرؤه من الضلال فإنه تذكر أنه أخطأ ذات مرة عندما أشاح بوجهه عن ابن أم مكتوم فنزلت الآية الكريمة عبس وتولى . أن جاءه الأعمى ، فعض شفتيه ، لكنه الآخر لم يفهم فأخذ يضع يده على فمه الشريف بما يوحى له بأن يمتنع وهذا هو الأدب النبوى العظيم فى معاملة الرعية لم يأمر بالقبض عليه فى المجلس أو حتى إخراجه من المجلس ، كل مافعله أن وضع يده على فمه هو بما يوحى بأنه يريد أن يقول : ماذا تريد أن تقول أمام العالم بالأسرار ، وأى حديث هذا الذى تتشدق به ؟ كأنك تضع بعرا تحت أنفك وتقول ما أجمله وما أحسنه ؟ هكذا وتستحسن هذا القول لكى تروج بضاعتك من الكلام المنمق وتتظاهر وأنت تشم هذا البعر بأنك أيضا تشم ما بلغ المشام النبوية الشريفة من زهور الأفلاك والعلوم اللدنية .. لقد كان حلم الرسول عظيما لكنه كان يريد الرحمة حتى لذلك المعترض بأن يعرفه بقدر نفسه « رحم الله امرئ عرف قدر نفسه » .

(٢٠٨٩ – ٢٠٩٦) لكن إياك أن تغتر بهذا الحلم بل عليك أن تستحى ، فإذا انبسط الولى وانشرح عليك ألا تسيىء الأدب .. وهذا العظيم وإن تناوم فلاتسىء الأدب معه وتظنه نائما ، فهو شديد اليقظة ويخاطب مولانا المعترض على المصطفى :حتام تتحدث بهذا المكر أمام المصطفى عليه الصلاة والسلام ؟ إن هذه الجماعة أى جماعة العارفين تعرف آلاف الأنواع من الحلم كل منها كالجبل وهكذا فإن هذا الحلم يجعل الذكى أبله أى يعتمد على هذا الحلم فيعتمد على

ذكائه فيقع فى عين البله .. وكذلك أيضا يجعل ذلك الأديب الذى له مائة عين يضل ، فما تنفع كل هذه العيون الحسية . . دون عين من تشرف على الأمور تقوده . وحلمهم كالشراب الخالص المنقى غير المغشوش يذهب أعلى الرأس لكنه رويدا رويدا فيصاب بالسكر ويفقد وعيه ويمشى بشكل معوج كحركة « الحصان » فى الشطرنج فيقع الملىء بالعجب بنفسه مجندلا .

(٢٠٩٧ - ٢١٠١) هذا الشراب متعدد لكن أقواه ذلك الشراب الذى يشرب من دن « بلى » أى دن الإقرار بالعبودية منذ الأزل فى يوم ألست (انظر شروح الأبيات ١٢٣٤١ - ٢١١٠ - ٢١١١ من الكتاب الأول والأبيات ١٦٦٧ - ٢٩٧٠ - ٣١٣٧ من الكتاب الثانى والأبيات ٢٣٤٤ - ٢٣٤٨ - ٢٤٧٠ من الكتاب الثالث) هذا هو شراب العشق الأزلى هو ذلك الذى سلب الوعى من أصحاب الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، ومنها أيضا شرب نسوة مصر فقطعن أيديهن قال نجم الدين كبرى : فلما وقعن على جماله وكماله أكبرن أن يكون جماله جمال البشر (مولوى ٤ / ٣٩١) كما أمن السحرة بموسى عليه السلام لأنهم شربوا من هذا الشراب ولم يأبهوا بتهديد فرعون فقد توصلوا إلى الروح ولم يعد يهمهم الجسد إن قطع أو صلب . . ومن هذا الشراب أيضا شرب جعفر الطيار فضحى بذراعيه وساقيه . . .

البيت ٢١٠٢ : الحكاية التى بدأت بهذا البيت وردت فى تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار على النحو التالى : كان ذات يوم فى الخلوة فقال سبحانى ما أعظم شأنى وعندما أفاق حدثه المريدون قائلين : ما هذا الذى تفوهت به ؟ فقال : ناشدتكم الله ، وأنا لكم خصم إن سمعتمونى أتفوه بهذا الحديث هلا مزقتمونى إربا ، وكان أن ردها مرة أخرى فهم المريدون بقتله ، فملئت الدار بأبى يزيد فأخرج المريدون لبنة من الجدار وطعنه كل منهم بسكين : فكأنهم طعنوا بها ماء ، وعندما مرت بضع لحظات وأخذت الصورة أى صورةأبى يزيد تصغر ظهر أبو

يزيد صغيرا كصعوة جالسا فى المحراب فسأله المريدون عن هذا الأمر فقال لهم يا يزيد هو ما ترونه ، ولم يكن الآخر أبو يزيد ثم قال : نزه الجبار نفسه على لسان عبده (تذكرة الأولياء ١ / ١٣٤) كما وردت فى تلبيس إبليس لابن الجوزى ٣٢٤ - ٣٤٥ والفتوحات المكية ١ / ٣٥٤ (عن مآخذ ٤ / ١٤٢) وواضح أن القصة عند مولانا تختلف عن هذا الأصل .

(٢١٠٣ - ٢١٢١) يرى مولانا أن أبى يزيد البسطامى قال ما قاله وهو فى حالة سكر صوفى . . لقد كان فانيا فى الله سبحانه وتعالى فنطق بما نطق به . . وهو ما ذهب إليه الشيخ الأكبر ولا بد من إثبات عين العبد فى الفناء فى الله وحينئذ يصح أن يكون الحق سمعه وبصره ولسانه ، كأن الحق قال على لسان با يزيد لا إله إلا أنا فاعبدون وهذا هو تفسير السراج والهجويرى . لقد أمرهم با يزيد بأن يعملوا مديهم فى بدنه إن تفوه بهذا ، فإن كل القائل جسدا فسوف يقتل وإن كان القائل روحا فلن تؤثر فيه المدى شيئا . . . وهذه زيادة فى الحكاية من مولانا جلال الدين وهى بالطبع فى إطار الموضوع موضع الكلام . . أى عدم الاعتراض على الشيخ الذى يشاهد من المريد الذى يحكم طبقا لمعطياته ، وعندما ثمل أبو يزيد من شراب العشق الإلهى ضاع منه العقل ، فالعقل كالشمع و العشق كالصبح وإذا طلع الصباح بطل المصباح ، ويدق مولانا جلال الدين على هذا المعنى : إن العقل كالشرطى والعشق كالسلطان وأى قيمة للشرطى فى حضرة السلطان والعقل هو ظل الحق . . . والحق هو الشمس وأى بقاء للظل عندما تطلع الشمس . . . وإذا كنت لا تصدق غلبة العشق . . فكيف تصدق غلبة المصروع ، ألست تقول أن جنيا تلبسه ؟ ! فهو لا يقول إلا ما يقوله ذلك الجنى . . وإذا كان هذا شأن الجنى فما بالك بخالق الجنى ؟ أليس المصروع يتحدث أحيانا بلغة لا يعرفها وهو مفيق مثاله ما ورد فى تائية ابن الفارض :

واثبتت بالبرهان قولى ضاربا	مثال محق والحقيقة عمدتى
بمتبوعة ينبئك فى الصرع غيرها	على فهمها فى مسها طيف جنة
ومن لغة تبدو بغير لسانها	عليه براهين الأدلة صحت

انقروى ٤ / ٤٧٥ – ٤٧٦

أليس من شرب خمرا دنيوية وأبدى ضروب الشجاعة تقول إن الخمر هى التى فعلت ذلك وإن تحدث حديثا فصيحا تقول إن الخمر هى التى ساعدته وأطلقت لسانه ؟ ! أتقول بكل هذه القدرة لخمر دنيوية ولا تعترف بهذه القدرة لنور الله تعالى ؟ ! ثم أليس القرآن من فم محمد صلى الله عليه وسلم . وكل من لا يقول إنه كلام الله على لسان محمد فقد كفر . ويشير فى الشطرة الثانية فى ٢١١٥ إلى ما قاله أبو الوفاء الكردى البغدادى ومنسوب أيضا إلى بابا طاهر أمسيت كرديا وأصبحت عربيا (استعلامى ٤ / ٣٠٥) ومن بحث لجعفرى فى هذا الموضوع أن ما يراه جلال الدين هنا إن الجانب الإنسانى فى أبى اليزيد أدنى من أن يتفوه بمثل هذه العبارة والقائل فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى . . مثلما نطقت الشجرة عند اقتراب موسى « إنى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » (طه / ١٤) . . ويقول محمود الشبسترى فى هذا المجال أيليق هذا من شجرة ولا يليق من مقبل من المقبلين ؟ (جعفرى ١٠ / ٣٥٠ – ٣٥١) .

(٢١٢٢ – ٢١٣٠) عودة الى قصة أبى يزيد مع مريديه : عندما فنى أبو اليزيد عن نفسه بدأ مرة ثانية فى التفوه بأمثال هذه العبارات فقال هذه المرة « ما فى الجبة غير الله » وهذا القول منسوب أيضا إلى أبى سعيد بن أبى الخير لقد كان بايزيد يقصد أنه امتلأ بالله بحيث لم يعد يحس بأى شىء سواه لقد نفى

الغيرية نفيا تاما وهى قمة من قمم التوحيد ومنتهاه وردت فى الحديث النبوى ... فإذا أحببته كنت له يدا وقدما وسمعا وبصرا فبى يبطش وبى يسعى وبى يبصر وبى يسمع ، ومع ذلك فإن المريدين الذين يقفون عند ظاهر العبارات ويعرفون ظاهرا من القول وليس هذا بمستبعد عن الفانين فى الله الباقين به ، عندما يستغرقون استغراقا كليا ، ولعل المريدين لم يشاهدوا طوال أعمارهم نور الله متجليا فى خلقه الله (الولى الفانى فى الله) فهذا ليس بمستغرب عليهم . . . . . مع أنك إن أردت السعادة فعليك بأن تتجاوز العادة (سبزوارى ٤ / ٣٠٢) وهكذا فإن هؤلاء المريدين الذين لم يفهموا من كلام ابن اليزيد إلا ظاهره شرعوا مديهم كملاحدة كردكوه (وهو جبل فى مازندران كان سكنا لطائفة من اسماعيلية إيران المشهورين بالحشاشين وبالملاحدة) وأخذوا يطعنونه بالمدى وما الطعن بالمدى هنا إلاسوء الظن والوقوف على الظاهر ، وهنا يأتى التجديد فى تناول مولانا جلال الدين للحكاية فإن هذا الجسد الذى ضربوه بالمدى لم يكن جسدا . . بل كان روحا خالصة وبالطبع فإن الذى يهاجم روحا خالصة إنما يرتد كيده إلى نحره . . ويجسد مولانا جلال الدين هذه الصورة تماما فالذى يطعن صدر الولى يرتد طعنه إلى صدره هو ، والذى يطعن جنبه يرتد الطعن إلى جنبه هو وهلم جرا وما القتل الذى حاق بالمريدين إلا ذلك القتل المعنوى . . . القتل فى الطريقة . . فليس هناك من ذنب افظع من الشك فى المرشد والتطاول على مقامه وكان الذى نجا هو الذى لم يبالغ فى طعن شيخه .

(٢١٣٧ - ٢١٤٧) يتحدث مولانا عن الفانين فى الله المنسلخين عن ذواتهم ويحذر من أنه لا شأن لك بهؤلاء فهؤلاء فى أمان وطمأنينة لأن الأذى إنما يحيق بالجسد وهؤلاء لا شأن لهم بالجسد ، لقد انقلب إلى مرآة تتجلى فيها كل ما ينظر إليها فحذار من إبداء الرأى السيء فيه ، فهذه الصورة القبيحة صورتك أنت

قد تجلت فى مرآة وجوده لقد حدثتك قبل ذلك عن أبى جهل عندما نظر الى أحمد المصطفى عليه السلام فقال له « ما أقبحك » فقال له أحمد صدقت ثم رآه الصديق فناداه يا شمس الروح فقال صدقت وكان تعليق الرسول عندما سئل عن السبب فى تصديقه هذين الرأين المتناقضين : إننى مرآة صقلتها يد العرش الإلهية فالترك والهنود يشاهدون فى حقيقة كيانهم (مثنوى . . أول . . الأبيات ٢٣٦٥ - ٢٣٧٠ وانظر أيضا الكتاب الثالث شرح الأبيات ٤٨٨ - ٤٩٦) ويرى مولانا نفسه مقبلا على شرح مزيد من الأسرار ويعبر عن هذا الخطر بأنه على حرف السطح أى معرض للسقوط . . . فزم شفتيك وأغلق فمك . . . وما دمت ثملا بخمر العشق الإلهى . . . فحاول أن تجلس فى مكان منخفض وأن تخاطب كل امرىء بقدر فهمه .

(٢١٤٨ - ٢١٥٢) يفسر مولانا جلال الدين ما الذى يعنيه بقوله على حرف السطح . . فهذا البسط الذى يحدث للصوفى الثمل من تواتر الألطاف الإلهية والكشوف الإلهية عليه هو حافة الخطر ومن ثم فهذا الذى يعبر عنه الصوفيه بالوقت والوقت العزيز والوقت الحلو (انظر شرح الابيات ١٤٢٧ من الكتاب الثالث) هو مكمن الخطر ، وهو السيف القاطع . . . هذا الفرح بالكشف والفرح بالوصول والفرح بالإنعامات الإلهية قد ينسى العارف نفسه فيبوح بما لا ينبغى البوح به ومن ثم يستحب الحزن : هنا فى هذا الوقت ينبغى الخوف والحذر من الغيرة الإلهية والخشية من مصير كمصير إبليس الذى أعجب بنفسه فعند الولاء يأتى البلاء . . . واحذر زوال هذه الدولة فى قمتها ، فإن الشىء إذا تم نقص ودنا زواله وإن لم تصدقنى فانظر إلى كل نكال أصاب قوما ما إنما أصابهم بغتة وهم فى سرورهم ولهوهم حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها . . . .

(سورة يونس/آية ٢٤) وطالع مصائر الأمم السالفة كقوم نوح وقوم لوط فلولا خافوا ما سقطوا .

(٢١٥٢ – ٢١٦٠) أتدرى لم تخبط ذلك الشاب الذى اعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسقط كل هذا السقوط ؟ ! لقد حدث له كل هذا من فرط سروره وانبساطه ونشوته وسكره لأن قبسا من النبوة قد سطع على روحه بينما كان جالسا فى محضر النبى صلى الله عليه وسلم ولم تكن روحه مستعدة له . . . فضل هكذا حتى خسر الدنيا . . . ولإنها تزيد المؤدب الوقور الأصيل أدبا ووقارا ونجابة ، وهكذا بالنسبة لوضع المهذار . . تزيده وضاعة وهذرا من هنا حرمت الخمر لأن أغلب الناس من هذه الطينة الوضيعة التى تزيدها الخمر شرا وشررا والشرع عادة ما يكون فى سبيل الأغلبية أو الأكثرية ولا يشرع فى الإسلام لمصلحة أقلية من الناس وليسلب هذا السيف من يد قاطع الطريق لأنه توسل بالقوة لا بالبيعة ! !

(٢١٦١ – ٢١٦٩) من الأوفق أن يبدأ ما تحت العنوان بهذا البيت وهو ما اتبعه يوسف بن أحمد والأنقروى . . وها هو الرسول عليه الصلاة والسلام يفسر ما هو المقصود بالشيخ المجرب (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات ٢٢٨٢ – ومن ١٧٩١ إلى ١٨٠٠) فليس الأمر هنا مما يؤخذ على ظاهره فليست الشيخوخة بمظاهرها ، فرب شاب أكثر تجربة وعلما وحكمة من كثير من الشيوخ ، ورب شيخ أشيب الشعر لكنه أسود القلب ، فالشيخ هو شيخ العقل وترى من كان أكثر طعنا فى السن وله مظاهر الشيوخ أكثر من إبليس ؟ ألم يعبد الله ألف عام ؟ ! وألم يكن عيسى طفلا ومع ذلك أوتى الحكم صبيا . . . إن الأمر كما يبدو فى الظاهر فحسب وعند من ينظر إلى ظاهر الأمور يبدو العقل والنضج مرتبطا بالشيخوخة وهذا له قيمته عند المقلد وليس المحقق (انظر للمقلد والمحقق ٢ / ٤٩٠ – ٤٩٤) .

(٢١٧٠ - ٢١٧٦) المقلد هو الذى يبحث عن الأمارات والعلامات والدلائل أما المحقق فهو الذى ينظر بنور الله ويشق حجب المظاهر والدلائل نافذا فيما وراءها إلى لب الحقيقة ، إن الزيف والنقد أمام المقلد الذى ينظر إلى الألوان سيان ، لكن المحقق يعرف ما فى داخل القوصره « القوصرة : صندوق يوضع فيه البلح » سبزوارى (٤ / ٣٠٤) وما أكثر الأشياء التى تعمى ظواهرها وتخفى ملامحها الثمينة لتنجو من يد كل عدو ، أليس الملامتية من أهل التصوف هم الذين يخفون حقيقتهم عن الناس بكل ما يستوجب اللوم ؟ إنما نحن فقط أهل التحقيق الذين ننظر إلى الباطن ولا ننظر إلى الظاهر ، أما القضاة فهم الذين يحكمون على الظاهر وروى أبو سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إنى لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس ولا أشق بطونهم ، وما أكثر المنافقين الذين استفادوا من هذا وأراقوا دماء المؤمنين ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (البقرة / ٨) . فجاهد إذن حتى تكون شيخا من شيوخ العقل حتى تكون كالعقل الكلى (للعقل الكلى انظر ١/١٨٩٩ وانظر الكتاب الثالث ٢٥٢٩) ، أو من لهم نصيب من العقل الكلى ناظرا إلى الأشياء كما هى وإلى بواطنها .

(٢١٧٧ - ٢١٨٧) فصل فى مدح العقل . . . وعندما أسفر عن وجهه أى خلقه أعطاه الله ألف اسم على أسمائه هو جل شأنه هذا فى رأى للسبزوارى (٤ / ٣٠٣) وفى رأى يوسف بن أحمد فإن علماء الرسوم قالوا لهذه العزيزة العقل النظرى والعلمى والكسبى والحصولى والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل المنفعل والفعال والكلى ، وقالت الحكماء : الجوهر المفارق وقالت الصوفية القلب، وقال بعضهم نور القلب والروح والنفس الناطقة ، وقالت المشايخ المستقدمون لهذه العزيزة القلم والروح القدسى وباعتبار أنه منور الباطن ومظهر صور

العقول واللمات الملكية لوح (نجم الدين كبرى ومجد الدين البغدادى وعلاء الدولة السمنانى) وباعتبار تحريره التجليات ونقشه الحروف العاليات والواردات الإلهية على صحائف قلوب أهل الكمال : قلم ، وباعتبار أنه منشأ النزاهة من شوائب أدناس البهيمية وأوساخ الطبيعية والشيطان روح القدس ، وبهذه المناسبة قال سهل بن عبد الله التسترى : للعقل ألف اسم ولكل اسم ألف اسم ذكر منها القليل ليدل على الكثير (٤ / ٣٠١ وانقروى ٤ / ٤٩٠ - ٤٩١) وأقل هذه الألفاظ أنه المستغنئ عن كل شيء بالله تعالى وأنه لا يحتاج الى أحد ، وهو وإن تمثل نوره جسدا سويا لأزرى بنور الشمس ، وهذا كما قال أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره فلو كوشف أنوار القلوب لانطوى نور الشمس والقمر مشرقات أنوار قلوب أولياء الله فقلوب أولياء الله لاكسوف لها ولاغروب (ينظر عجائب القلب فى الإحياء للغزالى) كما قيل :

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب

كما قال ابن الفارض :

فبدرى لم يأفل وشمسى لم تغب وبى تهتدى كل الدرارى المنيرة

(الانقروى ٤ / ٤٩٢)

وإذا كان العقل نورا فالحمق ظلام ، لا يعيش الأحمق إلا فى الظلام كالخفاش فائتلف بالنور ، وإلا كنت خفاشا عاشقا لكل مكان تكون فيه العقبات والمشاكل عدوا لكل مكان فيه مصباح ، عابدا للدنيا جامعا لفتاتها غافلا عما فيك من سوء وجبلة سيئة .

(٢١٨٨ - ٢٢٠١) يقسم مولانا جلال الدين البشر إلى ثلاثة أصناف ، عاقل ونصف عاقل وشقى مغرور : والعاقل هو ذلك الذى يملك الشعلة أى شعلة

المعرفة ونور الهداية ، فهو بذلك دليل القافلة وذلك الإمام يقتدى بنور ذاته ويتبع تلك الذات التى أفناها فى ذات الله ، فأمنوا أنتم أيضا أنه يستطيع أن يقودكم لتصلوا إلى ذلك النور الذى وصل إليه ، وهناك نصف العاقل وهو الذى يتخذ من عاقل عينه التى ينظر بها . . لقد أمسك به كما يمسك الأعمى بدليله فهو يبصر ويتحرك ويحفظ توازنه ووقاره به ، أما الثالث فهو الذى ليس لديه نور يهتدى به كما أنه لا يمسك بأحد العقلاء ، إنه لا يعرف الطريق لكنه يحس بالعار من أن يتبع أحدا ، يمنعه كبرياؤه من التعلم ، ويملى عليه عجبه إن على الناس أن يتعلموا منه ، وهو ينطلق كيفما اتفق فى هذه الصحراء القاحلة ، يسرع حينا ويبطىء حينا دون أن يعلم متى يبطىء ومتى يسرع ، فلا نور لديه من عقل . . ولا نصف شمعة من سؤال ، فلا هو بالعاقل ليعيش بالعلم كالأحياء ، ولا بنصف عاقل لكى يبحث عمن يكمل له عقله ينقذه من الحضيض الذى يعيش فيه إلى السطح ، فإن لم يكن لك عقل عامل فاعتبر نفسك ميتا فى حضرة العقلاء الذين يحيون بكلامهم موتى القلوب ، إن مثل هذا كمثل الذى لا هو بالحى لكى يكون لائقا بصحبة من هم فى قوة عيسى الروحية ، وليس بالميت لكى يحاول هؤلاء إحياءه . إن روحه العمياء تخبط خبط عشواء ، إنها تسعى كثيرا وتكد كثيرا لكنها لا تصل إلى نتيجة ترجى ولا تنجو بسعيها هذا .

(٢٢٠٢) يقدم مولانا مستوى أخر من التعبير عن الفكرة السابقة والحكاية التى تبدأ بهذا البيت من الحكايات المشهورة فى كليلة ودمنة باب الأسد والثور قال ومنه : زعموا أن غديرا كان فيه ثلاث سمكات : كيسة وأكيس منها وعاجزة ، وكان ذلك الغدير بنجوة من الأرض لا يكاد يقربة احد ، وبقربه نهر جار فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان ، فأبصرا الغدير ، فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما يتصيدا ما فيه من السمك ، فسمعت السمكات قولهما ،

فأما الأكيس لما سمعت قولهما وارتابت لهما وتخوفت منها ، فلم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذى يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير ، وأما الكيسة فإنها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ، هبت لتخرج من حيث يدخل الماء فإذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت : فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيله على هذه الحال ؟ ! وقلما تنجح حيلة العجلة والإرهاق ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأى ، ولا ييأس على حال ولا يدع الرأى والجهد ، ثم إنها تماوتت فطفت على وجه الماء متقلبة على ظهرها تارة ، وتارة على بطنها ، فأخذها الصيادان فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت إلى النهر فنجت . أما العاجزة فلم تزل فى اقبال وإدبار حتى صيدت (كليلة ودمنة - ترجمة ابن المقفع ص ٤٣ من طبعة دار الشعب) كمأ اشتق المراد بهذه الحكاية من قول منسوب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الرجال ثلاثة رجل ينظر فى الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ، ورجل متوكل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم ، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا (البيان والتبيين للجاحظ / ٣ صـ ١٨٢ طبعة مصر ١٩٣٢ بتحقيق حسن السندوبى (مآخذ ٤ / ١٤٢ - ١٤٣) وقد ذكر مولانا مصدر الحكاية لكنه استدرك بأنها فى كليلة ودمنة مجرد صورة لكنها فى المثنوى روح ومعنى .

(٢٢٠٦ - ٢٢١٢) السمكة العاقلة الحازمة لم تقدم حتى بمجرد استشارة رفيقتها فهى بعقلها وحزمها أدركت أن مشورة من يقل عقلا أو يعدمه خالية من القيمة وإنه من الممكن أن يثبطاها عما عزمت عليه . . ومن ناحية أخرى كانت تعلم أنها سوف يحدثانها عن حب الوطن وأن الهجرة عن هذا الوطن أمر صعب على نفسيهما : فالمسافر عليه أن يستشير مسافرا مثله ، استشر عموما من هو

فى مـثل حـالتك أو من خـبـرها أو من مـرت عليه ، سل حكيمـا وسل عـالما ، إن هاتين السـمكتين سـوف تتـعللان بحب الـوطن وحب الوطن من الإيمان حديث صـحـيح لكن مـتى كـان المقـصـود هو هذا المكان الذى نـعيش فـيـه وهـل نسـيـت أن وطنك الحـقيقى هـو فى تلك الناحـية ، هو ذلـك الذى خلقت أولا فيه ونفيت عنه ومن واجبك أن تعود إليه ، فـاقرأ الحـديث لكن لا تقرأه مقلوبا ، إن الله يرغـبك فـى أن تعـمل لكـى تعـود إلى وطنك لا أن يـكون همك هـذا التـراب الذى تعيش عليه والـدنيا التى تحـجب عنك الوطن الحـقـيقى وقـد أشـار عبد الباقى (٤٣٢٦) إلى أن المعنى مـأخـوذ من قـول للإمـام على « إن الدنيـا والآخـرة عـدوان مـتفـاوتان وسـبيـلان مـختلفـان فـمن أحب الدنيا وتولاهـا أبغض الآخرة وعـاداها وهمـا بمنزلة المشـرق والمغـرب ومـا شـىء بينهـمـا كلمـا قـرب عن واحـد بعـد منى الآخر وهما بعد ضـرتـان (نهج البلاغة – فيض الإسـلام / ١٠٠٣) أدرك هـذا وإلا صرت مثل الذى قلب الدعاء عند الوضـوء.

(٢٢١٣ – ٢٢٢٠) الخـبر الذى يشـيـر إليه مولانا جلال الدين فى هذه الابيـات :

إذا اردت الشـروع فى الوضـوء تقـول أولا : نويت الـوضـوء لله تعـالى ورفـعـا للحـدث والاسـتبـاحـة للصـلاة ، ثم بعـد الاسـتعـاذة والبـسـملة تقـول : اللهم انى أسـألك اليـمن والبـركة وأعـوذ بك من الشـؤم والهـلكة ، فإذا تمضـمـضت تقـول : اللـهم صل على محـمد وعلى آل محـمد وأعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ، فإذا استنشـقت بأنفك اطلب من الرب الغنى رائحة الجنان وقل اللـهم أرحنى رائحة الجنة وارزقنى من نعـيـمـها ولا ترحنـى رائحة النـار ، وإذا غسلت وجـهك تقـول : اللهم بيض وجـهى يوم تبـيض وجـوه وتسـود وجـوه ، وإذا غـسلت يدك اليمنى تقـول اللهم أعطنى كـتابى بـيمـينى وحـاسبنى حسـابا يسـيرا ، وإذا غـسلت يدك اليسرى تقول : اللهـم إنى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشـمالى وتحـاسبنى حسـابا

عسيرا ، وإذا مسحت رأسك تقول : اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك ، وإذا مسحت أذنيك تقول : اللهم اجعلنى ممن يستمع القول فيتبع أحسنه وأسمعنى منادى الجنة مع الأبرار ، وإذا مسحت رقبتك تقول اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ، وإذا غسلت رجلك اليمنى تقول اللهم ثبت قدمى على الصراط مع أقدام المؤمنين ، وإذا غسلت رجلك اليسرى تقول اللهم أعوذ بك من أن تزل قدمى على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين . وروى عنه صلى الله عليه وسلم « من ذكر الله عند الوضوء طهر جسده فإن لم يذكر اسم الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء (مولوى ٤ / ٣٠٦) وعند الاستنجاء يستحب أن يدعى الله سبحانه وتعالى بأن يطهر النفس من جنابتها وأن ينقى الباطن من الأدران : اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من العلماء الراشدين واجعلنى من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (أنقروى ٤/ ٤٩٩) .

(٢٢٢١ - ٢٢٣٠) هذا المثال الساخر ورد فى مقالات شمس الدين التبريزى (مقالات شمس ص ٣٦١ مأخذ / ١٤٣) إن الدعاء صحيح لكن موضع الدعاء خطأ . . وهذه الشطرة ضل فجوة الدعاء أو اشتبهت عليه فجوة الدعاء مما يجرى مجرى الأمثال الساخرة فى اللغة الفارسية لمن يطلب الشىء طلبا صحيحا لكنه يطلبه من غير موضعه أو فى غير أوانه أو للذى يستخدم الشىء فى غير موضعه (انظر داستانهاى أمثال ص ٢٨٤) ويضرب مولانا هذا المثل لخطأ ذلك الذى يذكر حب الوطن من الإيمان على أساس أن الرسول عليه السلام يقصد به هذا الوطن فى الدنيا ، بل هو وطن الآخرة ، كما أن رائحة الجنة بفتحة الأنف وليس بهذه الفتحة الدنيا . . . وهذا التفسير يمكن أن يكون أبلغ رد على دعاة القومية الضيقة الذين يعبدون التراب ، ويستشهدون بها الحديث

قائلين إن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى حب الوطن ، غافلين عن أنه إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى وطن ما فهو على الأقل هذا الوطن الذى ينضوى تحت رسالته وهو العالم أجمع أو حيثما يرتفع أذان من مسجد والرأى ما قاله العارفون .

(٢٢٣١ - ٢٢٣٤) تكون الشورى والخطر جاثم وماثل ووشيك ضربا من الحماقة ، أو عندما يكون ما على الإنسان أن يفعله واضحا ولا مجال فيه للاختيار بين رأيين ، فالسمكة العاقلة أو الرجل الحازم العاقل لايضيع وقتة عند الخطر ، ويضرب المثل فى الشطرة الثانية بالإمام على رضى الله عنه وتأوهه فى البئر بدلا من أن يفشى الأسرار ، وفحوى الإشارة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسر ببعض الأسرار إلى سيدنا على . . . وطلب منه عدم إفشائها وبعد عدة أيام ضاق صدره عن حملها . . فذهب إلى بئر وأسر إليه ببعض ما عنده فتحول ماء البئر الى دم ومر الرسول بهذا البئر فطلب من بعض صحابته أن يستخرجوا منه بعض الماء . فوجدوه دما فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا إلا لأن علياً تكلم فيه بالسر (المولوى ٤ / ٣٠٩ - الانقروى ٤ / ٥٠٣) وزاد السبزاوى على الرواية إن عليا رضى الله عنه قال حديث طويل رواه كميل آه آه إن هاهنا لعلما جما لو أصبت له حملة (سبزوارى ٤ / ٣٠٤) وقد نظم العطار الجزء الخاص بمرور الرسول على البئر فى منظومته منطق الطير فقال نزل المصطفى فى موضع من الطريق ، فقال هاتوا الماء للمعسكر من البئر فذهب ثم عاد مسرعا قائلا : إن البئر مليء بالدم ولا ماء فيه فقال لعله من الألم الذى أصابه عندما بث المجتبى فيه أسراره (منطق الطير الأبيات ٥٢٣ فما بعدها) ويضيف المولوى رواية أخرى إن قصب الناى نبت فى البئر فجاء شاب وقطع منه عودا أخذ ينفخ فيه فاسمعه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : يخبرنى عن

الأســرار التى قلتها لعلى والرواية هنا محرفة عن حكاية لسنائى الغزنوى وردت فى الحديقة (انظر حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة الترجمة العربية ص ٤٦) منسوبة إلى حلاق الاسكندر الأكبر والمراد هو حبس الأسرار عمن لا يستحقها من ناحية وحبسها عند الاستماع إليها على أساس أن « قلوب الأحرار قبور الأسرار » ، كما أشار سنائى إلى الواقعة فى شطرة واحدة من البيت ٣٣٠٢ من الحديقة وقليل من يستحقون هذه الأسرار فتوار كالعسس وسر ليلا وليحفك ظلام الليل إن كنت غير أهل للأسرار وجاهد فى ترك هذا الجدول ذى الماء الآسن واطلب بحر الحقيقة المحيط (لبحر المعنى انظر ١ / ٢٩٥ وما بعده) .

(٢٢٣٥ - ٢٢٣٧) ما أقرب التعبير هنا إلى محتوى الحديث النبوى الشريف ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها (مولوى ٤ / ٣١٠ - انقروى ٤ / ٥٠٤) .

(٢٢٤٥) الحكاية التى تبدأ بهذا البيت من المأثورات المشهورة وردت فى كتب كثيرة من أمثال العقد الفريد لابن عبد ربه وحلية الأولياء (جـ ٤ / ص ٣١٦) وإحياء علوم الدين وكتاب الأذكياء لابن الجوزى كما نظمها العطار فى إلهى نامه (مآخذ ١٤٤ / ١٤٥) .

(٢٢٧١ - ٢٢٧٣) إشارة إلى الحديث النبوى الشريف حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وموتوا قبل أن تموتوا . وقد مر تفسير الموت قبل الموت فى الكتاب الثالث (شرح الأبيات ٣٧٦٢ - ٣٧٦٨) ويريد مولانا هنا بالموت بالغنى أى الموت بمغريات الدنيا من ناحية والموت الاضطرارى أى موت البدن دون توبة أو رجوع .

(٢٢٨٢ - ٢٢٨٣) قال تعالى فى سورة الملك « وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من

الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتهـا : ألم يأتكم نـذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما أنزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير » (أيات ٦ – ٩) .

(٢٢٨٧ – ٢٣٠٠) قـال تعـالى « ولو ترى إذ وقـفـوا على النار فـقـالـــوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدالهم مـا كانـوا يخفـون من قـبـل ولو ردوا لعـادوا لما نهـوا عنه وإنـهـم لكاذبـون (الأنعـام / ٢٧ – ٢٨) ويجرى الحوار بين العقل والسمكة الحمقاء وهو فى الحقيقة بين العقل وكل أحمق قلبه غلف لا يعرف العذاب إلا عندما يرى نفسه فيه ، وذلك لغياب عقله ، والخطاب موجـه إلى السمكة وإلى كل أحمق : اذهب يا عديم القيمة فإن هذا التمنى أيضا ليس من العقل فهو من قبيل تمنى المحال « كلا ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » (سورة المؤمنون / أية ١٠٠) فهذه الفراشة تعود إلى النار مهما تدفع عنها ، ومهما تذق من لهيبها ، والندم أيضا من أمارات الحمق فهو لا يغير من الحقيقة شيئا ، وهو أيضا من ألم العقاب لا من ألم الذنب ، وهذه التوبة ليست فى محلها وإنما تكون التوبة قبل التعرض للعقاب . . إنما تكون التوبة من قريب وإلا فإن الذى ينتظر التوبة حتى الموت كالذى يسخر من خالقه وعندما يذهب الألم عنه ، يمضى ندمه وتمضى توبته كالقائل قولا بليل (ليل الألم والعذاب والظلام) فإذا طلع عليه النهار نسى ما بدر منه من ندم وتوبة ومن ثم فإن العقل يرد عليه (ولو ردوا لعادوا) .

(٢٣٠٠ – ٢٣٠٦) ينشد مولانا الحقيقة دائما ، فيرى أن هناك ما يشبـــه العقـــل وليس بعقل ، بل هو وهم يبدو كأنه عقل ، كما يبدو الزيف كأنه ذهب ولهذا الوهم يحاول أهل الباطل قتل الحقيقة كما جادل فرعون موسى عليه السلام . ويقول السهروردى فى هياكل النور الوهم ينازع العقل حتى إن المنفرد يبيت بالليل يفر منه عقله ووهمه حتى ربما يغلب تخويفه ، فينفرد الإنسان وهو يخالف العقل فى أمور غير محسوسة حتى أن الذين يتبعون قضاياه ينكرون

ما وراء المحسوسات » (أنقروى ٤ / ٥١٥) الفيصل إذن فى التمييز بين العقل والوهم عند صاحب الهياكل أن صاحب الوهم ينكر ما وراء المحسوسات ، وعند مولانا محك آخر فإن الذى يدبر من أجل شهوات الدنيا ليس عقلا بل هووهم . . . على أساس أنه يدبر ويفكر فى الزيف والوهم . . وهناك محك آخر يقدمه مولانا : إعرض أفعالك على معيار القرآن وأحوال الأنبياء ، وها هو العقل يخاطبك : إن تعرض نفسك على هذا المحك سوف ترى نفسك لست أهلا لطريقتى ، ولا صبر لك على ما أمليه عليك . . لكن العقل الحقيقى إن تعرض لأشد أنواع العذاب حتى لو قسم بالمنشار فهو يضحك لأنه يعلم أن هذا البلاء مخصوص به الأولياء وأنه دليل على صدق معدنه (انظر الكتاب الثالث / ١٥١١ – ٤١٢٠ – ٤١٢٣) .

(٢٣٠٧ – ٢٣٢١) يجسد مولانا المعانى ليقربها فموسى عليه السلام هو العقل ، اما الوهم فهو فرعون الذى أحرق العالم بنيران ظلمه وجبروته وتعديه على العباد وجرأته على الحق ، وهكذا يدير مولانا حوارا بين موسى وفرعون : فرعون لا يرى من موسى إلا ما يعرفه عنه وهو الذى رباه ولا يعرف عنه شيئا يذكر (الوهم) وموسى يحاول ان يفهم فرعون أنه وجود غير الذى رباه ، وانه وهب مالم يكن آلاف الفراعين يستطيعون ان يهبوه إياه دون فائدة ، ان فرعون يسأله : من تكون ؟ ! قال له :« إنى رسول من رب العالمين » لكن هذه النسبة بالذات لا يريدها فرعون فيقول له : دعك من هذا الإدعاء أذكر نسبك القديم عندما كنت تعيش بيننا ، يجيب موسى بأن النسبة الحقيقية له أنه عبد الله من نسل عبيد وإماء وأنا من تراب ومرجعى إلى التراب مثلك تماما ايها المهول فهذا هو نسبك أيضا الذى خرجت منه ، ومرجعنا جميعا إليه سبحانه وتعالى يوم لا أنساب بينهم ولا يتساءلون ، أنسابنا واحدة نحن الأنبياء والعصاة ونحن جميعا

من هذه الناحية أكفاء غير أن فرعون يريد أن يذكر موسى عليه السلام بأنه كان مجرد عبد له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين (الشعراء / ١٨ - ١٩) بل أنت عبد متمرد عاص هربت من وطنك بعد جريمتك المشئومة ، إن كلام فرعون كله واضح الصدق لكنه بعيد عن الحقيقة وأقرب إلى الوهم ، كل القياسات التى يقدمها صادقة وذلك لأنه لا يعلم أن موسى عليه السلام أصبح عبدا ربانيا .

(٢٣٢٢ - ٢٣٤٠) يفند موسى عليه السلام خطاب فرعون إليه إلى أى مدى هو كاذب رغم لهجة الصدق التى يتحدث بها ، فموسى هو عبد الله وحاشا أن يكون عبدا لسواه ، وحاشاه أن يكون له شريك فى ملكه ، ثم إن الله هو خالقه ولا يستطيع فرعون أن يصور حاجبا واحدا من حاجبيه، فمن أين يستطيع أن يعرف مايدور فى روحه ، ثم أن فرعون هو الطاغية المشئوم لأنه يدعى الملك مع الله ، ثم إن فرعون الملوث الأيدى بدماء الآلاف من آل يعقوب يعير موسى بفعلة واحدة لم يفعلها عن عمد أو عن قصد لقد وكزه فقضى عليه ومتى كانت الوكزة تقتل انسانا لا يريد الله سبحانه وتعالى له أن يقتل ؟ لقد قتلت كلبا كافرا ... وقتلت أنت آلاف الأبرياء ، وكنت أنا المقصود ولكن الله سبحانه وتعالى اجتبانى واصطفانى برغمك . وهكذا عندما يفحم فرعون لا يجد مايقوله امام الناس إلا أن موسى عليه السلام أساء الأدب ... لقد حط من كرامة فرعون أمام الناس ، انه لم يفكر فى يوم الحشر العظيم ، انه سوف يذل أمام الخلق أجمعين وهكذا فإن النفس الفرعونية فى كل عصر وكل أوان ، داخل كل لباس .. عندما تحصر ولاتحار جوابا لاتملك إلا أن تتوسل بظاهر المبادئ الأخلاقية وكيف يجرؤ على من رباه ؟ وإن لم يكن قد رباه كيف يجرؤ على كبير القوم ورب الأسرة ؟ كيف يحطم مابناه رب الأسرة ؟ وكيف يخرب بنيانه ؟ إن هذا المنطق يغفل عن نقطتين

مـهـمـتين : الأولى أنه لاشـئ يعلو عـلـى الله وإذا كـانت الـقـضـيـة حق الله وحـقـوق الناس فـلا كـرامـة لأقـرب الأقـربين : « قل إن كـان آباؤكم وأبنـاؤكم وإخـوانكم وأزواجكم وعـشـيـرتكم وأموال اقـتـرفـتموهـا وتجارة تخـشـون كسـادها ومسـاكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسـوله وجهاد فى سبيله فتـربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » (التوبة / ٢٤) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : فإن ليس كل هدم تراه بالهدم وغالبـا ما تكون العناصـر الهـدامة تسـعى فى هدم بناء واه لكى تقيم مكانه صـرحـا عاليـا ، والبقـاء فى الفناء فكرة دق عليهـا مولانا جـلال الدين كثيـرا وهى الفكرة الجامـعة للكتـاب الثـالث (انظر مـقـدمة الـكتـاب الثـالث) ، كـمـا وردت فى الكتـاب الأول بشكل مـخـتـصـر « وصـحـة حسـن الدنيـا تجئ من سلامة البـدن وأما صـحـة حسـن الدين فتأتى من خرابه وأن طريق الروح يخرب الجسـم لكنه يعود فيعمره بعد هذا التخريب ، فـهو كمن خرب دارا من أجل كنز من الذهب ، ثم زادهـا عمرانا بذلك الكنز ذاته ، أو كمن قطع الماء وطهر مجرى النهر ثـم عاد وأجرى ماء الشـرب فيه ، « أوكـمـن » شـق الجـلد وانتـزع منه رأس الحـربة فـنمـا على الجـرح بعـد ذلك جلد جـديد ، أو كـمن هـدم القلـعة وأخـذها من الكـفار ثم أقـام على أرضـهـا مـائة برج وسـد ، ومـن ذا الذى يصف من لاشـبـيه له ؟ إن مـاقلتـه لـيـس إلا مـا تمليـه الضـرورة (الأبيـات ٣٠٥ - ٣١١ من الكتـاب الأول) وانظـر أيضـا مـثـال قـيـمـة الحـرص فى الكتاب الثالث (الأبيات ٤١٥٩ ومابعده)

(٢٣٤١ - ٢٣٥٤) ورد هـذا المثل فى مقالات شـمس الدين التبريزى (٢٩٥) (مأخذ / ١٤٦) ويضـرب مولانا أمـثلة عديدة من الـواقع المعـاش : حراثة الأرض : جراحـة التقيح ، والخـياط عندمـا يقطع الملابس والأدوية عندما تدق والقـمـح عندما يطحـن ليكون دقـيـقـا ، وكل بناء قـديم يراد تجـديده ، أجل كـل بناء قـديم يراد

تجديده لابد وأن يهدم هذا البناء من البداية لكى يقام البناء الجديد خاليا من كل عيوب البناء القديم .. دعك من كل الألفاظ والمصطلحات المعاصرة كالأصولية والراديكالية وما إليها ، فهذه هى روح الإسلام الحقيقية ، كل واقع جديد لابد وأن يقوم على أنقاض القديم ، وألا يقبل الرسول أن يحكم عاما وقريش عاما آخر .. أو لتنازل لهم عن بعض ما كانوا يطالبون به من مسائل قد لاتمس روح الدين ، لكن الأمور كلها لا تتجزأ ، ولست أقول إنها روح الاسلام فحسب لكنها أيضا روح الفطرة التى يدق عليها مولانا جلال الدين كثيرا .. فالعالم كله فى حالة تهدم وبناء ، وقديم يمضى وجديد يأتى ، وكل شئ هالك الا وجهه . إن مايظنه فرعون تخريبا من موسى وحطا من شأنه هو فى الحقيقة عمل من شأنه أن يعلى من شأنه ويخلصه وهو السمكة الحقيرة من شص الدنيا والإصرار على الذنب الذى أمسك بحلقها ، وعلى المستوى الصوفى والتربوى النفسى : عدم الوجود المادى يؤدى إلى عمران الوجود المعنوى (انظر ١ / ١٨٩٧ - ١٩٠٦ وما بعدها) .

(٢٣٥٥ - ٢٣٥٩) لايزال الحديث موجها من موسى عليه السلام أو العقل إلى فرعون لعنه الله أو الوهم : لقد جعلت من نفسك حية تسعى ذات فحيح وهى مجرد دودة ، وهذا هو فعل الوهم وهو أن يضخم الشئ الحقير التافه ويجعله كبيرا ، ويجعل المرء الهالك الميت يظن فى نفسه ماليس فيها حتى ينقلب إلى فرعون ، ولأن دودة فرعون نفسه قد صارت أفعى ولأن فرعون الذى لا يزيد عن دودة قد ظن بنفسه أنه أفعى فقد أحضر الأفعى من أجله ، فلا يصلح للأفعى إلا الأفعى ولا يكسر حية النفس الفرعونية إلاحية موسوية فإن رضيت يا فرعون نجوت من هاتين الحيتين حية نفسك وحيتى .

(٢٣٦٠ - ٢٣٧٥) رد فرعون على موسى انه ألقى بسحره فى الأرض الفساد وفرق بين الخلق (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات ١٠٦٧ - ١٠٨٥) ، لكن موسى يفرق بين ما يراه سحرا وبين الاستغراق فى الرسالة الإلهية الذى يجعل من موسى مخلوقا إلهيا ساعيا بالله ناطقا به وليس مجرد ساحر . وشتان ما بين الرسالة والسحر ، فالسحر من الغفلة والكفر ، وأى شبه لى بالسحرة ومتى كانت أنفاس الساحر تحيى الموتى ، ومتى كانت الكتب المنزلة تستضاء بنور السحرة ، ان هذا الذى يظنه فرعون فى موسى ليس إلا من أوهام فرعون التى تستنكر على موسى الرسالة ، وانه إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يلقاه من توهم ، إنما ترى العالم كما تكون ، فإذا كنت دائر الرأس ترى المنزل يدور بك . وإذا كنت فى سفينة تسير بك فى اليم فذلك ترى الساحل يسير بينما تكون أنت السائر لا الساحل ، وأنت فى الحرب فى ميدان القتال عندما يضيق بك الحال ألست ترى الدنيا أيضا قد ضاقت بك فى حين أن الدنيا هى الدنيا بل الضيق نابع منك أنت ،أنت الذى يمكن تحس بهذا العالم كأنه روضه ومن الممكن أن تحس أنه مجرد سجن لك وأنت ترى من العالم ما يفيض من داخلك أنت وهذا المثال ورد فى معارف بهاء ولد (١ / ٢٣٤) قلت لنفسى : إذا كنت خربا فكل العالم المعمور خراب وإذا كنت ضياء فكل الظلمات ضياء وإذا كنت متعبا فكل ألوان الراحة تعب وإذا كنت عامرا فكل أنواع الخراب عمران المدرك والمدرك من جنس واحد فإذا كنت فانيا عن نفسك يكون العالم أمامك فانيا ، وإذا كنت باقيا يكون العالم أمامك باقيا ، وإذا صرت نورا يكون العالم نورا لا أرضا ولاسماء ولا عناصر ولا مواليد كما يقول القائل فى مقام الشهود لا إلا ولا لا كل ما يبدو للنظر هو الله هو الله هو الله . . إن المكرم يرى كل شىء مكرما وهكذا ترى العين الطاهرة فمدرك النور يرى نورا ، ومدرك الظلمة يرى الظلمة وما أصدق ما يقول مجد الدين سنائى » الصوفية يقيمون كل نفس عيدين . . بينما تقدد

العناكب الذباب (سبزوارى ٤ / ٣٠٥ - ٣٠٦) وهكذا يستمر مولانا جلال الدين فى تقصى فكرته : لا بالسفر ولا بالإقامة فحيثما ذهبت لا ترى إلا ما يفيض من نفسك ، وما تكون هذه النفس مهيأة لرؤيته أنه كاللحم القديد المنشور على وتد الطبيعة . . هل يتغير هذا اللحم وهل يحس وهل يبدر منه ما يدل على انه موجود !

(٢٣٨٠ - ٢٣٨٣) لكنك إذا كنت فى أرض تخرق فيها الأسباب والعلل لا يرتبط ما فيها بمنطق الأشياء وبما يفيض من النفس إلى الخارج ، فأنت قد أصبحت فى أرض الله ، وأرض الله توصف بأنها واسعة حيث تفنى المظاهر وما يرتبط بها من أسباب أو علل ، هى أرض القلب حيث تتفتح العوالم الرحبة ، وحيث تتبدل صورها هى أمامك كل لحظة ، لا بتلك الصور التى تنبت من وهمك ومن ظنك ومما تفيض به نفسك ، وكأنها تلك الصور التى يراها عالم الأرواح . . ان هذا الحسن من التبدل الذى يطرأ عليها ، من الجديد الذى تبديه لك كل لحظة وأخرى ، فلو أن الجنة نفسها كانت ثابتة الصور لا نقلبت إلى صورة قبيحة من دوامها واستمرارها على وتيرة واحدة ، فإن اللذة فى التغير لكن ليس التغير على عواهنه ، بل التغير الذى تسيطر عليه الروح والذى يكون تابعا للقلب ، هذه هى النعمة التى لا توصف .

(٢٣٨٤ - ٢٣٩٩) وإذا كنت لا تصدق ان المدركات الروحانية تختلف من إنسان الى إنسان ، فأمامك فى خلقتك أنت الدليل ، هذه الحواس وآلاتها المركب فيك : فلا الأنف يستطيع أن يبصر ، ولا العين تستطيع أن تشم ، ولا الأذن تستطيع أن تلمس ، كل آلة من هذه الآلات أستاذة فى فنها ، لكنها إن كانت معطوبة أو تشكو آفة ما فإنها لا تدرك المدركات إدراكا صحيحا مهما كانت هذه المدركات صحيحة ، إن عين الأحول لا ترى الوحدانية ، هى دائما فى شرك (انظر

مثالا على هذا الكتاب الأول ، فهذه الحواس إذن فى حاجة إلى غسل حتى تكون طاهرة ولا تريك إلا الطاهر ، وهذا ما يسمى عند الصوفية بتطهير الثياب : ذكر عن ابى الحسن الخرقانى رأيت رسول الله فى النوم فقال لى يا أبا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس (انقروى ٤ / ٥١٥) والكلام لا يزال لموسى : وحتى تدرك يا فرعون أن هناك فرقا شاسعا بينى وبينك لا تنظر إلى بعينك ولكن انظر إلى بعينى أنا . . ترى عالما من العشق ، وهذا عندما تنجو من البدن ومن آلات البدن ومن الاثنينية .

(٢٤٠٠ - ٢٤١١) عندما تنجو من البدن فإن كل قوانين البدن تنعدم ، ومنها تلك القوانين التى تحكم كل آله بأن تدرك جانبا من المدركات فتستطيع الأذن والأنفس أن تكون عينا ليس هذا فحسب بل كما قال ذلك الملك حلو البيان « إن كل شعرة من شعور العارفين تنقلب إلى عين (انقروى ٤ / ٥٣٩) قال جعفرى انه أبو اليزيد البسطامى (١٠ / ٤١٩) وقال استعلامى انه أبو اليزيد البسطامى اعتمادا على رواية وردت فى تذكرة الأولياء لقد هتف به جزاء عبادته ثلاثين عاما : يوم القيامة أحول وجودك الجسدى إلى ذرات وأهب كل ذرة منها بصيرة (٤ / ٣٢٠) وما أشبه البيت بما ورد عند ابن الفارض :

فكلى لسان ناظر مسمع يد — لنطق وادراك وسمع لبطشت

فعينى نامت واللسان مشاهد — وينطق منى السمع واليد أصغت

وسمعى عين تجتلى كلما بدا — وعينى سمع ان شدا القوم تنصت

ومنى عن يد لسانى يدكما — بدى لى لسانى فى خطابى وخطبتى

كذاك يدى عين ترى كلما ترى — وعينى يد مبسوطة عند بسطتى

وسمعى لسان فى مخاطبتى كذا — لسانى فى اصغائه سمع منصت

(أنقروى ٤ / ٥٣٨)

ألم يكن هكذا الجسم فى البداية عندما كان جنينا دون عين ؟ ! فهل تظن أنت أن النور من هذه الشحمة ؟ ! والشيطان يرى والجنى يرى دون هذه الشحمة المسماة بالعين ، فليست هذه الشحمة إذن هى السبب فى الرؤية وإلا ما رأت العين شيئا فى النوم ، إنما يضع الله فيها النور ، فليست الشحمة إذن هى سبب النور وإلا فأية صلة للانسان المخلوق من التراب بالتراب ، وهل الجن يشبه النار ؟ والطير من الهواء فهل يشبه الهواء ؟ ، إن هذه الفروع منسوبة إلى أصلها بلا كيفية ، والافاى شبيه للتراب مع الانسان أو الانسان مع التراب ؟ ! ! إن كان ثمة شبه فهى مخفية عن العقل ، إنها بلا كيفية وكيف يفهم العقل ما لا كيفية له .

(٢٤١٢ - ٢٤٢٢) الموضوع المفضل عند مولانا جلال الدين : كيف تعطى الجمادات الإدراك من لدن الله مباشرة ، والدليل على ذلك أنه سلط الريح على قوم عاد فكانت تفرق بين المؤمن والكافر ببصيرة ممنوحة من الله سبحانه وتعالى ، وإذا لم تكن هناك بصيرة عند نار النمرود فكيف عرفت ابراهيم الخليل وامتثلت للأمر ولم تحرقه ؟ وإذ لم يكن للنيل هذه البصيرة فكيف كان تتحول دما لآل فرعون ويظل على طبيعته المائية لقوم موسى ؟ وكيف أوب الجبل مع داود إن لم يكن له سمع وبصر ونطق ؟ ! وإذا لم يكن لهذه الأرض عين وروح فكيف ابتلعت قارون وما رأيك فى الجذع الحنان ؟ وفى الحصى الذى نطق بنبوءة محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإذا لم تكن تصدق فاقرأ « إذا زلزلت الأرض زلزالها فكيف تزلزل الأرض إن لم يكن عندها حياة وإحساس ؟ !

(٢٤٢٣ - ٢٤٣٤) الخطاب مازال لفرعون ومولانا شديد الاهتمام بقصة موسى وفرعون على أساس أن فرعون وموسى موجودان فى كل جبلة وفى كل ذات يتصارع هذان القطبان المتنافران (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات ٩٧٥ و ١٢٥٩ و ٩٧١ و ١٢٥٢ ومقدمة الترجمة العربية للكتاب السادس) ، إن مجرد

إرسالى إلى مثلك أميرا لدليل على أن الله سبحانه وتعالى لطيف وخبير يعلم بأنك على كثرة ما عندك إنسان ضعيف فى حاجة إلى هداية ، وهو يرى أن داءك الوبيل الذى لاشفاء منه يحتاج إلى هذا العلاج أى العصا ، بهذه العصا سوف يكسر قرن وقاحتك وجبروتك ، وقد أنذرك الله وحذرك وأبدى لك من الواقعات المخفية ما كان فيه رادع لك لكنك أولتها كلها واعتبرتها أضغاث أحلام من النوم الثقيل وعميت عن فحواها ، وصرت أصم عن سماع النذير فيها ، وسار منجموك ويحثوا لها عن أسباب أخرى غير طغيانك وكفرك ذلك لأنهم رأوك لست مجرد طالب نصح مسكين ، بل خافوا منك لجبروتك وظلمك وتعطشك للدماء ، فسددت على نفسك بذلك أبواب النصح ومضيت فى وادى الهلاك .

(٢٤٣٥ – ٢٤٣٦) والملك الحقيقى هو الذى لا يسفك الدم إلا لمصلحة ، والذى تخلق بخلق الله فتسبق رحمته غضبه ، كما ورد فى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى .

(٢٤٤١ – ٢٤٤٥) هذا مثال على أساس أن أهل الدنيا عندما يأنسون غفلة من أهل الدين يهاجموهم هم ، ويحاولون قطع الطريق عليهم حتى فى الأصلاب والأرحام ، كما فعل فرعون عندماأراد أن يمنع ميلاد موسى (لتفصيلات فى الكتاب الثالث شرح الأبيات ٨٤٠ – ٨٤٥) ، وهذا على أساس أن المسلم إن لم يغز غزى هو فى عقر داره ، وفى خطبة للإمام على رضى الله عنه : ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا وقلت لكم أغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا (عن جعفرى ١٠ / ٤٦٣) وهكذا عندما حلم أهل الروح على فرعون ، تجرأ بطبيعته الخسيسة وأراد أن يقطع الطريق على مجىء موسى . . . فكأنه أراد أن يسد الطريق التى جعلها الله للتناسل فكانت السخرية منه فى قمتها وكان موسى المقصود فى صدر داره وهو منهمك فى جرمه .

(٢٤٥٨ – ٢٤٦٧) إن الله سبحانه وتعالى عادل يعطى لكل إنسان ما يستحقه تماما وما يليق به ، ومتى قام الإنسان بشر أو عصيان والتواء لم ير من بعده ما يناسبه من جزاء ؟ ! ! على المرء أن يكون مراقبا لفعله ووجوده ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . . حينذاك لا تكون فى حاجة إلى قيامة وحساب ما دامت كل لحظة من لحظات وجودك قيامة وحساب ، وذلك الحر الذى تكفيه الإشارة متى كان فى حاجة إلى القول الصريح ؟ ! أن البلاء قد حاق بك من حمقك أنك لم تفهم الرموز . . وإلا فهل كان فرعون فى حاجة إلى الأنبياء بعد الآيات التسع . . وفى هذا تنبيه على فرعون كل زمان إذا ظهر فى زمانه شىء من التسع أو غيرها تزداد حتى يهلك وإن تاب ورجع تاب الله عليه . . . ويتوب الله على من تاب (مولوى ٤ / ٣٣٨) . وإياك والعكوف على الذنوب حتى لا يسود قلبك ، ولا يكون لك أمل فى عودة أو أوبة أو توبة مصداقا للحديث النبوى الشريف إذا أذنب العبد ذنبا حصلت فى قلبه نكتة سوداء ، إن تاب واستغفر صقلت ، وإن عاد زيدت حتى يسود قلبه ، إن كل فعل خيرا كان أو شرا يتولد لك منه شىء فى داخلك .

(٢٤٦٨ – ٢٤٧٢) هذا الجسد الذى أصله من الطين كحديد حسن الصنف ، يمكن أن يصقل فيتحول إلى مرآة يتجلى فيها كل شىء ، وعادة ما يضرب الصوفية بهذا مثلا على أن الجسد وهكذا طبيعته يستطيع أن يسمو عنها لكى يصير مرآة يتجلى فيها كل شىء . . . فما بالك بالروح وطبيعتها أنها نفحة أو نفخة من ذى الجلال .

(٢٤٧٥ – ٢٤٨٦) لقد أعطى الله سبحانه وتعالى العقل لكى يكون صقالا لهذا الجسد ولكى ينور القلب . . . وما العقل هنا إلا العقل القدسى ، لكنك بتركك للصلاة عطلت هذا العقل عن عمله وأطلقت يد الهوى تفعل فيك فعلها ،

ولو أنك حبست الهوى وأطلقت العقل لصقل جسدك لكنك فعلت العكس وهذا هو السعى بالفساد فى الأرض منذ عطلت آلة الاصلاح أى العقل وأطلقت آلة الفساد «الهوى» ولاتكدر ماء الجدول (القلب) حتى ترى الجواهر أو المعانى الإلهية فى قاعه وروح الإنسان مثل الهواء إن علق بها التراب يحجب السماء (الدعاء والرحمة) بل ويمنع الشمس نفسها من الظهور فانظر إلى الكدر والتراب ماذا يفعلان فى الكون حتى تطهر وجودك من كدر الخطايا وتراب الدنس وتصقله ، وانظر رحمة الله بك ... إذ يرسل إليك فى منامك التحذيرات ويدعوك إليه على فحوى الحديث المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم « إذ أراد الله بعبد خيرا عاتبه فى منامه » (مولوى ٤ / ٣٤١) .

(٢٤٨٧ - ٢٥٠٠) ها هو موسى عليه السلام يفاجىء فرعون بماكان يعن له ... بالنذر الإلهية التى أيسرها انقباض النفسى واكتئابها . كانت أفعال فرعون السوداء ترتد على ذاته كماتعكس المرآة صورة حاملها علـه يحاول التخفيف من قبحه ، لكن النفسى الفرعونية كلما جوبهت بعيوبها ازدادت فسادا وصلفا ، كان فرعون يرى قبحه مجسدا فى النوم ، فكان يفر منه دون أن يعلم أن قبحه معه ، كذلك الزنجى الذى رمى المرآة مدعيا أنها قبيحة (مثل ورد عند سنائى الغزنوى انظر . حديقة الحقيقة الأبيات ٤٠٣٥ -٤٠٤٠ وشرحها) وتكررت فى اكثر من موضع من مقالات شمس ولها أصل عربى . إن كل ما يحدث لك أعرفه . . . كل الكوابيس التى تتوالى عليك . . . وكل الأصوات التى تسمعها وهى تلعنك وتنذرك بسوء العقاب إلى غير ذلك مما لا يليق بنبى أن يتفوه به ، وما يحدث لك كثير ، بل ذكرت لك قليلا من كثير لتعلم أنى عالم بكل أحوالك خبير بها ، هذا الكفر يجعلك تتجاهل كل هذه النذر كما تجاهلت الآيات التسع وقد دفع إلى شقاء الكفر والعصيان وادعاء الربوبية فلم تنفع معه كل هذه النذر .

(٢٥٠٥) فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « باب التوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والياقوت ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاما للراكب وهو مفتوح منذ خلقه الله تعالى إلى طلوع الشمس من مغربها» (مولوى ٤ / ٣٤٣) وفى حديث آخر من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه (انقروى ٤ / ٥٦٥) .

(٢٥٠٦) للجنان الثمانية ثمانى أبواب وهى عدن والوسيلة والفردوس والخلد والنعيم والمأوى ودار السلام ودار القرار ويقال لباب جنة عدن باب التوبة ويقال لباب الوسيلة باب الزكاة ويقال لباب الفردوس باب الصلاة ويقال لباب الخلد باب الريان يدخل منه الصائمون ويقال لباب النعيم باب الحج ويقال لباب المأوى باب الجهاد ويقال لباب السلام باب الورع ويقال لباب دار القرارباب صلة الرحم (مولوى ٤ /٣٤٣) .

(٢٥٠٧) الحوار الذى يبدأ بهذا البيت ورد فى موضعين من قصص الأنبياء للثعالبى .. قل له : ان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شيء إلا بعلمى وأخبره بأنى من العفو والمغفرة أسرع منى إلى الغضب والعقوبة .. وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك فى طول هذه المدة ، وفى كلها تدعى الربوبية دونه وتصد عن عبادته ومع كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الأرض ويلبسك العافية حتى لا تهرم ولا تسقم ولا تفتقر ولاتغلب (ص ١٧٠) والموضع الثانى : فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون : إنك إن آمنت بالله وحده عمرتك فى ملكك ورددتك شابا طريا ، فاستنظره فرعون ، فلما كان من الغد دخل إليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال هامان : والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ فى منخره ، فقال له هامان

أنا أردك شابا فأتى بالوشم فخضبه به (ص ١٨٤) فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه (قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس للثعالبى ط ٤ / ١٩٥٤ القاهرة) ، ومن قائل إن وعود موسى لفرعون كما وردت على لسان مولانا جلال الدين مستوحاة من حديث نبوى : « إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا » استعلامى ٤ / ٢٧٣

(٢٥١٥ - ٢٥٢٢) الأنهار الأربعة فى الجنة تعبيرات عن بعض أخلاق المؤمنين فى الدنيا . لتفصيلات أكثر انظر (الكتاب الأول شرح الأبيات ٣٤٥٩ إلى ٣٤٨٤ وهذا الكتاب شرح الأبيات ٤٧٦ / ٤٨٣) وهى تدعوهم إلى هذه الأخلاق .

(٢٥٢٣ - ٢٥٢٧) تماما كما أنها أنهار الجنة الأربعة هى انعكاس وتعبير وتمثيل عن بعض أخلاق المؤمنين فى الدنيا ، فإن بعض أخلاق الكفار والأشقياء تجد انعكاسها فى بعض صفات الجحيم . . فنار الغضب من نار غضب الله سبحانه وتعالى « من غضب منكم فليتوضأ فنار الغضب من النار » . . ومن الغاشية (حية جهنم) صار فرعون كأنه الحية يبث سمومه فى المؤمنين ومن ماء الحميم الذى يسقاه أهل الجحيم يكون الظلم ، ظلم كل فرعون يترك الخلق كالرميم ، وهو من انعكاس مصيره عليه ، يمثل تماما هذا المصير ، هو مثال لجهنم على الأرض ، تلك التى يعذب فيها الفقير والمظلوم .

(٢٥٣٢ - ٢٥٣٨) سوف تتمنى الموت إن كنت طائعا . . لا فرارا من عجزك فى الدنيا بل طمعا فى كنوز الآخرة . . سوف ترى الدنيا كالخرابة إن هدمتها وجدت تحتها كنزا . . سوف ترى هذه الدار حائلا دون الكنز العظيم ، تراها كأنها حبة واحدة حجبت عنك البيدر كله . . تكون إن قنعت بها كدودة قنعت بورقة

واحدة من الكرمة وعكفت عليها ، لكنها إن استيقظت من جهلها هذا بكرم الله استطاعت أن تفترس حيات الجهل . .

(٢٥٤٠ – ٢٥٦٠) لقد شبه الله تعالى نفسه بأنه كنز مخفى . . أو قال فى حديث قدسى «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى» وفى تفسير للآية الكريمة « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدو ن» أى ليعرفون . . ومن ثم فأن اساس الوصول إلى الكنز السعى من أجله ويدق مولانا على هذا المثال كثيرا ويشبه وجود الإنسان فى الدنيا بإقامة فى خرابة تحتها كنز . . لكنه لا يريد أن يهدم الخرابة ليجد الكنز ، وفى النهاية فإن الخرابة سوف تتهدم وحدها . . لكنه لن ينال شيئا ، وما هذا البيت الذى أنت فيه إلا بيت بالكراء هو ليس لك ببيع أو شراء . . وهذا الكراء بالأجل . . وسوف تخرج منه دون أن تستفيد شيئا ، ثم يقدم مولانا مثالا آخر : إنك تقوم بخصف النعال فى دكان بالكراء . . فى حين أن هذا الدكان تحته كنزان . . ها أنت تعيش فى ذلة ما لم تهدم هذا الدكان . . وما هذا الرتق إلا تعلقك بالطعام والشراب فإن ترتق وجودا مآله إلى الفناء . . وتترك الكنزين : القلب والروح . . أنت ترضى لنفسك هذه الذلة فى حين أنك عريق الأصل : أنت ابن الخليفة . . ألست ابن آدم آخر الأمر . . أم ينص على أن آدم خليفة . . أليست هذه الأرض منفاه ومنفاك ؟ أليس هذا الكنز هو الذى سوف ينجيك من السعى والشقاء ؟ ! سوف ينتهى إيجار الدكان فى النهاية وسيخرجونك منه عندما يجئ الأجل ، وسوف تعض بنان الندم على أنك لم تستفد شيئا عندما كان كل شئ مهيئا لفائدتك « يوم يعض الظالم على يديه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا » .

(٢٥٦٣ – ٢٥٦٧) أتدرى لم كل هذا ؟ ! لأنك مجرد طفل لم تبلغ مرحلة الرجولية .. لقد رأيت الدار منقوشة مزدانة فلم تهن عليك ، والبيت والأبيات التالية كلها مستوحاة من بيت واحد لسنائى :

كل نصيحتى لك هى هذه أنك طفل والدار ملونة . (حديقة بيت ٦٤٤٠) .

(٢٥٨٥) الحديث « من بشرنى بخروج صفر بشرته بالجنة » موضوع من الأحاديث الضعيفة ويرى الشيعة أنه موضوع على أساس أن الرسول ، قد توفى - طبقا للروايات الشيعية - فى السابع أو الثامن والعشرين من صفر ، بينما تجعل أغلب الروايات السنية وفاته ، فى الثانى عشر من ربيع الأول وبعض الروايات تجعله فى الثالث عشر من ربيع الأول .. وقد ضرب بالحكاية كلها مثلا على اشتياقه ، إلى الملأ الأعلى . . إذ كان دعاؤه ، فى أخريات أيامه « اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى » .

(٢٥٩٤ - ٢٥٩٥) عن انتقال الرجال من هذا العالم وعن أن الموت عند الصوفية المحققين هو عبارة عن زفاف ، (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات ٣٥١٩ - ٣٥٣٦) والماء المالح هو الدنيا والماء العذب هو الآخرة ولمولانا فى ديوان شمس تبريز :

فلترحل من الماء المالح نحو ماء الحياة وعد من صف النعال نحو الصدر (كليات ديوان شمس غزل ١٣٥٣ ص ٥٢٥) .

(٢٥٩٨ - ٢٦٢٧) لم تؤد مشورة فرعون مع زوجته المؤمنة آسية عليها السلام إلى نتيجة وإن استطاعت الرسالة أن تؤثر فى قلب آسية المؤمنة بحيث تواجدت من هذا الفتوح الذى نزل على زوجها دون استحقاق ، وأن يصير مطلوبا هكذا دون أن يقوم بأى جهد فى الطلب ، إنها تعلم أنه مثل إبليس ، لكن هل يفتقد الله سبحانه وتعالى إبليس .. نعم - كل عاص مهما بلغت درجة عصيانه يظل الله سبحانه وتعالى يناديه ، وآسية عليها السلام هى رمز للقوة الإيمانية تلجأ إليها النفس الأمارة بالسوء ، وفى تفسير لنجم الدين كبرى لقوله تعالى « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين » (التحريم / ١١) أى ضرب الله مثلا

للقوى المؤمنة من قوى النفس اللوامة امرأة فرعون أي القوى الصالحة القابلة تحت القوة الفاسدة الفاعلة المستكبرة (مولوى ٤ / ٣٥٥) . وها هي تتعجب كيف لم يؤمن في التو واللحظة وقد عرض عليه تاج من الإيمان يخفى « قراع » نفسه وكفرها ؟ وأي غفلة هذه زادت عن الحد الذي يحفظ المرء .. أجل قليل من الغفلة ينفع .. وإلا لو لم يكن فرعون غافلا لهلك لساعته فرحا من هذا الطلب وهذا العرض وفي الحديث جعلت معصية ابن آدم سببا لعمارة الكون (استعلامى ٤ / ٢٣٢) ولكن أن تكون الغفلة لهذا الحد هو أيضا من قبيل الهلاك .. وإلا فمن الذي يرفض مائة أجمة من الأشجار عوضا عن بذرة واحدة .. ومن الذي يرفض مائة منجم عوضا عن حبة واحدة ؟ أن يكون إنسان لله فيكون الله له .. أن تأمن القطرة من الرياح والتراب وتعود سالمة إلى لجة البحر .. لكن النفس الفرعونية تظل النفس الفرعونية وإلا لما ألهم فرعون استشارة هامان ولما سقط بين يدى هامان كما سقط البازى في يد المرأة العجوزة المعتوهة .

(٢٦٢٨) وردت الحكاية التي تبدأ بهذا البيت في الكتاب الثاني من كتب المثنوى (انظر الأبيات ٣٢٥ – ٣٣٧ وشروحها) وقد وردت القصة في كشف المحجوب إشارة » ولا محالة أنه عندما يطير بازى الملك فوق جدار امرأة عجوز فإنها تقص جناحه وقوادمه (النص الفارسي ص ٨ العربي ص ١١) كما وردت نظما في أسرار نامه للعطار ص ١٠١/١٠٢ ،كما وردت أيضا في مقالات شمس الدين التبريزى (مآخذ / ٤٤ – ٤٥) ولا جدال أن البازى هنا رمز لمن يلجأ إلى من لا يعرف قيمته وقدره ، أو إلى الروح الغالية ومكانها ساحة الملك لكنها تقع في يد العجوز (الدنيا) التي ترهقها من أمرها عسرا وعند استعلامى أنه العبد الذي يبتعد عن طريق الحق (٤ / ٣٣٣) وهو مستبعد إذ يشبه مولانا الروح

دائما بالبازى ، وهكذا يكون فرعون وهو على أبــواب الهدايــة يطلــب مشورة هامان فيضله .

(٢٦٣٥ - ٢٦٤٤) من هنا زيادة عن الحكاية الواردة فى الكتاب الثانى : أن العجوز تزيد فى تعذيب البازى عندما لا يلتفت إلى ما تظنه كرما منها وعطفا على البازى وتزداد العجوز سوءا .. فتصب الماء الساخن على رأسه وتجعل الدموع تسيل من عينه تلك العين التى كانت تنظر إلى عوالم لا تراها العين الطبيعية . . وهكذا تصاب العين الناظرة إلى الملأ الأعلى بالأذى فى الدنيا من تلك العيون الأرضية التى لا ترى أبعد من موطئ قدمها .. وينصرف مولانا عن عين البازى الوارد فى الحكاية وينطلق إلى وصف عين العارف التى تتجاوز المحسوسات وترى بالغيب وترى انبساط المحيط كأنه شعرة واحدة . أو التى عبر عنها ابن الفارض بقوله :

ومن مطلعى نور البسيط كلمعة ** ومن مشرعى بحر المحيط كقطرة .

(انقروى ٤ / ٥٩٧) هـــذه العين لها صفات أود لو أقولها ولكـــن أين هـــى الأذن التى تسمع ؟

(٢٦٤٥ - ٢٦٥٠) كان البازى يذرف الدموع وجبريل يأخذ هذه الدموع مع شرفه ومرتبته فيدهن بها جناحه ومنقاره ، وهكذا أيضا قطرات دموع العارفين (أنين المحبين وبكاء المستغفرين أحب إلى الله من تسبيح الملائكة) (أنقروى ٤ / ٥٩٩) وكان البازى يتصبر . . ان الدنيا وإن أذلته هكذا فلم تقض على دينه وعلمه والنور الذى أخذه من المليك . . إن الجفاء كان على ناقة البدن لا على صالح الروح . . وما دام صالح الروح موجودا فإنه بنفس واحد من أنفاسه المباركة يستطيع أن يجعل متن الجبل يلد مائة ناق .. وهكذا ينطلق البازى فى الحديث : إلا أن القلب يصيح به : أصمت كفاك بوحا بالأسرار وإلا فإن الغيرة الإلهية سوف

تنتقم منك وتمزق سداك ولحمتك جزاء على إفشائك هذه الأسرار .

(٢٥٦٢ - ٢٦٥٧) عودة إلى فرعون : إن كبرياء الملك منعه من سماع النصيحة ليس الكبرياء فحسب بل لأن الشقاء قد كتب عليه وضرب ما بينه وبين الهداية سورا : فهو لم يمل إلى هامان إلا لأن هامان من جنسه ، وهكذا فإن لكل ملك وزراء من جنسه ، وكل طاغوت إنما يحيط نفسه بطواغيت صغار ، يكون هو مثلهم فى الطاغوتية ، وهكذا فإن أبا لهب كان مستشارا لأبى جهل بينما كان الصديق هو مستشار المصطفى ، هذا هو عرق التجانس يجعل « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات » و « الجنس إلى الجنس يميل » .

(٢٦٥٨) قال فروزانفر إن أصل الحكاية فى الرواية التالية « عن جابر قال : كنا عند النبى فجاءه رجل من الأنصار فقال إن ابنا لى دب من سطح إلى ميزاب فادع الله أن يهبه لأبويه ، فقال النبى : قوموا . . فقال جابر : فنظرت إلى أمر هائل فقال النبى : ضعوا لى صبيا على السطح فوضعوا له فناغاه ، فدب الصبى حتى أخذه أبواه . فقال رسول الله هل تدرون ما قال له . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : لم تلقى بنفسك فتتلفها . قال : إنى أخاف الذنوب . قال : فلعل العصمة أن تلحقك . قال وعسى فدب إلى السطح » (مأخذ : ١٤٧) وواضح أن مولانا استفاد من الجزء الأول من الرواية .

(٢٦٧٠ - ٢٦٨٢) إن التجانس يكون فى الصورة وفى المعنى فقد بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء صلوات الله عليهم من البشر وذلك لكى ينجذب البشر إليهم وإن كان هناك بين معنى النبى ومعانى بقية البشر بعد المشرقين «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ» .. وجاذبية التجانس عجيبة ، إنها هى التى تبين فى النهاية الإنسان . وإن لم تعرف الإنسان فانظر إلى من يصاحب ومن يجالس . .

ألم يكن عيسى وإدريس وهما بشر من جنس الملائكة فسكنا السماء مع الملائكة ؟ ! وألم يكن هاروت وماروت من جنس البشر مع أنهما من الملائكة فكانت عاقبتها أن هبطا إلى الأرض ؟! أليس الكفار من جنس الشياطين فتعلموا من الشياطين مئات الآلاف من الخصال الذميمة أقلها الحسد الذى حرم إبليس من رحمة الله تعالى ومن الفردوس . . نعم تعلم الكفار من الشياطين الحقد والحسد على بنى آدم إذ كانوا يحسدونهم على ملك الأبد ، وعن التجانس تحدث بهاء ولد بأن كل ما فى الخلق له مغناطيسه (١ / ٤٢١) ٣٥٧ كما أن هناك بيت شعر فارسى جرى مجرى الأمثلا « كل يطيرمع من هو من جنسه ، الحمامة مع الحمامة والصقر مع الصقر (عبد الباقى ٣٨٥ / ٤) وانظر إلى هذة الصورة : إنما يصاب الشيطان بمرض القولنج عندما يرى إنسانا متصفا بالكمالات الروحانية عن يمينه أو عن شماله . . وهو أن حصل على الكمال لما أحس بحسد بالنسبة لكمال الآخرين . . فاطلب من الله أن يدفع عنك الحسد ، وأن يشغلك بتربية الباطن عن الاهتمام بالظاهر .

(٢٦٨٤ - ٢٦٩٠) إن أنواع السكر فى هذه الدنيا كثيرة ، والله سبحانه وتعالى يخلص الأشرار من شرهم ، ويريح العاشقين من عشقهم بوسائل عديدة ، إنه يعطى لجرعة من الشراب خاصية الإراحة من قيود الدنيا والآخرة ، فما بالك بسكران الخمر الإلهية ؟ وفى المخدرات ألا توجد هذه الخاصية .. ينسى متعاطيها كل ما يحيط به .. والنوم .. أليس النوم عطية فى النهاية لكى يستطيع الإنسان أن ينجو من تفكيره فى هذا العالم (انظر تفصيلات رائعة عن النوم .. الكتاب الأول . الأبيات ٣٨٥ - ٤٠٦) ، أو يشغل المرء بشىء من خلقه .. كما شغل المجنون ببضعه من الجلد . . وهناك مئات الآف من أمثال هذه الوسائل يطلقها الله سبحانه وتعالى على إدراكاتك ، مئات من خمور الشقاء التى تعبها النفس أو خمور السعادة التى يصيبها العقل .. بحيث يجد الإنسان مطلبه دون

أن ينتقل من مكانه ، أن يخلع خيمة الفلك . . ألا تكون خيمة الفلك مانعا بالنسبة له ، وأن يتجاوز أقطار السموات .

(٢٦٩١ – ٢٧٢٠) لكن ليست كل أنواع السكر تيسر لك ذلك ، فحذار ، لا تغتر أيها القلب بأى سكر ، فليس سكر عيسى من تلك الخمر التى تظنها ، فإبحث عن هذه الخمر من هذه الدنان الإلهية ، من الخمر الصافية لامن الدردى ، وذق من الشراب بكل حذر حتى تتبين أولا بأى شراب سوف تسكر .. فكل الدنان تسكرك . ، لكن شتان بين دن يعطيك المر ودن يجذبك إلى رب السموات . . ينجيك من كل وسواس ، يصفيك من كل شر . . وهكذا جذب الأنبياء إلى حيث يكون الملائكة لأنهم من جنسهم . . وإليك هذا المثل البسيط : الريح من جنس النار . . فكلاهما نزاع إلى العلو . . وإن وضعت كوزا فارغا على الماء فإنه لا يغوص أبدا . . إنه مملوء بالهواء والهواء ينزع به إلى أعلى .. وهكذا أرواح الأنبياء انها نزاعة إلى العلو لأنها من جنس أرواح الملائكة ، وذلك لأن عقولها ناجية من الشك . . ذلك الشك الذى يأخذ العقول وينزع بها إلى أدنى وإلى أسفل . . وهكذا فإن آل فرعون من جنس فرعون . . وهامان من بينهم أكثر تجانسا . . ومن ثم فقد جذبه معه إلى قاع الجحيم . . لأنهما معا من جنس النار . . فكل منهما محرق كالنار . . ولان المؤمن ليس من جنس النار فإن النار تقول له : جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ نارى . . « تقول النار اللهم أجرنى من المؤمن كما يقول المؤمن اللهم أجرنى من النار » والمراد بهذا الحديث أن تنظر إلى نفسك أنت . . إلى أى شى تنجذب . . إلى من تنجذب . . هل أنت ميال إلى النفس والهوى أو ميال إلى العقل والقلب ؟ ويكفيك فى هذا الصراع فخرا وسرورا أن تنتصر فى كل لحظة على عدوك « نفسك التى بين جنبيك » والتى تجرك جرا إلى الأسافل .

(٢٧٢٢ – ٢٧٣٦) هذا رأى هامان ، وانظر إلى كمية المغالطات التى يقدمها هامان ، أنه لا يرد على ما اقترح موسى ، لكنه يعدد فى فرعون ما ليس فيه وإن كان فيه فهو وقتى وعابر ولا دوام له ، إنه يتساءل : كيف هانت على فرعون نفسه وأبهته وعظمته وكبرياؤه حتى سمح لموسى أن يقول ما قاله ؟! وكيف يهون عليه كل هذا الملك ليسجد لواحد من عبيده ؟! هكذا فهم هامان الدعوة ، وهكذا يفهم كثير من المتكبيرن الدعوات الكبرى ، احتقار لصاحب الدعوة يمنع من مجرد التفكير فى الدعوة .. تماما كبعض كفار مكة : لم ينكروا القرآن لكنهم أنكروا أن ينزل على يتيم أبى طالب .. وقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .. إن مجرد قبول فرعون لدعوة موسى لا يترتب عليه كل ذلك .. لن يترتب عليه أن يكون فرعون عبدا لموسى .. لن يترتب عليه سرور الأعداء « أعداء فرعون » وحزن الأصدقاء .. لكن متى كان هامان يقف عند منطق ، ومتى كان المنطق الهامانى يقف عند حدود المعقول ؟ !

(٢٧٣٧ – ٢٧٥٥) تفسير للمنطق الهامانى : إنه يقسم الناس إلى أعداء وأصدقاء بينما لا عدو له سوى نفسه .. إنه يفسر الأمور بالمقلوب ، فما هذا الملك الذى يتحدث عنه .. ولمن دام قبل فرعون حتى يدوم لفرعون .. وهل هذه الأرض نفسها ساكنة حتى يكون من عليها ساكنا ؟! يقول ناصر خسرو : أى انتظار لديك للاستقرار تحت هذا الفلك ما دام هذا الفلك نفسه لا يقر له قرار (ديوان / ٩) . إن كل الذى جرى أن سجود الناس لفرعون وهامان كان كالسم الذى اختلط بروحيهما . . وما أكثر المتكبرين الذين يرديهم إقبال الناس عليهم . . وما أكثر الطواغيت الذين يصنعهم البشر ثم يضجون منهم بالشكوى .. كل قوم خالقو نيرونهم ، إن هذا الملك وهذا الكبرياء كالخمر المسمومة ، إنه يحرك رأسه سكرا للحظة واحدة . . وسرعان ما يفعل السم فعله . . الكبرياء

كالخمر المسمومة » ورد عند بهاء ولد (معارف ١ / ٣٨٧) وإن لم يكن سما . . فلماذا يدفعه إلى كل هذا الظلم ؟ ! لماذا يرديه فعله ؟ لماذا يقتل الأبرياء ؟ ! حتى قاطع الطريق لا يهاجم فقيرا . . حتى الذئب لا يعض ذئبا ! إن الأنبياء والأولياء قد يقومون ببعض ما يظنه الآخرون ظلما لكنه عين العدل . . والخضر قد حطم السفينة فنجت من الفجار . . فكن كسيرا تنجو . . وكن فقيرا تنجو ، ولابن الفارض : (متى عصفت ريح الولا قصفت أخا عناء ولو بالفقر هبت لربت) (انقروى ٤ / ٦٢٠) فحتى الجبل لا ينجو من ضربات المعاول طمعا لما فيه .. الخلاصة أن الذى أردى فرعون هو كبرياؤه « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى » وفى خطبة للإمام على « الحمد لله الذى لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من ينازعه فيهما » (عن جعفرى ١٠ / ٤٩٧) ، وروى الأفلاكى : طوبى لمن زلت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته (١ / ٢٩٨) الكبرياء اشراك . . هذا هو الأصل وناهيك عن فروعه .

(٢٧٧٥ – ٢٧٧٧) الخلاصة أن هذه العطية لم تكن من نصيب فرعون لقد قنع بسلطان العوام ولم يرض بالسلطان الذى يمنحه الله تعالى .. رضى بالسلطان المستعار الفانى .. ولم يرض بالسلطان الباقى ، رضى بسلطان محل تنازع ، ولم يرض بالسلطان الذى لن ينازعه فيه أحد ، فإن السلطان الذى يستند على شرع الله فحسب هو السلطان الباقى ، وأما السلطان الذى يعتمد على شريعة البشر ، فإنه فرعونى ، وكل فرعون يحاول أن يمحو آثار من سبقه ليكون هو وحده .. ومن ثم لا يدوم ذكر فرعون واحد بالخير بل يدوم ذكره بالسوء .

(٢٧٧٩ - ٢٧٨٦) من الغريب أن فروزانفر لم يلتفت إلى الحادثة التى تبدأ بهذا البيت كما لم أجد لها أصلا ، اللهم إلا ما يقال من أن كفار مكة عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بداية الدعوة أن يحكم عاما ويحكموا عاما .. أو أن يعبدوا الله عاما وتعبد آلهتهم عاما . . ورفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الحل (الوسط) !! ومولانا يفرق هنا بين نوعين من الولاية : الولاية الإلهية المعقودة لمحمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين . . فكل من يحكم بالشريعة التى جاء بها إنما يكون نائبا له فى الحكم ، والحكم الحقيقى لصاحب الشريعة ، وهى أيضا ولاية دينية باقية ما بقى الدين . . ولا يمكن أن تعين فحسب بالفترة التى أسس فيها النبى صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية فى المدينة . . أما الملك الدنيوى ، فهو مجرد عارية . . لقد أتى عادة بالميلاد (البيت ٢٧٨٥) وقد ترجمها نيكلسون من أجل الزاد على أساس أن زاد عربية بينما أن زاد الموجودة فى البيت فارسية ومعناها التوالد والمقصود أنه يأتى بالإرث ، وواضح بالطبع أن الملك القائم على الدين لا وراثه فيه . .

(٢٧٩٠ - ٢٨١٠) لم أعثر أيضا على بقية الخبر .. ويقيم مولانا جلال الدين مقارنة بين الحراب التى ألقاها أمراء العرب فى طريق السيل وبين القضيب الذى ألقاه المصطفى عليه السلام . وفى نسخة جعفرى (عاشر / ص ٥٠٧) بيت يقول أن هؤلاء الثلاثة هم أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان (ط ١١ بهار ١٣٦٧ هـ . ش) . لقد جرف السيل كل حراب أمراء العرب بينما بقى القضيب النبوى - رمز حكم النبوة - تدق له الطبول الخمسة كل يوم (الصلوات الخمسة) حتى تقوم القيامة .. وإما أن ترضخ بعقلك .. لكن إن كنت يا فرعون حمارا لا عقل لك فقد خلق الله العصا .. يسوقك بها خارج اصطبل الدنيا لينجو من شرك .. وإن لم تنفعك العصا وكنت أكثر فرعونية فإنه يحول لك العصا إلى

حية .. لكى ترى الجحيم فى الدنيا .. ما دمت تنكر وجود الجحيم فى الآخرة .. وتتساءل أين جحيم الله ؟! .

(٢٨١١ - ٢٨١٩) إن عذاب الله ليس مخصوصا بالآخرة ، بل أحيانا يجعل الفضاء ضيقا على الطائر فيقع على الشراك (إن جاء القضاء ضاق الفضاء) أو يبتليك بألم من آلام الجسد كآلام الأسنان ومن شدة هذة الآلام تقول إنها كالجحيم وكالأفاعى .. يجعل ريقك حلوا ..وكأنما السكر من تحت اسنانك فتحس أنك فى جنة ونعيم .. وهذا كله مرتبط بتعاملك مع خلق الله فقلل إذن من ظلمك للخلق فإن الظلم ظلمات وليس فى القيامة فحسب بل وفى الدنيا أيضا .. وإلا فلم أنزل الله العذاب بآل فرعون فى الدنيا فجعل عليهم ماء النيل دما ولقوم موسى ماء ، فكيف كان الماء يتحول هكذا؟! لقد منحه الله التمييز .. بينما قد يحرم الإنسان والمفروض فيه العقل من التمييز ومن العقل فيصبح سفاحا سفاكا لدماء أخيه مثل قابيل .

(٢٨٢٠ - ٢٨٣١) عن وجود العقل فى الجمادات وعن تسبيحها أنظر الكتاب الثالث شرح الأبيات ١٠٠٨ - ١٠٢٨

(٢٨٣٣) الحكاية التى تبدأ بهذا البيت وردت ببعض التصرف فى تذكرة الأولياء أن مالك بن دينار تناظر مع دهرى ، وطالت المناظرة فاتفقا أن يضع كلاهما يده فى النار ، ومن تحترق يده فهو على الخطأ ، فوضعا أيديهما، فلم تحترق ، فذهب مالك إلى داره محزونا وركع مخاطبا ربه : لى سبعون سنة وأنا على الإيمان حتى أتساوى مع أحد الدهرين فسمع هاتفا : إنما حفظت يدك يد الدهرى ، دعه يضع يده وحده ثم أنظر النتيجة (تذكرة الأولياء ١/ ٥٠ - ٥١) كما وردت نفس الحكاية عن كرامات الحسن البصرى فى نفس الكتاب ص ٣٤ **وما بعدها** (عن مأخذ ص ١٤٥) والجو العام للقصة

يشبه إلى حد كبير مناظرة الإمام أبى حنيفة مع الدهرى التى نظمها سنائى فى قصيدة طويلة فى ديوانه (ديوان سنائى ٢٣٨ – ٢٤٦)

(٢٨٣٤ – ٢٨٣٧) الاختلاف هنا واضح بين نظرة المتفلسف ونظرة الصوفى ، وهذا الاختلاف ناشئ من اختلاف وجهة نظر كل منهما فى الإنسان : فالإنسان عند المتفلسف عبارة عن ذرة فى هذا الكون الواسع ، هو بمصطلح الخيام : قطرة ماء ثم توحدت بالبحر ذرة تراب وتوحدت بالأرض : ومجيئتنا ما هو إلا مجئ ذبابة .. دخلت ثم اختفت (من رباعيات الخيام) لكن الأمر يختلف عند الصوفية .. فهو أول الفكر وهو آخر العمل وهو سيد الخليقة وهو ابن الخليفة وفيه النفخة الإلهية .

(٢٨٥٠ – ٢٨٦٢) من الواضح أن الحجج التى يقدمها « السنى » أو المتصوف لا تنفع المتفلسف فهى كلها حجج نابعة من الباطن والمتفلسف يريد حججا ظاهرة وواضحة يستطيع أن يدركها بمحسوساته ، إن الإيمان بالخالق عند الصوفى خفى وواضح مثل سر العاشقين ولا تبقى إلا نار الامتحان .. والامتحان هنا غريب على مولانا جلال الدين فإن امتحان النار فيه اختبار لله إلى حد كبير وهو ما هاجمه مولانا فى أول هذا الكتاب (شرح الأبيات ٣٥٢ – ٣٦٥) لكن الموضوع قد يختلف هنا إلى حد ما ، فإن المناقشة العلنية أمام الناس كان من الممكن أن تزلزل إيمان بعضهم ، ويشير مولانا إلى أن الباطن لا يصلح إلا للتعامل مع أهل الباطن ، أما أهل الظاهر فلا بد من التعامل معهم بما يفهمون « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » و « إن الله لا يرضى أن يضيع إيمانكم » .

(٣٨٦٣ – ٢٨٧١) إذا قال لك هذا المتفلسف : إن ما أنت عليه هو التقليد ، فهل رأيت الأنبياء والرسل – فقل إن الأذان شاهد عليها وعلى أنها وجدت

وسوف يظل الأذان باقيا إلى يوم الدين ، والشريعة تدل على المشرع .. وهناك فى كل العصور أمثال هذه الرهانات وهذه المباهلات والمجادلات التى تمزق منها المنكرون ، إن حجة المنكر هى إصفرار وجهه وضعف حاله ، وانظر إلى أى منكر للألوهية فلا بد أن تجد فيه عيبا ظاهرا وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يبدى غضبه على وجهه .. فهل سمعت عن منبر يذكر فيه منكرو الألوهية .. (إن أى منكر للألوهية فى عصرنا الحالى .. عصر الدين أفيون الشعوب - لا يستطيع أن يجهر هذه الدعوة عيانا ، بل يغلفها بكثير من الأشياء كالهجوم على رجال الدين ، أو وصف المتدين بالرجعية .. والروايات لا تنتهى عن أقوال كبار الملحدين عند اختبار الموت . .) وأخيرا فإن الجهر بهذا السوء خف كثيرا ، ولم يكن مولانا جلال الدين عندما قال هذه الأبيات يتصور أنه سوف يخرج من بين المسلمين من يقول إن الإسلام مرحلة وانتهت وأنه كان مجرد وسيلة لسيطرة الجنس العربى .. ومن يجعل الدين الذى نزل للناس كافة دينا لشعب واحد .. ومن يقول إن الغلبة للعلم وكأن الإسلام ينافى العلم .. لكن إن هى إلا مرحلة قصيرة من مراحل التاريخ أثبتت فشلها وعقمها ولم تقدم الناس جنة على الأرض بل قدمت لهم جحيما مركبـا .. أى جحيمـا بلا أمل .

(٢٨٧٢) فى الكتاب الأول :

واسم أحمد هو اسم جميع الأنبياء .

فعندما يصل العدد إلى مائة تكون التسعون متضمنة فيه .

أنظر البيتين ١١٠٥ - ١١٠٦ وشرحهما .

(٢٨٧٥ - ٢٨٨٠) إن لم يكن هذا يكفيك أيها المنكر ، فيكفيك القرآن بيانا ، إنه يحدثك بمائة لسان أو سمى بذلك لأنه أصل كل الكتب الإلهية التى نزل كلٌ

منها بلسان قومه وهو مبين لجميعها وهو أم الكتاب .. فهل يستطيع أحد أن ينقص منه حرفا أو يزيد عليه حرفا إلى يوم الدين .. إنه محفوظ من لدن الله سبحانه وتعالى وهو الغالب .. فكن مع الغالبين .. إن المنكر أنه يقيم على الظاهر لا يرى سواه وهذا من حمقه وسذاجته .. أليس يرى أن فى بعض الأشياء الظاهرة باطنا هو مكمن الفائدة فيها ؟! إذن فلتعلم أن لكل ظاهر باطنا هو فائدته ولبه وحقيقته .. تماما كالدواء نفعه كامن فى داخله المختفى وفى باطنه .

ويقدم مولانا فى غزليات شمس الدين التبريزى (غزلية ٤٧٢ ص ٢١٢) ردا آخر :

- أيه علامة هناك على أن هناك عالما آخر .

تجدد الأحوال وذهاب تلك الأحوال القديمة

- يوجد صباح جديد ومساء جديد وحديقة جديدة مع نفع جديد

وكل نفس فكرة جديدة وسعادة جديدة وفيئ جديد

- فمن أين يصل الجديد وإلى أين يذهب القديم

إن لم يكن وراء النظر عالم لا نهاية له

- إن العالم يبدو كأنه جدول متجمد لكنه

يمضى ويعود من جديد فمن أين هذا ؟!

(٢٨٨١ - ٢٨٩٢) المقصود بتفسير الآية الكريمة (الحجر / ٥٨) أى أننا لم نخلق السموات والأرض وما بينهما إلا بمقتضى الحكمة .. وليس لأجل الظاهر الذى ترونه .. بل خلقناهم من أجل المعنى والحكمة الباقية التى لا ترونها (مولوى ٤ / ٣٩٧) وإن كنت لا تصدق .. أو لا يزال عندك شك من

هذا الأمر فأى صانع ممن تراه من الصانعين يصنع الصنعة لذات الصنعـــة ؟ حتى المصور إنما يقصد من الصور التى يرسمها والتى تظنها بلا فائدة المتعة للصغار والكبار (كل المتع الفنية من موسيقى وتصوير وخطوط وما إلى ذلك كان مولانا جلال الدين يراها نوعا من المحاكاة الإلهية ، أو محاكاة الخالق الصغير المبدع الفنان من البشر لسيد الخالقين ولأحسن الخالقين) . ويصور نفسه فى غزليات شمس مصورا يخلق من المعانى تماثيل :

– أننى مصور نقاش أصنع تمثالا فى كل لحظة ، ثم أذيب كل هذه التماثيل فى حضرتك .

– أننى أخلق مائة صورة أمزجها بالروح ، وعندما أرى صورتك .. ألقى بها كلها فى النار

(غزليات باهتمام فروزانفر ص ١٩٩ – ٢٠٠)

والمعنى ورد برمته فى معارف بهاء ولد (٤٢٢/١) إن هذه الصورة الظاهرة من أجل معنى خفى . . وعندما يصير المعنى الخفى ظاهرا ، إنما يظهر لكى على يدل معنى خفى وراءه وهكذا دواليك بقدر قدرتك على النظر .. هذا النقش علة لما بعده وما بعده معلول له ، وهو فى نفس الوقت إن ظهر لك له لشئ آخر من مراتب الخلق والأمر وهى جد كثيرة لا يعلمها إلا هو .. وإذا كان لاعب الشطرنج يجعل كل لعبة قائمة على ما قبلها وممهدة لما بعدها حتى يصل إلى الانتصار ، فكيف تظن أن الخالق قد خلق السموات والأرض وما بينهما دون حكمة ، حتى اللاعب له خطة تكفل له النصر .. فما بالك أنت بهذا الكون ؟ أتظنه دون الألعوبة ؟ إنك إذا حركت ذرة واحدة من مكانها لاختل نظام الكون وهو ما عبر عنه فيما بعد الشيخ الشبسترى «إنك إذا حركت ذرة واحدة من مكانها لأصاب الخلل كل العالم (انقروى ٦٥٢/٤) .

(٢٨٩٤ – ٢٩٠٠) حتى الشهوات ، ليس لمجرد المتعة والعبث . إن شهوتك للطعام هى دون أن تقصد من أجل المنى .. والمنى هو الذى يتحول إلى نسل يعمر الأرض وتكتحل بهم عيناك .. لكن بطئ الرؤية لا يرى فى الشهوة إلا الشهوة .. إنه لم يجاوز مرحلة النباتية فهو كالنبات ثابت الجذور فى الطين ، وإياك أن تظن أن النبات يتحرك حتى لو حركة نسيم الصبا فحركته ليست منه ولكنها مستعارة .. أنه يقول لريح الصبا « سمعنا» لكن جذوره الممتدة فى الطين لا تتحرك وتقول « عصينا » .. وهذا الذى لا يعلم السير فى الآفاق والأنفس – والنظر بعين البصيرة لحكمة الخلق ، وتتبع هذه الحكمة – إنما هو من العوام (والعوام كالأنعام) .. أنه يضع قدمه كيفما اتفق .. دون بصيرة ودون تفكير .. كما يفعل الأعمى .. ويقول أنه يفعل هذا على التوكل .. أى توكل هذا .. إنه توكل العابثين لاعبى النرد .. ينتظر ما يأتى به الزهر .. إنما يكون التوكل مع المجاهدة .. والمجاهدة لابد لها من مرشد .. والتوكل التام شديد الندرة .

(٢٩٠١ – ٢٩١١) فى مقابل هؤلاء العوام كالأنعام هناك أصحاب البصيرة النفاذة غير الجامدة .. إنها بصيرة نفاذة تمزق الحجب .. تعلم قوانين العلية والسببية .. تدرك عواقب الأمور التى يمكن أن تجد بعد عشرة سنوات بنظرة واحدة .. وهكذا فكل أمرئ بقدر نظره يستطيع أن يسير هذا السير المعنوى « والعارف بقدر همته » .. إنه المشرف على الأزل والأبد : يرى ما حدث يوم الخلق ، يوم أنكر الملائكة على الله سبحانه وتعالى أن يجعل فى الأرض خليفة .. ثم يلقى بنظرة إلى الأبد فيرى حتى الحشر ، إنه مشرف على أصل الأصل ويرى ما هو آت حتى يوم الفصل وبأى شئ تيسر له هذه المعرفة الشاملة ؟ بهذا القلب الموجود دوما بين أصبعين من أصابع الرحمن .. بقدر جلائه تنعكس فيه صور الماضى والحاضر .. فإذا قلت : إنه من فضل الله إنه من العطاء ولا دخل للإنسان

فيه . . إن الله يهب هذا لمن يشاء من عباده ويرضى عنهم . . وانه لا دخل للانسان فى العطية . أقول لك مجاهدتك أيضاً من العطيات وصقلك للقلب من العطيات والله سبحانه وتعالى لابد وأن يهيئ الأسباب .

(٢٩١٢ – ٢٩٢٠) وكله بفضل همتك ، حتى الطلب والدعاء بقدر الهمة .. والعطيات بقدر القابليات ، والقابليات إنما تتحدد تبعا للهمم ، والله تعالى أيضا واهب الهمم ، من الناس من تطمح همته إلى الملك ، ومنهم من تكون همته قاصرة على ما يسد شهوات الجسد و « أن ليس للإنسان إلا ما سعى » .. والله سبحانه وتعالى لم يخص أحدا بشئ أو بعمل .. لم يخلق إنسانا للملك وإنسانا للكدح ، لم يخلق أحدا تجرى فى عروقه الدماء الزرقاء .. وأحدا تجرى فى عروقه الدماء الحمراء .. وأحدا لا تجرى فى عروقه دماء قط .. وإلا لكان ذلك جبرا على الإنسان ، والحق سبحانه تعالى عن الظلم علوا كبيرا بحيث يجبر أحدا على شئ ثم يحاسبه عليه (انظر مناقشة الموضوع فى الكتاب الثالث فى شرح بيت الحكيم سنائى الغزنوى – شرح الأبيات ٢٧٤١ – ٣٧٦١ وانظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس) لكن الشقى الذى إذا ابتلى كفر أما السعيد فإنه كلما ابتلى صبر وشكر .. العمل واحد وهو الابتلاء .. لكن الهمة الواهنة الضعيفة تجعل الشقى يكفر .. أما همة السعيد فإنها تجعله يصبر ويشكر ويزداد عبادة .

(٢٩١٦ – ٢٩٢٠) وإن أردت أن تنكر أن رد الفعل لعمل واحد قد يختلف عند شخصين فإليك مثل يتكرر أمامك عندما تقوم حرب : الجبان يهرب خوفا على حياته .. لكن الشجاع يقدم ويهاجم خوفا على حياته أيضا .. انظر هو خوف واحد على الحياة ، لكنه أدى إلى تصرفين متناقضين تماما وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر العربى أبى الطبيب المتنبى :

– أرى كلنا يبغى الحيـاة لنفسـه * حريصا عليها مستهاما بها صبا

– فحب الجبان النفس أورده التقى * وحب الشجاع الحرب أورده الحربا

– ويختلف الرزقان والفعل واحد * إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

(ديوان – دار صادر / ص ٣٢٧ د . ت)

فالمحك يبدى الشجاع من الجبان (أنظر أيضا الكتاب الثالث تفسير قول الإمام على رضى الله عنه لا شجاعة يا فتى قبل الحروب) .

(٢٩٢١) يرى فروزانفر أن الموضوع الوارد فى الأبيات التى تبدأ بهذا البيت وقيل المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوى إليه إلا أمه كذلك المتوكل لا يهتدى إلا إلى ربه (الرسالة القشيرية) والدرجة الثانية من درجات التوكل وهى أقوى وهى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإه لا عرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد على إلا إياها فإذا أول سابق إلى لسانه يا أماه وأول خاطر على قلبه أمه ، فإنها مفزعه (إحياء العلوم جـ ٤ ص ١٨٥) وقد أخذ على شريعتى الجدلية وجعلها للشعوب المغلوبة (الطفل) والشعوب الغالبة (الأم) (أنظر العودة إلى الذات) .

(٢٩٢٦ – ٢٩٣١) ليكن خاطرك أيها الآمن متعلقا بالله تعالى تعلق الطفل بأمه ، وليكن كل ما هو سوى الله عندك كالحجر والمدر وهذا هو معنى « إياك نعبد وإياك نستعين » ، و « إياك » هنا هى للحصر ونفى الرياء فى نعبد وهى للحصر فى نستعين : أى أنت فحسب نعبد ومنك فحسب نطلب العون .. وقد وردت فى الفاتحة معانى كثيرة . قال ابن عباس رضى الله عنهما : نعبدك ولا نعبد غيرك .

(٢٩٣٢) الحكاية التى تبدأ بهذا البيت قائمة على حكاية وردت فى تذكرة الأولياء (٢ / ١٩١/١٩٢) وفى الرسالة القشيرية (١٠) عن أبى على الدقاق أن سيدا غضب على عبده فتقدم أحد الشفعاء حتى عفا عنه وظل العبد يبكى : فقال الشفيع : لقد عفا عنك فلم البكاء ، قال السيد : إنه يطلب رضاى ولا طريق عنده إليه ولذلك فهو يبكى (مأخذ ٤٩) والواقع أن الحكاية قائمة على بعض المعانى التى تكررت عند الصوفية من أن « كل ما يأتى من المحبوب محبوب » و « وأن ظلم الحبيب أحلى من رعاية الشفيع » وإن « حقيقة الحب ألا يحاول المحب الشكوى من ظلم حبيبه له « وعليها معانى عديدة والمحب أو النديم هو العبد والمليك هو الملك . . ولا يستبعد هذا الرمز الصوفى (أنظر قصة وكيل صدر جهان فى الكتاب الثالث) .

(٢٩٤١) إن الشفيع هنا من جنس المشفع إليه .. والحب بينهما قائم .. فبه يرى وبه يسمع وبه يسعى وبه يبطش : (انظر الكتاب الثالث / البيت ٢٢٢٠) .

(٢٩٤٤ - ٢٩٤٩) ليس المقصود أن أبين قدر شفاعتك أو أن أمن عليك بل المقصود أن أبين مدى عزتك .. فالسلطان هو هو السلطان الحق الواحد وعماد الملك المتشفع هو المحمدى المشرب الذى ذابت صفاته فى صفات المليك .. والنديم المجرم هو العاشق إذا كان خليلى المشرب ناجيا من حب السوى والأغيار مفوضا جميع أموره لربه تعالى . كان له من علو المرتبة وشرف الرفعة بحيث إذا شفع فى ألوف المجرمين لا ترد شفاعة من الله تعالى . (مولوى ٤ / ٣٩٦) ولأن الشفيع هكذا فلم يقم بالشفاعة بل قام بها المشفع إليه .. فما أعطاه لم يعطه هو بل أعطاه المليك .. ما دامت صفاته فانية فى صفات المليك « من رآك رآنى ومن أهانك أهاننى ومن أعطاك أطاعنى فإذا أعطيت لأحد شيئا فأنا قد أعطيته ، وأنا الدائم القائم ولا موجود سواى وأنا أعلم بالرشاد وإلى المبدأ والمعاد ، (انقروى ٤ /

٦٧٠) ومعنى خذ لـ « إلا » مكانا بجوار لا : أى أعبر مقام النفى والفناء واتخذ لك مقاما بجوار البقاء أى لا تيأس من رحمة الله وروح الله فأنت الأسير فى الدين الأمير على المخلوقات .

(٢٩٥٩ – ٢٩٦٧) إن المعفو عنه ضائق من تدخل الشفيع لأنه كان يريد أن يبذل الروح فى سبيل المليك ، والشكر ليس للشفيع ، فقد تدخل بين العاشق ومنتهى أمله .. وحياته الدائمة ، وخلوده ، فكأنه أضره من حيث أراد نفعه ، وفصلة من حيث أراد وصله ، وضيع « ذلك الوقت» العزيز الذى كان له .. والصوفى هو ابن وقته لا يريد ضياعه بعد أن عثر عليه «ولى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل » حديث نبوى ورد فى الكتاب الأول فليطلب تفسيره عند الأنقروى فى طلب الرسول فتح مكة .. وإن قهر الحبيب فى حد ذاته التفات واهتمام ، وقتله للمحب حياة خالدة .. فهو إن أخذ روحا يهب أرواحا .. وإن خلص الإنسان من عالم ضيق يهبه عوالم واسعة .. وكان قهر المليك فتحا وظنه الشفيع غضبا .. كان لطفا مخفيا فى ثوب القهر ، وكيف تستطيع الألفاظ أن تعبر عن هذه المعانى وهى فوق الألفاظ ؟ وآفة الحال ادراك المقال .

(٢٩٦٨ – ٢٩٧٤) يضيف مولانا تفسيرات جديدة إلى فكرته عن قصور الألفاظ الأرضية عن التعبير عن أمثال هذه المعانى ، وبخاصة عن تجربة العشق الصوفى .. فتعبيرات العشق أشد خفاءً يكرر مولانا صفة الخفاء للتوكيد .. إن هذه الأسماء التى تعلمها آدم جاءت مناسبة لقول آدم (فى نص المولوى) أو لجسد آدم (فى نص نيكلسون) والمراد احتياجات آدم .. فلا يخص العشق معانيها ولا يقدر على النطق بأسرارها . أنه أشبه بصب البحر فى كوز .. لقد علم آدم الأسماء بالإلهام .. وليس فى ثياب الحروف .. وعندما خلق جسد آدم من الماء والطين . فإن الأسماء الروحانية والمعانى الروحانية لم تستطع تحمل

هذا الجسد ولفها الطين فى ظلامه وهبط بها فتلفعت فى حجب الحروف والألفاظ لتبدو معانيها للماء والطين .. فكشف عن بعض معانيها أو كشف عنها فى وجه لكنها أخفيت من عدة وجوه .. أى فقدت كثيرا من أبعادها الروحانية لمجرد وضعها فى نقاب الحروف .. فكلما أردت أن تكشفه باللفظ فقد حصرته فى نطاق هذا اللفظ .. وتكون قد ألغزت من حيث أردت التوضيح وأشكلت من حيث أردت اليسر ، وهذا هو معنى آفة الحال إدراك المقال أو معنى غسل الدم بالدم (ورد فى الكتاب الثالث وبعد تقديم الكتاب الثالث للطبع اكتشفت أن هذا التعبير غسل الدم بالدم ليس لمولانا جلال الدين فى الأصل بل هو لسنائى وورد فى الحديقة (بيت ٦٤٢٠) ولا يفزع القلب إن أمن كثرة الكلام فلماذا غسل الدم بالدم ؟ ! .

(٢٩٧٥ - ٢٩٨٤) الخبر الذى يبدأ بهذا البيت ورد مصادر عديدة منها قصص الأنبياء وإحياء علوم الدين .. والرواية أقرب إلى رواية كشف المحجوب للهجويرى (ص ٨٣) (الترجمة العربية ص ٨٩) . مثلما أشعل النمرود نارا ووضع إبراهيم عليه السلام فى المنجنيق فجاء جبريل عليه السلام وقال : هل لك من حاجة ؟ ، وقال : أما إليك فلا ، قال : فاطلب إذن من الله سبحانه وتعالى . فقال : حسبى من سؤالى علمه بحالى (مأخذ / ١٤٩) ويشبه مولانا فى معالجته لهذا الخبر الشفيع بالواسطة من بعد العيان (أو بحديث الدلالة فى وجود المحبوبة) طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح . فالواسطة هنا فى الدنيا ولو أن كل قلب كان يسمع حديث الحق لما كانت هناك حاجة للحروف والأصوات فى الدنيا .. ويعود من البيت ٢٩٨٠ إلى حديث العاشق المعفو عنه : إن عماد الملك بالرغم من مرتبته ، إلا أننى أدق حالا منه .. فالخير الذى أبداه هو شر بالنسبة لصفتى أنا .. وإن الموضوع لمتعلق باللطف والقهر وهى أمور نسبية فحسنات الأبرار سيئات المقربين :وما قد وجده العوام لطفا قد يكون قهرا للواصلين كما يقول ابن الفارض :

- وكل أذى منك فى الحب قد بدا * جعلت له شكرى مكان شكايتى .

- وما حل بى من محنة فهو منحة * وقد سلمت من حل عقد عزيمتى .

و « وسبحان من اتسعت رحمته لأوليائه فى شدة نقمته ولأعدائه فى سعة رحمته (انقروى ٤ / ٦٨١) وهذا الكلام والحديث هو مجرد واسطة ، لكنه عند الواصلين يحجب الكثير من مواجيدهم ويكون أشبه بالشوك فى الطريق .

(٢٩٨٥ - ٢٩٨٩) لكن ما هو الفيصل ؟ ! هو تحمل البلاء فبتحمل البلاء تنجو الروح من قيد الحروف .. فمع المعانى مباشرة يلقى بها فى القلب .. هذا البلاء للأمثل فالأمثل .. يكون بشرى عند قوم .. ونذيرا عند قوم آخرين .. هو لقوم سعادة ولآخرين شقاء .. أنهم سوف يقفون عن الأسماء دون البحث عن المسمى .. وكلما رأى الصالحون ثمار البلاء .. يعرضون أنفسهم للبلاء أكثر .. ومن هنا تكون « الدنيا مزرعة الآخرة » ليس تحمل البلاء من أجل البلاء نفسه .. من أجل ما يتأتى وراءه من نفع ، وفى بوتقه الامتحان يصبح الذهب النضار أصفى لونا ، أما الزيف فيسود ويحترق .

(٢٩٩٠ - ٣٠٠٠) وهكذا كل أمور الدنيا ، فهل رأيت « عقدا » مطلوبا فى حد ذاته ؟ ! إنما يكون العقد من أجل النفع الذى يتأتى منه ؟ ! هل رأيت منكرا من أجل الإنكار نفسه ؟! إنه يكون من أجل قهر الخصم أو إظهار النفس .. وهذا التفوق فى سبيل طمع آخر ، فلا قيمة لكل هذه الصور دون معانيها المستترة خلفها وكما أن المقصود من وضع الزيت فى القنديل (صورة) هو الضياء (معنى) فكذلك المقصود من كل صورة معانيها . . وإلا فلماذا

الاستفهام عن أسباب الأفعال إن قولك لماذا هو سؤال عن الفائدة . . فلماذا تطلب الفائدة إذا كانت الفائدة متضمنة فى صورة الشىء وليست كامنة فيه . . ومن ثم فإن السماء والأرض وما فيهن من صور ليست حكمتها أنها هكذا ، فإذا لم يكن الصانع حكيما وعليما فمم هذا الترتيب ؟ ! ولما ثبت أنه حكيم وعليم فكيف يكون فعله خاليا من الفائدة ؟! إذا كنت تريد أن تبحث عن الفائدة . فاعلم أنه لم يوضع شئ فى الأرض أو السماء دون فائدة أو نفع .

(٣٠٠١) الرواية التى تبدأ بهذا البيت وردت فى حلية الأولياء « قال موسى عليه السلام ، يا رب خلقت خلقا وهم عبادك ثم تحرقهم بالنار ، قال يا موسى أذهب فازرع زرعا قال قد فعلت قال فأحصده ، قال قد فعلت قال فأجعله فى كدوسه قال قد فعلت قال : فلا تدع منه شيئا إلا رفعته قال قد فعلت قال فلعلك قد تركت منه شيئا قال : لا إلا ما لا بال به ، قال فمثل أولئك أدخل من عبادى النار (حلية الأولياء جـ ٤ ص ٣٦٠ وأيضا ص ٢٨٦ وجـ ٥ ص ٩٤ عن مأخذ (١٥٠) .

(٣٠٠٣ - ٣٠١١) السؤال من موسى عليه السلام لرب العالمين ليس صادرا عن غفلة أو عن هوى أو عن اعتراض ، ولكن كسؤال إبراهيم عليه السلام «رب أرنى كيف تحيى الموتى» « والسؤال نصف العلم مأخوذ عن حديث منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم العلم خزائن ومفتاحها السؤال ، فإن المتنزه عن السؤال المستنكف عنه يظل مأخوذا بورطة الجهل .. هكذا يكون الجهل المركب ومن السؤال يأتى الجواب .. وهناك جواب كالشوك ، وجواب كالورد ، وهناك جواب مضل وهناك جواب هاد وشاف .. تماما كما يقوم الحب والبغض من التعارف أولا .. فإن من لا تعرفه لا تحبه ولا تبغضه ، يبتليك التعارف بالمحبة أو البغض أو كما يصيبك الطعام بالقوة أو السقم والمرض .

(٣٠١٢ - ٣٠١٤) وما كان موسى عليه السلام بالجاهل ، لكنه تجاهل تجاهل العالم ، والأعجمى فى مصطلح مولانا هو الجاهل .. وقد تجاهل موسى ليجعل الجهال عالمين بالسر . . ونحن أيضا معشرالعارفين نتظاهر بأننا جهال بالسر مصداقا لـ « إذا كان العارف بين أعاجم يتعاجم » وكل جماعة فيما بينها وبين أنفسها هكذا تعمل .. لكى تتفتح أمورها ، حتى باعة الحمر يصطنعون خصومة فيما بينهم لكى يروجوا سلعهم .

(٣٠٢٢) قال يحيى بن معاذ بن الرازى : الدنيا مزرعة الله تعالى والخلق زرعه والموت حصاده وسيدنا عزرائيل أكله والمقبرة بيته ، والجنة والنار مقره (مولوى ٤ / ٤٠٥) .

(٣٠٢٥ - ٣٠٢٩) وهكذا ديدن الله سبحانه وتعالى ، فهناك فى الخلائق أرواح طاهرة وأرواح دنسة ، ولا بد أن تعود هذه الأرواح إلى بارئها ليحاسبها ، وليميز الخبيث من الطيب ، وليعلم الصابرين ، وهذا التمايز موجود بين كل أنواع الخلق ، كما تحتوى صدفة على درة وصدفة أخرى على سبه .. وإذا أردت أن تفهم هذا المعنى فعد إلى تفسير « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » وجاهد كى تعرف روح الوحى عندك وهى كامنة فى طبقات من الخلق عندك .

(٣٠٣٠ - ٣٠٣٥) يحاول مولانا جلال الدين أن ينقل إلى سامعيه فكرته على اختلاف مستوياتهم متوسلا بصور من الواقع المعاش ، وفى الكتاب الثالث رأينا كيف أستطاع أن يدير حوارا بين حبة الحمص وبين السيدة التى تقوم بإنضاجها ، وهو هنا توسل بهذه الصورة المعاشة اليومية فى كل منزل إيرانى أو تركى ، اللبن المخيض الذى يسمى فى الفارسية « دوغ » وفى التركية « آيران » فجوهر الصدق أو روح الوحى خفية فى الجسد كما يخفى الزيت فى المخيض ، و

من هنا يرسل الله تعالى الرسل ليحرك تلك القرب بنسق ونظام وفن وما هو صالح للبشر يمكن أن تستخرج أفضل ما فيهم لا يؤيسهم ولا يقنطهم ، كما لا يقوم بجعلهم يأملون أملا واهيا .. إنه يخضها برفق حتى يصعد الزيت على وجه المخيض وهذا واجب الأنبياء ، وواجب العرفاء والأولياء بعد ختم النبوة .

(٣٠٣٦ – ٣٠٤٠) لكن ليس الكلام فحسب اللازم بل وأن تكون أذن المؤمن منصته لنا ، تمتلئ بكلامنا فتنطق .. تماما كالطفل يمتلئ فى البداية بكلام أمه ثم ينطق .. وإن لم تكن أذن الطفل صحيحة فإنه لا يستمع الكلام ويكون أخرس وكل أبكم فى البداية أصم ، ومن ثم فمن كان بأذنه آفة فهو غير قابل للتعلم ومولانا يرى أن الطالب المستعد ليس أقل أهمية من العارف المتعلم (أنظر الكتاب الثالث أبيات ٣٦٠٢ وما بعدها) وأول كلمة فى المثنوى هى « استمع » (البيت الأول : أستمع للناى يأخذ فى الحكاية .. ومن الفرقة يمضى فى الشكاية).

(٣٠٤١ – ٣٠٥٠) النطق بلا تعليم خرق للأسباب والعلل ، والله سبحانه وتعالى هو الناطق بلا تعليم ، إنه لا تجرى عليه عللنا ، وآدم عليه السلام علمه الله إذ لا أم له ، وعيسى فى المهد لكى يبرئ أمه البتول عليها السلام من افتراءات اليهود .. لكن مع هذا التحريك للمخيض ، ينبغى أن تكون هناك حركة ، جهد ، كدح ، فالزيت مكتوم والجسد بين ظاهر ، فى حين أن الظاهر هو القشر وهو الواهى وهو المؤقت ، والباقى هو الذى يبدو فانيا .. وإذا كنت قد وصلت إلى مرحلة الشيخوخة ، فلا تنفق هذا المخيض الذى يبدو بلا زيت ، بل جاهد فى أن تقوم بتنشيطة وتدويره وتحريكه بالعلم حتى يبدو ما هو خفى فيه من زيت ، ذلك أنه ما دام هذا البدن الفانى موجودا فهو دليل على وجود الروح الباقية ، تماما كما تدل ضجة السكارى على وجود الساقى .

(٣٠٥١ – ٣٠٦٠) يقدم مثالا آخر : أليس هذا الأسد المرسوم على العلم مجرد صورة ميتة .. أنظر حركاته وهو يهتز .. أليس اهتزازه هذا دليلا على وجود رياح تحركة ؟ وإن لم تكن هذه الرياح فكيف ومتى كان لهذه الصورة الميتة أن تبدو لك وكأنها تقفز متوثبة ؟! لتكن هذه الريح ، ليس من المهم أن تكون من رياح الصبا أو رياح الدبور (رياح اللطف ورياح القهر) المهم أن المتحرك لا بد وأن يلزمه محرك – هذا البدن إذن مجرد صورة أشبة بأسد العلم» لكن « الفكر » هو الذى يحركها .. هذا الفكر من جانب الروح أو القلب (الصبا الريح الشرقية) أو من جانب النفس والهوى (الرياح الغربية أو ريح الدبور) (فى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلك قوم عاد بالدبور) ، وحتى لا يلتبس عليك الأمر بالمشرق والمغرب المكانين أقول لك أن الفكرة الشرقية مشرقها الله سبحانه وتعالى ، أما الفكرة الغربية فمشرقها النفس والهوى والشيطان .. ومشرق أى فكرة من جنس هذه الفكرة .. فالقمر ومشرق الفلك جماد أيضا .. لكن مشرق روح روح الروح (الحقيقية) هو الفؤاد ولابن الفارض :

ومن مشرعى بحر المحيط كقطرة * ومن مطلعى نور البسيط كلمعة .

ولا فلك إلا ومن نور باطنى * به ملك يهدى الهدى بمشيئتى .

(انقروى ٤ / ٦٩٩)

وإن عين البعير لهذا تكون ممطرة نورا ، فإنه يرعى الشوك من أجل (الحصول على) نور العين . وتلك الشمس ، وشمس الحقيقة التى تسطع

فتنيره هى الشمس الحقيقية ، وهى لب الشمس ، بينما تمثل تلك الشمس الساطعة على الأفلاك قشرا لها وانعكاسا لها .. لأن ذلك اللهيب المسمى بالروح إن غادر الجسد مات الجسد .. ولم يعد له ليل أو نهار ، لكن إذا قويت فيه الروح ملك الشمس الباطنية لأصبح نوره دائما لا مغرب له ولا ليل له (انظر مشكاة الأنوار للغزالى) .

(٣٠٦١ - ٣٠٦٩) : وبنور الروح ترى العيون فى الأحلام ، ولما كان « النوم أخ الموت » فاستدل على الأخ الذى لاتعرف من الأخ الذى تعرف : وإن قال لك واحد منهم : إن النوم فرع لكن الموت أصل لاتستمع إليهم ، بل استمع إلى قوله تعالى « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (الزمر /٤٢). وترى روحك فى النوم من المشاهد ما لا تستطيع أن تشاهده فى عشرين عام ومالم تشاهده قط فى عالم اليقظة ، وتسرع أنت خلف معبرى الأحلام الدهاة تسألهم ، فإن كان هذا يحدث لك فلماذا تنكر وتسميه فرعا إذن .. هذا هو حلم العوام ، وحلم الخواص اجتباء واختصاص ... لماذا ؟ ! لأن .. كل إنسان يحلم ليلا بما يمسك عليه فكره نهارا ، يرى علماء النفس المعاصرون أن ثمة شيئين يسيطران على ما يمكن أن يحلم به الإنسان أولهما : ما يعيشه بالعقل نهارا وثانيهما ما يتمناه وما يتمسك به خياله (انظر الأحلام لسيجموند فرويد) .

وفى ديوان شمس الدين يقول :

ليلة الأمس تذكر فيلنا الهند ثانية فأخذ يمزق حجاب الليل من جنونه حتى الصباح .

(غزل ٧٣٥ / ٣٠٦)

وهكذا فالفيل هو الذى يحلم بالهند (وهو مثل أيضا فى الفارسية عن الإنسان الذى يحلم بما كان فى حياته الماضية ، ولعب الصوفية الفرس على هذا المعنى كثيرا على أساس أن الإنسان دائم الحلم بالجنة .. كما أنه عندما يقال إن فيل فلان تذكر الهند يعنى أنه ارتكس بعد هدى وحن إلى حياته القديمة بعد أن تأقلم بالحياة الجديدة) وهكذا لايحلم الحمار بالهند لأن الحمار لم يغترب عن الهند .

(٣٠٧٠ - ٣٠٨٤) : ومن هنا ينبغى أن تكون الروح قوية (فى قوة الفيل وقدرته) حتى تستطيع أن تذهب إلى « هندها » أى إلى عالم الملكوت (المثنوى كله حنين الروح إلى أصلها وتربية الانسان لكى يكون جديرا بالعودة من منفاه أى الأرض لموطنه) .. إن الفيل يرى الهند لأنه يطلبها طلبا حثيثا طوال النهار وبمجرد أن يغفل صاحبه عنه يغمض عينيه ويمضى إليها ، وكذلك كل ما تذكره بالنهار ، ومن هنا فإن « ذكر الله » ليس عمل الأوباش الرعاع ، كما أن الروح التى ترجع إلى ربها راضية مرضية ليست روح أى محتال ... ولكن لاتيأس : إن لم تكن فيلا فجاهد ، وبدل نفسك بالتدريج إلى فيل ، واعرض نفسك على المشتغلين بكيمياء الرجال من العارفين الذين يبدلون نحاس الرجال ذهبا وأوباشهم إلى عارفين وحمرهم إلى فيلة .. واستمع فى معملهم إلى هذا الطنين الذى يصحب عملية التبديل هذه ، انهم هم الذين يرسمون فى أجواء الفلك يخرقون العادة .. يهيئون الأمور لى ولك أى لنا جميعا . يطوفون أجواء الفلك من أجلى وأجلك ، وإن لم تكن تبصر هؤلاء الأولياء فأنت أعشى ولابد أن تعالج

نفسك فى البداية من هذه الآفة لكى تكون مستعدا للرؤية ففى كل لحظة هناك آفة فوق إدراكك .. وينبت منك من الوساوس الشيطانية والخواطر الابليسية أولا بأول ، ولأن إبراهيم بن أدهم كان يملك هذه الرؤية فقد بسط له العالم أثناء النوم (أو بين النوم واليقظة إن شئنا الدقة) فلا جرم أنه من هذه الرؤيا قطع كل علائقه ، وترك الملك واختفى .. وأهمل كل شىء ، وهذه هى علامة النور كما قالها المصطفى صلى الله عليه وسلم أى التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور كما ورد فى الحديث النبوى « الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله » وورد عن ابن مسعود أنه عليه السلام قرأ « من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » ثم قال « إذا دخل النور فى القلب انشرح وانفسح قالوا وما علامة ذلك يارسول الله قال عليه السلام » التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور والتأهب للموت قبل نزوله » (مولوى ٤ / ٤١٥) .

(٣٠٨٥) : هذه القصة كما يتضح من مبتكرات مولانا جلال الدين والتراب ربيع الصبيان حديث نبوى والمقصود جفت عينه فلم يعد فيها دمع وهو تعبير عن شدة الحزن .

(٣٠٩٢ - ٣٠٩٣) : إن شعلة الروح تموت من الحزن الزائد ، كما أنها تموت من السرور الزائد .. والوجود الإنسانى حى بين موتين ولذلك لايمكن الاعتماد عليه وهو مطوق بين موتين .. إنه أمر يثير السخرية والشفقة .

(٣٠٩٥ - ٣٠٩٩) : القبض والبسط كلاهما من الله تعالى ، فقد انقبض الملك فى نومه ، ولما استيقظ أحس بانشراح لاسبب له ، وكأنه شىء واحد له وجهان وجه فيه الحياة ووجه فيه الموت ، هو حياة بالنسبة لإنسان وموت بالنسبة لآخر ، هو هلاك لإنسان وحياة لإنسان آخر كما قال سنائى :

السم لهذا حياة ولذاك موت هو « هلاك للروح الحيوانية بقاء للروح الالهية » وكل شيء تراه في الدنيا له نسبتان بالنسبة لبعض الأشياء ضرر وموت وبالنسبة لبعضها حياة وفي القرآن « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » (الحديد / ١٣) أي من ناحية المؤمنين رحمة ومن ناحية المنافقين عذاب . (مولوى ٤ / ٤١٧) وهكذا فسرور البدن كمال دنيوى لكنه نقص أخروى وإذا كنت تعلم أن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فاعتبروا أعمالهم هنا من قبيل الأحلام ، تعبيرها وتفسيرها وموجود في العالم الآخر ، فالضحك في النوم تعبيره البكاء والبكاء في النوم فرح وسرور .

(٣١٠٠ - ٣١١٢) : عودة إلى الملك : إن الحزن يمضي والفرح ، ولكن لاشيء يمضي دون أن يترك أثرا .. حتى وخز الشوك لايمضي دون أثر ، وهكذا فهو يفكر في وفاة ولده التي رآها في النوم ، إن مضي الورد (الابن) فينبغي أن يكون له منه تذكار ، وإن من الصعب أن تقف أمام الموت ، فلا محيص عنه ولا مهرب منه .. وهناك مئات الأبواب إليه فأي باب تسد ونحن نسمع صريرها ، وإن من لايسمع صريرها إنما يكون ذلك من انشغاله بالدنيا .. وإلا فإن هذه الأبواب وصريرها ليست مما يستبعد أو يتجاهل إلا إذا كان الإنسان شديد الغفلة شديد الانشغال بالدنيا .. أتدرى ما هو هذا الصرير: إنه الآلام التي تسكن البدن .. وجفاء الخصوم وعداوتهم .. واقرأ فهرس الأمراض والعلل في كتب الطب .. كلها كالعقارب كامنة في الجسد الإنساني في انتظار الأمر أن تخرج وتلدغ .. هذه هي الرياح الصرصر العاتية التي لا يصمد أمامها مصباح .. فما بالك والمصباح (الابن) شديد الضعف ... إن الملك يفكر إن ذهب هذا المصباح فلا أن يحل محله مصباح آخر ، إنه كالعارف يشعل قلبه شمعا لكي يعوض مصباح الجسد الناقص ، حتى إذا ماتت تلك الشمعة ذات يوم .. يضع أمام عينيه شمع الروح الباقي أي يحيا بنور الحق الذي هو على صلة بهذا القلب ويستمد منه

هـذا القلب ، هذا هو الاستبدال الحقيقى والتعويض الحقيقى ، لكن ليس كالسلطان الذى يستبدل فانيا بفان ولم يفكر فى الباقى الذى لايفنى .

(٣١١٧ – ٣١١٩) : الناس يعلمون أولادهم حرفهم وصنعاتهم وعلمهم أو يميلون إلى ذلك فى الغالب الأعم ، لكى يكون الابن استمرارية للأب ليس لمجرد الجسد بل للمعانى التى يزاولها الأب ، الله سبحانه وتعالى وضح هذا الأمر فى خلقة البشر وفى جبلتهم لكى تبقى هذه الحرف فى الدنيا ، والمعلم أب معنوى لتلميذه ومن هنا يكون الولد « سر أبيه الصورى وسر أبيه المعنوى » .. وقد ركب الله تعالى فيهم الحرص على تعليم كل صغير ، .. وليس كل صغير فحسب ، بل كل صغير « مستعد » بنص مولانا جلال الدين فاستعداد الصغير أهم من الرغبة الطبيعية الكامنة فى الأب لتعليم ولده .

(٣١٢١ – ٣١٢٦) : الملك فى الحقيقة هو الله ، ومن البشر الصالح الذى لا يملكه شىء .. لا قلق ولا فرح ، والرجل هو من سيطر على شهوات نفسه ، هو الأشعث الأغبر ذو الطمرين الذى لو أقسم على الله لأبره .. لكن الناس دأبوا على تسمية أسارى الدنيا وعبيد شهواتهم وطلاب الزيادة فى الدنيا بالملوك من قبيل تسمية الشىء بضده كتسمية العبد الأسواد كافورا والبادية مفازة والمسافرة قافلة .. وهكذا يسمى العوام من به ترجى الدنيا (صاحب السعادة وصاحب السيادة) ويسمون أسير الشهوة والأمل « الصدر الأجل » وهو إن شئت الحقيقة فى صف النعال ، أما أسير الأجل فهو الأمير الأجل » .

(٣١٣١ – ٣١٣٦) : إن تسمية الصالح الدرويش بالشحاذ أمر شديد الخطأ لا يقل خطأ عن تسمية أسير الأجل والشهوة والحرص بالأمير ، وهناك فرق بين أن يكون فقرك تقى وغنى بالله وتعففا عما فى أيدى الخلق ، وأن يكون هذا الفقر ناتجا عن خسة ولؤم وكسل ، فقر الدراويش قناعة وتقى لكن فقر

الأدنياء مختلف ، فهم إن وجدوا لايتعففون ولا يقفون بل يضعون الدانق على الدانق والدرهم على الدرهم ، هؤلاء هم الشحاذون على وجه الحقيقة ، وليس الغنى من كثرة العرض . كل ملك يأكل من الحرام ولا يرحم الرعية ويكون عليهم وعلى أموالهم سبع ضار هو مجرد شحاذ وليس ملكا مهما كان له من الأموال وهذا المعنى ورد عند مصلح الدين سعدى الشيرازى .

لو أن أحدا كان ملكا على كلّ الآفـــاق ﷺ عندما يأخذ المــــال من غنى فهو شحاذ

(كليات سعدى / بوستان ص ٢٣٨)

(٣١٣٧) : إشارة إلى حديث النبى صلى الله عليه وسلم « من جعل الهموم هما واحدا وقاه الله سائر همومه » .

(٣١٤١) : إشارة إلى حديث النبى صلى الله عليه وسلم « تنكح المرأة لثلاث لجمالها ومالها ودينها فانكح ذات الدين تربت يداك « وفى تفسير » ربنا آتنا فى الدينا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار « قال الإمام على رضى الله عنه « الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة والحسنة فى الاخرة الزوجة المطهرة » (انقروى ٤ / ٧٢٢) .

(٣١٤٢) : إذا ملكت الآخرة ، فقد تبعتها الدنيا كما يتبع ملكيتك لقطيع من الجمال ملكيتك للصوف والوبر ، لكن إذا ملكت الدنيا فليس من المحتم أن تتبعها الآخرة فملكيتك للصوف والوبر لا تدل على ملكيتك لقطيع من الجمال .

(٣١٥٤) : إشارة إلى الحديث النبوى الشريف « داووا مرضاكم بالصداقة فإنها تدفع عنكم الأحراض والأمراض » (الجامع الصغير ٢ / ١٤)

(٣١٥٦) : قيل « إذا انقطعت الأسباب فالسبب هو الدعاء لله » .

(٣١٥٩ – ٣١٦٣) : كانت العجوز ساحرة ماهرة ، ولا يفل سحرها إلا ساحر أستاذ وهكذا تطلب الأمور من أسبابها « وفوق كل ذى علم عليم » ولايكون فى أى فن إلا ويوجد من هو أعلى يدا منه ، والمنتهى إلى الله تعالى ، فكل علم العلماء قطرة من محيط علمه « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

(٣١٦٧) : فرق بين سحر وسحر ، وبين السحر الموسوى وسحر السحرة فرعون (انظر الكتاب الثالث – لقاء الساحرين على قبر والدهما) وشتان ما بين سحر للإفساد وسحر من ذلك الطرف يوهب لبعض الناس فلا يستخدم إلا فى الخير .

(٣١٧٢) : واضح أن الحكاية من الحكايات الشعبية التى كانت معروفة على عهد مولانا جلال الدين وإلا ما ترك بعض تفصيلاتها لا تهم السامع فى شيء أو على أساس أن معظم السامعين يعرفونها ، أو ربما لأن التفصيلات لا تخدم الرموز التى ينوى الحديث عنها فيما بعد .. كما أن عدم ذكر تفصيلات عن شفاء الأمير حتى لا يفهم المريدون أن الشفاء تم عن طريق السحر ، فالشافى حقيقة هو الله سبحانه وتعالى ، والوسيلة دعاء الوالد والساحر الإلهى مجرد « دريئة » أى مجرد حجاب لإظهار السبب الحقيقى وهو بين .

(٣١٨٢) : هكذا يكون الإنسان عندما يشاهد الجمال الحقيقى ، بعد أن ينجو من القبح الذى يظنه جمالا ، والجمال الدنيوى كله لايساوى عشر معشار الجمال الإلهى ، وهو ما هو موجود فى الدنيا من جمال عارية .. فما بالك بمعدن الملاحة .. إن الأمير كان لا يزال ينظر إلى هذا الجمال الجديد بنفس تلك الحواس التى كان ينظر بها إلى الجمال .. فلم يتحمل .. ولمولانا فى ديوان شمس الدين التبريزى :

فى يد كل ما هو موجود فتات من الجمال

وإنما رغبتى هو معدن الملاحة وذلك المنجم

غزل ٤٤١ ص ٢٠٣

(٣١٨٥ : – ٣١٨٧) تذكار أيام الكفر يتذكرها المؤمن التائب حينا على سبيل الندم وحينا على سبيل السخرية والمزاح من نفسه كيف كان مدفوعا إلى هذه الحمأة دون أن يدرى ؟! نعم إنه لم يكن يدرى « وزين لهم الشيطان أعمالهم » .

(٣١٩٠ – ٣١٩٨) : يقدم مولانا جلال الدين رموز القصة وخلاصتها والمطلوب منها فالأمير ابن الخليفة هو الإنسان ولد فى العالم القديم فكل من ولد لآدم ، والسلطان هو آدم ، والعجوز الكابلية الساحرة هى الدنيا « وهى أسحر من هاروت وماروت » فيما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس « يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صور عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية لا يراها أحد إلا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم : اتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفتها فيقال لهم : الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم » (انقروى ٤ / ٧٣٠ – ٧٣١) والنجاة من سحرها إنما يكون بالاستعاذة ، حتى تحل عقدها التى تزينها عما يخالف الشرع والعقل .. إنها تنفث السحر فى القلوب ، ولو كان العقل يصلح لعلاج سحرها لما أرسل الله الأنبياء والأولياء ، إنها تزين كل شىء للعقل .. بحيث يكون اتباعها أحيانا من مطالب العقل نفسه ، وما هذا العقل ؟! أليس يقال لكل إنسان يحاول أن يقف ضد مفاسد الدنيا : إعقل .. فالعقل دنيوى ولابد لك من نبى لينجيك منها أو ولى عظيم .

(٣١٩٩ – ٣٢٠٦) : هيا فإن الأمير قد مكث سنة فى حبائل العجوز الساحرة ، وأنت إن لم تجتهد بقيت فى حبائلها ستين عاما بل بقيت إلى آخر العمر .. فإن الستين هنا كناية عن آخر العمر مصداقا لحديث البشير النذير (أعمار أمتى بين الستين إلى السبعين) .. وأنت عرفت أنها بهذا القبح وتعلقت بها فقد خسرت الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، وما النجاة من نفخها

الخلاق الفرد .. وذلك عن طريق الولى الكامل .. القابل للفيض ، والفياض على الخلائق فنفخة سحر الدنيا هى نفخة القهر ، ولابد لعلاجها من نفخة اللطف الالهى ، وإذا كانت الرحمة قد سبقت الغضب فاسع بالرياضة وابحث عن رحمته ، ابحث عن السابق إليها واقتبسها منه ففى الحديث النبوى « لكل قرن من أمتى سابقون » وجاء فى القرآن الكريم « السابقون السابقون أولئك المقربون » (الواقعة / ١٠) وفى وصية الرسول لعلى رضى الله عنه « ياعلى إذا تقرب الناس إلى خلقهم بأنواع البر فتقرب إلى الله بأنواع العقل لتسبق الناس درجة وزلفى عند الله فى الدنيا والآخرة » (انقروى ٤ / ٣٨) ، وذلك حتى تنجو من العجوز القبيحة وتزوج بالحور العين بناء على قوله تعالى « وإذا النفوس زوجت » (التكوير / ٧) (نقلا عن أحاديث المثنوى ص ١٢٠ مع شىء من التصرف) .

(٣٢٠٧ – ٣٢٠٩) : إذن الخيار فى يدك : فإما العجوز الشمطاء وإما تلك الحورية الجميلة ، ولا تظنن أنه من الممكن أن تجمع بينهما ، فهما كما يقول سيد البشرية صلى الله عليه وسلم الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما ترضى أحدهما تسخط الأخرى ، ومن هنا ينبغى لك من فراق ووصال .. وصحة جسدك هنا سقام للروح .

(٣٢٠٠ – ٣٢١٥) : وعليك أنت أن تقارن وأن تقيس إذا كنت تحس بكل هذه المشقة للزهد فى الدنيا والإنصراف عنها وهى مجرد ممر ومعبر وحلم نائم ومزرعة للآخرة ودار امتحان .. فما بالك بالمقر ، وإذا كنت متعلقا هكذا بالصورة هلا فكرت فى فراقك للمصور وبعدك عنه ، وإذا كنت بلا سكوت ولاصبر عن هذا الشرب .. فكيف تبتعد عن الأبرار وعما يشربون ، « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » (الإنسان ٥ / ٦) .. إننى أقول لك كل هذه المعانى فى معنى واحد :

إنك إن أبصرت جمال الخالق العظيم لألقيت فى النار بالروح والوجود أى لفرطت فى كل روحك ووجودك فداء لهذا الجمال الذى يبدو جمال دنياك كله إلى جواره قبحا .

(٣٢١٨ – ٣٢١٩) : افناء الذات والانسلاخ عنها هو الوصول إلى البقاء الكامل (أنظر مقدمة الكتاب الثالث) .

(٣٢٢٠ – ٣٢٢٧) : إن مجرد ترددك فى هذا الأمر وتعثرك هكذا هو من قصور نظرك الذى لا يرى عثرات الطريق ، فاجعل دليلا إلى الحق كما كانت رائحة قميص يوسف عليه السلام تملأ أنف يعقوب فى كنعان وهى التى ردت إليه بصره .. ومن الممكن أن يكون قميص يوسف هنا رمزا للمرشد والشيخ ومن الممكن أن يكون رمزا للمجاهدات ومن الممكن أن يكون رمزا للقرآن الكريم وفى رأى لاستعلامى إنه آثار عالم المقر ٤ / ٣٦٣ إن صورته خفية .. لكن نور وجهه أضاء وجوه الأنبياء .. وهذا هو المعنى الذى عبر عنه مولانا فى ديوان شمس الدين التبريزى قوله :

إنه خفى عن الأبصار وكل ما تعبرون عنه .

ومطلبى هذا الخفى الواضح، فى صنعته (غزل ٤٤١ ص ٢٠٣) .

عليك إذن بطلب هذا النور ، فهو النور الحقيقى .. وكل الأنوار انعكاس أو قبس منه (انظر مشكاة الأنوار للغزالى) وكلها إلى جواره أنوار مستعارة .. إن النور الذى ترى به العين إنما به ترى به للحظتها فحسب ، ويصيب العين والجسم والروح بداء الجرب (الأجرب مشغول بحك نفسه فحسب مبتعد لآفته عن الناس) أى يجعل الجسم والنفس والروح مشغولة بما يفيدها فى اللحظة الحاضرة بعيدة عن الطريق وعن الجهاد للوصول إلى النور الأصلى إنه

فى الصورة نور لكنه فى الحقيقة نار .. فابتعد عنه . انظر إلى البصيرة والروح ، التى تكون بنت لحظتها لاترى إلا الحاضر وإلا اللحظة وإلا المنفعة الحاضرة إنما تتعثر وتسقطُ على وجهها لأن الحاضر لا يدوم واللحظة لاتستقر ولا تثبت .. انظر إلى ابن لحظته دائما يلهث .. لا يستقر على حال .. يظن كل ما يجده شيئا ثم لا يلبث أن ينصرف عنه .. كأنما يجرى أحد وراءه بسوط .. وفى النهاية يسقط وقد خسر كل شىء .. لكنه غير الباحث عن الثابت .. عن القيمة .. عن خلود الروح بالعلم والعبادة .

(٣٢٢٨ – ٣٢٤١) : إن حديثى عن رؤية من نوع آخر .. لكن ليست رؤية تلك العين وحدة بصرها الحسى ، إن العين التى تكون خالية من الفضل « النور الالهى » قد ترى على البعد لكنها مثل رؤية شىء على البعد فى النوم .. تماما كالنائم ظمآنا إلى جوار نهر .. فالنور أقرب إليك من حبل الوريد ، ليس بينك وبينه إلا الإخلاص والطلب ومع ذلك فإنك إلى جوار هذا النهر الفياض تنام ظمآنا .. (تظل متعلقا بالدنيا) وتسرع فى إثر سراب .. أليس نعيم الدنيا كله سرابا ؟ ! ألا يتوقف كل التمتع بالحياة على فترة من الزمن .. وألذ لذائذ الدنيا تدوم متعتها بعض لحظة .. ما أشبه عابد الدنيا بنائم على شاطىء جدول ويحلم بالماء ويسرع خلف السراب .. ويعجب بسعيه ، يجلس متفاخرا متعاظما يضع يده تحت إبطيه ويلعب اصبعيه من بين دخان سيجاره قائلا : لقد بنيت نفسى بنفسى .. منذ سنوات قليلة لم أكن أملك شيئا .. خفف قليلا من غلوائك ربما بعد لحظة تخرج منها عاريا (! !) هذا تماما ما عبر عنه مولانا فى البيت ٣٢٣٠ يجلس أحدهم بين أصحابه .. ها لقد وصلت إلى الماء ، وعندى « خميرة » جيدة .. افعلوا مثلى وأنت فى الحقيقة تبتعد عن الماء لحظة بعد لحظة .. الماء تحت قدمك .. وعزمك هذا ورحيلك نحو الماء هو الحجاب الذى يبعدك عن الماء

الحقيقى ، فكأنك تضع بيدك حجابا على حجاب .. وما أكثر البشر الذين يرحلون عن موضع فيه عزهم الحقيقى .. يعيشون من خوف الفقر فى فقر ، ويجهلون وهم يظنون أنهم يعلمون ، فإياك ورؤى النائمين ونفاجهم فهى لا فائدة منها .. إنها ليست سوى خيال .. إنها ليست حقيقة ، إنها تبعدك من حيث تظن أنها وصل .. وإن كنت ولابد عاشقا للنوم فنم .. لكن فى طريق الله .. أليس هناك من النوم ما هو عبادة .. نم عن أذى الناس .. أو نم فى طريق تعلم أن أهل الله يسلكونه ربما تعثر بك سالك فأيقظك من نوم عميق وأخذ بيدك .. هذا هو فيض الله الذى يمكن أن يأتيك فى نومك .. إن النائم (محب الدنيا) مهما كان دقيق الفكر .. فإن فكره يظل محصورا فى نطاق هذه الدنيا وهى ساحة ضيقة أضيق مما تظن .. إن كل فكره العظيم لا يستطيع أن يدله على طريق الحى الذى فيه المحبة والصفاء .. مهما كان فكره مضاعفا فقد تضاعف خطوه أيضا .. إن موج الرحمة، الالهية يتخاطفه بينما هو نائم فى صحراء قاحلة لايحس به وإن لم يكن أى حى يعتمد على حفظ الله ورحمته فعلام يعتمد ؟ ! إن الرحمة أقرب إليه من حبل الوريد بينما هو يمضى فى عطش شديد .

(٣٢٤٢) : يرى فروزانفر أن الحكاية التى تبدأ بهذا البيت واردة فى جوامع الحكايات لمحمد عوفى فى ذكر سبب توبة الصوفى شقيق البلخى ، وقال بعضهم إن سبب توبته إن الخلق ذات سنة بلغت قلوبهم الحناجر من القحط ، وصار الخبز أندر من الكبريت الأحمر ، وأمسك المطر ، وكان القوم قد خرجوا للاستسقاء كثيرا ، أخذوا يطلبون من الله المطر بضراعة وبكاء وأثناء ذلك رأى شقيق غلاما زنجيا يمرح ويضحك ، فقال له شقيق : أى مرح هذا تمرح ألا ترى هموم الناس ؟ ألا تشاهد محنتهم إذ سفك بسيف عقاب القهر دماءهم .. فقال ذلك الغلام : وأى بأس عندى عن القهر .. إن لى سيدا عنده مخزنان من الغلة وأفهم أنه لن يضيعنى (فروزانفر - مآخذ ص ١٥٠) .

(٣٢٤٧) : إشارة إلى الحديث النبوى الشريف « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله وإن إشتكى عينه اشتكى كله » (انقروى ٤ / ٧٤٧) والحديث النبوى الشريف « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

(٣٢٤٩ - ٣٢٥٥) : إن الزاهد يرى أن القحط من الله ، فالبلاء على المؤمن فيض ونعمة ورحمة ، ومن ثم فإن كل مظاهر القحط تنقلب إلى ضدها ، أليس هذا هو مصيرها فى النهاية ، إن صبر المؤمنون على القحط ، وراجعوا أنفسهم ، وأصلحوا ذات بالهم .. وليس هذا ببعيد أن يرى الزاهد ذلك .. ألم يكن النيل ماء لقوم موسى دما لقوم فرعون وغير هذا ألا يغضب الإنسان أحيانا حتى على أبيه .. فيراه فى أسوأ صورة .. ثم يرضى فيراه أبا رحيما ؟! إن الناس من سخطهم يرون قحطا والزاهد من رضاه وأمله فى عفو العفو الغفور يراه رحمة .. إنهم ينظرون بعين الظاهر التى ترى اللحظة .. وهو يرى بعين الباطن ترى العاقبة :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

(٣٢٥٩ -٣٢٦٢) : يرى المولوى (٤ /٤٤١) أن العقل الكلى هنا هو الحقيقة المحمدية كما يرى الانقروى (٤ / ٧٥٠) نفس الرأى ويرى السبزوارى (٤ / ٣١٨) أن المراد بالعقل الكلى علم الحق بالكل فصور العالم من الجبروت إلى الناسوت مسبوقة فى علم الحق والمعلومات طبقا للصور العالية وهذه الصور العالية برزخية ورابطة بين الوحدة والكثرة وهذا بناء على أن علم الحق صورى كما يقول بذلك أغلب الحكماء وعلى الأخص المشاؤون ، أما الإشراقيون فيرون أن الوجود من الذرة إلى الذرة فى علم الحق الحضورى ، وصفحة نفس الأمر وصحيفة الأعيان بالنسبة للحق مثل الأذهان بالنسبة للنفس

الناطقة .. والكل بإرادته ولم يجر خطأ على قلم الصنع .. وتفسير مولانا جلال الدين هنا شديد الوضوح : العالم كله .. الوجود كله صورة للعقل الكلى .. جداول تنبعث من المحيط الأعظم .. ظل الشمس شمس الحقيقة ومن ثم يكون التصرف على كل ما يحدث فى هذا الكون متعلقا بموقف منه سبحانه وتعالى .. ويرى الأنقروى والمولوى أن المقصود بأهل المقال .. أى كل الناطقين (انقروى ٤ / ٧٧١ - مولوى ٤ / ٤٤١) بيما يرى السبزوارى أنهم أهل خطاب الحق كالأنبياء والعلماء ذوى وراثة العلم مصداقا لقول نبينا عليه الصلاة والسلام « إن فى أمتى مكلمين محدثين (٤ / ٣١٨)، وهذا العقل الكلى بمثابة الأب الرفيق بالوجود الراعى له ، فإذا كنت ساخطا على هذا الأب فقد ضاقت بك الأرض بما رحبت ورأيت فى الوجود كل ما يسخطك .. وإن كنت راضيا وفى صلح وسلام فقد ظهر لك الوجود وهو من ماء وطين وشيا منمنما على سجادة ذهبية فإن وصلت إلى مرحلة الرضا فقد قامت القيامة بالنسبة لك .. وصفت لك الجنة على الأرض ، بل وبدلت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء ، عن على رضى الله عنه أنه قال « تبدل أرضا من فضة وسماء من ذهب » وعن ابن مسعود « ويحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة » وعن ابن عباس رضى الله عنهما « هى تلك الأرض وإنما تتغير صنعا فقط » .

(٣٢٦٣ - ٣٢٧٠) : نادرا ما يتحدث مولانا جلال الدين بضمير الأنا ، وهو عندما يتحدث عن نفسه فإنما يقصد الولى أو المرشد الكامل على وجه العموم وربما يكون هذا إكمالا لكلام الزاهد .. فهو يقول الولى دائما فى حالة صلح مع هذا الأب ومن ثم فهو يرى جنته على الأرض ، جمالها وحسنها متجددان ويراها مليئة بالنعيم .. وإذا كان هذا الجمال كلة ينعكس فى اللباد (نهر وفى رواية للسبزوارى أنه الماء القليل) (سبزوارى ٤ / ٣١٨) فما بالك إذا كان إنعكاسه فى مرآة صافية .. إننى لن أتحدث .. فالآذان مليئة بالشك والأفكار ، إذا تحدث عن أرض وأنتم ترون بأعينكم القاصرة أرضا أخرى مليئة بالقحط

والكوارث والمجاعات .. إنه ليس بشارة بما سيحدث ، وليس وهما .. إنه نقد الحال ... والحقيقة القائمة .

(٣٢٧١) : عزير فى رأى المفسرين وقصاص الأخبار هو الذى ورد فى الآيات الكريمات « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت ، قال : لبثت يوما أو بعض يوم ، قال : بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا ، فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير » (البقرة / ٢٥٩) . قال أبو إسحاق الثعلبى « ولنجعلك آية للناس أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت » ، وقال الضحاك هو أنه عاد إلى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود اللحية (قصص الأنبياء / ص ٣٤٥) .. وما جاء أولاد عزير للتفحص بل دلتهم عليه أمة كانت له .

(٣٢٧٦ - ٣٢٨٥) : هى عند الجاهل الذى ينتظر ما سيأتى بشرى ، لكنها عند ذلك الذى يعلم أن الجنة والجحيم موجودان هى نقد حال وواقع معاش .. والذى يراها بشرى إنما حجبه الوهم .. مثل أولئك الذين يظنون من وهمهم أن الله تعالى غائب عن الأبصار فهو غائب .. وهكذا فإنه ألم بالنسبة للكفار لكنه بشرى للمؤمنين .. والعاشق فوق المؤمن والكافر ، فإنه ثمل دائما بالمشاهدة الإلهية .. الجنة والنار بالنسبة له نقد حال وواقع معاش ، لكنها وجود دائم مستمر ، الكفر والإيمان بالنسبة إليه كالقشر ، وإن كان الكفر قشرا باليا مرا (متصلا بثمار المر وأصل المرارة فى وجوده) والإيمان قشر حلو (متصل بمنبع الحلاوة والجمال فى وجوده) ، لكنه قشر على كل حال ، وهذا على كل حال كلام لا يلقى على عواهنه فعد عنه وارجع « موسى الروح » إلى بحر الحقيقة وشقه حتى يرتفع الغبار منه .. فالعاشق فوق الكفر والإيمان « لأن الدنيا والآخرة حرامان على أهل الله » وفى ديوان شمس تبريز :

- من الذى رأى الإيمان هو فى مقابل الكفر بك أيها المليك .

- إن العنقاء التى تطوى الفلك أمامك مجرد ذبابة .

- وماء حياة الإيمان وتراب الكفر الأسود .

- إلى جوار نار (عشقك) كلاهما كالقذى .

- وليل الكفر ، وصباح الإيمان ، سطعت الشمس .

- قال الإيمان للكفر ، لقد ضعنا وكفانا هذا .

(كليات ديوان شمس غزل ٦٠٨ ص ٢٦١ -، ٢٦٢)

(٣٢٨٦ - ٣٢٩٣) : إن ما قلته يكفى العوام : ولابد أن يخفى بقيته عنهم فهم ليسوا أهلا له .. إن عقولهم أشبه بشذرات الذهب ، ليس ذهبا مسبوكا أستطيع أن أمهره بخاتم الحقائق الإلهية ، وأستطيع أن أخاطبه بهذا الكلام الذى يمكن أن يخاطب به الخواص وخواص الخواص ، أولئك الذين جمعت هممهم وأصبح همهم واحدا لا أولئك العوام الذين تفرقت قلوبهم وتفرقت هممهم وتعددت مشاغلهم ولا جامع لكل هذه االشتات إلا العشق ، فالعاشق له هم واحد ، وهو به سعيد .. كأنه سمر قند أو دمشق . يحس أن العالم كله فى جمال سمرقند ومجد دمشق « سمر قند جمال الموطن ، دمشق حيث كان شمس الدين » وحين يصير مجموعا لا مجرد شذرات يمكن حينذاك أن يكون ذا قلب صلب كأنه الكأس فى يد المليك .. أو يجعل من وجودك موضعا للتجليات الإلهية ، تكون آنذاك من ذوى اللون الواحد الذى لايتغير .. ويصير حتى خبزك وشرابك ومصباحك ونقلك وكل عيشك وطربك وطعامك وشرابك هو ، تراه فى كل شىء (تراه فى كل معنى دقيق رائق بهج) .

(٣٢٩٤ – ٣٢٩٩) : وهكذا تكون الجماعة رحمة « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » من أحاديث المثنوى (استعلامى ٤ / ٣٩٦) ألا تتوزع بين الهموم وتتقاذفك كالقشة ، فإن كنت مجموعا (أى جمعت كل همتك فى وقتك أو مرشدك) (، شرح التعرف ٤/ ٦٥) قد نجوت والتفرقة أعمال البدن والجمع حصول المشاهدة ، والتفرقة حضور لكن الجمع غيبة (شرح التعرف / ٦٣–٦٤) ويضرب الأفلاكى (١ / ٥٥٢) حكاية عن الجمع والتفرقة يقول : سئل أنوشيروان : ما أفضل شىء فى العقل والمال والدولة قال : اتفاق الخلق واجتماع الأصدقاء أى كلما حدث اجتماع واتفاق حدثت هذه الأمور الثلاثة ، تستطيع أن تعطى كل اهتمامك للمرشد .. واستطيع أن أحدثك آنذاك بكل ما هو موجود لأن حديثى سوف يجد منك آنذاك استعدادا للقبول .. فالإنسان يتحدث من أجل أن يؤمن الناس بحديثه لا من أجل مجرد الحديث ، والروح التى تكون محلا للشرك (ليس بمعناه المعهود بل المشاركة أى همم سوى الله) لا موضع عندها لحديث الإيمان .. إن الروح التى توزعت على ستين رغبة فى وسط الفلك ومن محتويات الفلك .. أولى بك أن تصمت أمامها حتى تثبت علي حال من الأحوال .. لأن الكلام يزيدها اضطرابا وقد لا يصادف رغبة واحدة من رغباتها .. وإنى لأعرف كل هذا ومع ذلك أتحدث مع أنى أنوى الصمت .. لكن متى يستطيع ذلك الذى يغلى باطنه بهذه الأفكار أن يصمت ؟! إن الوجد الذى يملؤنى يجعلنى أفتح فمى بهذا الحديث بالرغم منى .. إنه من الطبيعى جبرا أن أتحدث ، تماما كالعطس والتثاؤب .. تقوم بهما مرغما .. وهكذا أنا لا أستطيع أن أحبس هذه الأحاديث فى باطنى .

(٣٣٠٠ – ٣٣١٠) : الحديث الشريف « إنه ليغان قلبى وإنى لأستغفر الله كل يوم مائة مرة » ، وفى رواية « سبعين مرة » والغين حجاب رقيق ، وقال

بعض العلماء الغين هو التقيد بأحوال فئة أو الانقياد لهم ولو كانت هذه من رحمته بعباده لكنها أيضا نوع من الحجاب تمنع القلب من التلذذ بالجمال الإلهى ومن هنا طلب المغفرة (مولوى ٤ / ٤٥٠) ، لكن هذا السكر - والحديث لمولانا - يجعلنى دائما أرجع عن توبتى ، إنه ينسبنى ماأزمعت عليه ويجعلنى انطلق فى الحديث ، إنها الحكمة الإلهية لإظهار الأسرار ، هى التى تجعل هذا السكر الإلهى يصيب العالم بالأسرار (أى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) حتى يبوح بهذه الأسرار ولا يضن بها ، هذه الأسرار هى ظاهرة منذ الأزل ذات طبل وعلم منذ جف القلم الإلهى من كتابة اللوح المحفوظ وقدر ما سوف يحدث إلى يوم القيامة وهذه الأسرار تفور كالماء الجارى فى أودية قلوب العارفين .. ولابد من السكر حتى تفوه بها ألسنة الأنبياء والعارفين وإلا ما عرفها أحد ، فهم فى السكر مغلوبون كالمجنون لا رابط على لسانه (شرح التعرف ٤ / ١٤٥) وهذا فى حد ذاته من رحمة الله سبحانه وتعالى بعبيده .. وهى لاتنقطع فى أى زمان لكنكم نائمون عن إدراكها أيها الخلق .. وما أشبهكم بنائم على جدول ماء (غشاه النعاس) ثيابه تبتل من ماء وهو فى نومه (حياته الدنيوية) يسرع فى أثر سراب أوهامه وأفكاره فيغلق طريق الرحمة على نفسه ، إنه يظل يعدو فى أثر السراب ويزداد بعدا عن الرحمة .. إنهم فيما يتصل بالدنيا يتميزون بحدة النظر لكن أرواحهم نائمة ، لا ترى أبعد من هممهم ، فأتوهم بالرحمة أيها السالكون فى طريق الحق العالمون بمرتفعاته ووهاده ومصاعبه .. والعجب أنهم ينامون وهم ظمأى ، فأى ظمأ هذا الذى يجلب النوم سوى ظمأ الأحمق الذى لا عقل له .. ولست أقصد بالحق ذلك الذى سميته أنت عقلا .. بل أقصد به ذلك الذى يرعى من فضل الإله .

(٣٣١١ – ٣٣٢٢) : إن صاحب عقل المعاش أو العقل الجزئى لا يرى إلا ما يستطيع هذا العقل أن يدركه ، أما صاحب عقل المعاد فهو الذى يدرك إلى أبد الآبدين ، فابحث إذن عن عين الغيب واستفد منها فى التطلع إلى ساحات الآخرة وإلى ذلك العالم الذى لاتدركه عينك الدنيوية – حينذاك يفتح عليك كما فتح على موسى عليه السلام ، وهل وجد موسى عليه السلام ما وجده من معجزات بعكوفه على الكتب أو ملازمته لأستاذ (أى من استخدام هذا العقل الجزئى).. فاستمع وانظر فى صنع الله وكن مستمعا أفضل لك من أن تكون متحدثا ، فإن منصب التعليم شهوة .. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول « الشهوة الخفية والرياء شرك » ، هذا الكلام أو الحديث من قبيل الفضول وهو آفة الحال ، ولو أن كل فضولى عرف الطريق وحده إلى الله بهذه الشقشقة فى الألفاظ إذن لما كان الله سبحانه وتعالى قد أرسل الرسول ، والمعنى قريب من بيت لسنائى الغزنوى :

متى وصل كل خسيس من تلوين الكلام إلى هذا الطريق ، ينبغى ألم محرق للعمر وأن يكون المرء موفقا (ديوان سنائى / ٤٥٨) .

إن هذا العقل الجزئى مؤقت ، ذكاؤه مؤقت ، ووميض فكره مؤقت تماما كوميض البرق ضعيف سريع الزوال ، لا يمكن السفر فيه إلى بلد بعيد ، إنه إيذان فحسب ببكاء السحاب ومن ثم فكلما أجهد هذا العقل الجزئى نفسه .. أدرك أنه قاصر .. لايستطيع أن يقدم حلا لكل المشكلات فيكون ذلك إيذانا ببكاء الطبيعة، .. حيث تنقشع غيوم العقل الجزئى وتطلع شمس عقل المعاد وبنورها ينجو الإنسان من ظلمات الغفلة والجهل .. ويحس المرء بضعفه إذن ويبكى .. من كونه عدما شوقا إلى الباقى الذى لاينعدم .. إنه وسيلة تدلك على الصلاح .. لكنه ليس الصلاح فى حد ذاته .

(٣٣٢٤ –٣٣٣٠) : إن عقل المعاد هذا ذو وسيلة واحدة هم الأنبياء والرسل والأولياء هم حملة الأسرار .. وحتى الشياطين نفسها كانت تسترق السمع علها تعرف بعض الأسرار فكانت تتبعها الشهب ، قال الله تعالى فى كتابه العزيز « إنا زينا السماء بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » (الصافات ٦ – ١٠) وكان عليها أن تطلب هذا العلم من الرسل لا من استراق السمع .. وعليهم طلب العلم من بابه .. اطلبوا هذه الأسرار من الإنسان ، المخلوق من تراب والذى كرم بالأمانة وفضل بالعلم واصطفى للرسالة .

(٣٣٣٢ – ٣٣٣٤) : ظهور الخضرة من التراب كناية عن الحياة من بعد الموت ، وأولئك الذين يبتعدون عن الرسل والأولياء أموات ، وهذه الخاصية خاصية الأحياء واخضرار الأرض القاحلة كيف تكون لحافر جواد جبريل ولا تكون للأولياء ، قال الثعلبى : « لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى : إنى ذاهب إلى الجبل لميقات ربى وأتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة وهى بلقاء أنثى لاتصيب شيئا إلا حيى ، فلما رآه السامرى على تلك الفرس عرفه ، وقال إن لهذه الفرس شأنا عظيما ، وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل » ص ٢٠٨ – فإذا كانت هذه الخاصة فى تراب حافر جواد الروح القدس فكيف لا تكون هذه الخاصية فى أصحاب روح القدس من الأنبياء ؟ (مولوى ٤ / ٤٥٧) . لقد أخذ السامرى قبضة من أثر الرسول فوضعها فى قلب العجل الذى صنعه من ذهب المصريين المسروق فخار العجل « قال فما

خطبك ياسامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى » (طه ٩٥ - ٩٦) .. قال نجم الدين : يشير بهذا إلى أن الكرامة لأهل الكرامة كرامة ولأهل الغرامة فتنة واستدراج والفرق بين الفريقين أن أهل الكرامة يصرفونها فى الحق والحقيقة وأهل الغرامة يصرفونها فى الباطل والطبيعة (مولوى ٤ / ٤٥٧) لقد كانت الفتنة فى أن السامرى أخرج لهم من الحلى (عجلا جسدا له خوار) .

(٣٣٣٥ - ٣٣٣٨) : كن صامتا إذن لتسمع من الناطقين ، وكن أمينا واتجه إلى أهل السر ، فإن فعلتم رفعت عن عيونكم الغمامة التى تغطى عين الصقر وعرفه أثناء تدريبه ، وما هذه الغمامة إلا الجسد أنتم منه فى نصب مثلما يكون الصقر فى نصب وعذاب من هذه الغمامة التى تفصله عمن هم من جنسه ، فإذا رفعت الغمامة عنه ورأى وجه الملك أصبح متجانسا معه لا يستريح إلا على ساعده ، وهكذا البشر إذا رفعت غمامة الجسد أصبحوا من جنس سلاطين الدين .

(٣٣٣٩ - ٣٣٤٧) : إن العقل الجزئى .. عقل المعاش .. مستبد ، لا يرى إلا فى حدود ذاته .. ومن هنا كان مطرودا من الله تعالى ومأمورا بأن يكون تابعا للقلب فهو أكثر علما وساحته أكثر رحابة ، وكن عبدا لسلطان عادل خيرا من أن تكون أنت نفسك سلطانا لكنك ظالم ، فالعبودية لله تعالى أعظم من ملك الدنيا .. لا كإبليس عندما قال « أنا خير منه » أى من آدم عليه السلام .. أو طاغية متكبرا كإبليس إن المتواضع هو المقصود بقول صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن ذلت نفسه » وأصل الحديث « طوبى لمن تواضع فى غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسكنة وأنفق من مال جمعه فى غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة (الجامع الصغير ٢ / ص ٥٥) ، فاختر إذن بين ظل طوبى وبين الطغيان فى الدنيا والضلال .

(٣٣٤٨ – ٣٣٥٢) : البيتان المذكوران فى العنوان أغلب الظن أنهما لسنائى الغزنوى وإن كنت لم أستطع العثور عليهما من الديوان أو من الحديقة ومع ذلك لم أنصرف عن الاعتقاد أنهما لسنائى ، وقد رجح عبد الباقى أيضا (٤ / ٤٧٨ – ٤٧٩) فأرجع البيت الأول إلى سورة الحجرات « لاتقدموا بين يدى الله ورسوله » لكنه رأى أن البيت الثانى على وزن الحديقة وإن لم يجده فى الحديقة ، والواقع أننى اكتشفت أن الشطرة الأولى من البيت الأول هى الشطرة الثانية من بيت ورد بالفعل فى حديقة سنائى « فكن رجل همة لا رجل شهوة ، وما دمت لست رسولا فكن من الأمة » . (البيت رقم ٢٥٣١ من الحديقة) عليك إذن أن تمضى صامتا ، ولا تهزل بما لا تفهم واستمع إلى قول الشيخ وعش تحت ظله ، فأنت غالب فى ظلال الغالبين .. وإلا أذهب استبدادك هذا بظنك أنك قد وصلت وتشدقك بألفاظ الكمال .. فما دمت قد أصبحت فى حاجة إلى عطاء الواصلين فكيف يهبونك هم هذا العطاء .. فلا تغتر ببدايات الفتوح ، واصبر مع شيخ الصناعة حتى تستطيع أن تتقنها وإلا بقيت عند درجاتها الدنية ، فإن أولئك الدين يقومون بخصف النعال لو صبروا على الصنعة لصاروا فيها عمالا مهرة .

(٣٣٥٣ – ٣٣٥٦) : إنك إن لم تصبر مع شيخك وأستاذك واعتمدات على عقلك فسوف تقول فى نهاية المطاف « إن العقل عقال » قد عقلك عن الإنطلاق فى ساحات القلب الواسعة والقطاف من بساتين الصالحين من الأولياء والمرشدين ، مثل ذلك الرجل المتفلسف الذى رأى على أعتاب الموت قيمة عقله الحقيقية دون زيادة ونقصان فاعترف قائلا : لقد سقنا جيادنا على الظن قاصدا أننا اتبعنا عقولنا الجزئية والظن لا يغنى من العلم شيئا .. ومن الغرور ابتعدنا عن رجال الله وسبحنا فى بحر الخيال ، والمقصود هنا أبو النصر الفارابى الذى رأى أن السعادة لا تحدث إلا حين يموت الجسد وفى قول إنه الفخر الرازى الذى كان يردد قبل أن يسلم الروح :

وكم قلت للقوم أنتم على	شفا حفرة مْن كتاب الشفا
فلما استهانوا بتوبيخنا	فزعنا إلى الله حتى كفى
فماتوا على دين أرسطاطاليس	وعشنا على دين المصطفى

(مأخذ / ١٥١ - ١٥٢ . انقروى ٤ / ٧٨٦ .. مقالات شمس / ص ٢٤) .

(٣٣٥٧ - ٣٣٦١) : لا جدوى من السباحة فى بحر الخيال والاعتماد علي هذا العقل الجزئى بإمكانياته القاصرة ، وما ينفع لهذا البحر العباب إلا سفينة نوح ، وسفينة نوح هنا ممثلة فى الرسالة المحمدية الشريفة مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم « مثل سنتى كمثل سفينه نوح من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها غرق » وفى رواية أخرى « مثل أهل بيتى » وفى رواية ثالثة « مثلى ومثل علماء أمتى » ، فمن لم يتمسك بهذه السفينة غرق ولو كان فى علم على بن سينا .. وشبيه بهذا قول شهاب الدين عمر السهروردى :

نهاية أقدام العقول عقال	وأكثر سعى العالمين ضلال
ولم تستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جميعنا فيه قيل وقالوا
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا	وحاصل دنيانا أذى ووبال

(انقروى ٤ / ٧٨٦)

وهكذا فالرسول عليه الصلاة والسلام هو سفينة النجاة ومن يحكم من بعده بشريعته « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » .

(٣٣٦٣ - ٣٣٧٦) : إن كنعان السيرة هو الذى يرى فكره وحوله وطوله أعظم من هذه السفينة وكثيرون جدا من أمثال كنعان يعيشون بيننا ، يرى أنه أعلى وأسمى فكرا من أن يتبع الشريعة ، ويسميها رجعية وسلفية ، ويرى أنها لا تصلح لهذه العصر ، ومهما كان جبل فكره زائد العلو فإنه لن يستطيع أن ينجو به من هذا الطوفان .. ولكن هيهات أن يسمع كنعان نصيحة نوح .. لقد ختم على سمعه وعى بصره غشاوة ، وإنما أواجهك بهذا الحديث علك لاتكون فى باطنك من أمثال كنعان ، وأستطيع أن أوقظك ، وتستطيع أن ترى العاقبة ، فكل من نظر فى أول الطريق إلى نهايته نجا .. وإذا أردت أن تنجو يا كنعان من هذا العثار الذى يوقعك فيه ضعف بصيرتك وعقلك القاصر ، واعتمادك على حولك وطولك ، فاكتحل بتراب أقدام العارفين ، فإذا أقدامهم حيثما تطأ تهب الحياة ،

وتستطيع أن تتغلب بها على شياطين الإنس والجن .. تتحول من إبرة لا حول لها ولا طول إلى سيف فى عظمة ذى الفقار ، إن هذا الكحل قد يحرق عينيك لكنه سيصلحها ، سيهب لك بدلا منها عينا ناظرة للعواقب ، متبصرة ما وراء الظواهر ، ألا ترى أن الجمل يشرف بعينه على كل الوهاد ، ويرى نهاية طريقه وهو لا يزال فى أوله .. ويصبر كل هذا الصبر .. أتدرى لماذا ؟! لأنه يقنع بالشوك ويعيش عليه ومن هنا امتاز على غيره من الدواب أيمكن أن تكون أقل حصافة من جمل ؟

(٣٣٣٧) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت مكررة إذ وردت فى الكتاب الثالث (انظر شرح الأبيات ١٧٤٦ - ١٧٥٤) والحكاية هنا فيها إضافات جديدة .

(٣٣٩٣ -٣٤٠٦) : الصدر الأجل هنا هو كل من عرف الله حق معرفته وعبده حق عبادته ونور قلبه بنوره ، وصار عالما من لدنه .. تتكشف له المستورات ، وترتفع من أمام أبصاره الحجب فيرى كل ما هو آت ماثلا أمامه كأنه يراه فى التو واللحظة ، فالنور ساكن فى عينه وفى قلبه .. يتخذه موطنا .. ولا يغادره من حبه له .. وإن لم تكن تصدق ذلك فانظر إلى أحوال الماضين : ألم ير يوسف عليه السلام من البداية أن الشمس والقمر قد سجدا له .. ولم يحدث ذلك إلا بعد سنين .. ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة العبد المؤمن فإنه ينظر بنور الله » .. أما أنت أيها الغافل (أيها السفلى فالخطاب من الجمل إلى البغل) ليس فى عينك هذا النور ، لأنك رهين الحس الحيوانى لم تتخلص من الجسد كى يسكنك النور .. وإنك لضعيف فى سيرك لأنك تتبع ضعيفا ، فبصرك ضعيف ، والبصر هو القائد الذى يرى المكان الصالح للسير والمكان غير الصالح للسير ، ثم إن الجمل من أولاد الحلال .. جاء من ناقة وبعير ، أما البغل فهو لا يشبه أباه ولا يشبه أمه .. هو هجين مخلط لا هو بالحصان ولا هو بالحمار .. والأصلاب الطاهرة ذات معول عظيم .. فإن السهم إذا انطلق من قوس معوج أو من يد معوجة أخطأ هدفه وغير اتجاهه وهو مثل فارسى .

(٣٤٠٧ - ٣٤١٦) : من هذا البيت إضافات على الحكاية وتوسعة فيها عن الجزء الثالث لم يجادل البغل ولم تأخذ العزة بالإثم ، بل طلب من الجمل أن يكون مقتداه وهكذا ينجو المرء إذا أخذ بذيول أثواب الناجين وتبعهم ، ينجو من البلاء ويصير من أهل الولاء فإن البغل لم يكن سيء الجبلة .. فيجحد وينكر . كآدم عليه السلام ، كانت زلته عارية ، شيئا مؤقتا ، فسرعان ما تاب على عكس إبليس كان سيئا فى أصله وفى جبلته لم يتب وقال « رب بما أغويتنى » وقال « إن هى إلا فتنتك » .

(٣٤١٧ - ٣٤٢٢) : الحديث موجه إلى التائب عموما : لقد وجدت أيها التائب مضمون قوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .. وعندما اطمأنت نفسك قلت « اهدنا الصراط المستقيم » فأخذ الله تعالى بيدك وادخلك جنة النعيم .. لقد كنت نارا فصرت نورا ، وكنت حصرم فتم نضجك وصرت عنبا بل زبيبا ، لقد كمل النقص فيك بتويتك .. لقد كنت كوكبا صغيرا فصرت شمسا .. لقد تم نضجك تماما فاسعد وكن هانئا ، فإن ظل المرشد قد نشر على رأسك .. إن طبيعتك كاللبن قابلة للتغيير ، سريعة العطب ، أقل قذى يبدو على سطحها ويعكرها .. ولا بد لهذا اللبن من عسل المرشد ، يمزج به فيخلصه من آفة سرعة التغير والفساد ، ويراقب أحواله ، ويدله على وقته ، ويأخذ بيده حالا بعد حال .

(٣٤٢٣ - ٣٤٣٠) : الخطاب لحسن حسام الدين : المراد بشهد العسل المثنوى المعنوى والمراد بحوض اللبن العلم والمعرفة (فاللبن يعبر عنه فى الأحلام بالمعرفة) (سبزوارى ٤ / ٣٢١) والمراد : ياحسام الدين امزج معرفتك التى هى دون معرفة المرشد بهذا الشخص الخالص الناجى من آفات التغير والتبدل .. وذلك حتى يكون جديرا بالاتصال ببحر العلم الإلهى الموجود منذ « يوم الميثاق » و « يوم العهد » و « يوم الإقرار » بعبودية الخلق كلهم لله سبحانه وتعالى ..

وبعدها لا يتأثر السالك .. وكيف يتأثر وقد صار متصلا ببحر الحقيقة مباشرة ، حينذاك يبلغ الإنسان الضعيف المتهالك حول جيفة الدنيا مرتبة أسد الحق يزأر فيصل زئيره إلى السماء السابعة (يدعو فيصادف دعاؤه الاستجابة) يقول فينفذ قوله من خلال الأكوان ، يسيطر بصوته على كل ما فى الكون .. كل هذا يبلغه المريد السالك الواعى بقوة المرشد العظيم .. فهيا ياحسام الدين اكتب هذا المثنوى بمادة الذهب فهو أحوالك أنت ، وهو أحوال أهل الله فى الحقيقة ، وأنت جامع لها فإن هذا المثنوى ما ألف إلا للخواص من أهل الحق الذين يطلبونه من حيث يوجد .. إنه كما النيل عذب زلال كما قال فى الديباجة « وهو كنيل مصر شراب للصابرين وحسرة على آل فرعون والكافرين » فاجعله يا إلهى دما فى عيون قوم فرعون حتى لا يقتربوا منه ويسيئوا فهمه .. ويفسرونه بأفكارهم القاصرة .

(٣٤٣١) : الحكاية التى تبدأ بهذا البيت فى قصص الأنبياء للثعالبى « فارسل الله عليهم الدم ، وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب إلى شاطىء البحر فيضربه بعصاه ففعل ذلك ، فسال عليهم النيل دما ، وصارت مياههم كلها دماء ، وما يسقون من الأنهار والآبار إلا وجدوه دما أحمر عبيطا ، فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا : إنا قد ابتلينا بهذا الدم ، وليس لنا شراب غيره فقال لهم : إنه قد سحركم موسى ، فكان يجتمع الرجلان على الماء الواحد ، القبطى والإسرائيلى يستقيان من ماء واحد ، فيخرج ماء القبطى دما وماء الإسرائيلى ماء عذبا ، وكانا يقومان إلى الجرة التى فيها ماء فيخرج للإسرائيلى ماء وللقبطى دم ، حتى أن المرأة من آل فرعون تأتى إلى المرأة من بنى إسرائيل حتى يجهدها العطش فتقول : استقنى من ماءك فتسكب لها جرتها أو تصب لها من قربتها فتعود فى الإناء دما حتى إنها تقول لها اجعليه فى فمك ثم مجيه فى فمى فتأخذ فى فمها ماء فإذا مجته صار دما (الثعالبى ص ١٩٤) ، والمثال ورد أيضا بنصه

في معارف بهاء ولد (١ / ٣٧) .

(٣٤٤٥ - ٣٤٥٢) : إنما يشرب من هذا المـاء من هو متقى ، إنما يتلقى الإفاضات الربانية من هو جدير بها ، ويفهم هذا المثنوى من هو جدير به ، والمتقى الجدير بالإفاضات هو ذلك الذى يضيق بكل فرعون ، ولا ينضم إليه .. ولا يأكل من فتاته ولا يتبجح بعزه الزائل الذى لا يستطيع أن يهب شربة ماء إلا إذا أرادها الله ، ولا يتكبر بكبرياء فرعون ، فأفق إذن وتصالح مع قمر الطريق ونبى الله حتى تستطيع أن تنظر إليه .. فكيف يمكن أن تعرفه وأنت تنكره ، وأن تنتفع به وأنت تنكره ، أول درجات الشفاء أن تكون معترفا بقيمة طبيبك مصدقا له ، فإن صدقته استمعت إلى تعليماته ، وإن وثقت به قرب إليك الشفاء دون أن تحس أما أن يكون المـرء كافرا ويطلب مساعدة المؤمن ، فإن كفره يكون سوف يكون فى ثقل جبل قاف مانعا من تلقى الفائدة ، وظلمه لعباد الله يجعلان ولوج الجبل فى إبرة أيسر من ولوج ظالم الخلق إلى جنة الإله ، فاجعل هذا الجبل قشة باستغفارك عما بدر منك .. وحينذاك تمسك بكأس الإفاضات الربانية التى هى من نصيب المغفور لهم وتشرب منها .

(٣٤٥٣ - ٣٤٥٨) : كيف تستطيع بهذا التزوير وهذا النفاق وهذا الكفر أن تشرب من ماء المتقين ؟ ! وهب إنك تتوسل بصداقتى ، فهل تغنيك هذه الصداقة عن الإيمان بالله ؟ لقد حرمه الله على الكافرين .. إن الله يعلم فيك هذا التزوير والنفاق .. وهو خير المـاكرين .. وهو أعلم بمكرك منك فكيف يمكن أن يتقبل منك هذا المكر ؟ لا حيلة لك إلا أن تقبل دعوة موسى عليه السلام ، وإلا فإن سمحت أنا لك بالمـاء فإن المـاء نفسه سوف يتحول بمجرد أن يلمس شفتيك إلى سم ، لن يخالف المـاء أمر الله سبحانه وتعالى .. إن كل ما يذهب إلى جوفك فى حالة عصيانك إنما يتحول إلى سم يفت فى عضدك ، ينقلب خبزك إلى سم .

فإنما يصلح الخبز ذلك الوجود الذى يكون لله فحسب .. كن جديرا بالعطايا الإلهية .. حتى تفعل هذه العطايا الإلهية فعلها (لتفصيلات كيف يتحول القوت إلى سم .. وكيف تضيق الروح بكل ما به الجسد .. عندما يغيب الإيمان . انظر الكتاب الثالث قصة قوم سبأ شرح الأبيات ٢٦٠٢ وما بعده) .

(٣٤٥٩ - ٣٤٦٣) : إياك أن تظن إذن إنك مجرد أن تقرأ المثنوى تكون قد فهمته وأدركته .. وأن هذا أمر يحدث لك بالمجان : هكذا دون جهاد ودون استحقاق ودون قابلية ودون صقل لمرآة قلبك ، وجلاء يزين نفسك وانصراف عن متابعة هواك ؟ ! تراك إذن بمجرد أن تقرأه قد أصبح لك ! ! إنك تقرأه لكنه يصل إليك كالأساطير ، فهكذا همتك وهكذا استحقاقك إنه يبدى لك قشره لكنه لا يسفر لك عن لبه ، لقد اختفى أمامك كما يخفى المحبوب وجهه بالبرقع والحجاب .. ذلك أنك غير خبير بأقدار الكتب ، بحيث يبدو لك القرآن من تجبرك وعنادك مجرد أساطير وحكايات كأنه كتاب الشاهنامه أو كتاب كليلة ودمنة .

(٣٤٦٤ - ٣٤٧٢) : إن الفرق بين أن تدرك المجاز من الحقيقة ، ليس حولك أو طولك أو عقلك الجزئى بل العناية الربانية التى تكتحل بها عيناك « فبى يبصر » وهذا البصر لا يزيغ ولا يطغى ، وإلا فإن الروائح تستوى عند الأخشم ، كما تستوى المرئيات عند ذلك الذى ينظر بعين الجسد ، فإن نظر بعين الجسد فالقرآن كتاب وكليلة ودمنة أو الشاهنامة كتاب .. وكل الكتب عنده تكون لهدف واحد .. هو لمجرد قتل الوقت ودفع الملل ، وليس التفكر والتدبر فسيان لإطفاء نار الملل قدر من المـاء الطاهر أو البول - كلاهما يستطيع أن يطفىء نار الوسواس والغم لكن هناك من ألوان الهموم مالا يستطيع أى ماء أن يطفئه ، بل يلزمه المـاء الطاهر الذى يقطع دابر الوسواس ، ويجد قلبك الطريق إلى رياض الجنة .. وما هذه الكتب إلا الصحف الإلهية وإلا هذا الكتاب الذى اقتبس من هذه الكتب .

(٣٤٧٣ - ٣٤٨٣) : وأنت لا ترى هذا الكتاب على حقيقته من إنكارك وكفرك ونفاقك تماما كنظراتك إلى وجوه الأولياء .. فهل تظن إننا نرى وجوه أولياء الله كما هي بالفعل ؟ هل نراها نحن كما تراها أنت ؟ لقد تعجب الرسول صلى الله عليه وسلم من أن المؤمنين لا يرون النور الذى فى وجهه ويرونه بشرا كالبشر ورجلا كالرجال .. كيف لا يرون نور الحق فى أوصافه فى وجودى « من رآنى فقد رأى الحق » (انقروى ٤ / ٨١٢) وإذا كانوا يرونه .. فلماذا هذه الحيرة والحق قد صار واضحا ولائحا وليس الإيمان فى حاجة إلى تردد .. وهكذا حتى يرد جبريل عليه السلام : إنه بالنسبة لك نور ، وبالنسبة لهم سحاب ، وذلك حتى لا يرى الكافر هذا النور بالمجان أى دون أن يتقدم إيمانه على رؤيته .. إنه بالنسبة لك حب .. لكن الآخرين يرونه فخا .. لكيلا يكون هذا الشراب - وشرطه الإيمان - لكل إنسان مؤمنا كان أو كافرا .. وهكذا قال الله تعالى فى شأنهم « وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون » (الأعراف / ١٩٨) وارجع الضمير إلى الأصنام فكأن الكفار والأصنام واحد ، وهم نقش حمام ، صور تبدو لك حية لكن عيونها ميتة لا تنظر ولا ترى ، خشب مسندة ، إنه لا يرد عليك تحية ، ولا يحمل منة منك من السجود له .. ولا يجازيك عليه ، وأهل الدنيا مثلهم تماما صور بلا أرواح .. فليصبك اليأس مما فى أيديهم ، ولتتجه إلى ذى العطايا والمنن .

(٣٤٨٤ - ٣٤٩٣) : لكن انظر إلى اللذة التى يهبك إياها الحق من عبادته ، إنه لا يحرك رأسا فى الظاهر ، إنك لا تراه ، لكنك بعبادتك إياه تحس بلذة عطاياه تسرى فى داخلك ، تزداد سرورا ، إنه لا يحرك رأسه لك لكنه يمنحك قبسا منه يجعل العالم كله يسجد لك .. إنه يضع فى الحجر سرا فيصبح ذهبا ، ويجعل من قطرة الماء العذبة التى تقع فى الصدفة درة يتيمة ، وكرم الإنسان المخلوق من تراب فجعله سيدا على كل الدنيا ، فى حين أن هذه الدنيا تضل الآخرين ، وتجعلهم يحيدون عن الطريق ، وتجعل من سلاطينها وقادتها فتنة للمؤمنين

وهم صور بلا معنى ، تغمز لك الدنيا بعينها فتقع صريع هواها خادما لها .. وقد خلقت فى الأصل لتخدمك .. بشرط أن تكون عبدا لله وحده .

(٣٤٩٤ - ٣٤٩٨) : إن الرجل من قوم فرعون لا يملك الفم الذى يدعو به (انظر الكتاب الثالث : ادعونى بفم لم تذنب به . شروح الأبيات ١٨٠ وما بعدها) فمن دعاء المؤمن المستجاب الدعاء تتبدل المصائر ، يفتح الله أقفال القلوب ، ويحول المسخ إلى حسن الجمال ، كما تحول الغصن اليابس بهمة مريم إلى غصن مثمر يفوح برائحة المسك .

(٣٤٩٩ - ٣٥٠٣) : ها هو السبطى ينطلق فى الدعاء ، والله سبحانه وتعالى هو الذى يضع الميل إلى الدعاء عند الإنسان ، فكأنه يدعوه إلى الدعاء ، الدعاء هو عين الاستجابة ، ولبيك هى عين الدعاء (انظر الكتاب الثالث شروح الأبيات ١٨٩ وما بعدها) فالداعى والمدعو هو الله سبحانه وتعالى .. ونحن عدم فى عدم لا يتأتى منا شىء .. وظل هكذا يدعو حتى سقط مغشيا عليه .. أى أن جسده الواهى لم يتحمل هذا الاتصال وهذا الوجد .. ثم عاد إلى وعيه ليرى آثار سعيه بالدعاء (الدعاء هو أيضا من قبيل السعى : انظر الكتاب الثالث قصة الذى كان يطلب رزقا بلا كدح : شروح الأبيات ١٤٥٠ وما بعده ٢٣١٥ وما بعده) .

(٣٥٠٤ - ٣٥٠٩) : لقد دعا السبطى ، ومن بركة دعائه اهتدى الفرعونى فهكذا أصاب الدعاء الاستجابة ، لقد أحس الفرعونى بأن النار قد أضرمت فى كل روحه ، إنه يطلب من السبطى أن يعرض عليه الإيمان ، وكأن الإيمان قد وقر فى روحه فى البداية دون أن يعلم له اسما ، وما دور السبطى هنا الآن إلا أن يضع ما أحس به الفرعونى فى إطار الحروف ، وكم من واجد للمعنى لا يجد لسانا للحديث ، وكم من صاحب لسان منطلق لم يذق ذرة من معنى !! وهكذا تكون الأخوة النافعة ، والصداقة المثمرة ، وانظر إلى ذلك الفرعونى الذى كان يطمع فى ماء يتحول فى فمه إلى دم يجرفه سيل الإيمان حتى بحر الحقيقة يكتال منه كيلا

بكيل .. بحيث لا يصبح لماء الدنيا قيمة عنده وقد ارتوى بماء الإيمان وشرب شربة منه لا يظمأ بعدها شاربها أبدا .

(٣٥١٠ - ٣٥٢٠) : وها هو السبطي يعرض عليه الماء ، لكن أي ماء ؟ لقد شرى الله روحه وشرب شربة لن يصيبه من بعدها ظمأ أبدا .. لقد تفجرت عيون الماء داخله أي معرفة المقر ولن يحتاج بعدها إلى ذلك الماء الذى يأتى من الخارج ويمكن يسد عليه الماء : بل إن كبده الحرى التى يطفىء الماء حرارتها لم يعد للماء عندها أي قيمة .. فهو الكافى لعباده ، وإن لم تكن تفهم اقرأ « كهعيص » بلسان القلب .. وهذه الكاف دليل على صدق وعده .. وقد قال أصحاب التحقيق إن كل حرف مفتاح كل اسم فالكاف تدل على اسمه الكافى ، والهاء تدل على اسمه الهادى والياء تدل على بسط يده بالرزق لعباده والعين تدل على اسمه العليم والصاد تدل على صدق وعده وعن على رضى الله عنه (إن لكل كتاب سرا ، وسر القرآن الحروف المقطعة التى فى أوائل السور وهى سر من أسرار الله استأثر الله بعلمها) (انقروى ٤ / ٨٢١ ، ومولوى ٤ / ٤٨٢) ولابن عربى فى الكاف حديث مطول فحواه « إن الكاف من عالم الغيب والجبروت ، يرفع من اتصل به عند أهل الأنوار ولا يرفع عنده الأسرار » (الفتوحات / أول ص ٦٨ . طعبة صادر) وهذا هو معنى الكافى : أهبك الخير كله بلا واسطة ، اشبعك بلا خبز ، أجعلك رئيسا بلا جيش ، أقويك دون دواء .. أجعل البئر الضيق والقبر المظلم واسعين عليك ، أعطيك النرجس والنسرين دون ربيع ، أعلمك بأن أقذف العلم اللدنى فى قلبك فتصير عالما دون كتاب أو أستاذ .. وهذا عطائى فأمنن أو أكثر بغير حساب .

(٣٥٢١ - ٣٥٢٨) : انظر إلى عطائى لموسى عليه السلام : عصا تنقلب إلى حية ، يد بيضاء تزرى بضوء الشمس .. إننى لا أخلط ماء النيل بالدم بل أحول الماء نفسه إلى دم هذا أيضا عطاء ، فبعض عبادى لا يصلح له إلا القهر ، ولا أستدعيه باللطف ، وكم من لطف خفى فى ثياب القهر ، فأحول فرحك

وسـروروك إلى غم حـتى تجـأر بالشـكوى إلى وتدعـونى أنـا البـر الرحـيم .. وتقوم بتـجديد إيمانك وتبتـعد عن فرعـون وفراعنة كل عـصر وتقاومـهم وتفضح ظلمهم وألاعـيبهم .. فترى مـوسى الرحمة قد حل بك .. ودعـاك .. وحول لك الدم إلى مـاء فينقلب حزنك إلى سرور حـقيقـى .. فلا سـرور حـقيقى إلا بى ، إن مـا يبـقى لك هـو أن تحـتـفظ بطرف خـيط الإيمان فى داخلك ، وحـذار أن ينفـرط منك هـذا الخـيط ، فمـا دمت متـمسكا بعـروة الإيمان ، تلك الـعـروة الوثقى ، فـإن نيل ذوقك « طهـرك ومعـرفتك » لن ينقلب إلى دم « شـهوة وغـضب » أبدا ، لن يتـبدل سروروك إلى حزن أبدا .. بل ستظل فى فيض من الألطاف الإلهية .

(٣٥٢٩ - ٣٥٣٦) : عـودة إلى الفـرعـونى الذى آمن : لقـد كـان ظنه أن يؤمن حتى يشـرب المـاء .. فإذا بالألـطاف الإلهية تجـرى نيلا (من الفـيض فى داخلى) وأنا ثابت على حـالتـى الأولى أمـام الآخريـن .. ويعلق مـولانا : إن هذا يشـبـه ذلك الـعـالم الذى يبـدو أمـامنا صـامـتـا وهو أمـام النبى غـارق فى التـسـبـيح .. إن عـالم الجماد مغلق ميت أمام العوام .. وهـذا لأنهم حجـبوا عن الحقيقة .. والمقابر سواء أمـامنا .. لكنها عند النبى صـلى الله علـيـه وسـلم « إما روضـة مـن رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .

٣٥٣٧ - ٣٥٤٣ : حذار مـن الأخذ بالظاهر ، فـإن الظاهر موقـوف على العين الناظرة : لقـد كـان العـوام يرون الـنبى صلى الله علـيـه وسلم عـبـوسـا ، لكن إن نظرتم بعـيـوننا وجـدتموه بشـوشـا ضـاحكا رحـمـة للعـالمين .. وترروا الـضحك والاسـتـبـشـار والنضـرة والنعـيم فى الآيات الـواردة فى سـورة هل أتى ، وترى النضـرة والنعـيم فى الـيوم العـبوس القـمطرير ، فـهـا هـى شـجرة الكمـثـرى التى تنظرون من فـوقهـا . وشـجرة الأنية والوجود الجـسـدى وعين الجسـد التى ترى الظاهـر : فـانزلوا لتروا الأمـر على حـقيـقتـه وتخلصـوا من أنيتكم ، إنك من فـوق هذه الشـجرة ترى عـالما دنسا مليـئا بالحيات والعـقـارب والفاحـشة لكن إن تخلصت منهـا ونزلت من فوقها وجدت العالم على حقيقـته مليئا بالنضـرة والنعيم والجمال والرعاية

(٣٥٤٤) – يبدو أن الحكاية التى تبدأ بهذا البيت من المأثور الشعبى ووردت قبل المثنوى فى كتاب الأذكياء لابن الجوزى ويضيف عبد الحسين زرين كوب « سرنى ١/٣٢٤» أن قصة شبيهة بها وردت فى قصص الديكاميرون لبوكاتشيو (١٣١٣–١٣٧٢م) وفى قصص كانتربرى لتشوسر (١٤٠٠–١٤٣٠م) . وانتبه نيكلسون إلى هذا الموضوع (استعلامى ٣٨٢/٤) وكان الصوفية لا يستنكفون استخدام بعض الصور والحكايات التى تسمى بمصطلح عصرنا « الخارجة » لبيان أفكارهم ، فضلا عن أن تلك العصور لم تكن تنظر إلى هذه الحكايات نظرتنا إليها اليوم وعند سنائى الغزنوى رغم جهامته بعض هذه الحكايات التى أشار إليها بقوله :

– هزلى ليس هزلا إنه تعليم وبيتى ليس بيتا إنه إقليم . (الحديقة ٧١٨ سطر ٩) ولا تكاد توجد موسوعة من موسوعات التراث العربى الإسلامى تخلو من أمثال هذه الحكايات ومولانا جلال الدين نفسه يشير من خلال الحكاية إن كل إنسان يأخذ منها ما يوافق مقتضى حاله بقوله :

– إن كل جد هزل أمام الهازلين ، وكل هزل جد عند العاقلين

وهو يذكر بقول ابن الفارض :

– فلا تك باللاهى عن اللهو معرضا   فهزل الملاهى جد نفس مجدة

(انقروى ٨٤١/٤)

(٣٥٥٩ – ٣٥٦٣) : إن هذا الذى تظنه هزلا تعليم والبيت حرفيا مأخوذ من سنائى .

بيتى ليس بيتا بل إقليم وهزلى ليس هزلا بل تعليم

ورواه الأفلاكى لمولانا على هذا النسق :

هزلى ليس هزلا إنه تعليم من أجل إرشاد الحلقة والتفهيم

(مناقب ١/ ٣٧٤)

فخذه على سبيل الجد لا على سبيل الهزل إن كنت عاقلا ، فالكسالى فقط هم الذين يقفون على ما حدث حول شجرة الكمثرى ولا يبحثون عن المغزى الذى وراءها والمقصود من روايته ، والعقلاء يعلمون أن المقصود منها هو شجرة الوجود الإنسانى التى تحجب الحقيقة أمام طالبها ، وبين طلب العقلاء لها وطلب الهازلين بون شاسع .. فدعك من شجرة الكمثرى هذه ، تخل عن وجودك وهوى نفسك وأنيتك فهى التى جعلتك هكذا ضعيف البصر تمشى على العمياء .. تخل عنها إذن ليتخلى عنك العوج .

(٣٥٦٤ - ٣٥٧٥) : هناك غير هذه الشجرة الخبيثة شجرة أخرى طيبة تمد فروعها إلى السماء السابعة ، وهى شجرة إقبالك .. تصل إليها عندما تتخلى عن تلك الشجرة الخبيثة ، وهذا هو التبديل ، هذه هى الكيمياء الإلهية التى تبدل الإعوجاج إلى استقامة .. لقد نزلت من فوق تلك الشجرة الخبيثة تواضعا لله وطلبا للحقيقة .. فيريك الله الأشياء كما هى مصداقا لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم « اللهم أرنا الأشياء كما هى » .. وهذه الشجرة هى الشجرة الموسوية ، يظهر فيها التجلى الإلهى ، تجعلها النار خضراء نضرة ، تهتف فروعها « إنى أنا الله » وتقضى كل الحاجات تحتها ، وهذه هى الكيمياء الإلهية الحقيقية التى بدلت موسى عليه السلام من طريد خائف تارك لدياره إلى حامل للقبس الإلهى ، وإلى مدمر لعرش فرعون عصره .. وحين تتبدل هكذا ، لا يبقى جسدك جسدا ..

بل يصير هو الآخر وجودا نورانيا حلالا عليك يتصف بالصفات الإلهية ، تصير بأجمعك روحا ، لأن صفات ذى الجلال قد تلبستك .. فتلك الشجرة المعوجة : شجرة وجودك قد قومت وصارت موضع تجلى للحق ، لا لتلك الرؤى الذميمة الدنسة ، لقد صارت شجرة عظيمة أصلها ثابت وفروعها فى السماء (انظر تفسيرها فى الكتاب الثالث فى حكاية عاشق صدر جهان) .. لم تعد مجرد شجرة معوجة ، إذ جاءها الأمر فاستقم .. إشارة إلى قوله تعالى فى سورة هود « فاستقم كما أمرت » وقد مر تفسيرها فى الكتاب الثالث فى حكاية ذلك الرجل الذى كان يدهن شاربه بشحمة (شرح الأبيات ٧٤٠ وما بعده) .

(٣٥٧٦ - ٣٥٨٩) : عودة إلى سيرة سيدنا موسى وفرعون : إن الوجود الإنسانى بمثابة عصا موسى خيرها وشرها .. فانظر ما الذى تحولت إليه هذه العصا التى كان يسقط بها أوراق الأشجار للحملان ؟ لقد باتت مسيطرة على رؤوس آل فرعون وأتباعه .. وانظر كم من المصائب والكوارث قد توالت على آل فرعون بكفرهم وصدهم عن السبيل .. بحيث رق لهم قلب موسى عليه السلام وصاح : يا إلهى لأى شئ كل هذا ، مادامت هذه الجماعة من الكفار لن تؤمن .. لكن متى كان لرسول شأن بهداية قوم أو عدم هدايتهم ، إنما هو مبلغ ولكل قوم هاد ، وما عليه إلا البلاغ ، فالهدى والإضلال من الله سبحانه وتعالى .. إن أقل حكمة من إرسال الرسل ، ومن وعظ العارفين ، هو إلزام الناس الحجة ، حتى لا يقولوا فيما بعد ما جاءنا من رسول ، فضلا عن أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يظهر ما فى الناس من بغى وعتو وضلال .. فالمقصود من الوجود كله هو الإظهار « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » ، وينبغى عجم عيدان البشر بالإغواء .. لابد أن يفعل الشيطان فعله ليفعل النبى فعله ، وليميز الله الخبيث من الطيب .. وورد عن النبى صلى

الله عليه وسلم « بعثت داعيا مبلغا وليس إلى من الهدى شئ ، وخلق إبليس. مزينا للضلال وليس إليه من الضلال من شئ .. » وما للنبى للشيخ « فالشيخ فى قومه كالنبى فى أمته » .

(٣٥٩٠ - ٣٦٠٤) : مقابلة بين الطغيان الفرعونى والرحمة الإلهية ، فها هو فرعون عندما يتضرع إلى الله .. والله يعلم إنه لكاذب ، ويعلم أنه لو رد لعاد إلى ما نهى عنه ، إلا أنه سبحانه وتعالى يأبى مع كل علمه بأن يعامل عباده كما يعاملوه ، ولا يرضى بأن يخدع موسى عليه السلام فى مقابل خدعته « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » (النساء / ١٤٢) بل عليه أن يبين معجزة دون أن يتدخل موسى فهذا الفرعون لا يستحق إلحاحا فى الهداية ولن يزيد ملك الله به خردلة .. ليرد التراب ثانية ما أكله الجراد دون زرع ولا رى .. ليعلم الجميع أن ملك الله كله خرق للأسباب ، وإن كل الأسباب إنما هى مجرد دريئة وغطاء على المقدرة الإلهية حتى يلتمس الناس الأسباب ، وحتى يعمل الناس ويكدحون ، لكى يلتمس الطبيب الدواء ولكى يتجه المنجم إلى النجوم وينصرف التاجر إلى دكانه وتعمر الدنيا فإنما يقوم عمرانها على الأسباب ، ولكن يكون طعام الجحيم من لم يحقق عبوديته ويتعبد وظل منصرفا إلى طلب اللقمة .

(٣٦٠٥ - ٣٦١٠) : فكرة أن كل شئ آكل ومأكول : انظر تفصيلات فى صدر الكتاب الثالث شرح أبيات (١٨ وما بعده) .

(٣٦١١ - ٣٦١٥) : إن الإنسان هو عقله ووعيه ، وهناك لمولانا بيت آخر .

- أيها الإنسان إنك أنت الفكر ، وما تبقى منك عظام وعروق .

ومن ثم فإن كل شهوة تفعل فعلها هى كالخمر وكالحشيش تذهب العقل .. فليست الخمر وحدها هى التى تذهب العقل ، بل إن كل شهوة تغلق العين

والأذن ، وهل كان إبليس سكرانا عندما ارتكب المعصية الكبرى ، أبدا لقد كان ثملا بالكبرياء .. والسكران حقيقة هو الذى يرى نفسه معدوما ، ويخطئ فى تقييم الأشياء فيرى النحاس ذهبا .

(٣٦١٦ - ٣٦٢٤) : عودة إلى موسى وفرعون ، الروح والجسد ، والعقل والهوى ، النبى والطاغية ، الذائب فى وجود الحق والهارب من الهداية .. ثنائيات الجدلية الصوفية التى يمثلها مولانا جلال الدين دوما فى هذين العلمين ، لقد نبت النبات ثانية لقوم فرعون ، فلم يفهموا تلك المعجزة التى حولت الأرض الجدباء إلى خصبة دون أسباب ، بل انطلقوا يأكلون كما تأكل الأنعام ، ونسوا تماما ثم شبعوا وطغوا ، « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » (العلق / ٦ - ٧) وهكذا النفس داخل الإنسان ، إنها مثل فرعون ، إنها حديد بارد غير قابل للطرق فما لم يلحقها شرار الإيمان لا تدق عليها وإن بكت وأنت فإن بكاءها من أجل القوت لا من أجل الملكوت .

(٣٦٢٩ - ٣٦٣٥) : فى مقابل النفس انظر إلى الروح تنسى موطنها ، كرجل يحلم أنه فى مدينة جديدة ينسى دائما مدينته القديمة ويظن أنه عاش فى هذه المدينة الجديدة طول حياته ، الروح تنسى موطنها .. لقد مرت بمدن عديدة ومراحل عديدة ولم تنفض التراب عن إدراكها .. ولك أن تجتهد لكى يطالع القلب تلك الرحلة التى تكلفتها ، لقد جاءت نائمة ، ورحلت نائمة فالدنيا حلم (انظر الكتاب الثالث - الأبيات ١٥٣٥ وما بعده) .

(٣٦٣٧ - ٣٦٤٦) : مر الحديث عن الأطوار الخلقية للإنسان ، وعن قوس الصعود وقوس النزول فى الكتاب الثالث (انظر شروح الأبيات ٣٩٠٦ - وما بعده) وإن كان مولانا يتوسع بعض الشئ فى هذه الأبيات ، ويرى أنه بما أن الإنسان هو العالم الأكبر ، والجامع لكل ما فى الكون فإنه لا يعبر مرحلة من

المراحل حتى ينساها تماما وإن احتفظ فى خلقته وخلقه ببعـض ما فيها ، انظر إلى ميل الإنسـان إلى النبات وإلى الخضـرة خاصة فى فصل الربيع ، إن هـذا من آثار المرحلة النباتية .. إنه مثل ميل الأطفال إلى الرضاع طبيعى تماما كميل المريد إلى شيخه .. لماذا ؟ ! لأن عقله الجزئى جزء من عقل الشيخ الكلى . وكل شئ يحن إلى أصله ، وعندما ينمحى المريد فى ظل الشيخ ، يعرف سر الميل إلى المرشد .. يكون منه كغصن من شجرة ، وهل يتحرك الغصن إن لم تتحرك الشجرة ، هذا هو الحنين إلى الأصل ، وكل ما فى الإنسان يحن إلى أصله ، الطاهر يحن إلى الطاهر والتراب يحن إلى التراب ، ويمضى كل جزء إلى معدنه الأصلى .

(٣٦٤٧ – ٣٦٥٤) : وهكذا من إقليم إلى أقليم حتى يصبح عاقلا وعظيما وهو لا يتذكر عقوله الأولى وعندما ينجو من عقل المعاش الملئ بالحرص والطلب يربى عقولا عجيبة تعد بالآلاف ، والإشارة هنا إلى ما يقوله الحكماء الإشراقيون إنه بإزاء كل نوع من الجواهر الموجودة فى هذا العالم للأجسام سواء كانت نفوسا أو أجساما طبيعية يوجد عقل يحفظ عليها علاقتها بالعالم الأعلى على نحو أكمل وأتم ، والأنوار المدبرة التى هى النفوس الآنية عندما تصل إلى الكمال بعد طرح جلابيب الأبدان وطى الفيافى والبرزخ ملتحقة بالأنوار القاهرة والعقول المفارقة ، ومن ثم تعدد العقول غير متناه وسوف يزداد وفيض الله لا ينقطع ونور الله لا يأفل وكلمه الله لا تنفد (سبزوارى ٤/٣٢٣ – ٣٢٤) والإنسان. وإن كان نائما ناسيا للمراتب التى قطعها من قبل ، فإنه لا يترك لهذا النسيان ، بل ينبه من نومه هذا ، فيسخر من كل العالم لمعرفته بالعوالم التى قطعها من قبل ، ويتساءل أية أشياء هذه تلك التى جذبت اهتمامى فى عالم الدنيا ، لقد كان هذا من قبيل المرض والنوم والخداع .. وهكذا الدنيا مجرد حلم نائم ، يظنها النائم دائمة ، وهى حلم، والرجل فيها كطالب القافلة والقرار فيها كقدر المتخلف

عن القافلة وما بينها وبين الآخرة غمضة عين ، وسرعان ما يشرف على الدنيا صبح الأجل فينبه الناس من ظلمات الظن والخداع والاحتيال .

(٣٦٥٥ - ٣٦٦٧) : وهكذا فكل مرحلة تأتي يحس المرء بعبث المرحلة التى تسبقها وعندما يجد الإنسان نفسه في مستقره يضحك من اهتماماته السابقة ويسخر منها وكل ما تراه فى الدنيا (النوم) يفسر لك فى الآخرة .. حتى لا تظنن أن أحلامك التى حلمتها دون تعبير .. ضحكك فى الدنيا بكاء فى الآخرة ، بكاؤك ونواحك وحزنك سرور وحبور .. إن كنت مزقت جلود الطيبين فسوف تنهض من نومك ذئبا ، خصالك الذميمة سوف تتحول كلها إلى ذئاب تنهش كل أعضائك .. الدم لا ينام والثأر لا ينام .. إياك أن تظن إنك بموتك قد نجوت من الثأر ومن عاقبة ظلمك للناس .. لكنك نجوت من قصاص هين إلى قصاص شديد ، إن قصاص الدنيا مجرد لعب بالنسبة لقصاص الآخرة ، ومن هنا قال الله تعالى « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » (الأنعام / ٣٢) جزاء الدنيا بالنسبة لجزاء الآخرة كالختن بالنسبة للإخصاء .. فكن على حذر ، « فإن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من جهنم » كما ورد فى الحديث الشريف .

(٣٦٦٨ - ٣٦٧٦) : هيا يا موسى دع هؤلاء الناس فى نوم الغفلة ، دع هذه الحمر ترعى فى عشبها حتى تسمن ، فإن كلاب الجحيم فى انتظارها .. فسمنها لهم .. كفاك دعوة لكى ينقلبوا إلى بشر .. فليست الهداية من رزقهم .. هيا اجعلهم غارقين فى النعمة كى يغطوا فى نوم الغفلة والكسل .. وعندما يستيقظون يكون شمع الهداية قد انطفأ .. وساقى الفيض الإلهى قد مضى إلى حال سبيله .. طالما هديت ولا مهتد ، دعهم يتحسرون يوم القيامة عندما يرون مصداق قوله تعالى فى أهل الجنة « وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا » (الإنسان / ١٢) .

(٣٦٧٧ - ٣٦٨٢) : إنهم لم يتقبلوا الهداية .. فليتحملوا العدل ، لقد كان ذلك المليك معهم : أقرب إليه من حبل الوريد ، ولم يتابعوه وتابعوا الشيطان ، تماما كما يكون العقل مشرفا على الجسد فى حين أن المنصرف إلى شهوات جسده لا علم له بالعقل .. فأى عجب أن يكون خالق العقل أيضا معكم ؟ أنت غافل عنه وهو ليس بغافل ، عنك إنه يلومك كلما أسرعت فى أثر جسدك وشهواتك ولا تستطيع نفسك أن تلقى بك فى الشر إلا إذا غفلت عن العقل .

(٣٦٨٥ - ٣٦٩٢) : إن علاقتك بالعقل هى ميزان على سطوع الحقيقة على وجودك .. وأنت تفكر أن العقل قريب منك ساكن معك ، إذن فاعلم أن هذا القرب قرب بلا كيفية تماما كقرب المليك منك ، وحركة أصبعيك هل تستطيع أن تحدد كيفية قربها من هذا الأصبع ؟! أليست تغادره هذه الحركة عند النوم والموت ثم تعود عند اليقظة ؟! فمن أى طريق تأتيه هذه الحركة وتذهب عنه ؟! ونور عينيك من أين جاء ؟! إنه من عالم الأمر .. عالم المجردات .. وكل ظنك وفكرك من عالم الخلق .. فكيف يمكن أن تصل إلى عالم الأمر ؟

(٣٦٩٤ - ٣٦٩٩) : إذا كان العقل بلا جهات تحده .. فما بالك بخالق العقل ؟! لا يوجد مخلوق غير مرتبط .. ولكن كيفية هذا الارتباط خافية وفى الروح لا فصل ولا وصل .. بينما الوهم لا يمكنه أن يفكر إلا فى الفصل والوصل والاتصال والاختلاف .. فافهم من دليلك شيئا غير الفصل والوصل ، وإن كان هذا الفهم لن يشفى غليلك لأنك لن تقنع ، وإن كنت رجلا فجاهد حتى تصل إلى الوصل وتنجو من الفصل .. وحذار أن تحاول فهم هذا بالعقل .. فالعقل هو الآخر لا يفكر إلا فى الوصل والفصل .

(٣٧٠٠ - ٣٧١٠) : من هنا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا » (كنوز الحقائق بهامش الجامع

الصغير) وفى رواية أخرى « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله » وفى رواية ثالثة « تفكروا فى كل شئ ولا تفكروا فى ذات الله » إن كل ما تصل إليه الأوهام فى ذاته .. إنما تنبع من ذات المفكر لا ذاته هو ، فهناك مئات الآلاف من الحجب على ذاته مصداقا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو انكشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره » وقال على رضى الله عنه « كل ما يعلم عقلك فالله خالقه » فالعقل والفكر لا مدخل له فى هذا الخصوص وكل ما يعلمه فهو عين الحجاب .. وكل من ظن أنه وصل فهو فى حجاب ، ومن ثم فقد جاهد المصطفى صلى الله عليه وسلم فى دفع هذا الوهم ، ومن ابتعد عن الأدب فإن مصيره الانتكاس .. إنه ينزل من حيث يظن أنه يصعد ، يظن أنه فى السماء وهو فى الأرض ، وهذا هو حد من تاه عقله من الخمر ، وما عليك إلا أن تفكر فى خلقه وفى آلائه وفى عجائبه .. واعلم أنك لن تحيط بها وأنت ذرة فى بحر علمه ، وهى كلها صنعه الذى تعلمه فما بالك بالذى لا تعلمه .. ولتقف أمام هذا الصنع خاشعا متنازلا عن كبريائك .. ولا تقترب من الصانع .. وقل كما قال خير خلق الله وأجدرهم بمعرفة ذات الله إن كان يمكن معرفتها والإحاطة بها « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » واعتبر بعالم عظيم جليل مثل ابن سينا الذى قال :

– اعتصام الورى بمغفرتك عجز الواصفون عن صفتك

– تب علينا إننا بشر ما عرفناك حق معرفتك

(المولوى ٤/٥٠٨ – ٥٠٩ – الأنقروى ٤/٨٦١ – ٨٦٣)

(٣٧١١) – الحكاية التى تبدأ بهذا البيت تعتمد على رواية وردت عند الثعلبى « قال وهب إن ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا ،

فقال له : من أنت ؟ قال : أنا قاف ، قال : فأخبرنى ما هـذه الجبال التى حولك ؟ قال : هى عروقى ، فإذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرنى فحركت عرقا من عروقى فتزلزل الأرض المتصلة به ، فقال : يا قاف أخبرنى بشأن عظمة الله تعالى ، فقال : إن شأن ربنا عظيم تقصر عنه الصفات ، تنقضى دونه الأوهام ، قال : فأخبرنى بأدنى ما يوصف منها ، قال : إن ورائى أرضا مسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ولولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم (الثعلبى قصص ص ٥) وفى المأثور الفارسى أن قاف اسم على جبلين يمسك كل منهما بطرف من أطراف الأرض ، وأن طائر العنقاء يقيم خلف هذا الجبل .

(٣٧٢٠) : المثال الذى يبدأ بهذا البيت ورد فى إحياء علوم الدين للغزالى « مثال النملة لو خلق لها عقل ، وكانت على سطح قرطاس ، وهى تنظر إلى سواد الخط فتعتقد إنه بفعل القلم ولا تترك فى نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ، ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاسب القادر المريد ثم منها إلى خالق اليد والقدرة والإرادة ، فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقى إلى مسبب الأسباب (إحياء / أول / ص ٣٠ – مطبعة عيسى البابى الحلبى / القاهرة ١٩٥٧) .

(٣٧٢٨ – ٣٧٣٠) : إن عظيمة النمل .. وهى رمز على ذلك الإنسان المتعالم الذى يظن أنه أحاط بالكون علما وهو لا يعدو نملة تنظر إلى خط فى كتاب ترى أن العقل والفؤاد هو السبب فى الصورة والنقش ، ولم يصل علمها إلى معرفة أن بدون خالق العقل والفؤاد لا يمكن أن يأتى العقل والفؤاد بشئ ، بل إن أعقل العقلاء إذا تخلت عنه رعاية الله لحظة واحدة لأتى عقله من ضروب البله ما يفوق الحمقى أجمعين .

(٣٧٤٠ – ٣٧٥٤) : تعليق على رواية جبل قاف : إنه لو لم توجد جبال الثلج هذه لاحترق جبل قاف من الشوق .. ليس هذا فحسب بل إن الغافلين هم بمثابة جبال الثلج فى هذا العالم ولولاهم لاحترق العاقلون من نار التجلى ، فكأن هؤلاء الغافلين يخففون من نار التجلى التى لو تجلت لأحرقت العالم كله .. ثم ماذا تكون هذه النار إلى جوار الغضب الإلهى ، إنها مجرد سوط (درة) فى يده يهدد بها اللئام فى الدنيا .. وأنت لا تزال تردد أن الرحمة قد سبقت الغضب ، فإن رأيت السابق والمسبوق فقد اعترفت بالإثنينية .. إنه سبق معنوى ، وإلا اقتضى وجود سابق ومسبوق فى الذات الإلهية ، وأنت إن لم تدرك هنا فلك عذرك فإن ذلك من نقصك .. فأنت من تراب وما للتراب ورب الأرباب .. أنت طائر طينى من الصعب عليك أن تصل إلى فلك الدين .. وما الذى تستطيع أن تفعل كن طائرا مندهشا (عن الحيرة انظر الكتاب الثالث / شرح الأبيات ١١٠٨ ١١١٧) قل : اللهم زدنى تحيرا ، لا تصدق ولا تنكر ، فإنك إن صدقت تكلفت ، فكيف تصدق ما لا تحيط به ، وإن أنكرت فكأنك أنكرت صفات رب العالمين وجلبت القهر على نفسك .. فكن طائرا مندهشا مبهوتا صامتا حتى تنزل عليك رحمة الله ويبدو لك الصعب سهلا والمشكل واضحا ومحلولا ، فالأمر إنما تشكل على المنكر ، أما المقر عجزه وحيرته أمام الصنع الإلهى والصفات الإلهية فقد استجلب لنفسه اللطف والرحمة .

(٣٧٥٥) – الرواية هنا أقرب إلى رواية الإحياء (جـ ٤ ص ١٣٠) ولذلك قال النبى لجبريل عليه السلام : أحب أن أراك فى صورتك التى هى صورتك فقال : لا تطيق ذلك . قال : بل أرى ، فواعده البقيع فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبى فإذا هو به قد سد الأفق يعنى جوانب السماء فوقع النبى مغشيا عليه ، فأفاق وقد عاد جبريل إلى صورته الأولى » .

(٣٧٥٧ – ٣٧٦٤) : إن الحس وإن كان حس المصطفى صلى الله عليه وسلم ضعيف ، محدود القدرة ، لا يستطيع أن يستوعب حتى بعض المحسوسات ، ولولا القوة الموجودة فى باطن الإنسان ما استطاع أن يطمح إلى إدراك ما هو فوق محسوسه .. وانظر إلى الصورة فى البيت التالى : قد يكون جسد الإنسان مجرد حديد وحجر ، أى مجرد جماد .. لكن حتى من الحديد والحجر يتولد الشرر ومن جسم الإنسان هذا تتولد طموحات عظيمة ، منهما ما يمكن أن يحرقه هو نفسه كما يحرق الشرر الحديد والحجر وهو متولد منها .. لكن الإنسان ليس حجرا أو حديدا بل إن فيه شعلة تحرق برج النار نفسه وتكون النار بلا حيلة أمامه ، كأنها النار التى ألقى فيها إبراهيم الخليل ومن هنا قال الرسول عليه الصلاة والسلام « نحن الآخرون السابقون » (انظر شرحها فى الكتاب الثالث شرح الأبيات ١١٢٦ – ١١٣٥) .

(٣٧٦٥ – ٣٧٦٧) : إن هذه القداحة (التى يخرج منها الشرر) والمقصود الإنسان تبدو فى الظاهر وكأن حديد السندان يستطيع أن يفلها .. لكنها فى الباطن والحقيقة أقوى من مناجم الحديد ، إنه ضعيف من حيث هو جسد ، هو فرع وهو العالم الصغير باعتبار الجسد لكنه أصل العالم بالنسبة للروح هو أول الفكر وآخر العمل ، هو الأخير السابق ، هو ثمرة شجرة الوجود والمقصود منها ، ظاهره تستطيع أن تصيبه بعوضة بالأذى لكن باطنه محيط بالوجود كله .

(٣٧٧١ – ٣٧٨٥) : إن تلك المهابة التى أصابت الرسول صلى الله عليه وسلم عندما مد جبريل جناحيه هى من نصيب الحس ، لكن تلك الملاطفة التى أبداها جبريل هى من نصيب الأحباب ، هذه المهابة لأهل الدنيا هلاك ولأهل الآخرة رعاية .. إنها أشبه بتلك المظاهر التى يحيط بها السلطان نفسه من حرس

ومطرقين .. هى ردع للعوام وإرهاب لهم بمظاهر السلطة كيلا تسول لهم أنفسهم الثورة على السلطان .. لكن السلطان فى مجلسه بين أصحابه وندمائه مختلف تماما ، هو ملئ باللهو والموسيقى والحبور .. وهذا كلام يبدو بلا نهاية .. إذ يطول شرح تلك الأحوال التى يكون فيها سلاطين الدنيا .. فما بالك بسلاطين الدين وقلوبهم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، أصبع للطف وأصبع لقهر .

(٣٧٨٦ - ٣٧٩٩) : وهكذا أحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حسه الذى لم يطق رؤية جبريل غارب وآفل وموجود الآن حيث يثوى جسده الشريف صلى الله عليه وسلم تحت تراب يثرب ، لكن تلك الروح العظيمة حالها دون تغير ودون تبدل « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » فإن البدن هو محل التغيير أما الروح الباقية فهى الشمس التى لا تأفل ، شمس الحقيقة وموضع السر الإلهى ، لأنها لا شرقية ولا غربية ، هى من نور الله ، لا شرقية : أى ليست من شرق الأزل والعدم ولا غربية : أى ليست من غرب الفناء والعدم كعالم الأجساد (مولوى ٥٢١/٤) ومن ثم فإن الجسد وإن اندهش ولم يحتمل رؤية جناح جبريل فكيف تندهش الروح وهى شمس من ذرة .. ومتى يفقد الشمع الوعى من فراشة تطوف به ، هذا التغير لائق بالبدن ، كما يجرى عليه المرض والنوم والألم ، أما الروح فلا تجرى عليها هذه الأوصاف .. هى ظاهرة منفردة ، عالم أكبر انطوى فى جسد الإنسان ، وشتان ما بينه وبين جسد الإنسان .. عالم لا يوصف ولا توصف دقائقه (انظر الكتاب الثالث قصة الدقوقى شرح البيت رقم ٢٠٦٣) فلو تحدثت لزلزل المكان والزمان ، فإذا كان الجسد قد فتر فلأن الروح قد تكون قد غفلت ونامت لحظة واحدة .. لكنه نوم الأسد .. يتناوم ليرى ماذا تفعل كلاب الطبع .. لقد كانت تلك الدهشة أشبه بخدش فى كف زبد بحر أحمد ، لكن روحه التى كانت فى سعة المحيط كانت تفور وتلقى بالزبد .. والقمر (روح أحمد) هو كف ناثر للنور ، وإن لم يكن للقمر كف فماذا يكون ؟

(٣٨٠٠ - ٣٨٠٤) : ولو أن أحمد المصطفى فتح جناحيه أى أبدى عظمة روحه لأغمى على جبريل إلى الأبد ، وإلا فاقرأ فى المعراج النبوى الشريف : أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلى سدرة المنتهى قال له جبريل : تقدم أنت لأننى لو دنوت أنملة لاحترقت .. لقد جاوزه الرسول صلى الله عليه وسلم (الإنسان الكامل أعلى مرتبة من الملائكة وهذه قمة الإنسانية عند الصوفية) .

(٣٨٠٥ - ٣٨٠٩) : يالها من حيرة تثيرها هذه القصص ، إنها حيرة الخواص أولياء الله .. والملائكة المقربين فى الأخص أى محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين ، إن كل أنواع الغياب عن الوعى هنا مجرد ألعوبة .. إنها ليست جديرة بأقل من التضحية بالروح فحتام تحتفظ بروحك .. ويا جبريل أو يا من أنت فى مقام جبريل كفاك فخرا بجناحك ، بالرغم من عزتك وشرفك لست أنت بالشمع ، فالشمع هو الحضرة الإلهية والفراشة هى المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو الجدير بالمشاهدة .. والجدير بالفناء فى ذات الله لأن فى فنائه بقاء فى بقاء .. ودعك من هذا الحديث المنقلب ، انتبه : لقد قلبت الحديث جعلت الأسد صيد الحمار الوحشى .. والأولى بك أن تخفى هذا .. ثم قلبته مرة ثانية فوضعت الأسد فى موضعه الصحيح .. فعد واجعل من أسد الحقيقة صيدا لحمار الوحش ، حتى يجد الخلق سبيلا إليه .. وحتى يطلع العارف على باطنه .. ولا يراه شيئا فوق مستوى المثال ، هيا اختم النص حتى لا تنساق إلى قول ما لا تريد .

(٣٨١٠ - ٣٨١٩) : كلامك هذا يتناثر بالرغم منك كأنه البول .. فكف عنه .. وكفاك هذرا .. فأى أسد وأى حمار وحشى .. وما هذا الكلام تلقيه أمام أولئك الذين لا يزالون متشبثين بالأرض ورهن الطين .. وهو يبدو أمامهم معكوسا

ويسيئون فهمه .. دارهم .. فقد أمر الرسول بمداراة الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم .. وأنت غريب فى دارهم وظعين مسافر ، وبينك وبينهم ما بين الرازى والمروزى من بعد ومسافة (الرى غرب إيران ومرو أقصى شرقها) فدارهم حتى تصل إلى سلطان الحقيقة .. ويا من أنت تتخذ من موسى مرشدا تحدث إلى فرعون الزمان بالحديث اللين .. فإنك إن وجهت إلى غلاظ القلوب الذين تشبه قلوبهم زيتا مغليا كلاما قاسيا (الماء البارد) لاشتعل الإناء واشتعلت الأثافى ولهدمت من حيث أردت أن تبنى .. تحدث بالكلام اللين لأنه يمكن أن تقول الصواب بالكلام اللين .

(٣٨٢٠ - ٣٨٢٥) : إيذان بختم هذا الكتاب الرابع : لقد حل العصر ، فلأقصر الكلام .. والعصر فى المأثور الصوفى هو زمان خاتم الأنبياء بالنسبة لزمان آدم فكأن علينا ونحن فى أوان خاتم الأنبياء ألا نطيل الكلام ، وإن كان هذا الكلام تنبيه وتوعية لأهل العصر .. وهو الذى يعطيهم شهد الروح ويبعدهم عن طين الدنيا وطين النفس .. والكلام موجه إلى حسن حسام الدين : إنك روضة روحانية ومستغن عن الحروف والأصوات بالنسبة لفهمى .. لكن لا محيص من اللجوء إلى هذه الحروف والأصوات حتى يفهم الناس ويدرك العوام ، أولئك الذين يكونون فى حاجة إلى حروف وكلمات ، ألست ترى الرياض والبساتين يضع فيها الناس ملواحا على شكل رأس حمار ، هكذا الكلمات والحروف والأمثال والحكايات فى المثنوى .. وكثير من الناس يرى رأس الحمار ولا يرى الروضة ورياحينها وثمارها .. وكثير من الناس أيضا يحيطها بالأشواك .. ويظن المحروم من بعيد أن البستان هو هذا فحسب ، فيتقهقر عن الروضة كأنه كبش مغلوب .. فهيا ياحسام الدين هات رأس الحمار (الحروف والأصوات والحكايات) وضعها فى مزرعة البطيخ هذه .. فإن رأس الحمار وإن كانت ميتة (الحكايات المنسية) فإنها ترتد حية مرة أخرى فى أذهان العوام من وضعها فى هذا المكان لأنها تصبح ذات معنى وفائدة .

(٣٨٢٦ – ٣٨٣٤) : إن التصوير فن لكنك أنت الذى تبعث فيه الروح .. لا .. لقد أخطأت فالصورة والمعنى كلاهما منك (فى الحقيقة الصورة والمعنى يسيطر عليهما المخاطب وليس المتحدث) إنك محمود كالأولياء فى السماء .. فلتكن محمودا إلى الأبد فى الأرض ، وذلك حتى يتوحد الأرضى مع السماوى وتنتفى التفرقة والاثنينية والشرك ، فإن هذا العمل المسمى بالمثنوى مع عظمته هذه هو من توحد روحينا وعندما تتوحد أرواح الطيبين الأولياء يحدث التغيير فى الأرض ، فإن الأفكار بين الأرواح حجاب ، حجاب يوضع على وجه الحقيقة فيخفيها الغرض ويخفيها المرض .. وكثيرا ما عرف الناس الحقيقة فأداروا لها وجوههم ، فغضب ذلك الولى الكامل القمر المنير والرسول المصطفى فغضبه من غضب الرب .

(٣٨٣٥ – ٣٨٤٤) : ومن هنا ولعدم التجانس فإن روح الشرير لم تتعرف على روح النبى وجهلتها وأعرضت عنها .. وكل هذا قرأته .. فاقرأ « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ، رسول من الله يتلو صحفا مطهرة ، فيها كتب قيمة » إن عناد الكفار ولجاجهم لما يحير : قبل أن يظهر المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا .. كان ورد ألسنتهم ، كان ذكره كالتعويذة ، كانوا ينتظرونه .. كانت قلوبهم تخفق بذكره ، وألسنتهم تلهج بالثناء عليه .. كانوا يدعون الله صباح مساء أن يعجل بعثته ، كانوا يستفتحون باسم الرسول أحمد . قال تعالى « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (البقرة / ٨٩) (ينظر أيضا البيهقى دلائل النبوة / ١) كانوا يستنجدون به فى حروبهم وعند مرضهم ، كانت صورته تبدو لهم

فى طرقهم .. لا .. إن صورته لا يستطيع أى كافر أن يتخيلها ، لقد كانت مجرد صورة فى مخايلهم .

(٣٨٤٥ – ٣٨٤٧) : إن هذه الصورة لو انعكست على جدار دمى قلب ذلك الجدار .. ولأصابت الجدار بركة انعكاس هذه الصورة عليه ونجا من كونه ذى وجهين .. ولصار جديرا بأن يكون ذا وجه واحد كأهل الصفاء .

(٣٨٤٨ – ٣٨٥٥) : كل هذا التعظيم والوداد ذهب أدراج الرياح بمجرد أن رأوه كانوا زيفا عرض على النار فاسود وافتضح .. وهكذا الزيف يهزل طالبا المحك ، وهو يعلم أن المحك سوف يفضحه ، كان يفعل ذلك حتى يلقى بمريديه فى الشك والظين فى صلاحه ، وهكذا يقع من ليس بأهل فى حبال مكره ، وينخدع فيه كل خسيس ، نعم إن مجرد طلبه للمحك دليل على صدقه .. وهو لن يعرض نفسه على المحك أبدا ، وإن عرض نفسه على محك فسوف يطلب محكا زائفا مثله .. والشيخ الذى يخفى عيب كل وجه من أجل كل ديوث فى الطريقة ليس بشيخ بل هو منافق .. فابتعد عنه ما استطعت فهو لا يخفى عيبا ، واختم يا حسام الدين إذن هذا الكتاب الرابع والله الموفق .

(تم الكتاب الرابع من المثنوى بحمد الله تعالى ويليه الكتاب الخامس بإذنه تعالى) .

فهرس الكتاب

(تابع) فهرس الكتاب

(تابع) فهرس الكتاب

(تابع) فهرس الكتاب

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٧٩١٦ / ١٩٩٧

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 235 - 845 - X)

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٣٧١٩٣ - ١٩٩٦ - ٦٠٣٢

المجلس الأعلى للثقافة

مثنوي

مولانا جلال الدين الرومي



تصميم الغلاف : عماد حليم